بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون ، والصلاة والسلام علىٰ سيد الخلق خاتم النبيين والمرسلين الذي أرسله الله للناس كافة ، وأوجب علىٰ جميع الخلق اتباعه ، وجعل من أركان الإيمانِ الإيمانُ به صلىٰ الله وسلم وبارك عليه ، وأنزل القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وجعله ناسخا للشرائع قبله ، وأمر جميع الخلق بالإيمان به والعمل بمقتضاه ، فقد فصل فيه سعادتهم دنيا وأخرىٰ ، أما بعد :

فقد أنزل الله سبحانه كتابا أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ومَنَّ علىٰ من اصطفاهم من العلماء الراسخين بحسن فهمه علىٰ ما أراد سبحانه من علمائنا وأسلافنا الذين ما أرادوا من تفسيرهم لكتاب الله سبحانه إلا رضاه ، فكانوا كما قال تعالىٰ: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} ، ثم تغيرت الأزمان وتبدلت الأحوال فجاء المستشرقون وأتباعهم من بني جلدتنا الذين يريدون أن نميل ميلا عظيما فحرفوا كلام الله ، وأولوا الآيات على أهوائهم فكانوا مصداق من قال عنهم سبحانه { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} ، وتبعهم من اغتر بهم من المسلمين ممن عنده جَهلٌ في الدين أو إلحاد خفي في قلوبهم ، أو حب لإرضاء اليهود والنصارىٰ الذين قال سبحانه عنهم { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} ، ففرحوا بهذه التأويلات فرحا شديدا ، وانتشر هذا الشر وطم في أرجاء الأرض ، فكان واجبا علىٰ من آتاه الله نصيبا من العلم أن يتصدىٰ لهؤلاء ،ولما كنت أعلم من نفسي أني لست من أهل هذا المضمار أحجمت عن ذلك ، مدة مديدة مع إلحاح كثير من الإخوان من العرب وغيرهم أن أكتب في هذا الموضع ، حتىٰ طلب مني من لا يسعني مخالفته أن

أكتب في هذا الموضوع، وأخبرني أن عرىٰ الدين تُنْقض باستدلالتهم ،فشرح الله صدري لهذا ، فجمعت كلام العلماء جمعا مستقىٰ في كل آية استدلوا بها وحرفوا معناها مما يتعلق باليهود والنصارىٰ ، وكان التركيز في البحث في الدرجة الأولىٰ علىٰ آية { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)} (البقرة:62) وعلىٰ ما يشبهها في المائدة والحج، ومن خلال البحث بينت الحق في تفسير: { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115) }(آل عمران 113 ـ 114) ، وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)}المائدة: 47)،{ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68)} (المائدة: 68) وهي الآيات التي يكررون الاستدلال بها ، وقد بذلت في البحث غاية جهدي وعصارة خبرتي في تلخيص وتحرير أقوال العلماء في كل آية من الآيات بحيث لا أترك تفسيرا مطبوعا وصلني إلا ذكرت رأيه ، وحررت المسائل تحريرا وحبرتها تحبيرا ، ليكون هذا الكتاب نهارا يزيل ظلمة شبهاتهم ، وسيفا يقطع لسان كل محرف لكتاب الله الذي هو روحنا وحياتنا ، وكل هذا من توفيق الخالق الرازق سبحانه ،الذي لا يكون شيء إلا إذا أراد سبحانه ، { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} .

****

خطة البحث:

قسمت البحث إلى قسمين : القسم الأول: التفسير التحليلي وفيه ست وعشرون مسألة، والقسم الثاني: أدلة الرد على من فسر الآية على خلاف مراد الله سبحانه، وفيه سبعة عشر دليلا ، وإليك تفصيل المباحث:

القسم الأول فيه أربع وعشرون مسألة :

المسألة الأولى: في علاقة آية سورة البقرة بما قبلها

المسألة الثانية: فائدة إِنَّ.

المسألة الثالثة : بيان الأقوال في المراد بالذين آمنوا.

المسألة الرابعة: الأقوال في المراد بـ(الذين هادوا والنصارى) في الآية.

المسألة الخامسة : حاصل الأقوال في معنى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ} .

المسألة السادسة: تحقيق اشتقاق هادوا وبيان الفرق بين هادوا ويهودوهُود

المسألة الثامنة:أصل كلمة النصارى.

المسألة السابعة : هل اليهودية دين سيدنا موسى عليه السلام .

المسألة الثامنة:أصل كلمة النصارى.

المسألة التاسعة: اختلاف العلماء لم سموا "نصارى".

المسألة العاشرة: السر في أنه تعالى في حق اليهود لم يقل قالوا إنا يهود بل قال {اليهود} وفي حق النصارى قال:" قالوا إنا نصارى"

المسألة الحادية عشر: تاريخ الصَّابِئة وفرقهم .

المسألة الثانية عشرة : أقوال المفسرين في الصابئة .

المسألة الثالثة عشرة : أقوال الفقهاء في الصابئة.

المسألة الثالثة عشرة : اشتقاق اسم الصابئة .

المسألة الرابعة عشرة: من آمن بالله

المسألة الخامسة عشرة: معنى اليوم الآخر في { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (62)}.

المسألة السادسة عشرة : عبارة { آمن بالله واليوم الآخر} في مصطلح القرآن يراد بها الإيمان بجميع الأركان .

المسألة السابعة عشرة : إعراب (من) في {من آمن بالله واليوم الآخر} .

المسألة الثامنة عشرة : معنى {فلهم أجرهم عند ربهم} .

المسألة التاسعة عشرة : معنى{ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} .

المسألة العشرون : مناسبة آية سورة المائدة وآية سورة الحج لما قبلهما

المسألة الحادية والعشرون : تلخيص أقوال العلماء في سورة المائدة.

المسألة الثانية والعشرون : تفسير آية سورة الحج مع ذكر أقوال العلماء:

المسألة الثالثة والعشرون: الإعراب في المائدة والصابئون.

المسألة الرابعة والعشرون: الفائدة البلاغة في رفع الصابئون.

القسم الثاني وفيه سبعة عشر دليلا .

الدليل الأول : تفسيرهم يؤدي إلى اختلاف القرآن وتعارضه

الدليل الثاني: أن اسم النصارى لم يرد في القرآن مرادا به الموحدون

الدليل الثالث: قوله تعالى { من آمن بالله } يرد عليهم

الدليل الرابع: هم لا يؤمنون بيوم القيامة كما وصفه الله تعالى

الدليل الخامس: شرط العمل الصالح الإيمان

الدليل السادس: دينهم يخالف دين الإسلام الذي عرفه القرآن

الدليل السابع:القرآن مليء بالآيات التي تدعو الكفار ومنهم أهل الكتاب وتناقشهم

الدليل الثامن: القرآن يقرر أن من عبد مع الله غيره لم يعبد الله سبحانه الدليل التاسع : نص القرآن الكريم على كفر اليهود والنصارى صراحة

الدليل العاشر : قد بشرت جميع الكتب بالنبي صلى الله عليه وسلم وأمته الدليل

الحادي عشر:ترك ملايين النصارى واليهود دينهم عبر التاريخ والدخول في الإسلام دليل على وجوب الإيمان

الدليل الثاني عشر:العمل بالتوراة أو الإنجيل عمل بشريعة منسوخة

الدليل الرابع عشر: أن هذه القول خارق لإجماع علماء المسلمين

الدليل الخامس عشر:جميع الأنبياء أخذ عليهم وعلى أممهم الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم

الدليل السادس عشر أن الله تعالىٰ أمر بطاعة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم و جعل المتولي عنه كافرا

الدليل السابع عشر: القرآن نص علىٰ أن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم أرسل للناس جميعا

****

القسم الأول: التفسير التحليلي وفيه ست وعشرون مسألة:

الآيات التي سنتناولها في هذا البحث هي ثلاث آيات، آية وردت في سورة البقرة ، وآية وردت في المائدة والثالثة وردت في سورة الحج:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة:62] .

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة:69] .

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [الحج:17] ◉ وسنبدأ فى التفسير بآية سورة البقرة ثم نثنى بتفسير آية المائدة ◉ ثم آية سورة الحج.

المسألة الأولىٰ: في علاقة آية سورة البقرة بما قبلها

وفيها قولان:

القول الأول: وهو المختار الجاري على التفسير الأصح للآية، تظهر ثلاث مناسبات:

1) المناسبة الأولى : كانت الآيات السابقة لهذه الآية تتحدث عن بني إسرائيل وكفرهم بالآيات المتتالية آية بعد آية ، وكفرهم بالنعم بعد تواليها ، وعن تكرار ذلك الكفر فظهر انصرافهم عن الحق مع كثرة الآيات ، وختمت بأنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، فلما كان ذلك ربما أوهم أنه لا خلاص لهم منه وإن تابوا ، وهذا يورثهم اليأس من رحمته سبحانه ، وأن لا يبقى عندهم للأمل في عفو الله متنفس ، وكانت عادته سبحانه جارية بأنه إذا ذكر وعداً أو وعيداً عقبه حكم ضده ليكون الكلام تاماً ، اعلموا أن باب التوبة مفتوح، والرب كريم، على وجه عام يشملهم وغيرهم من جميع أهل الملل ، فمهما كانت ملتهم السابقة تقبل توبتهم في هذا الدين، والإسلام يـَجُبُّ ما قبله ، وأنه ليس على الإنسان ليكون من أهله إلا أن يؤمن بأركان الإيمان لا سيما الإيمان بالله الواحد بدون شريك ، ويوم القيامة الذي يكرم الله فيه المؤمنين ويعذب الكافرين على ما بين في القرآن الكريم ، وما يستلزم ذلك من خشية وخوف من الله ، وأن يعمل صالحا على حسب ما فصل في القرآن تصديقا لإيمانه، وهذا يستلزم الإيمان بجميع الرسل وأولهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والإيمان باليوم الآخر ، والعمل الصالح على وفق ما جاء في القرآن وفي هذا الشرع الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم كما هو مفهوم ضمنا ، وبما يستلزمه ذلك من الإيمان بالرسول بدون تفريق كما سيأتي ، فهذا الأساس هو السبب الوحيد لعدم الخوف والحزن في الآخرة ، وأن المؤمنين ظاهرا فقط أو ظاهرا وباطنا ، واليهود والنصارى والصابئون جميعا في النجاة سواء إذا حققوا شروط الإيمان السابقة على ما أتى به القرآن ، لا فرق بين يهودي ونصراني وعبدة للكواكب، ولا ينظر في ذلك إلى سابق ما كانوا يتدينون ولا إلى ما كانوا ينتحلون من نحل، ، فهذا النص الكريم إذاً يفتح باب الرجاء ويقرب التوبة ، وبهذا يتضح وجه توسيط هذه الآية وما قبلها بين تعداد النعم ، فقد جعل سبحانه ذلك الحكم الخالد الأبدي معترضا في أخبار بني إسرائيل ليفتح باب الإيمان لهم ولغيرهم.

- ومن جهة أخرى فيها بيان أن ادعاء الإيمان بدون إيمان حقيقي بالله واليوم الآخر وبدون عمل لا يجدي كما يفعل بغض المغرورين من المسلمين.

وهذا ملخص ما ذكره الرازي والبقاعي[1] وأبو حيان[2] والآلوسي[3] وابن عاشور[4] وأبو زهرة[5] والشيرازي في الأمثل[6] ومحمد عبده.

---

[1] قال البقاعي : "-- أو يقال إنّه لما أخبر تعالى بأنهم ألزموا الخزي طوق الحمامة وكان ذلك ربما أوهم أنه لا خلاص لهم منه وإن تابوا وكانت عادته سبحانه جارية بأنه إذا ذكر وعداً أو وعيداً عقبه حكم ضده ليكون الكلام تاماً ، اعلموا أن باب التوبة مفتوح والرب كريم على وجه عام" نظم الدرر(1/ 454)).

2 قال أبو حيان :"ومناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه لما ذكر الكفرة من أهل الكتاب ، وما حل بهم من العقوبة ، أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم ، دالاً على أنه يجزي كلاً بفعله". البحر المحيط (1/ 389)

3 قال الآلوسي:" { إِنَّ الذين ءامَنُواْ } لما انجر الكلام إلى ذكر وعيد أهل الكتاب قرن به ما يتضمن الوعد جرياً على عادته سبحانه من ذكر الترغيب والترهيب ، وبهذا يتضح وجه توسيط هذه الآية وما قبلها بين تعداد النعم" روح المعاني(1/ 289).

[4] قال ابن عاشور: "توسطت هاته الآية بين آيات ذكر بني إسرائيل بما أنعم الله عليهم وبما قابلوا به تلك النعم من الكفران وقلة الاكتراث فجاءت معترضة بينها لمناسبة يدركها كل بليغ وهي أن ما تقدم من حكاية سوء مقابلتهم لنعم الله تعالى قد جرت عليهم ضرب الذلة والمسكنة ورجوعهم بغضب من الله تعالى عليهم ، ولما كان الإنحاء عليهم بذلك من شأنه أن يفزعهم إلى طلب الخلاص من غضب الله تعالى لم يترك الله تعالى عادته مع خلقه من الرحمة بهم وإرادته صلاح حالهم فبين لهم في هاته الآية أن باب الله مفتوح لهم وأن اللجأ إليه أمر هين عليهم وذلك بأن يؤمنوا ويعملوا الصالحات ، ومن بديع البلاغة أن قرن معهم في ذلك ذكر بقية من الأمم ليكون ذلك تأنيساً لوحشة اليهود من القوارع السابقة في الآيات الماضية وإنصافاً للصالحين منهم ، واعترافاً بفضلهم ، وتبشيراً لصالحي الأمم من اليهود وغيرهم الذين مضوا مثل الذين كانوا قبل عيسى وامتثلوا لأنبيائهم ، ومثل الحواريين ، والموجودين في زمن نزول الآية مثل عبد الله بن سَلاَم وصهيب ، فقد وفَّت الآية حق الفريقين من الترغيب والبشارة ، وراعت المناسبتَيْن للآيات المتقدمة مناسبةَ اقتران الترغيب بالترهيب ، ومناسبةَ ذكر الضد بعد الكلام على ضده " اهـ .

[5] قال أبو زهرة –:"الناس جميعا سواء أمام الله يجزيهم إن آمنوا اختص الله سبحانه وتعالى الآيات السابقة ببني إسرائيل وكفرهم بالآيات المتتالية آية بعد آية ، وبتكرار وتوالي ذلك الكفر ليبين سبحانه وتعالى انصرافهم عن الحق مع كثرة الآيات ، وكفرهم بالنعم بعد تواليها . وكأن القارئ للقرآن الكريم يحسب أن العبر تنزل لمن يكفر بها ، والآية المعجزة تتوالى على من ينكرها . . فيبين الله تعالى أن الغاية من هذه النعم هي الإيمان ، وأنهم إن كفروا بها فباب التوبة مفتوح لهم ولغيرهم ، وأن الله تعالى خلق الخلق ليتفكر الناس فيؤمنوا وليجدوا فيها البرهان فيؤمنوا { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (56) } [الذاريات] ، وقد قضى الله تعالى أن الإيمان مقبول من كل الطوائف والملل ، وقد جعل سبحانه ذلك الحكم الخالد الأبدي معترضا في أخبار

2) المناسبة الثانية: لما بين سبحانه أن اليهود تعنتوا على سيدنا موسى عليه السلام كما مر مرة بعد مرة أورثهم كفراً في قلوبهم فمردوا على العصيان والتجرّؤ على مجاوزة الحدود، فضرب عليهم الذلة والمسكنة وأحلهم الغضب ، وكان في ذلك تحذير لمن طلب سلوك ذلك الصراط المستقيم من حالهم ، نبه على أن من عمل ضد عملهم منهم أو من غيرهم من جميع الملل كان على ضد حالهم عند ربهم ، فلا يغضب عليهم بل يوفيهم أجورهم ويورثهم الأمن والسرور المتضمنين لضد الذلة والمسكنة ، فقال تعالى { إن الذين آمنوا }[٧].

بني إسرائيل ليفتح باب الإيمان لهم ، ولغيرهم ، فقال تعالى : { إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا } .

[٦] قال الشيرازي في الأمثل:" القانون العام للنّجاةبعد عرض لمقاطع من تاريخ بني إسرائيل ، تطرح هذه الآية الكريمة مبدأ عاماً في التقييم وفق المعايير الإلهية . وهذا المبدأ ينص على أن الإيمان والعمل الصالح هما أساس تقييم الأفراد ، وليس للتظاهر والتصنّع قيمة في ميزان الله : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصارى وَالصّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخر وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) . هذه الآية تكررت مع اختلاف يسير في سورة المائدة ، الآية 72 وفي سورة الحج الآية 17 . سياق الآية في سورة المائدة يشير إلى أن اليهود والنصارى فخِروا بدنيهم ، واعتبروا أنفسهم أفضل من الآخرين ، وادّعوا بأن الجنّة خاصة بهم دون غيرهم . ولعل مثل هذا التفاخر صدر عن بعض المسلمين أيضاً ، ولذلك نزلت هذه الآية الكريمة لتؤكد أن الإيمان الظاهري لا قيمة له في الميزان الإلهي ، سواء في ذلك المسلمون واليهود والنصارى وأتباع الأديان الأخرى . ولتقول الآية أيضاً : إن الأجر عند الله يقوم على أساس الإيمان الحقيقي بالله واليوم الآخر إضافة إلى العمل الصالح . وهذا الأساس هو الباعث الوحيد للسعادة الحقيقة والإبتعاد عن كل خوف وحزن ".

[٧] قال البقاعي :" ولما بين سبحانه أنهم لما تعنتوا على موسى عليه السلام كما مر ويأتي عن نصوص التوراة مرة بعد مرة أورثهم كفراً في قلوبهم فمردوا على العصيان والتجرّؤ على مجاوزة الحدود فضرب عليهم الذلة والمسكنة وأحلهم الغضب ، وكان في ذلك تحذير لمن طلب سلوك ذلك الصراط المستقيم من حالهم ، وإعلام بأن المتقين المستجاب لهم في الدعاء بالهداية ليسوا في شيء من ذلك بل قالوا : اهدنا ، عن يقين وإخلاص متبرئين من الدعاوى والاعتراض على الرسل نبه على أن من عمل ضد عملهم فآمن منهم أو من غيرهم من جميع الملل كان على ضد حالهم عند ربهم فلا يغضب عليهم بل يوفيهم أجورهم ويورثهم الأمن والسرور المتضمنين لضد الذلة والمسكنة ، فقال تعالى { إن الذين آمنوا }"نظم الدرر(1/ 60).

3) المناسبة الثالثة : أنه سبحانه لما علّل إهانة بني إسرائيل بعصيانهم واعتدائهم كان كأنه قيل : فما لمن أطاع ؟ فأجيب بجواب عام لهم ولغيرهم فالآية بمنزلة الاستثناء من حكم الآية السابقة ، وإنما ورد على هذا الأسلوب البديع متضمنا لجميع من تمسك بهدى نبي سابق[8] .

القول الثاني: وهذا القول مبني على القول المرجوح في تفسير الآية وهو قول السدي وابن كثير[9] ومن وافقهما : فهم يقولون: " أن الآية تمدح الذين كانوا على التوحيد الصحيح قبل دخول النسخ والتحريف ، فالآية تمدح الذين كانوا على دين سيدنا موسى عليه وسلم الصحيح قبل مجيء سيدنا عيسى ، وهكذا الذين كانوا على دين سيدنا عيسى قبل مجيء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهكذا الصابئة إن كانوا في فترة من الفترات على التوحيد الصحيح قبل دخول التحريف" فعلى هذا القول تكون المناسبة بين الآية وما قبلها:

---

8 قال البقاعي : "ـــ أو يقال إنه سبحانه لما علّل إهانة بني إسرائيل بعصيانهم واعتدائهم كان كأنه قيل : فما لمن أطاع ؟ فأجيب بجواب عام لهم ولغيرهم ". نظم الدرر (1/ 454) قال الفخر الرازي : " واعلم أن عادة الله إذا ذكر وعدا أو وعيدا عقبه بما يضاده ليكون الكلام تاما فهنا لما ذكر حكم الكفرة من أهل الكتاب وما حل بهم من العقوبة أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم والثواب الكريم دالا على أنه سبحانه وتعالى يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته كما قال : { ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى } فقال : { إن الذين آمنوا } " التفسير الكبير (3/ 535).

9 قال ابن كثير:" لما بين الله تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجره ، وتعدى في فعل ما لا إذن فيه وانتهك المحارم ، وما أحلّ بهم من النكال ، نبه تعالى على أن مَنْ أحسن من الأمم السالفة وأطاع ، فإن له جزاء الحسنى ، وكذلك الأمر إلى قيام الساعة ؛ كُلّ من اتبع الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية ، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ، ولا هُمْ يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه ، كما قال تعالى : { أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس : 62] وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت : 30]" تفسير ابن كثير (1/ 284)

أنه لما ذكر القرآن بني إسرائيل وذمهم ، وذكر معاصيهم وقبائحهم ، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم من كان منهم في فترة من الفترات على الحق ومن كان في فترة من الفترات كافرا ، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه وأن المؤمنين الموحدين الذين كانوا قبل أن تنسخ شريعتهم هم على الحق، فأزال الوهم السابق عن الذين هادوا والنصارى والصابئين والذين آمنوا ، فذكر تعالى حكما عاما يشمل الطوائف كلها ، ليتضح الحق ، ويزول التوهم والإشكال ، فهذا الحكم بين هذه الطوائف ، من حيث هم ، قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن هذا مضمون أحوالهم .

قالوا : وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام ، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم ، لأنه تنزيل مَنْ يعلم الأشياء قبل وجودها ، ومَنْ رحمته وسعت كل شيء [10]، وسيأتي ضعف هذا القول وهذا الربط ببيان أن اسم النصارى لم يطلق في القرآن أبدا على كان موحدا بل أطلقه

[10] وهناك ربط ذكره سيد قطب على قول السدي وهو أن الآية لبيان أن الفضل ليس بالجنس والعرق إنما هو بالإيمان :

قال " لم يشهد تاريخ أمة ما شهده تاريخ إسرائيل من جحود واعتداء وتنكر للهداة . فقد قتلوا عددا من أنبيائهم – وقد كفروا أشنع الكفر ، واعتدوا أشنع الاعتداء ، وعصوا أبشع المعصية . وكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل !
ومع هذا كله فقد كانت لهم دعاوى عريضة عجيبة . كانوا دائما يدعون أنهم هم وحدهم المهتدون ، وهم وحدهم شعب الله المختار ، وهم وحدهم الذين ينالهم ثواب الله ؛ وأن فضل الله لهم وحدهم دون شريك . . وهنا يكذب القرآن هذه الدعوى العريضة ، ويقرر قاعدة من قواعده الكلية ، التي تتخلل القصص القرآني ، أو تسبقه أو تتلوه . يقرر قاعدة وحدة الإيمان . . ووحدة العقيدة ، متى انتهت إلى إسلام النفس لله ، والإيمان به إيمانا ينبثق منه العمل الصالح . وإن فضل الله ليس حجرا محجورا على عصبية خاصة ، إنما هو للمؤمنين أجمعين ، في كل زمان وفي كل مكان ، كل بحسب دينه الذي كان عليه ، حتى تجيء الرسالة التالية بالدين الذي يجب أن يصير المؤمنون إليه : فالعبرة بحقيقة العقيدة ، لا بعصبية جنس أو قوم . . وذلك طبعا قبل البعثة. الظلال (1/ 75).

في جميع الآيات على الكفار[11] منهم بل قال في موضعين "الذين قالوا إنا نصارى" وهذا يرجح أن المراد كذلك بالذين هادوا الكفار منهم وكذلك الصابئون كما سيأتي في بيان عقائدهم.

المسألة الثانية: فائدة إِنَّ

على ما سبق من القولين يأتي القول في فائدة التأكيد بـ(إنَّ) قولان:

فعلى التفسير الأول وهو الصحيح: فمجيء { إنَّ } هنا لمجرد للاهتمام بالخبر وتحقيقِه لدفع توهم أن الله سبحانه لا يقبل توبتهم فيؤدي ذلك إلى يأسهم.

وعلى القول الثاني[12] في التفسير : فمجيء {إنَّ} هنا لمجرد الاهتمام بالخبر وتحقيقِه لدفع توهم أن ما سبق من المذمات شامل لجميع اليهود ، فإن كثيراً من الناس يتوهم أن سلف الأمم التي ضَلَّت كانوا مثلهم في الضلال[13].

---

[11] من ذلك : { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135)} { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (30)}

[12] وهو قول السدي وابن كثير .

[13] انظر التحرير والتنوير ابن عاشور(1/ 531)

المسألة الثالثة : بيان الأقوال في المراد بالذين آمنوا:

سبب الاختلاف:

اختلف المفسرون في المراد منه ، وسبب هذا الاختلاف قوله تعالى في آخر الآية : { من آمن بالله واليوم الآخر } فإن ذلك يقتضي أن يكون المراد من الإيمان في قوله تعالى : { إن الذين آمنوا } غير المراد منه في قوله في : { من آمن بالله }، ونظيره في الإشكال قوله تعالى :

{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} فلأجل هذا الإشكال ذكروا أقوالا عدة [14] ، وهذه الأقوال كثرت في سورة البقرة ، إلا أن أقواها ثلاثة أقوال وهي التي استقر كلام المفسرين عليها في المائدة ، فلم يذكروا غيرها ، فلذلك أذكر هذه الأقوال الثلاثة ، وعند بيان حاصل الأقوال أذكر بقيتها مع نقاشها .

الأقوال في المراد بالذين أمنوا:

القول الأول:

قالوا المراد الذين آمنوا بالله الواحد ، والرسول محمدا صلى الله عليه وسلم من هذ الأُمة وصدقوا بكل ما جاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وثبتوا على إيمانهم وآمنوا باليوم الآخر على ما حسب ما ذكره القرآن.

فيكون الفرق بين{ إن الذين آمنوا} و{من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا} :

أ) أنَّ معنى{إنَّ الذين أمنوا} أحدثوا الإيمان، ومعنى { من آمن بالله باليوم الآخر } ثبتوا وداموا واستمروا عليه في المستقبل .

ب) وإما أن نقول: في {من آمن بالله واليوم الآخر} تقييد لم يذكر في {إنَّ الذين آمنوا}، فقد زاد قيد { وعمل صالحا}؛ لأن الصلة تركبت من شيئين الإيمان والعمل الصالح ، والمخلصون وإن كان إيمانهم

---

[14] انظر الآلوسي (1 / 279) والرازي (5/ 376) .

حاصلاً فقد بقي عليهم العمل الصالح ، فلما تركب الشرط أو الصلة من أمرين ، فكأنه قال من آمن وصدق إيمانه بالعمل[15] .

اختار هذا القول : الطبري والطوسي[16] والقرطبي والسعدي وسيد قطب وابن عاشور وأبو زهرة ، وسيد طنطاوي والنسفي والصابوني ونسبه الإمام الرازي[17] للمتكلمين .

القول الثاني:

المراد بهم المنافقون في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهم قوم آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم ، فالمراد بالإيمان إنّما هو الإيمان على طريق المجاز والتسّمية دون الحكم والحقيقة ، فكأنه قال : إن المنافقين والذين هادوا والنصارى والصابئين، فقرنهم باليهود لنفاقهم ، ثم بين حكم من آمن بالله واليوم الآخر من

---

[15] وقال ابن عاشور: "وقد استشكل ذكر { الذين آمنوا } في عداد هؤلاء ، وإجراء قوله : { من آمن بالله } عليهم مع أنهم مؤمنون فذكرهم تحصيل للحاصل ، فقيل أريد به خصوص المؤمنين بألسنتهم فقط وهم المنافقون . وقيل أراد به الجميع وأراد بمن آمن من دام بالنسبة للمخلصين ومن أخلص بالنسبة للمنافقين . وهما جوابان في غاية البعد . وقيل : يرجع قوله : { من آمن بالله واليوم الآخر } لخصوص الذين هادوا والنصارى والصابين دون المؤمنين بقرينة المقام لأنهم وصفوا بالذين آمنوا وهو حسن . وعندي أنه لا حاجة إلى شيء من ذلك ، لأن الشرط والصلة تركبت من شيئين الإيمان والعمل الصالح . والمخلصون وإن كان إيمانهم حاصلاً فقد بقي عليهم العمل الصالح فلما تركب الشرط أو الصلة من أمرين فقد علم كل أناس مشربهم وترجع كل صفة لمن يفتقر إليها كلاً أو بعضاً ".التحرير والتنوير(1/ 521).

[16] قال الطوسي :" اما " الذين آمنوا " وهم المصدقون برسول الله (صلى الله عليه وآله) بما اتاهم من الحق من عند الله" التبيان(1/ 277) .

[17] قال الفخر الرازي: "وثالثها : المراد من قوله : { إن الذين آمنوا } هم المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام في الحقيقة وهو عائد إلى الماضي ، ثم قوله تعالى : { من آمن بالله } يقتضي المستقبل فالمراد الذين آمنوا في الماضي وثبتوا على ذلك واستمروا عليه في المستقبل وهو قول المتكلمين" التفسير الكبير(3/ 536).

جميعهم ، فقال سبحانه: { من آمن } أي من حقق وأخلص من المنافقين، و دخل في الإيمان من الذين هادوا و النصارىٰ والصابئين .

والتعبيرُ عن المنافقين بذلك دون عُنوانِ النفاقِ للتصريح بأن تلك المرتبةَ وهي الإيمان في الظاهر، وإن عُبِّر عنها بالإيمان لا تُجديهم نفعاً أصلاً ولا تُنْقِذُهم من ورطة الكفر قطعاً ، ومناسبة ذكر المنافقين هنا : أنه تعالىٰ ذكر في أول هذه السورة طريقة المنافقين بقوله تعالىٰ

: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)} الآيات، ثم ذكر طريقة اليهود، ثم جمعهم هنا في الحكم، فكأنه تعالىٰ قال: هؤلاء المبطلون كل من أتىٰ منهم بالإيمان الحقيقي صار من المؤمنين عند الله[18] .

وهذا القول اختاره : سفيان الثوري والزمخشري[19] والبقاعي وأبو السعود[20] والآلوسي[21] والطباطبائي[22] والأعقم ورده ابن عاشور والخليلي مفتي سلطنة عمان[23].

---

[18] الفخر الرازي: " أحدها : وثانيها : أنه تعالىٰ ذكر في أول هذه السورة طريقة المنافقين ثم طريقة اليهود ، فالمراد من قوله تعالىٰ : { إن الذين آمنوا } هم الذين يؤمنون باللسان دون القلب وهم المنافقون ، فذكر المنافقين ثم اليهود والنصارىٰ والصابئين فكأنه تعالىٰ قال : هؤلاء المبطلون كل من أتىٰ منهم بالإيمان الحقيقي صار من المؤمنين عند الله وهو قول سفيان الثوري.التفسير الكبير (3/ 536)

[19] قال الزمخشري:" إن الذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون { والذين هَادُواْ } والذين تهوّدوا . يقال : هاد يهود . وتهوّد إذا دخل في اليهودية ، وهو هائد ، والجمع هود . { والنصارىٰ } وهو جمع نصران . يقال : رجل نصران ، وامرأة نصرانة ، قال : نصرانة لم تحنف . والياء في نصرانيّ للمبالغة كالتي في أحمريّ . سموا لأنهم نصروا المسيح . { والصابئين } وهو من صبأ : إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة { مَنْ ءامَنَ } من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل في ملة الإسلام دخولاً أصيلاً { وَعَمِلَ صالحا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ } الذي يستوجبونه بإيمانهم وعملهم ". الكشاف (1/ 146).

واختاره في سورة المائدة كثير من العلماء منهم : الثوري و الزجاج وأبو السعود و السمعاني و النسفي والخازن والطبرسي والنيسابوري والشوكاني واطفيش وحسنين مخلوف والشعراوي و الطوسي.

---

[20] قال أبو السعود:" { إِنَّ الذين آمَنُواْ } أي بألسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامِهم في سِلك الكفرة ، والتعبيرُ عنهم بذلك دون عُنوانِ النفاقِ للتصريح بأن تلك المرتبةَ وإن عُبِّر عنها بالإيمان لا تُجديهم نفعاً أصلاً ولا تُنْقِذُهم من ورطة الكفر قطعاً " (1/ 108).

[21] قال الآلوسي وفي المراد ب { الذين آمنوا } هنا أقوال ـــ وأقل الأقوال مؤنة أولها [يعني هذا القول].

[22] قال الطباطبائي:" تكرار الإيمان ثانيا وهو الاتصاف بحقيقته كما يعطيه السياق يفيد أن المراد بالذين آمنوا في صدر الآية هم المتصفون بالإيمان ظاهرا المتسمون بهذا الاسم فيكون محصل المعنى أن الأسماء والتسمي بها مثل المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين لا يوجب عند الله تعالى أجرا ولا أمنا من العذاب كقولهم : لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، وإنما ملاك الأمر وسبب الكرامة والسعادة حقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، ولذلك لم يقل من آمن منهم بإرجاع الضمير إلى الموصول اللازم في الصلة لئلا يكون تقريرا للفائدة في التسمي على ما يعطيه النظم كما لا يخفى وهذا مما تكررت فيه آيات القرآن أن السعادة والكرامة تدور مدار العبودية ، فلا اسم من هذه الأسماء ينفع لمتسميه شيئا ، ولا وصف من أوصاف الكمال يبقى لصاحبه وينجيه إلا مع لزوم العبودية ، الأنبياء ومن دونهم فيه سواء ، فقد قال تعالى في أنبيائه بعد ما وصفهم بكل وصف جميل : { و لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون } : [الأنعام – 88] ، وقال تعالى في أصحاب نبيه ومن آمن معه مع ما ذكر من عظم شأنهم وعلوقدرهم : { وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما } : [الفتح – 29] ، فأتى بكلمة منهم وقال في غيرهم ممن أوتي آيات الله تعالى : { و لو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه } : [الأعراف – 176] ، إلى غير ذلك من الآيات الناصة على أن الكرامة بالحقيقة دون الظاهر" (1/ 279) .

[23] قال الخليلي مفتي سلطنة عمان: "وهو قول مرفوض إذ لم يُعهد وصف المنافقين في القرآن بالإيمان بل نفى الله عنهم الإيمان بقوله : { وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ } [البقرة : 8] ، وقوله : { وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ } [الحجرات : 14] ، وقوله : { وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } [المنافقون : 1] .ـــ وتخصيص التقييد ببعض المذكورين دون بعض دعوى لا دليل عليها.

القول الثالث: قالوا: المراد بالذين آمنوا عام للمخلصين والمنافقين .

اختاره الإمام البيضاوي واطفيش في هميان الزاد والمظهري [24] وعبر عنه أبو السعود بقيل[25].

فالمرادُ بالذين آمنوا المتديّنون بدين الإسلام المُخلِصون منهم والمنافقون، أي: الذين قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهذا على عمومه من غير اعتبار موافقة القلب ، ولا عدمها ولا الوفاء بالعمل الصالح ولا عدمه ، وإنما اشترط موافقة القلب والعمل الصالح بعد ذلك بقوله : { من آمن . . . إلخ }.، فالمراد بـ(مَنْ آمن) من اتصف منهم بالإيمان الخالصِ بالمبدأ والمَعاد على الإطلاق، سواءٌ كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كإيمان المُخلصين أو بطريق إحداثه وإنشائه كإيمان مَنْ عداهم من المنافقين وسائر الطوائف.

وفائدةُ التعميم بذكر المؤمنين الصادقين المخلصين مزيدُ ترغيبِ الباقين في الإيمان ، ببيان أن تأخرهم في الاتصاف بالإيمان غيرُ مُخلٍ بكونهم مستحقين للأجر وعدم الخوف والحزن ،فهم إذا آمنوا ينالون ما يناله المؤمنون المخلصون كما قال تعالى { فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما }.

---

[24] لكن المظهري فسر اليهود والنصارى بمن كان على الدين الباطل ثم آمنوا إيمانا صحيحا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأما البيضاوي :ففسر الذين هادوا بمن كان على دين سيدنا موسى الصحيح قبل مجيء سيدنا عيسى وفسر النصارى بمن كان كان على دين عيسى الصحيح قبل مجيء سيدنا محمد فقال: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بألسنتهم، يريد به المتدينين بدين محمد صلّى الله عليه وسلّم المخلصين منهم والمنافقين،مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صالِحاً من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ. مصدقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد، عاملاً بمقتضى شرعه. وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً، ودخل في الإسلام دخولاً صادقاً" أنوار التنزيل (1 / 84).

[25] قال أبو السعود : "وقد قيل : المرادُ بالذين آمنوا المتديّنون بدين الإسلام المُخلِصون منهم والمنافقون ، فحينئذ لا بد من تفسير مَنْ آمن بمن اتصف منهم بالإيمان الخالصِ بالمبدأ والمَعاد على الإطلاق ، سواءٌ كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كإيمان المُخلصين أو بطريق إحداثه وإنشائه كإيمان مَنْ عداهم من المنافقين وسائر الطوائف ، وفائدةُ التعميم للمخلصين مزيدُ ترغيبِ الباقين في الإيمان ببيان أن تأخيرَهم في الاتصاف به غيرُ مُخلٍ بكونهم أسوةً لأولئك الأقدمين في استحقاق الأجرِ وما يتبعه من الأمن الدائم" إرشاد العقل السليم "(1/ 108).

الراجح:

هو القول الثالث الذي يقول :إن الذين آمنوا يشمل الصادقين وغيرهم لأدلة :

1) بدليل أن القرآن الكريم ذكر بعده{ إن الذين آمنوا} { من آمن بالله واليوم الآخر}فهي دعوة لكل المؤمنين أن يصدقوا في إيمانهم و أن يعملوا بإيمانهم الأعمال الصالحة ، سواء في ذلك من كان على حقيقة الإيمان أو الذين يدَّعون الإيمان

2) ويدل عليه أن سورة البقرة قسمت الناس في بدايتها إلى ثلاثة أقسام : مؤمنين صادقين ذكرت الكافرين ثم المنافقين الذين أظهروا الإيمان ، ثم حثت الكل على الصدق في الإيمان والعمل الصالح ،وكذلك في سورة المائدة فقد ذكرت القسمين وكذلك سورة الحج[26].

3) وأيضا استعمال الذين آمنوا دون المؤمنين شامل لأقوياء الإيمان وضعافهم ومنهم المنافقون ولذلك استعمل الفعل[27] بخلاف التعبير عن المؤمنين فهو يكون للمتصفين بالإيمان وقد يدل على الراسخين

---

[26] في سورة المائدة { يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ}(5/ 41) وفي سورة الحج { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)} (22/ 11).

27 الفرق بين الذين آمنوا والمؤمنين :

الفرق الأول: {الذين آمنوا} تدل على أمرين: 1) الأولى يدل على أنهم فعلوا الإيمان وأحدثوه أي أوجدوه بعد أن لم يكن وفيه مدح عظيم لهم بإيجاد الإيمان ، وإفادة الفعل ذلك بالوضع لتضمنه الزمان 2) الثاني : أنهم داموا عليه وثبتوا عليه ، وهذا يدل عليه بالالتزام ، فهو يدل على تَحَقُّقَ الْإِيمَانِ فِيمَا مَضَى بِالصَّرَاحَةِ وَدَوَامَهُ بِالِالْتِزَامِ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَلَّا يَتَغَيَّرَ ومثله صدقوا وجد منهم الصدق وثبتوا عليه ، ولأنه يدل على هذين الأمرين يؤتى بعدها بالتكليفات غالبا يا أيها الذين آمنوا ـ .

أما المؤمنون بصيغة اسم الفاعل فهو يدل على الاتصاف بصفة الإيمان بدون نظر أنهم أحدثوه أي التركيز على الاتصاف بالصفة لا على إحداث الصفة فليس فيه تعرض لحدوثه أصلًا أو تجدده ـ وأيضا المؤمنون لا يدل على زمن ، وقد يدل في بعض السياقات على الثبوت والقوة والرسوخ وعليه فالمؤمنون في بعض السياقات معناه الذي اتصفوا بالإيمان الثابت فاسم الفاعل صيغة منبئة عن الثبات والدوام.

ولم يستعمل لضعاف الإيمان وقد استعمل القرين الذين آمنوا مرادا به المنافقون أو ضعاف الإيمان في

الفرق الثاني: التعبير بالذين آمنوا يشمل قوي الإيمان وضعيفه بل يدخل أحيانا المنافقون فمعنى الذين آمنوا أحدثوا الإيمان ولو كانوا في أدنى مراتب .

الفرق الثالث:الموصول { الذين آمنوا} يُؤْذِنُ بالاشْتِهَارِهِمْ بِالْإِيمَانِ .ولنأخذ مثالا اجتمع فيه اسم الفاعل والاسم الموصول

في قوله تعالى :{ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)} قال البقاعي : { والذين آمنوا } وإن كانوا في أدنى درجات الإيمان { والله } أي بما له من صفات الكمال – وليهم ، هذا الأصل ، ولكنه قال : { ولي المؤمنين * } ليعم الأنبياء كلهم وأتباعهم من كل فرقة ، ويعلم أن الوصف الموجب للتقريب العراقة في الإيمان ترغيباً لمن لم يبلغه في بلوغه ولو كانوا في أدنى درجات الإيمان.

آيات اجتمع فيها اسم الفاعل والموصول:

{ وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) [العنكبوت : 11] ففيه ترغيب أن الله يعلم كل إيمان فكل إيمان عنده له أجر ، وأما في النفاق فهو يرغب الذين نافقوا أن يتركوا فالتهديد منصب على الذين ثبتوا على النفاق وكذلك { فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3} { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) } فعند الأمر ذكرهم بأمر عظيم فعلوه وهو الإيمان والثبات عليه وأنهم مشهورون بهذه الصفة ، فكما احدثوا الإيمان فليحدثوا التذكر ، ثم بين أن المؤمن الكامل في الإيمان يوكل أموره لله ، وليقس ما لم يقل.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) 6) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57)) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) نَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (62) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15) قِإِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (10)

قوله تعالى { قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ}[28] (9/ 61) . فعلى هذا التفسير يكون الكلام شاملا لكل المؤمنين ظاهرا وباطنا ودعوة للكل للصدق في الإيمان والعمل الصالح بخلاف الاقتصار على بعض الأقسام.

4) وأيضا هذه القول يؤدي إلى توحيد المراد هنا وفي المائدة والحج ويكون أشمل للأسرار البلاغية التي ستذكر ، بخلاف الاقتصار على أحد القولين:

فمعظم المفسرين في سورة المائدة اختاروا تفسير الذين آمنوا بالمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ، وجمهور المفسرين في سورة الحج فسروا المؤمنين بالمؤمنين الصادقين ، فالأولى توحيد المراد في هذه السور الثلاثة لا سيما سورة المائدة التي تتحد مع سورة البقرة في السياق فلا نفسر مرة بالمؤمنين الصادقين ومرة بالمنافقين .

****

المسألة الرابعة: الأقوال في المراد بـ(الذين هادوا والنصارى) في الآية :

القول الأول: وهو قول الجمهور:

الطبري و ابن عطية و الواحدي و الزمخشري و أبو السعود و الآلوسي و الفخر الرازي و القرطبي و النسفي و البقاعي و الجلال و الهواري و الماتريدي و السمرقندي و ابن أبي زمنين و مكي و الطوسي و الشربيني و الأعقم و المظهري و ابن عجيبة و الشوكاني و الميرغني و الطباطبائي.

قالوا المراد : من كان على الباطل من اليهود والنصارى على الدين المحرف ، ومعنى {من آمن بالله} إذا تاب وحقق شروط الإيمان ، بأن يؤمن بأركان الإيمان لا سيما الإيمان بالله الواحد بدون شريك ، واليوم الآخر يوم القيامة الذي يكرم الله فيه المؤمنين ويعذب الكافرين على ما أتى في القرآن، من نجاة المؤمنين وخلود الكفار

[28] قال أبو السعود:" {وَرَحْمَةً} عطفٌ على أذنُ خيرٍ أي وهو رحمةٌ بطريق إطلاقِ المصدرِ على الفاعل للمبالغة {للذين آمنوا مِنكُمْ} أي للذين أظهروا الإيمانَ منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقاً لَهُم في ذلك بل رفقاً بهم وترحماً عليهم ولا يكشف أسرارَهم ولا يهتِك أستارَهم وإسنادُ الإيمان إليهم بصيغة الفعلِ بعد نسبتِه إلى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئةِ عن الرسوخ والاستمرارِ للإيذان بأن إيمانَهم أمرٌ حادثٌ ما له من قرار". إرشاد العقل السليم (4/ 77).

الذين وصف القرآن كفرهم، وما يستلزم ذلك من خشية وخوف من الله ، وأن يعمل صالحا على حسب ما فصل في القرآن تصديقا لإيمانه كما هو مفهوم ضمنا،وهذا يستلزم الإيمان بجميع الرسل بدون تفريق وأولهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والإيمان باليوم الآخر كما سيأتي بيانه، فمن فعل ذلك منهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

القول الثاني:

قاله مجاهد والسدي، والبيضاوي[29] ، والطوسي، وسيد قطب، والسعدي، والشيرازي في الأمثل ورده أبو السعود .

قالوا المراد : بـ{الذين هادوا } الذين كانوا على دين سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف وقبل نسخه بشريعة سيدنا عيسى عليه السلام ، ولم يبدلوا ولم يكفروا بعيسى عليه السلام ، ومات وهو مؤمن ؛ والمراد بـ { النصارى }من آمن بسيدنا عيسى عليه السلام قبل نسخها بشريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فعملوا بشريعة سيدنا عيسى عليه السلام إلى أن جاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، والمراد بـ{الصابئين} من كان على التوحيد منهم التوحيد الخالص الذي معه الإيمان بجميع أركان الإيمان على القول بوجود طائفة منهم كانت على الحق في فترة من الفترات قبل طروء التحريف.

وقالوا : الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي كان يدرس على أيدي علماء كانوا على دين سيدنا عيسى ، قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد صحب عُبَّاداً من أتباع سيدنا عيسى عليه السلام ، قال له آخرهم إن زمان نبي قد أظل ، فإن لحقته فأمن به ، ورأى منهم عبادة عظيمة ، فأخبره خبرهم فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبيا، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم، قال له نبي

---

[29] قال البيضاوي: "من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ ، مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد ، عاملا بمقتضى شرعه . وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ، ودخل في الإسلام دخولا صادقا". أنوار التنزيل (1/ 85).

الله صلى الله عليه وسلم: يا سلمان، هم من أهل النار، فاشتد ذلك على سلمان، وقد كان قال له سلمان: لو أدركوك صدقوك واتبعوك، فأنزل الله هذه الآية: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر) .

قال الطبري[30]: معلقا على هذا القول: "فكان إيمان اليهود: أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى، حتى جاء عيسى، فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى – فلم يدعها ولم يتبع عيسى – كان هالكا، وإيمان النصارى: أنه من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم، فمن لم يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل – كان هالكا".

يقول علي هاني: القول الثاني هذا ضعيف لأن النصارى لم تطلق في القرآن على المؤمنين بدين سيدنا عيسى عليه السلام بدون تحريف ، بل اطلقت على أصحاب التثليث المشركين كما سيأتي تفصيله، وكذلك "الذين هادوا" وإن كانت أطلقت في القرآن إطلاقين : أطلقت على من كان على دين سيدنا موسى الحق نحو: { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا} ، وأطلقت على الكفار منهم نحو{ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)} كما سيأتي ، لكن اقترانهم بالنصارى ، والنصارى لم تطلق في القرآن إلا على الكفار منهم يعين أن المراد منهم الكفار ، ويؤيده أن القرآن الكريم قال عنهم: الذين قالوا إنا نصارى فهم يدعون دعوى كاذبة الانتماء إلى دين سيدنا عيسى الصحيح ، ويساعد القول الراجح أن السياق قبل الآية وبعدها في ضلالاتهم وتحريفاتهم وتغيراتهم هم وسلفهم ، ويؤيده أن الذين هادوا ذكرت في سورة الحج مع الذين ثبتوا

---

[30] جامع البيان (2/ 154) ، تنبيه : الطبري اختار القول الأول في المراد باليهود والنصارى والصابئين لكنه هنا يوجه القول الثاني عندما حكاه.

على الكفر منهم { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17) } ، وكذلك لم يثبت علماء التاريخ ولا علماء الأديان أن الصابئة كانوا على التوحيد كما سيأتي، ولو كانوا على التوحيد لما كان اسمهم الصابئة لا سيما أن أكثر العلماء قالوا: إنهم سموا صابئة لخروجهم عن دين التوحيد ، بل جعلهم الشهرستاني مقابلين للحنيفية ، ويزاد على ذلك أن السياق هنا وفي المائدة ليس للكلام على تلك الأمة التي خلت من الذين هادوا والنصارى والصابئين ولا لمدحهم ؛لأنه لا يتعلق به كبير فائدة ـ وإن كان ممكنا في نفسه ـ إنما التركيز والأهم أن يدعوهم إلى الإيمان بهذا الدين وهذا النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كما تقدم عن جمهور المفسرين وكبارهم ، ويؤيده أن قصة بني إسرائيل بدئت بقوله تعالى { يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ}، فسياق الآيات من أول سورة البقرة لدعوة جميع الناس إلى الإيمان والتوحيد { يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)} وليس الغرض الكلام على من كان موحدا قبل آلاف السنوات من الصابئين على فرض وجودهم أو من النصارى ، أو الذين هادوا نعم قد يراد هذا بسياق آخر، وسيأتي تفصيل هذا ويتضح تمام الاتضاح إن شاء الله في المسائل الآتية .

****

المسألة الخامسة : حاصل الأقوال في معنى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ} :

بعدما ذكرنا معنى كل من الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى على حدة نستوفي هنا ذكر الأقوال في معنى الجملة، وذلك لأنه حصل من تركيبها مع بعضها عدة أقوال فنريد أن نستوفيها مع ذكر أقوال وفوائد بلاغية لم نذكرها قبل مع نقاش بعضها :

القول الأول:

قالوا المراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بالله الواحد ، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم من هذ الأُمة وصدقوا بكل ما جاء نبينا محمد وثبتوا على إيمانهم، وآمنوا باليوم الآخر على حسب ما ذكره القرآن ، فيكون المعنى إما إن الذين أمنوا أحدثوا الإيمان ،إذا ثبتوا وداموا واستمروا عليه في المستقبل أو المعنى إن الذين آمنوا إذا حققوا شرط الإيمان بالإيمان بالله الواحد واليوم الآخر وحققوا بقية شروط الإيمان وعملوا صالحا، هذا في حق من آمن، وأما في حق اليهود والنصارى والصابئين فالمراد بهم من كان على الباطل من اليهود والنصارى والصابئين على الدين المحرف ، فالمراد من أحدث الإيمان ودخل في الإسلام بأن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وآمن بجميع أركان الإيمان كما فصل.

اختار هذا القول : الطبري والطوسي والقرطبي والسعدي وسيد قطب وابن عاشور وأبو زهرة وسيد طنطاوي والنسفي والصابوني ونسبه الإمام الرازي للمتكلمين، ويكون سر الابتداء بذكر المؤمنين:

أ) الاهتمام بشأنهم ليكونوا في مقدمة ذكر الفاضلين فلا يذكر أهلُ الخير إلا ويذكرون معهم ، ففيه إدماج للتنويه بالمسلمين في هذه المناسبة ؛لأنّ المسلمين هم المثال الصّالح في كمال الإيمان والعمل الصالح ، فكان لا بد من ذكرهم عند ذكر الإيمان .

ب) و الإِشعار بأن دين الإِسلام دين قائم على أساس أن الفوز برضا الله لا ينال إلا بالإِيمان الصادق والعمل الصالح ، ولا فضل لأمة على أمة إلا بذلك فحال هذه الملة الإسلامية، وحال من قبلها من سائر الملل، يرجع إلى شيء واحد، وهو: أنّ من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا، استحقّ ما ذكره الله من الأجر.

ت) والتحرّز عن الغرور الذي قد يتسرب لبعض الذين آمنوا ، بأنهم مؤمنون فيقولون : نحن مؤمنون من أمة النبي صلى الله عليه وسلم فهذا يكفي ولا يحتاج للعمل والله غفور رحيم .

القول الثاني: قالوا المراد بالذين آمنوا المنافقون في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهم قوم آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم ، فالمراد بالإيمان إنّما هو على طريق المجاز والتسّمية دون الحكم والحقيقة ، فكأنه سبحانه قال: إن المنافقين والذين هادوا والنصارى والصابئين، فقرنهم باليهود لنفاقهم ، ثم بين حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم ، فقال سبحانه: { من آمن } أي من حقق وأخلص من المنافقين، وأما الذين هادوا والنصارى والصابئين فالمراد بهم من كان على الدين الباطل المحرف فدخل في الإيمان بأن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وآمن باليوم الآخر كما ورد في القرآن الكريم وحقق شروط الإيمان فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

والتعبيرُ عن المنافقين بذلك دون عُنوانِ النفاقِ للتصريح بأن تلك المرتبةَ وهي الإيمان في الظاهر، وإن عُبِّر عنها بالإيمان وأدخلهم الناس في مسمى الذين آمنوا لا تُجديهم نفعاً أصلاً ولا تُنْقِذُهم من ورطة الكفر قطعاً ، قالوا ويؤيده أن المنافقين ذكروا في أول السورة[31]

وهذا القول اختاره : سفيان الثوري والزمخشري والبقاعي وابو السعود والآلوسي والطباطبائي والأعقم، ورده ابن عاشور والخليلي مفتي سلطنة عمان[32].

واختاره في سورة المائدة كثير من العلماء منهم : الثوري و الزجاج وأبو السعود و السمعاني و النسفي والخازن والطبرسي والنيسابوري والشوكاني واطفيش وحسنين مخلوف والشعراوي و الطوسي.

---

[31] الفخر الرازي أحدها : وثانيها : أنه تعالى ذكر في أول هذه السورة طريقة المنافقين ثم طريقة اليهود ، فالمراد من قوله تعالى : { إن الذين آمنوا } هم الذين يؤمنون باللسان دون القلب وهم المنافقون ، فذكر المنافقين ثم اليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى قال : هؤلاء المبطلون كل من أتى منهم بالإيمان الحقيقي صار من المؤمنين عند الله وهو قول سفيان الثوري.

[32] قال الخليلي مفتي سلطنة عمان: "وهو قول مرفوض إذ لم يُعهد وصف المنافقين في القرآن بالإيمان بل نفى الله عنهم الإيمان بقوله : { وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ } [البقرة : 8] ، وقوله : { وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمان فِي قُلُوبِكُمْ } [الحجرات : 14] ، وقوله : { وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } [المنافقون : 1] .ـــ وتخصيص التقييد ببعض المذكورين دون بعض دعوى لا دليل عليها.

القول الثالث:المراد بالذين آمنوا عام للمخلصين والمنافقين .

اختاره الإمام البيضاوي واطفيش في هميان الزاد ، والمظهري، وعبر عنه أبو السعود بقيل.

قالوا المرادُ بالذين آمنوا المتديّنون بدين الإسلام المُخلِصون منهم والمنافقون، أي: الذين قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهذا على عمومه من غير اعتبار موافقة القلب ، ولا عدمها ولا الوفاء بالعمل الصالح ولا عدمه ، وإنما اشترط موافقة القلب والعمل الصالح بعد ذلك بقوله : { من آمن . . . إلخ }،. فالمراد بـ{إن الذين آمنوا} الذين قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله صادقا أو منافقين والمراد بـ(مَنۡ آمَنَ بِاللَّهِ وَالۡيَوۡمِ الۡآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا) من اتصف منهم بالإيمان الخالصِ بالمبدأ والمَعاد على الإطلاق، سواءٌ كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كإيمان المُخلصين أو بطريق إحداثه وإنشائه كإيمان مَنۡ عداهم من المنافقين و النصارى والصابئين والذين هادوا .

وفائدةُ التعميم بذكر المؤمنين الصادقين المخلصين مزيدُ ترغيبِ الباقين في الإيمان ، ببيان أن تأخرهم في الاتصاف بالإيمان غيرُ مُخِلّ بكونهم مستحقين للأجر وعدم الخوف والحزن ،فهم إذا آمنوا ينالون ما يناله المؤمنون المخلصون كما قال تعالى { فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما }، ثم القائلون بهذا القول: بعضهم ـ كاطفيشـ قال المراد بالذين هادوا والنصارى والصابئين بمن كان على الدين الباطل ثم آمنوا إيمانا صحيحا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم ـ كالبيضاوي ـ قال المراد بـ(هادوا) بمن كان على دين سيدنا موسى الصحيح قبل مجيء سيدنا عيسى والمراد بالنصارى من كان على دين عيسى الصحيح قبل مجيء سيدنا محمد ، والصابئة كذلك قبل أن ينسخ دينهم.

القول الرابع:

قالوا المراد بالذين آمنوا من آمن من هذه الآمة، والمراد بالذين هادوا والنصارىٰ: الذين آمنوا قبل مبعث سيدنا محمد قبل نسخ شريعتهم مع البراءة عن أباطيل اليهود والنصارىٰ مثل ورقة ابن نوفل وسلمان الفارسي وبحيرىٰ ، فـ{الذين هادوا} الذين كانوا علىٰ دين سيدنا موسىٰ عليه الصلاة والسلام ، ولم يبدلوا ولم يكفروا بسيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام ممن لم يلحق سيدنا محمداً صلىٰ الله عليه وسلم ، ومات وهو مؤمن ؛لأن حقيقة الإيمان تكون بالوفاة ، { والنصارى } ممن آمن بعيسىٰ وعملوا بشريعته ممن لم يلحق سيدنا محمداً صلىٰ الله عليه وسلم ، { والصابئين } كذلك يعني في زمن استقامة أمرهم علىٰ القول به ، قالوا والآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي ، فقد صحب عباداً من أتباع سيدنا عيسىٰ فقال له آخرهم إن زمان نبي قد أظل ، فإن لحقته فأمن به ، ورأىٰ منهم عبادة عظيمة ، فلما جاء إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأسلم ذكر له خبرهم ، وسأله عنهم ، فنزلت هذه الآية .

مجاهد والسدي وسيد قطب والسعدي وابن تيمية والراغب في تفسيره وظاهر ابن كثير ورده أبو السعود .

وقد أورد الطبري القصة بسنده عن السدي ومجاهد فقال: عن مجاهد قوله : {إِنّ الّذِينَ آمَنُوا وَالّذِينَ هادُوا} الآية ، قال سلمان الفارسي للنبي صلىٰ الله عليه وسلم عن أولئك النصارىٰ وما رأىٰ من أعمالهم ، قال : لم يموتوا علىٰ الإسلام . قال سلمان : فأظلمت عليّ الأرض ، وذكر اجتهادهم ، فنزلت هذه الآية ، فدعا سلمان فقال : «نزلت هذه الآية في أصحابك » ، ثم قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : «مَنْ مَاتَ علىٰ دِينِ عِيسَىٰ ومات علىٰ الإِسْلامِ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ بِي فَهُوَ علىٰ خَيْرٍ وَمَنْ سَمِعَ بِي اليَوْمَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِي فَقَدْ هَلَكَ »[33] .

---

[33] وردت عدة روايات في هذا المعنىٰ وقد جمعها الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالىٰ ، في كتاب" العجاب في بيان الأسباب" وحكم علىٰ بعضها بالصحة حيث قال:

أخرج الواحدي من تفسير أبي الشيخ عبد الله بن محمد بن حيان الحافظ الأصبهاني بسند له صحيح إلىٰ ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال:" لما قص سلمان الفارسي علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قصة أصحابه الذين كان يتعبد معهم قال:

"هم في النار" قال سلمان: فأظلمتْ عليَّ الأرض فنزلت، قال: فكأنما كُشف عني جبل" لكن محقق كتاب العجاب عبد الحكيم محمد الأنيس كتب بهامشه : فيه انقطاع؛ مجاهد لم يسمع من سلمان، انظر "جامع التحصيل في أحكام المراسيل" للعلائي "ص336-337".

وقال الحافظ ابن حجر رحمه : وأخرج الواحدي أيضا من "تفسير إسحاق بن راهويه" بسنده القوي إلى السدي قال:" نزلت في أصحاب سلمان لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يخبره عن عبادتهم واجتهادهم وقال يا رسول الله كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك تبعث نبيا، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال: "يا سلمان هم من أهل النار"، فأنزل الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} الآية" .

لكن محقق كتاب العجاب كتب في هامشه:" في السند أسباط بن نصر وهو مختلف فيه: وثقه ابن معين وابن حبان، ووصفه بالصدق البخاري في "الأوسط"، وتوقف فيه أحمد وضعفه النسائي وأبو نعيم والساجي، ومرة قال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن حجر" صدوق كثير الخطأ يغرب، وقال في التهذيب": علق له البخاري حديثًا في الاستسقاء، وقد وصله الإمام أحمد والبيهقي في "السنن الكبرى" [3/ 352] وهو حديث منكر أوضحته في التغليق" [في الأصل: بالعين المهملة وهو خطأ] .انظر "التاريخ الكبير" "2/ 53" و"الجرح والتعديل" "1/ 322" و"تهذيب الكمال" "2/ 357" و"التهذيب" "1/ 211" و"التقريب" "ص98 "321" و"تغليق" "2/ 390" وزاد أن البيهقي في "الدلائل" ولم يوضح أنه منكر سوى أنه ساق السند وقد وثقه أحمد شاكر انظر تعليقه على مسند أحمد في الحديث رقم "1286" اهـ.

يقول علي هاني: وقد جمع كتاب" الاستيعاب في بيان الاسباب" لسليم الهلال وموسى نصر جميع الروايات الورادة في القصة وحكما على الروايات بالضعف وإليك نص كلامهما:

الرواية الأولى: عن مجاهد : عن سلمان -رضي الله عنه-؛ قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم؛ فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ. . .} . [ضعيف] أخرجه ابن أبي عمر العدني في "مسنده"؛ كما في "الدر المنثور" (1/ 179) -ومن طريقه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (1/ 198 رقم 638 - البقرة) -: ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عنه به.قلنا: وسنده ضعيف؛ للانقطاع بين مجاهد وسلمان؛ فهو لم يسمع منه؛ كما في "جامع التحصيل" (ص 336، 337)، وقال الحافظ في "العجاب" (1/ 256): "وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن مجاهد"، ولم ينبه على الانقطاع.

الرواية الثانية: عن مجاهد: "لما قص سلمان على النبي - صلى الله عليه وسلم - قصة أصحاب الدير؛ قال: "هم في النار"، قال سلمان: فأظلمت عليّ الأرض؛ فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا} إلى قوله: {يَحْزَنُونَ} قال: فكأنما كشف عني جبل. [ضعيف] أخرجه أبو الشيخ في "تفسيره"؛ كما في "العجاب" (1/ 255) -ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص 14) - من طريق يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد به.قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه

علتان: الأولى: الإرسال.الثانية: عنعنة ابن جريج.قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "العجاب" (1/ 255): "أخرج الواحدي من تفسير أبي الشيخ عبد الله بن محمد بن حيان الحافظ الأصبهاني بسند له صحيح إلى ابن جريج".قلنا: ولم يتكلم على العلتين اللتين ذكرناهما.وأخرجه ابن جرير في "جامع البيان" (1/ 256) من طريق الحسين بن داود: ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد به.وهذا سند ضعيف؛ سنيد؛ ضعيف؛ كما في "التقريب"، وفيه تدليس ابن جريج، وأسقط من سنده عبد الله بن كثير، أضف إلى هذا أنه مرسل.

الرواية الثالثة: عن السدي؛ قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي، فبينا هو يحدث النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ إذ ذكر أصحابه؛ فأخبره خبرهم فقال: كانوا يصومون، ويصلون، ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبياً، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم؛ قال له نبي الله – صلى الله عليه وسلم –: "يا سلمان! هم من أهل النار"؛ فاشتد ذلك على سلمان؛ فأنزل الله – تعالى– هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} . [ضعيف جدًا] أخرجه إسحاق بن راهويه في "تفسيره"؛ كما في "العجاب" (1/ 256) –ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص 15) –، وابن أبي حاتم في "التفسير" (1/ 198، 199 رقم 640 – البقرة)، وابن جرير الطبري في "جامع البيان" = = (1/ 254 – 256) من طريق عمرو بن حماد القناد ثنا أسباط بن نصر عن السدي.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:الأولى: الإعضال.الثانية: أسباط بن نصر؛ ضعفه النسائي وأحمد وأبو نعيم وابن معين والساجي.قال الحافظ ابن حجر في "العجاب" (1/ 256، 257): "وأخرج الواحدي –أيضاً– من تفسير إسحاق بن راهويه بسنده القوي إلى السدي".قلنا: فيه نظر؛ كما تقدم.

الرواية الرابعة: عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود: الآية في أصحاب سلمان نزلت، وكان من أهل جند سابور، وكان من أشرافهم، وكان ابنُ الملك صديقاً له ومواخياً، وكانا يركبان إلى الصيد، فبينما هما في الصيد إذ رفع لهما بيتٌ من عباء، فأتياه، فإذا هما برجل بين يديه مصحف يقرأ فيه، ويبكي، فسألاه: ما هذا؟ قال: الذي يريد أن يعلم هذا لا يقف موقفكما، فانزلا. فنزلا إليه، فقال: هذا كتاب جاء من عند الله أمر فيه بطاعته، ونهى عن معصيته، فيه: أن لا تزني ولا تسرق، ولا تأخذ أموال الناس بالباطل، فقصَّ عليهما ما فيه، وهو الإنجيل. فتابعاه فأسلما، وقال: إن ذبيحة قومكما عليكما حرام. ولم يزل معهما يتعلّمان منه حتى كان عيد للملك فجعل طعاماً، ثم جمع الناس والأشراف، وأرسل إلى ابن الملك، فدعاه ليأكل. فأبى، وقال: إني عنك مشغول. فلما أكثر عليه، أخبر أنه لا يأكل من طعامهم. فقال له الملك: من أخبرك بهذا؟ فذكر له الراهبَ. فطلب الراهب

وسأله، فقال: صدق ابنك. فقال: لولا أن الدم عظيم لقتلتُك. اخرج من أرضنا، فأجّله أجلاً. فقمنا نبكي عليه، فقال: إن كنتما صادقين، فأنا في بيْعة في المَوْصِل مع ستين رجلاً نعبد الله، فائتونا. فخرج، وبقي سلمان وابن الملك. فجعل سلمان يقول لابن الملك: انطلق بنا، وابن الملك يقول: نعم. فجعل يبيعُ متاعه يريد الجهاز، وأبطأ، فخرج سلمان حتى أتاهم، فنزل على صاحبه وهو ربُّ البيعة.فكان سلمان معه يجتهد في العبادة، فقال له الشيخ: إنك غلام حدث، وأنا خائف أن تفتر، فارفق بنفسك، قال: خل عني. ثم إن صاحب البيعة دعاه، فقال: تعلم أن هذه البيعة لي، ولو شئت أن أخرج هؤلاء، لفعلت، ولكني رجل أضعف عن عبادة هؤلاء، وأنا أريد أن أتحول إلى بيعة أهلها أهون عبادة، فإن شئت أن تقيم ها هنا، فأقم. فأقام بها يتعبد معهم، ثم إن شيخه أراد أن يأتي بيت المقدس، فدعا سلمان، وأعلمه، فانطلق معه، فمروا بمقعد على الطريق، فنادى: يا سيد الرهبان، ارحمني. فلم يكلمه حتى أتى ببيت المقدس، فقال لسلمان: اخرج فاطلب العلم، فإنه يحضر المسجد علماء أهل الأرض. فخرج سلمان يسمع منهم، فخرج يوماً حزيناً، فقال له الشيخ: مَا لَكَ؟ قال: أرى الخير كله قد ذهب به من كان قبلنا من الأنبياء وأتباعهم. قال: أجل، لا تحزن فإنه قد بقي نبي ليس من نبي بأفضل تبعاً منه، وهذا زمانه، ولا أراني أُدركه، ولعلك تدركه. وهو يخرج في أرض العرب، فإن أدركته فآمِن به. قال: فأخبرني عن علامته. قال: مختوم في ظهره بخاتم النبوة، يأكل الهديّة، ولا يأكل الصدقة. ثم رجعا حتى بلغا مكان المقعد. فناداهما: يا سيد الرهبان، ارحمني يرحمك الله؛ فعطف إليه حماره، فأخذ بيده، ثم رفعه، فضرب به الأرض ودعا له، فقال: قم بإذن الله، فقام صحيحاً يشتد، وسار الرهبان، فتغيب عن سلمان وتطلّبه سلمان. فلقيه رجلان من كلب، فقال: هل رأيتما الراهب؟ فأناخ أحدهما راحلته وقال: نعم، راعي الصِّرمة هذا فانطلق به إلى المدينة. قال سلمان: فأصابني من الحزن شيء لم يصبني قط. فاشترته امرأة من جهينة، فكان يرعى عليها هو وغلام لها يتراوحان الغنم، وكان سلمان يجمع الدراهم ينتظر خروج محمد – صلى الله عليه وسلم –. فبينما هو يرعى إذ أتاه صاحبه، فقال: أشعرت أنه قدم المدينة رجل يزعم أنه نبي؟

فقال: أقِم في الغنم حتى آتي، فهبط إلى المدينة، فنظر إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، ورأى خاتم النبوة، ثم انطلق فاشترى بدينار بنصفه شاة فشواها، وبنصفه خبزاً وأتى به، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "ما هذا؟ " قال: صدقة، قال: "لا حاجة لي بها" أخرجها يأكلها المسلمون. ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزاً ولحماً، فأتى به، فقال: هذا هدية، فأكلا جميعًا.

وأخبره سلمان خبر أصحابه، فقال: كانوا يصومون ويُصلُّون، ويشهدون أنك ستبعث. فقال: "يا سلمان! هم من أهل النار"، فاشتد ذلك على سلمان. وقد كان قال: لو أدركوك صدّقوك واتّبعوك ، فأنزل الله {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ

نقاش القول الرابع:

يقول علي هاني : هذه الروايات رويت بأسناد ضعيفة كما سبق ، ولو سلمنا صحتها أو صحة بعضها من حيث السند لكن من حيث المتن لا تصلح تفسيرا للآية ؛ لأنها لا تناسب السياق ؛ لأن سياق سورة البقرة دعوة لليهود إلى الإيمان والدخول في الإسلام وفتح باب التوبة لهم ولمن هو على شاكلتهم كالنصارى والصابئن كما ذكر في علاقة الآية بما قبلها ، ولم تسق الآية لتصحيح ما كانوا عليه قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم .

فإن قيل قد ذكر بعضُ العلماء أن المناسبة هي أنه لما ذكر القرآن بني إسرائيل وذمهم ، وذكر معاصيهم وقبائحهم ، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم ، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه ، فأزال هذا الوهم عن بني الذين هادوا والنصارى والصابئين والذين آمنوا ، فذكر تعالى حكما عاما يشمل الطوائف كلها ، ليتضح الحق ، ويزول التوهم والإشكال" فهذه مناسبة معتبرة ؟

نقول هذا الربط ليس هو الأظهر في السياق كما تقدم شرحه ، ولئن سلمناه فهو لا يأتي في سورة المائدة وسورة الحج كما سيتضح عند تفسيرهما ، ولئن سلمناه فالآية لم تنزل أصالة في النصارى فهي وإن كانت عامة فالأصل ـ على حسب ما يشير إليه السياق ـ أنها نزلت في اليهود ، لأن الحديث من أوله إلى آخره يتحدث عن اليهود وليس عن النصارى الذين درس عندهم سيدنا سلمان الفارسيرضي الله عنه ، فالظاهر أن القصة ليست سببا للنزول، لكن قد يقال القصة التي ذكرت ليست سببا لنزول الآية ، ولكنها مما انطبقت عليه الآية ، على فرض أن الذين درس عليهم سيدنا سلمان من أتباع سيدينا عيسى الذين كانوا على التوحيد ، وليس عن النصارى القائلين بالتثليث ، وهذا هو مراد القائلين بهذا القول .

وَالصَّابِئِينَ} وعن مرة عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم "قلنا: هذا موصول؛ لكن في السند أسباط بن نصر، وهو ضعيف.

ثم في هذا القول إشكالية وهي أن اسم النصارى لم يطلق قط في القرآن إلا المشركين المثلثين كما سيأتي تفصيله ، وأيضا إشكالية أخرى وهي أن إثبات أن الصابئة كانوا على التوحيد في فترة من الفترات لم يقل به إلا قليل من العلماء ويبدو أن القائلين به قالوا بوجود جماعة من الموحدين فهماً من الآية لا من إثباتات تاريخية وثيقة كما بينه الآلوسي ، وكذلك إن قلنا: إن الذين آمنوا تفسر بالمنافقين أو شاملة للمنافقين ففيه إشكال أن المنافقين لم يكونوا موحدين ولذلك كان نظر أبي السعود [34] ـ كعادته ـ ثاقبا حين قال رحمه الله تعالى :" وأما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدِّقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعِه فمما لا سبيل إليه أصلاً لأن مقتضى المقام هو الترغيبُ في دين الإسلام ، وأما بيانُ حال من مضى على دين آخرَ قبل انتساخِه فلا ملابسةَ له بالمقام قطعاً بل ربما يُخِلُّ بمقتضاه من حيث دَلالتُه على حقِّيته في زمانه في الجملة ، على أن المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر ، أما المنافقون فإن كانوا من أهل الشرك فالأمرُ بيِّن ، وإن كانوا من أهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخِ ليسوا بمنافقين ، وأما الصابئون فليس لهم دينٌ يجوز رعايتُه في وقت من الأوقات ، ولو سلم أنه كان لهم دينٌ سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجِهم منه فليسوا من الصابئين ، فكيف يُمكِنُ إرجاعُ الضمير الرابطِ بين اسمِ إن وخبرِها إليهم أو إلى المنافقين ، وارتكابُ إرجاعِه إلى مجموع الطوائفِ من حيث هو مجموعٌ لا إلى كل واحدة منها قصداً إلى درج الفريقِ المذكور فيه ضرورةَ أن من كان من أهل الكتاب عاملاً بمقتضى شرعِه قبل نسخِه من مجموع الطوائفِ بحُكم اشتمالِه على اليهود والنصارى وإن لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجبُ تنزيهُ ساحةِ التنزيل عن أمثاله ، على أن المخلصين مع اندراجهم في حيز اسم إنّ ليس لهم في حيز خبرها عينٌ ولا أثر فتأمَّل وكن على الحق المبين ".

وكذلك الآلوسي ناقش هذا القول قائلا: " إلا أنه يرد عليه أنه مستلزم أن يكون للصائبين دين ، وقد ذكر غير واحد أنه ليس لهم دين تجوز رعايته في وقت من الأوقات ففي «الملل والنحل » أن الصبوة في مقابلة الحنيفية ، ولميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم : الصابئة ، ولو سلم أنه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه ، فمن مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين ، فكيف يمكن إرجاع الضمير الرابط بين اسم (إنَّ) وخبرها إليهم على القول المشهور ، وارتكاب إرجاعه إلى المجموع من حيث

[34] إرشاد العقل السليم(1/ 109)

هو مجموع قصداً إلى إدراج الفريق المذكور فيهم ضرورة أن من كان من أهل الكتاب عاملاً بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع أولئك الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وإن لم يكن من الصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه ؟ على أن فيه بعداً لا يخفى فتدبر"[35]

القول الخامس: الجمع بين القول الأول والرابع

فتشمل الآية من كان نصرانيا أو يهوديا أو من الصابئة ثم تاب ودخل في الإسلام بلفظها ونصها ، وتشمل من كان من يهوديا أو نصرانيا أو من الصابئة قبل التحريف والتبديل عن طريق الإشارة ، فعلى هذا يكون المعنى: إن الذين آمنوا من يؤمن بالله منهم فله أجره ، ويكون معنى الكلام على الاستقبال لوقوع الفعل الماضي في حيز الشرط أي من يؤمن منهم بالله ويعمل صالحاً فله أجره ، ويكون المقصود منه فتح باب الإنابة لهم بعد أن قُرِّعوا بالقوارع السالفة ، وفي ذلك أيضاً إشارة إلى أن المؤمنين الخالصين من اليهود وغيرهم ممن سلف مثل النقباء الذين كانوا في المناجاة مع موسى ومثل يوشع بن نون وكالب ، لهم هذا الحكم وهو أن لهم أجراً عند ربهم ؛لأن إناطة الجزاء بالشرط المشتق مؤذن بالتعليل بل السابقون بفعل ذلك قبل التقييد بهذا الشرط أولى بالحكم فقد قضت الآية حق الفريقين" قالوا لفظ الآية يحتملها ،و اختاره ابن عاشور[36].

****

[35] روح المعاني (1/ 280)

[36] التحرير والتنوير (1/ 520).

يقول علي هاني: هذه أشهر الأقوال، وهناك أقوال ظاهرة الضعف قل ناصروها ، وضعفت أدلتها أوردها في الهامش[37] .

[37] القول السادس: قالوا : المراد بالذين آمنوا : هم طلاب الدين الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه مثل قس بن ساعدة وسلمان الفارسي ، فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكأنه تعالى قال : إن الذين آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم { وَالَّذِينَ هَادُواْ } يعني الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدّلوا ولم يغيّروا . { وَالنَّصَارَىٰ } : الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يبدّلوا وماتوا على ذلك . ذكره الثعالبي والبغوي وقريب منه جواد مغنية.

القول السابع: مثل القول السابق لكن الفارق في تفسير الذين هادوا والنصارى

قالوا : هم طلاب الدين مثل قس بن ساعدة وسلمان الفارسي ، فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه والمراد بالذين هادوا والنصارى والصابئين من كان منهم على الدين الباطل، فكأنه تعالى قال : إن الذين آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، { وَالَّذِينَ هَادُواْ }على الدين الباطل. { وَالنَّصَارَىٰ}: على الدين الباطل.اختاره : الخازن وذكره الرازي.

القول الثامن : قالوا الآية منسوخة : وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه كما قال الطبري وابن عطية والقرطبي وأبو حيان، فقد روي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أول الإسلام ، وقرر الله بها أن من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن بقي على يهوديته ونصرانيته وصابئيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر فله أجره ، ثم نسخها بقوله تعالى: { ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه } [آل عمران : 85] ورُدَّت الشرائع : كلها إلا شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الطبري :"وقال ابن عباس بما : حدثني المثنى ، ـــ عن ابن عباس قوله : إنّ الّذِينَ آمَنُوا والذِين هادُوا وَالنّصَارَىٰ وَالصّابِئِينَ إلى قوله : ولا هُمْ يَحْزَنُونَ . فأنزل الله تعالى بعد هذا : وَمَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسْلامِ دِينا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ . وهذا الخبر يدلّ على أن ابن عباس كان يرى أن الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحا من اليهود والنصارى

والصابئين على عمله في الآخرة الجنة ، ثم نسخ ذلك بقوله : وَمَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإِسْلامِ دِينا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ."(جامع البيان(2/ 551).

قال أبو حيان :" وروي عن ابن عباس أنها نزلت في أوّل الإسلام ، وقدر الله بها أن من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن بقي على يهوديته ونصرانيته وصابئيته ، وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ، فله أجره ، ثم نسخ ما قدر من ذلك بقوله : { ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه } وردّت الشرائع كلها إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم .وقال غير ابن عباس : ليست بمنسوخة" . (البحر المحيط (1 / 388) .قال القرطبي: "الثامنة : روي عن ابن عباس أن قوله : " إن الذين آمنوا والذين هادو " [الحج : 17] الآية . منسوخ بقوله تعالى : " يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه " [آل عمران : 85] الآية . وقال غيره : ليست بمنسوخة . وهي فيمن ثبت على إيمانه من المؤمنين بالنبي عليه السلام " أحكام القرآن(1 / 436) .

يقول علي هاني: وهذا قول ضعيف لا أظنه يصح عن ابن عباس؛ لأنه من المقرر المعروف أن الأخبار لا تنسخ ، لذلك نجد العلماء قد أولوا ما نسب إلى ابن عباس أو ضعفوا نسبته إليه : قال الطوسي: "وروي عن ابن عباس : أنها منسوخة بقوله تعالى : " ومن يبتغ غير الاسلام دينا ، فلن يقبل منه ". وهذا بعيد ، لان النسخ لا يجوز أن يدخل في الخبر الذي يتضمن الوعيد . وانما يجوز دخوله فيما طريقه الاحكام الشرعية التي يجوز تغييرها " (التبيان (1/ 281) ووجهه ابن كثير توجيها آخر حيث قال: "قلت : وهذا لا ينافي ما روى عَليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } الآية فأنزل الله بعد ذلك : { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران : 85] ، فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملا إلا ما كان موافقًا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثه الله بما بعثه به ، فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة ، فاليهود أتباع موسى ، عليه السلام ، الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم" .

وقد وجه الراغب في تفسيره قول ابن عباس وأيده القاسمي قائلا: " قال الراغب في (تفسيره) : وقول ابن عباس : (إن هذا منسوخ بقوله : { ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه } يعنون أن هذه الأديان كلها منسوخة بدين الإسلام ، وأن الله عز وجل جعل لهم الأجر قبل وقت النبي عليه السلام ، فأما في وقته ، فالأديان كلها منسوخة بدينه . اه تفسير الراغب (1/ 215) محاسن التأويل (1/ 317). أي فليس مراد ابن عباس ، ومن وافقه ، أنه تعالى كان قد وعد من عمل صالحا من اليهود ، ومن

ثم أقول يمكن إرجاع حاصل الأقوال السابقة إلى قولين أساسيين:

القول الأول:

أن الآية تتكلم عن الذين دخلوا في الإسلام وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين الصادقين أو المنافقين أوهما معا ، وكذلك اليهود والنصارى والصابئين بأن آمنوا بجميع أركان الإيمان على الوجه الذي أتى في القرآن الكريم كما سبق تفصيله .

القول الثاني:

أن الآية تتكلم عن نجاة الذين كانوا على التوحيد من جميع الفرق بشرط أن يكونوا آتين بشروط الإيمان فيما سبق وآمنوا بجميع الرسل ولم يكونوا يعملون بشريعة منسوخة.

ذكر معهم على عمله في الآخرة الجنة ، ثم نسخه بآية { ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه } بل مراده ما ذكر الراغب . وهذا ما لا شبهة فيه . ".

وقد رد ابن عاشور ما روي عن ابن عباس ثم وجهه: قائلا " وبهذا يعلم أن لا وجه لدعوى كون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : { ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه } [آل عمران : 85] إذ لا استقامة في دعوى نسخ الخبر إلا أن يقال إن الله أخبر به عن مؤمني أهل الكتاب والصابئين الذين آمنوا بما جاءت به رسل الله دون تحريف ولا تبديل ولا عصيان وماتوا على ذلك قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فيكون معنى الآية كمعنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر من يؤتى أجره مرتين : " ورجل من أهل الكتاب آمن برسوله ثم آمن بي فله أجران " .
وأما القائلون بأنها منسوخة ، فأحسب أن تأويلها عندهم أن الله أمهلهم في أول تلقي دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن ينظروا فلما عَانَدُوا نسخها بقوله : { ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه } لئلا يفضي قولهم إلى دعوى نسخ الخبر .التحرير والتنوير (1/ 522).

ولم يقل أحد من العلماء قبل قررننا الذي نحن فيه أن اليهود على كفرياتهم ، والنصارى القائلين بالتثليث والصابئة عبدة الكواكب هم ناجون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، بالرغم من بقائهم على أديانهم المحرفة .

المسألة السادسة: تحقيق اشتقاق هادوا وبيان الفرق بين هادوا ويهودوهُود:

وردت (الذين هادوا) [10 عشر مرات] ، ووردت كلمة اليهود ثماني مرات [8 مرات] ، ووردت كلمة(هود) ثلاث مرات [3 مرات] .

أولا : هادوا:

المعنى المحوري الذي تدور عليه مادة(ه، و، د) في العربية[38]:

لين أو رخاوة وفتور ممتد في أثناء الشيء و عدم الحدة والصلابة فيه مع طلب هذا اللين والرخاوة .

ومن مصاديقه:

التّهويد: المَشْيُ الرُّوَيْدُ شبه الدَّبيب في المَشْي، يقال هَوّدَ الرجلُ فِي السّير تهويداً، إذا سَار سيراً لينًا.

وهَوَّدَه الشَّرَابُ إِذا فَتَّرَهُ فأَنَامَهُ.

التَّهْوِيدُ: الصَّوْتُ الضَّعِيفُ اللَّيِّن ، الفاتِرُ.

الهَوَدَة : أَصلُ (السَّنَام) وهو تجمع شحمي رخو .

[38] ينظر محمد حسن جبل في المعجم الاشتقاقي، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، والتحقيق للمصطفوي

ومنه هاد يهود وتهوَّد: تاب ورجع إلى الحق وتمايل للتوبة فهو هائد ، ومنه قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى : { وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} (الأعراف: 156).

وإذا جمعنا هذا الأصل مع ما ذكره علماء اللغة والتفسير في معنى {هدنا إليك} ، نجد أن معنى (هادوا): تابوا ورجعوا إلى الله بخضوع وذل ولين جانب وسكون وموادعة وترك التصلب طلبا للنجاة .

يقول علي هاني: فإن قيل هذا في اللغة العربية ، الذين هادوا" قد سموا بذلك من قديم في لغتهم ؟ قلنا: اللغة العبرية من اللغات السامية التي تشترك في الأصول مع اللغة العربية ، في مواد كثيرة ، وقد قال د. محمد محفل وغيره من المتخصصين في اللغات القديمة : "العبرية" عامية من عاميات العربية فقدت الإعراب ، فهي عند التحقيق من اللغات العربية من غير حركات، وذكروا على ذلك أدلة تذكر سيأتي بعضها [39].

وهذا القول في أن أصل هادوا هو أفضل الأقوال كما سيأتي أدلة ذلك ، وقبل ذلك إليك أقوال العلماء في اشتقاق (هادوا):

---

[39] ثم رأيت المصطفوي في التحقيق (11/ 20) مادة هود. قال:[39]: قال في القاموس العبري لقوجمان: (هود) مجد ، جلال ، عز. (هودِه): شكر [39]"اهـ قال المصطفوي: فهي مأخوذة من العبريةولا يخفى ما بين المفهوم اللغوي العربي والعبري من التناسب فإن الحركة والميل إلى الارتياح والرواح يصدق على المجد والشكر والعظمة.

القول الأول:

قالوا : هادوا فعل ماض مضارعه يهود أي تابوا ، يقال منه : هاد القوم يهودون هَوْدا وهادةً ، وألفه أصلها واو ، والأصلُ : هاد يهودُ أي تاب[40] والهائد : التائب ، قال الشاعر :إنِّي امرؤٌ من حُبِّه هائِدُ أي : تائبٌ ، ومنه سمي بنو إسرائيل (الذين هادوا)؛ لأنَّهم تابُوا عن عبادةِ العِجْلِ ،وفي التنزيل : " إنا هدنا إليك " [الأعراف : 156] أي تبنا ورجعنا فسموا به حين تابوا من عبادة العجل وقالوا : إنا هدنا إليك ، وهي توبة عظيمة سجلها لهم القرآن [41] ؛ لأنها كانت بأن يقدم نفسه للموت لوجه الله صابرا محتسبا ، ولذلك أطلق عليهم اسم : (الذين هادوا): تابوا . أي : بتلك التوبة المعروفة ، وفيها تذكير ضمني بأنهم تيب عليهم من ذنب كبير فعليهم أن لا يعودوا للمعاصي والكفر، وأن يشكروا الله سبحانه ، ثم صار كالعلم[42] عليهم استخدمه القرآن استخداما دقيقا مذكرا لهم بأصل وضعه كما سيأتي بيانه ، فالعلم وإن دل على الذات لكن قد يلاحظ أصل وضعه نحو الحسن والعباس كما هو مقرر في كتب النحو والبلاغة.

---

[40] وهناك أقوال قريبة من هذا: فقيل: هو من الهَوادة وهي الخضوعُ ولين الجانب والسكون ، ومنه قولهم: إنا هدنا إليك أي لانت قلوبنا ، وقيل: " هدنا إليك " أي : سكنا إلى أمرك . والهوادة : السكون والموادعة . وقيل: هو من التَّهْويد وهو النطق في سكون ووقار ، وأنشدوا :

وخُودٌ من اللائي تَسَمَّعْنَ بالضُّحى *** قَرِيضَ الرُّداقَى بالغِناءِ المُهَوَّد وقيل: والأصلُ : هاد يَهِيد ، أي : تحرَّك ومنه سُمِّي اليهودُ لتحرُّكهم سموا بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة أبو عمرو بن العلاء" .الدر المصون (1/ 405).

41 ولا يلزم من هذا الاسم أنهم كلهم عبدوا العجل.

قال أبو حيان في سورة المائدة: " وحيث جاء النصارى من غير نسبة إلى أنهم قالوا عن أنفسهم ذلك ، فإنما هو من باب العَلَم لم يلحظ فيه المعنى الأول الذي قصدوه من النصر ، كما صار اليهود علماً لم يحلظ فيه معنى قوله هُدنا إليك" قال ابن عاشور: " وقد تنوسي منه هذا المعنى وصار علماً بالغلبة على بني إسرائيل فنودوا به".

اختار هذا القول: ابن عباس،و مُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، الطبري، وأبو حيان [43]، وابن عطية ، والزجاج وابن فارس وابن سيده ، والخليل في العين ، والأزهري ، والسمعاني والثعالبي وابن العربي، وجواد مغنية ، والطوسي، والخليلي ، وكذا أبو السعود والآلوسي في المائدة ومحمد رشيد رضا والشنقيطي[44] في الأنعام[45] .

وإذا أردنا التدقيق في العبارة نظرا للأصل الذي سبق ونظرا في كلام العلماء فالأحسن أن يقال: هادوا : تابوا ورجعوا إلى الله بخضوع وذل ولين جانب وسكون وموادعة وترك التصلب طلبا للنجاة.

القول الثاني:

قالوا هذا الاسم معرب وليس بعربي ، فأصل الألف ياء سُمُّوا يهودَاً نسبةً لـ(يهوذا) بالذال المعجمة وهو ابنُ يعقوب عليه السلام قيل هو أكبر أولاده[46]، فالأصل يَهُوذ على إِرادَةِ النَّسَب ، فغيَّرتْه العربُ من الذال المعجمة

---

[43] . قال أبو حيان :"هاد : ألفه منقلبة عن واو ، والمضارع يهود ، ومعناه : تاب ، أو عن ياء والمضارع يهيد ، إذا تحرك ، والأولى الأول لقوله تعالى : { إنا هدنا إليك }"(البحر (1/ 385).

[44] قال الشنقيطي: "هادوا " المراد بالذين هادوا هنا : اليهود ، والعرب تقول : " هاد يهود " إذا تاب من ذنبه ورجع إلى الصواب . وهذا معروف في كلام العرب ، ومنه قول الله في الأعراف عن نبيه موسى : { واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك }(الأعراف : الآية106) أي : تبنا ورجعنا منيبين إليك . فمعنى(هاد ، يهود) : إذا رجع تائبا إلى الحق ، متنصلا من ذنبه . واسم فاعله : (هائد) ، ويجمع على (هود) ، ومنه : { كونوا هودا أو نصارى }(البقرة : الآية 135) وجمع(الفاعل) على (فعل) مسموع في أوزان قليلة ، وكهائد وهود ، وحائل وحول ، وعائذ وعوذ ، وبازل وبزل: وإنما قيل لليهود : { الذين هادوا } لأنه في تاريخهم توبة عظيمة سجلها لهم القرآن ، وهي توبتهم من عبادة العجل ، لما رجع موسى من الميقات من الطور ، ووجدهم يعبدون العجل ، جاء الوحي بأن الله لا يقبل توبة أحد منهم حتى يقدم نفسه للموت ، كما قدمنا إيضاحه في البقرة في قوله : { فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم } (البقرة : الآية 54) أي : فقدمتم أنفسكم فتاب عليكم . هذه التوبة التي تجر الإنسان إلى أن يقدم نفسه لله صابرا محتسبا على الموت توبة عظيمة سجلها لهم القرآن ، ولذلك ربما أطلق عليهم اسم : (الذين هادوا) : تابوا . أي : بتلك التوبة المعروفة" (العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ/ محمد الأمين(2 / 387).

45 قال محمد رشيد رضا:" الذين هادوا هم اليهود من قولهم الآتي في سورة الأعراف { إنا هدنا إليك } (الأعراف 156) أي رجعنا وتبنا ، وأصل الهود الرجوع برفق قاله الراغب" (المنار (8/ 150).

إلىٰ الدال المهملة وأسقطوا ألفه جَرْياً علىٰ عادتها في التلاعُب بالأسماء الأعجمية فإن العرب إذا نقلوا أسماء من العجمية إلىٰ لغتهم غيروا بعض حروفها ، فَقَالُوا: اليَهود، فأَدخلوا الأَلف واللامَ فِيهَا ، فهادوا " معناه صاروا يهودا ،أي نسبوا إلىٰ يهوذا كما تسمىٰ القبائل باسم أبيها كمضر وكنانة وتميم نسبة إلىٰ جدهم «يهوذا» أكبر ولد يعقوب، سواء كان الواحد منهم من سبط يهوذا أو من باقي الأسباط.

اختاره : ابن عاشور ودروزة والمصطفوي في التحقيق ، وحسنين مخلوف، وأمير عبد العزيز في التفسير الشامل 47 ، وضعفه ابن سيده [48] وقال: ليس هذا بالقوي .

قال ابن عاشور[49]: "وهذا الاسم أطلق علىٰ بني إسرائيل بعد موت سليمان سنة 975 قبل المسيح فإن مملكة إسرائيل انقسمت بعد موته إلىٰ مملكتين:

- مملكة رحبعام ابنِ سليمان ولم يتبعه إلا سِبط يهوذا وسبط بِنْيَامِين وتُلقب بمملكة يهوذا لأن معظم أتباعه من سبط يهوذا وجعل مقر مملكته هو مقر أبيه (أورشليم)

---

46 وهناك قول آخر أنه الابن الرابع : فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس:" وهو الرابع من أبناء يعقوب من زوجته ليئه وهو الذي منع من قتل يوسف ونجاه".

47 قال أمير عبد العزيز:" لكنني أرجح الرأي الأول القائل بأن هادوا نسبة الى يهوذا الابن الأكبر ، لأن الرأيين الآخرين أساسهما الاشتقاق في العربية مع أن بني إسرائيل ما كانوا يتكلمون العربية في زمانهم بل كانوا ينطقون بلغة التوراة . ومن جهة أخرىٰ فإن نسبة القولين الأخريين إلىٰ التوبة والهوادة وهي اللين والرقة أمر لا يستند الىٰ دليل يقول علي هاني: أما قوله هم لم يتكلموا بالعربية نقول هم تكلموا باللغات العربية القديمة فالعبرية هي عامية العربية كما حققه محمد محفل المتخصص باللغات القديمة وإن شئت قل هم تكلموا باللغات السامية التي تشترك مع اللغة العربية في الأصول وفي أمور كثيرة فلذلك نجد كلمات عربية كثيرة موجودة عندهم وهذا يعرفه من درس اللغات العربية القديمة التي سميت لغات سامية ، واما قوله لا يستند إلىٰ دليل ففيه نظر ، يعرف مما استدل به أصحاب الأقوال الأخرىٰ" .

48 المحكم والمحيط الأعظم / ابن سيده (4/ 411) .

49 التحرير والتنوير (1/ 515).

- ومملكة مَلِكُها يورّبعام بن نباط غلام سليمان وكان شجاعاً نجيباً فملَّكَتْه بقية الأسباط العشرة عليهم وجَعل مقر مملكته السامرة وتلقب بمَلِكِ إسرائيل إلا أنه وقومه أفسدوا الديانة الموسوية وعبدوا الأوثان فلأجل ذلك انفصلوا عن الجامعة الإسرائيلية ولم يدم ملكهم في السامرة إلا مائتين ونيفاً وخمسين سنة ثم انقرض على يد ملوك الآشوريين فاستأصلوا الإسرائيليين الذين بالسامرة وخربوها ونقلوا بني إسرائيل إلى بلاد آشور عبيداً لهم وأسكنوا بلاد السامرة فريقاً من الآشوريين فمن يومئذ لم يبق لبني إسرائيل مُلك إلا مُلك يهوذا بأورشليم يتداوله أبناءُ سليمان عليه السلام فمنذ ذلك غلب على بني إسرائيل اسم يَهود أي يَهوذا [50] ودام ملكهم هذا إلى حد سنة 120 قبل المسيح ميلادية [51] في زمن الأمبراطور أدريان الروماني الذي أجلى اليهود الجلاءَ الأخير فتفرقوا في الأقطار باسم اليهود هم ومن التحق بهم من فلول بقية الأسباط .
ولعل هذا وجه اختيار لفظ {الذين هادوا } في الآية دون اليهود للإشارة إلى أنهم الذين انتسبوا إلى اليهود ولو لم يكونوا من سبط يهوذا ، ثم صار اسم اليهود مطلقاً على المتدينين بدين التوراة قال تعالى : { وقالت اليهود ليست النصارى على شيء} [البقرة : 113] الآية ويقال تَهوّد إذا اتبع شريعة التوراة وفي الحديث : " يولد الولد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهوِّدانِه أو ينصِّرانه أو يمَجِّسانه " ويقال هاد إذا دان باليهودية قال تعالى : { وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذى ظفر } [

---

[50] وقال ابن عاشور في موضع آخر:"والّذين هادوا هم اليهود ، وهو اسم يرادف معنى الإسرائيليين ، إلاّ أنّ أصله يختصّ ببني يهوذا منهم ، فغلب عليهم من بعد ، كما قدّمناه عند قوله تعالى : { إنَّ الّذين آمنوا والّذين هادوا والنّصارى والصابئين } الآية في سورة البقرة (62)" .

[51] قال المصطفوي في التحقيق(11/ 20) مادة هودوفي قاموس الكتاب المقدس مملكة يهودا تشمل أراضي سبط يهودا وأكثر أراضي بنيامين واستدامت سلطنة سبط يهودا بعد داوود متسلسلا إلى تسعة عشر سلطانا وبقيت بعد سنة 1135 سنة بعد تخريب مملكة إسرائيل ثم رجع منهم من الإسارة وسموا يهودا وبقي هذا الاسم فيهم "

الأنعام : 146] . وأما ما في سورة الأعراف (156) من قول موسى : { إِنَّا هدنا إليك } فذلك بمعنى المتاب "[52].

القول الثالث:

قالوا معنى الذين هادوا: الذين تهوّدوا أي دانوا بدين اليهود .

ثم قالوا :ويهود : إما عربي من هاد إذا تاب ، سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل ، وإما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام[53] ، يقال : هاد يهود هودا ، كقال يقول قولًا . وتهوّد إذا دخل في اليهودية ، وهو هائد ، والجمع هود.

- [52] قال المصطفوي في التحقيق(11/ 20) مادة هود:"قال في قاموس العبري لقوجمان (هود) مجد ، جلال ، عز، هودِه : شكر جاء في سفر التكوين : (29/ 35) وحبلت أيضا وولدت ابنا وقالت هذه المرة أحمد الرب لذلك دعت اسمه يهوذا ثم توقفت عن الولادة".
- وفي قاموس الكتاب المقدس مملكة يهودا تشمل أراضي سبط يهودا وأكثر أراضي بن يامين واستدامت سلطنة سبط يهودا بعد داوود متسلسلا إلى تسعة عشر سلطانا وبقيت بعد سنة 1135 سنة بعد تخريب مملكة إسرائيل ثم رجع منهم من الإسارة وسموا يهودا وبقي هذا الاسم فيهم ".
- قال القاسمي: "وإنما لزمهم هذا الاسم، لأن الإسرائيليين الذين رجعوا من جلاء سبعين سنة، ومن سبي بابل إلى وطنهم القديم، كان أكثرهم من نسل يهوذا بن يعقوب (بالذال المعجمة- فقلبتها العرب دالا مهملة)" محاسن التأويل(1/ 318).

[53] عبارة البيضاوي :"{ والذين هادوا } تهودوا ، يقال هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ، ويهود : إما عربي من هاد إذا تاب ، سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل ، وإما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام " (أنوار التنزيل/ (1/ 84). .وقال أبو السعود : "{ والذين هَادُواْ } أي تهوَّدوا من هادَ إذا دخَل في اليهودية ، ويهودُ إما عربي من هاد إذا تاب سُموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخُصوا به لما كانت توبتُهم توبةً هائلة ، وإما معرَّبُ يهوذا كأنهم سُمّوا باسم أكبرِ أولادِ يعقوبَ عليه الصلاة والسلام " (إرشاد العقل السليم (1/ 108). وقال الآلوسي: "{ والذين هَادُواْ } أي تهودوا

الزمخشري و أبو السعود و الآلوسي والنسفي والصابوني والواحدي في البسيط ، والرازي [54]وأبو عبيدة معمر بن المثنى[55] وحقي[56]وابن جزي وأبو البقاء الكفوي والهواري وابن أبي زمنين ومكي، واختاره جمهور العلماء في سورة الجمعة[57].

الترجيح بين الأقوال:

للترجيح بين هذه الأقوال لا بد أن ننظر في المواضع التي ورد فيها { الذين هادوا} في القرآن الكريم ، فالقرآن يورد كل جملة من جمله ، وكل كلمة من كلماته بل كل حرف من حروف في غاية الدقة ، ومن ذلك كل اسم من أسماء بني إسرائيل ، ولا بد أيضا أن نحدد بالضبط من الذين أطلق عليهم "الذين هادوا" وفي أي الأزمان ، فإذا نظرنا في كل موضع وبحثنا عن السر البلاغي في اختيار "الذين هادوا" دون غيره من الأسماء استطعنا أن نتلمس القول الراجح أو أن نصل على الأقل إلى أقرب الأقوال ، وإذا جمعنا مع ذلك ما قاله العلماء في كل موضع صرنا أكثر قربا .

وردت (الذين هادوا) في عشرة مواضع:

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)} (2/ 62).

يقال : هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ، ويهود إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل ، ووجه التخصيص كون توبتهم أشق الأعمال كما مر ، وإما معرب يهوذا بذال معجمة وألف مقصورة كأنهم سموا بأكبر أولاد يعقوب عليه السلام . روح المعاني (1/ 279).

[54] في سورة الجمعة

[55] في سورة المائدة

[56] في سورة البقرة

57 {{ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }

{ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)} (4/ 46)

{ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162)} (4/ 162).

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)}(5/ 41).

{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)} (5/ 44).

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70)} { (5/69).

{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (146)} (146/6).

{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118)} (118/16).

{ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (16) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17)} (17/22).

{ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6)} (6/62).

أولا : أقوال المفسرين في سر اختيار هادوا في هذه المواضع مع ذكر أقوالهم في اشتقاقه:

إذا تتبعنا ما قال علماء التفسير في هذه المواضع نجد أنهم لم يتحدثوا في كل مرة عن توجيه اختياره"الذين هادوا" ، ونجد أنهم اختلفت توجيهاتهم لهذه المواضع على النحو التالي :

1) في تفسير { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا} [النساء: 160] } نجد قولين:

القول الأول:

اختاره أبو السعود[58] وتبعه الآلوسي[59] واطفيش في التيسير ومحمد سيد طنطاوي في الوسيط : أن ذكرَهم بهذا العنوانِ للإيذان بكمالِ عِظَمِ وشناعة ظلمهم وسوئهم بتذكير وقوعِ الظلم بعد ما هادُوا أي تابوا من عبادة

[58] قال أبو السعود في تفسير { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا} [النساء : 160] "لعل ذكرَهم بهذا العنوانِ للإيذان بكمالِ عِظَمِ ظلمهم بتذكير وقوعِه بعد ما هادُوا أي تابوا من عبادة العجلِ مثلَ تلك

العجلِ تلك التوبةِ الهائلةِ المشروطةِ ببخْعِ النفوسِ فهم وقعوا في هذا الظلم الشديد بعد توبتهم ورجوعهم عن عبادة العجل وهذا غاية الشناعة والسوء .

القول الثاني:

}من الذين هادوا} أي تلبسوا باليهودية في الماضي ادعاء أنهم من أهل التوراة والرجوع إلى الحق، ولم يضمر تعييناً لهم زيادة في تقريعهم، وفيه تعظيم ظلمهم أيضا، إذ صدر عنهم بعدما ادعوا أنهم من أهل التوراة والرجوع إلى الحق.

اختاره البقاعي والقاسمي

قال القاسمي: (من الذين هادوا) أي تلبسوا باليهودية، وفيه تعظيم ظلمهم أيضا، إذ صدر عنهم بعدما ادعوا أنهم من أهل التوراة والرجوع إلى الحق"[60].

****

2) في تفسير قوله تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6)} (62/ 6).

التوبةِ الهائلةِ المشروطةِ ببخْعِ النفوسِ إثرَ بيانِ عِظَمِه في حد ذاتِه بالتنوين التفخيميِّ ، أي بسبب ظلمٍ عظيمٍ خارجٍ عن حدود الأشباهِ والأشكالِ صادرٍ عنهم. إرشاد العقل السليم". (2/ 253)

[59] قال الآلوسي { فَبِظُلْمٍ مّنَ الذين هَادُواْ } :" أي تابوا من عبادة العجل ، والتعبير عنهم بهذا العنوان إيذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد تلك التوبة الهائلة إثر بيان عظمه بالتنوين التفخيمي أي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود ".(روح المعاني (3/ 189)

[60] محاسن التأويل (3/ 445).

فيها قولان:

القول الأول:

تهودوا أي تدينوا باليهودية وصاروا يهودا ، وكانوا قد ادّعوا الفضيلة على الناس ، وأنهم أولياء الله من دون الناس وأحباؤه، فلو كان قولكم حقا وأنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا إلى دار كرامته التي أعدها لأوليائه.

اختاره : الزمخشري والفخر الرازي والنسفي والشربيني وأبو السعود والمظهري والشوكاني و الميرغني والآلوسي و اطفيش في الهميان والمراغي وإبراهيم القطان و الطباطبائي وشحاته والسمرقندي[61].

القول الثاني:

أن يكون هادوا } بمعنى تابوا ، وأصل هود هُوُود وقد تنوسي منه هذا المعنى وصار علماً بالغلبة على بني إسرائيل فنودوا به هنا بهذا الاعتبار لأن المقام ليس مقام ثناء عليهم أو هو تهكم .

قاله الشنقيطي62 وتعيلب وأجازه ابن عاشور سيد طنطاوي.

****

3) وفي قوله تعالى[63] { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) }

---

[61] قال السمرقندي :الذين هَادُواْ } يعني : مالوا عن الإسلام والحق إلى اليهودية .

[62] الشنقيطي في أضواء البيان (8/ 119):"ومعنى هادوا : أي رجعوا بالتوبة إلى الله من عبادة العجل ، ومنه قوله تعالى : { إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ } [الأعراف : 156] ، وكان رجوعهم عن عبادة العجل بالتوبة النصوح : حيث سلموا أنفسهم للقتل توبة وإنابة إلى الله كما بينه بقوله : { فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ } إلى قوله } فَتَابَ عَلَيْكُمْ } [البقرة : 54]"

في المراد بالذين هادوا في (للذين هادوا) في هذه الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول:

تابوا من الكفر وهم بنو إسرائيل.

ابن عباس و الواحدي والطبرسي وابن الجوزي القرطبي و النسفي وسيد طنطاوي ومكي والمظهري والقاسمي[64].

---

[63] اعلم أن هذا تنبيه من الله تعالىٰ لليهود المنكرين لوجوب الرجم ، وترغيب لهم في أن يكونوا كمتقدميهم من مسلمي أحبارهم والأنبياء المبعوثين إليهم ، { يحكم بها النبيون} أي أنبياءُ بني إسرائيلَ { الذين أَسْلَمُواْ } صفة أجريت علىٰ النبيين علىٰ سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح ، كالصفات الجارية علىٰ الله سبحانه ، فهذه الصفة لا للقصد إلىٰ مدحهم بذلك حقيقة ؛ فإن النبوة أعظم من الإسلام قطعاً بل للتنويه بشأن الصفة فإن إبرازَ وصفٍ في معرِض مدح العظماء مُنبئٌ عن عِظَم قدر الوصْفِ لا محالة كما في وصف الأنبياءِ بالصلاحِ ووصفِ الملائكة بالإيمان عليهم السلام ، ولذلك قيل : أوصافُ الأشراف أشرافُ الأوصاف ، ومعنىٰ { الذين أسلموا } أعطوا قيادهم لربهم سبحانه حتىٰ لم يبق لهم اختيار أصلاً أَسْلَمُوا لله وفوضوا أمورهم كلها اليه بعد ما تحققوا بتوحيده ، وأريد بإجرائها:

أ) التعريض باليهود ، وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وإلا لاتبعوا أنبياءهم فيه ، فكانوا يؤمنون بكل من قام الدليل علىٰ نبوته ، وأنّ اليهودية بمعزل منها والتنبيه علىٰ قبح طريقة هؤلاء اليهود المتأخرين.

ب) وأيضا للرد علىٰ اليهود والنصارىٰ بأنهم بُعَدَاءُ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، وَأَنَّهُ كَانَ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ؛ لأن بعضهم كانوا يقولون : الأنبياء كانوا يهود أو نصارىٰ ، فقال تعالىٰ : { يحكم بها النبيون الذين أسلموا } يعني الأنبياء ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية ، بل كانوا مسلمين لله منقادين لتكاليفه فَأَنْبِيَاؤُهُمْ كَانُوا يَدِينُونَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي دَانَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، للذين هادوا: واللام في قوله : { للّذين هادوا } للأجل والاختصاص وليست لتعدية فعل { يحكم } إذ الحكم في الحقيقة لهم وعليهم كأنه قيل : لأجل الذين هادو ، فهي للاختصاصُ، فتشمل مَنْ يحكم له ومَنْ يحكم عليه.

[64] لكن عبارة القاسمي: لِلَّذِينَ هادُوا وهم اليهود. و (هاد) بمعنىٰ تاب ورجع إلىٰ الحق.

القول الثاني:

المراد بـ(هادوا) اتصفوا باليهودية التي هي بمعزل من الإسلام وبعيدة من الإسلام.

الزمخشري [65] وأبو حيان[66] والسمين الحلبي وناقشه النيسابوري[67]

القول الثالث:

والّذين هادوا هم اليهود ، وهو اسم يرادف معنى الإسرائيليين ، إلاّ أنّ أصله يختصّ ببني يهوذا منهم ، فغلب عليهم من بعد ، قاله ابن عاشور

ثانيا: تحديد من هم الذين أطلق عليهم "الذين هادوا" وهل هم المؤمنون أم الكفار:

"الذين هادوا" أطلقت أصالة على بني إسرائيل الذين أمروا بالعمل في التوراة، وكانوا في زمن سيدنا موسى عليه السلام مدحا لهم بالتوبة إلى الله تعالى من عبادة العجل ومنه سُموا بـ(الذين هادوا) ؛ لأنَّهم تابُوا عن عبادةِ العِجْلِ وهي توبة عظيمة سجلها لهم القرآن ، وهي توبتهم من عبادة العجل ؛ لأنها كانت بأن يقدم نفسه للموت ، ثم أطلقها القرآن على من جاء منهم بعد ذلك ، من أتباع سيدنا موسى عليه السلام سواء:

أ) المؤمنون منهم ممن كان على الحق في فترة ما قبل نسخ شريعتهم فهذا يشمل الزمان من زمن سيدنا موسى إلى زمن سيدنا عيسى عليه السلام .

---

65 قال الزمخشري:" { الذين أَسْلَمُواْ } صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح ، كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح ، وأريد بإجرائها التعريض باليهود ، وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث ، وأنّ اليهودية بمعزل منها، وقوله : { الذين أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ } مناد على ذلك".(الكشاف (1/ 636).

66 قال أبو حيان:" وَفِي قَوْلِهِ: لِلَّذِينِ هَادُوا، تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُسْلِمِينَ، بَلْ هُمْ بُعَدَاءُ مِنْ ذَلِكَ". البحر المحيط (4/ 267).

67 قال النيسابوري: "قال الكشاف: "قوله تعالى: الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا مناد على أن اليهود بمعزل عن الإسلام. قلت: هذا بناء على أن صفة الحاكمين يلزم أن تكون مغايرة لصفة المحكومين. ولقائل أن يقول: بعد تسليم ذلك إنه لم لا يكفي مغايرة العام للخاص؟" (غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (2 / 595).

ب) والكفار منهم وهم من ثبت على العمل بالتوراة رغم نسخها بشريعة عيسى عليه السلام ثم بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء كفار ادعوا أنهم أولياء لله وحدهم، وحرفوا التوراة وكذبوا وطعنوا في الإسلام كما قال تعالى { أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ} { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ} {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} { وَطَعْنًا فِي الدِّينِ} .

أ) أولا : الأدلة على أنها أطلقت على أتباع سيدنا موسى عليه السلام من كان منهم على الحق:

وعندنا دليلان على أنها أطلقت على أتباع سيدنا موسى عليه السلام من كان منهم على الحق في فترة من الفترات قبل نسخ شريعتهم من زمن سيدنا موسى إلى زمن سيدنا عيسى عليه السلام.

الدليل الأول:

{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} فجمهور العلماء على أن المراد بالذين هادوا الذين تابوا إلى الله تعالى فهم مؤمنون ، يتحاكمون لشريعة الله فيحكم لهم بها النبيون والربانيون والأحبار

الدليل الثاني:

{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118)} { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (146)} { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161) }

وقد بين القرآن أن هذا التحريم كان في التوراة بقوله تعالى: { كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)} {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ [إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ] مِنْ قَبْلِ[68] أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)}(3/ 93)

فحل كل الطعام كان ثابتا في جميع أزمنة ما قبل التوراة على بني إسرائيل قال الزمخشري: "والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالاً لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها ، لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه ، وهو رد على اليهود وتكذيب لهم ، حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى : { فَبِظُلْمٍ مّنَ الذين

---

[68] **أبو حيان { من قبل أن تنزل التوراة }:" قال أبو البقاء : مِن متعلقة بحرم ، يعني في قوله : إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه ، ويبعد ذلك ، إذْ هو من الاخبار بالواضح ، لأنه معلوم أنّ ما حرم إسرائيل على نفسه هو من قبل إنزال التوراة ضرورة لتباعد ما بين وجود إسرائيل وإنزال التوراة ، ويظهر أنه متعلق بقوله : كان حلاً لبني إسرائيل ، أي من قبل أن تنزل التوراة ، وفَصَلَ بالاستثناء إذ هو فصل جائز وذلك على مذهب الكسائي وأبي الحسن : في جواز أن ، يعمل ما قبل إلاّ فيما بعدها إذا كان ظرفاً أو مجروراً أو حالاً نحو : ما حبس إلا زيد عندك ، وما أوى إلا عمرو إليك ، وما جاء إلا زيد ضاحكاً" البحر (/ 265).**

وخالف ابن عاشور في التعلق فقال: "وقوله : { من قبل أن تنزل التوراة } تصريح بمحلّ الحجَّة من الردّ إذ المقصود تنبيههم على ما تناسوه فنُزلوا منزلة الجاهل بكون يعقوب كان قبل موسى ، وقال العصام : يتعلّق قوله : { من قبل أن تنزل التوراة } بقوله : { حِلاًّ } لئلاّ يلزم خلوّه عن الفائدة ، وهو غير مُجد لأنّه لمّا تأخّر عن الاستثناء من قوله { حلاّ } وتبيّن من الاستثناء أنّ الكلام على زمن يعقوب ، صار ذكر القيد لغواً لولا تنزيلهم منزلة الجاهل ، وقصد إعلان التّسجيل بخطئهم والتعريض بغباوتهم " التحرير والتنوير (4/ 9).

هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طيبات أُحِلَّتْ لَهُمْ } [النساء : 16] إلى قوله تعالى : { عَذَاباً أَلِيماً } [النساء : 18] وفي قوله : { وَعَلَى الذين هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذى ظُفُرٍ وَمِنَ البقر والغنم حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا } [الأنعام : 146] إلى قوله : { ذلك جزيناهم بِبَغْيِهِمْ } [الأنعام : 146] وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم ، فقالوا : لسنا بأوّل من حرّمت عليه ، وما هو إلا تحريم قديم ، كانت محرّمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا ، إلى أن انتهى التحريم إلينا ، فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا . وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصدّ عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل ، وما عدّد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حُرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم"[69].

وكذلك صرح كثير من المفسرين في تفسير { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ} أن هذا التحريم كان في التوراة كالبقاعي[70] ومحمد رشيد رضا[71] .

وموضع الشاهد أن الله سبحانه قال وعلى الذين هادوا حرمنا ، والتحريم كان في التوراة فإذن يطلق على الذين في زمن سيدنا موسى الذين هادوا أيضا وهم كانوا على التوحيد ، وإن صدر عنهم ظلم دعي إلى تحريم ما حرم عليهم عقوبة، و بدليل أن سيدنا عيسى عليه السلام جاء للتخفيف عليهم فقال : {وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} فهذا يدل على أن التحريم كان في التوراة .

---

[69] الكشاف (1/ 385).

[70] قال البقاعي :" { حرمنا عليهم طيبات أحلت } أي كان وقع إحلالها ، في التوراة { لهم } كالشحوم التي ذكرها الله تعالى في الأنعام" (نظم الدرر(5/ 500).

[71] قال محمد رشيد رضا:" وتوقف بعضهم فلم يجزم بتعيين ما حرم عليهم ، ولم يعرف ما نكره الكتاب . وفي الفصل الحادي عشر من سفر الأولبين (الأحبار) تفصيل ما حرم عليهم في التوراة من حيوانات البر والبحر وهي كثيرة جدا . وكانت قد أحلت لهم بقاعدة كون الأصل في الأشياء الحل بإحلالها لسلفهم كما ورد في قوله تعالى : { كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة }" (المنار (6/ 50).

ب) أدلة اطلاقها على الكفار منهم:

وأما أدلة أنها أطلقت على الكفار منهم وهم الذين ثبتوا على العمل بالتوراة رغم أنها نسخت بشريعة عيسى عليه السلام ثم بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أنها تحدثت مع المحرفين المبدلين الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وسمتهم الذين هادوا وذكرت جرائمهم :

{ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)}الجمعة

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)}آل عمران

{ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)} النساء

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)} المائدة

{ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)}المائدة

ودعتهم للتوبة في قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17).

والآيات السابقة تشير إلى أن الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم كفار فهم يسارعون فى الكفر ويحرفون الكلم من بعد مواضعه◉ ويسبون على النبى صلى الله عليه وسلم ويدْعُون عليه ◉ وهم يزعمون أنهم وحدهم أولياء لله من دون الناس الذين منهم المسلمون أتباع النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

◉ وإذا تدبرنا الآيات التى وردت فى سورة الجمعة التى فيها { إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ} نجد أنها تبين أنهم ما آمنوا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذين أرسل للأمين ومن بعدهم ، وأنهم حملوا التوراة التي أمرتهم بالإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يعملوا بها فكانوا كالحمار يحمل أسفارا ، وأنهم ظالمون وأنهم زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس فهم يقولون: إنهم شعب الله المختار وكذبهم القرآن في ذلك ،فالآية صريحة في كفرهم وضلالهم.

{ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)}

ويدل على أنهم بعد سيدنا عيسى كفار ، وليسوا على الحق أن الله سبحانه وتعالى قال: { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)}ـ فالآيات قالت : " للذين هادوا" ثم قالت بعدها وليحكم أهل الإنجيل : { وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)} فالإنجيل بعد نزلوه على سيدنا عيسى في ذلك الوقت هو الذي ينبغي أن يعمل به ناسخا لبعض ما في التوراة ومقرا لبعضها ، فمن لم يؤمن به فهو كافر .

وأيضا القرآن لم يطلق على اتباع سيدنا عيسى الذين كانوا على الحق هذا الاسم أعني "الذين هادوا" بل عبر بعبارات منها :{ أهل الإنجيل} هنا { الذين اتبعوه} نحو{ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً} أو الحورايون{ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52)} {

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14)} ويلاحظ أن القرآن استعمل مع من يخاطبهم سيدنا عيسى من قومه عموما (بني إسرائيل) ولم يقل الذين هادوا كما قال تعالى في الآية السابقة :" فآمنت طائفة من بني إسرائيل" وأيضا كما في قوله تعالى { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) } .

وأيضا التعبير بقوله تعالى: { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا} يدل على أن هذه الشريعة محدودة وليست عالمية لذلك، قال المهايميّ: لِلَّذِينَ هادُوا أي: لا لمن يأتي بعدهم، وقال البقاعي:" ثم بين المحكوم له تقييداً به إشارة إلى أنها ستنسخ { لِلَّذِينَ هَادُوا}[72]" .

وقد لخص محمد رشيد هذا الموضوع عند تفسير آية: { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا} : " أَنْزَلْنَاهَا (أي التوراة)قَانُونًا لِلْأَحْكَامِ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ - مُوسَى وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ - طَائِفَةً مِنَ الزَّمَانِ، انْتَهَتْ بِبَعْثَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وُجُوهَهُمْ للهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ فَالْإِسْلَامُ دِينُ الْجَمِيعِ، وَكُلُّ مَا اسْتَحْدَثَهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ أَسْبَابِ التَّفَرُّقِ فِي الدِّينِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ مُبِينٌ؛ وَإِنَّمَا يَحْكُمُونَ لِلَّذِينِ هَادُوا - أَيِ الْيَهُودِ خَاصَّةً - لِأَنَّهَا شَرِيعَةٌ خَاصَّةٌ بِهِمْ لَا عَامَّةٌ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ آخِرُهُمْ عِيسَى: لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. وَلَمْ يَكُنْ لِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَعِيسَى مِنْ دُونِهَا شَرِيعَةٌ"[73].

ثالثا: بيان السر البلاغي في استعمال "الذين هادوا" وترجيح أصح الأقوال في اشتقاق" الذين هادوا":

[72] نظم الدرر (6 / 145).

[73] المنار (6/ 329).

مما سبق يتبيين أن "الذين هادوا" أطلقت على المؤمنين منهم من زمن سيدنا موسى عليه السلام إلى زمن سيدنا عيسى ، وأطلقت على الكافرين منهم الذين لم يؤمنوا بسيدنا عيسى وسيدنا محمد ، واختار القرآن استعمال "الذين هادوا" ملاحظاً أصل الوضع وهو أنه من التوبة أي تابوا ورجعوا إلى الله بخضوع وذل وترك التصلب طلبا للنجاة في سياقات تناسب هذا ، فاستعملت:

أ) في سياق تفظيع فعلهم حيث عادوا للمعصية بعد أن تيب عليهم فبين لهم كمال عِظَمِ وشناعة ظلمهم وسوئهم بتذكير وقوعِ الظلم بعد ما هادُوا أي تابوا من عبادة العجلِ تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخْع النفوسِ .

ب) في سياق عتابهم على العود إلى المعاصي بعد أن تيب عليهم وكان على الذين تيب عليهم من عبادة العجل أن يشكروا الله سبحانه لا أن يبدلوا ويغيروا ويرجعوا للمعاصي والكفر مرة أخرى .

ج) في سياق كبح جماح تكبرهم على الناس فهو يذكره بهذا الاسم أنكم قد عبدتم العجل وهو شرك وكفر بالله وتيب عليكم برحمة من الله ثم تزعمون أنكم أولياء من دون الناس .

د) في سياق الترغيب للتوبة وفتح باب التوبة اختير {هادوا} للترغيب لهم في التوبة فكما تابوا من عبادة العجل فليتوبوا إلى الله سبحانه بالتوحيد الحقيقي واتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا ترغيب لهم أن الذي تاب عليكم في المرة الأولى يتوب عليكم إن تبتم.

تطبيق أقوال المفسرين الثلاثة في أصل هادوا على جميع الآيات:

بناء على ما سبق نريد تطبيق الأقوال المذكورة ر سابقا على جميع المواضع التي ورد فيها "الذين هادوا" لنلاحظ الدقائق البلاغية التي من أجلها ذكر هذا الاسم، ونحاول أن نطبق كل قول من الأقوال الثلاثة في اشتقاق "الذين هادوا" لنرى أن الأرجح هو " أن اشتقاق الذين هادوا من التوبة كأنه قيل الذي تابوا:

1) أولا : على القول الأول القائل: "هادوا فعل ماض مضارعه يهود أي تابوا ورجعوا إلى الله بخضوع وذل ولين جانب وسكون وموادعة وترك التصلب طلبا للنجاة ،لأنَّهم تابُوا عن عبادةِ العِجْلِ ، وهي

توبة عظيمة سجلها لهم القرآن ، وهي توبتهم من عبادة العجل ، لأنها كانت بأن يقدم نفسه للموت ، هذه التوبة التي تجر الإنسان إلى أن يقدم نفسه لله صابرا محتسبا على الموت توبة عظيمة سجلها لهم القرآن ، ولذلك أطلق عليهم اسم : (الذين هادوا) : تابوا . أي : بتلك التوبة المعروفة ، وفيها تذكير ضمني بأنهم تيب عليهم من ذنب كبير، ثم صار كالعلم[74] عليهم استخدمه القرآن استخداما دقيقا مذكرا .

وقد ذكره أبو السعود ـ رحمه الله ـ في توجيه موضعٍ واحدٍ ، فربط بين كونهم تابوا وسياق الآية ، وقد وجدنا أن هذا الذي ذكره أبو السعود يطرد في كل المواضع ، فقد قال أبو السعود في قوله تعالى :

{ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161) }

إنَّ ذكرَهم بهذا العنوانِ للإيذان بكمالِ عِظَمِ وشناعة ظلمهم وسوئهم بتذكير وقوعِ الظلم بعد ما هادُوا أي تابوا من عبادة العجلِ تلك التوبةِ الهائلةِ المشروطةِ ببخْعِ النفوسِ فهم وقعوا في هذا الظلم الشديد بعد توبتهم ورجوعهم عن عبادة العجل وهذا غاية الشناعة والسوء .

يقول علي هاني وكذلك يقال في: { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

---

74 قال أبو حيان في سورة المائدة: " وحيث جاء النصارى من غير نسبة إلى أنهم قالوا عن أنفسهم ذلك ، فإنما هو من باب العَلَم لم يلحظ فيه المعنى الأول الذي قصدوه من النصر ، كما صار اليهود علماً لم يحلظ فيه معنى قوله هُدنا إليك" قال ابن عاشور: " وقد تنوسي منه هذا المعنى وصار علماً بالغلبة على بني إسرائيل فنودوا به".

تَعْمَلُونَ (8)} الإتيان بهذا الاسم لبيان أنكم قد عبدتم العجل وهو شرك وكفر بالله وتيب عليكم برحمة من الله ثم تزعمون أنكم أولياء من دون الناس، فجيء بهذا الاسم لكبح جماح تكبرهم على الناس .

وكذلك في قوله تعالى : { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118)} زيادة ذم لهم بالرجوع للمعصية والكفر مرة ثانية بعد ما هادُوا أي تابوا من عبادة العجلِ تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخْع النفوسِ و تفظيع فعلهم وكمالِ عِظَمِه وشناعته حيث عادوا للمعصية بعد أن تيب عليهم ، فاستحقوا هذا التحريم جزاء وفاقا ففيه تعليل لهذا التشديد.

وكذلك في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)} كان على الذين تيب عليهم من عبادة العجل أن يشكروا الله سبحانه لا أن يبدلوا ويغيروا ويرجعوا للمعاصي والكفر مرة أخرى، ففيه تفظيع فعلهم حيث عادوا للمعصية بعد أن تيب عليهم من عبادة العجلِ تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخْع النفوسِ ، فعودهم إلى المعاصي والكفر بعد ذلك في غاية الشناعة.

وفي قوله تعالى : { مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)} يقال فيها ما قيل في الآية السابقة، أي ما كان ينبغي على الذي تيب عليه أن يعود ويكفر ويحرف.

وفي قوله تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا

تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)}بيان إكرام الله لهم بالتوراة وبالأنبياء والربانيين والأحبار لأنهم تابوا إلى الله تعالى ورجعوا إليه وخضعوا.

وأما في قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) } سورة البقرة { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69)} سورة المائدة

وهي الآيات التي بحْثُنا فيها ، فسر استعمال "الذين هادوا" أنه لما كان السياق في الآيات للترغيب في التوبة وفتح بابها اختير {هادوا} للترغيب لهم في التوبة فكما تابوا من عبادة العجل فليتوبوا إلى الله سبحانه بالتوحيد الحقيقي واتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها أيضا ترغيب لهم من جهة أخرى وهي أن الذي تاب عليكم في المرة الأولى يتوب عليكم إن تبتم.

وأما آية سورة الحج { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17)} ففيه عتاب لهم وأنهم يستحقون عذاب الله يوم القيامة وحسابه الشديد ، فهم قد عبدوا العجل وتاب الله عليهم رغم أنه كفر شديد ، ثم رجعوا إلى الكفر واستمروا عليه ، فهي تشبه استعمال كلمة "رب" في نحو: { كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ} .

هذا تطبيق القول الأول في اشتقاق "الذين هادوا" على كل الآيات وقد رأينا أنه مطرد، ولنرى تطبيق القول الثاني:

2) <u>على القول الثاني</u>: وهو أن (هادوا) معرب وليس بعربي ، سُمُّوا يهوداً نسبةً لـ(يهوذا) بالذال المعجمة وهو ابنُ يعقوب عليه السلام ، فهادوا " معناه صاروا يهودا ،أي نسبوا إلى يهوذا كما تسمى القبائل

باسم أبيها كمضر وكنانة وتميم نسبة إلى جدهم «يهوذا» أكبر ولد يعقوب، سواء كان الواحد منهم من سبط يهوذا أو من باقي الأسباط، قال ابن عاشور: وهذا الاسم أطلق على بني إسرائيل بعد موت سليمان.

وهذا القول لا أراه هو الأصح لأربعة أمور:

1) **<u>أولا</u>** : أن أكثر الذين قالوا هذا القول قالوا: أطلق في فترة متأخرة على بني إسرائيل ، فابن عاشور يقول: أطلق بعد سيدنا سليمان، و القاسمي يقول: وإنما لزمهم هذا الاسم؛ لأن الإسرائيليين الذين رجعوا من جلاء سبعين سنة، ومن سبي بابل إلى وطنهم القديم، كان أكثرهم من نسل يهوذا بن يعقوب ، و دروزة يقول: لأن سبط يهوذا كان يقيم في منطقة بيت المقدس وكان أكبر وأشهر أسباط بني إسرائيل اهـ لكن لو تدبرنا الآيات نجد أن القرآن أطلقها على الذين كانوا في زمن سيدنا موسى عليه السلام فمن بعده قال تعالى { :{ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا} قال الآلوسي :" والمراد من النبيين من كان منهم من لدن موسى إلى عيسى عليهما الصلاة والسلام على ما رواه ابن أبي حاتم عن مقاتل"اهـ ، وهذا متقدم جدا قبل سيدنا سليمان عليه السلام.

وكذلك قوله تعالى :" فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ <u>هَادُوا</u> حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} { وَعَلَى الَّذِينَ <u>هَادُوا</u> حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118)} قد تقدم أن هذا التحريم كان في التوراة ، وهي قبل سيدنا سليمان عليه السلام هذا من جهة ، الذين في زمن سيدنا موسى كانوا من الأسباط الاثني عشر كما هو صريح القرآن .

2) **<u>ثانيا:</u>** أن أكثر المحققين من المفسرين ردوا هذا القول، وكذلك فعل أكثر أهل اللغة ومنهم ابن سيده فقد ضعفه وقال: " ليس هذا بالقوي".

3) <u>ثالثا</u>: لو أردنا أن نبحث في سر بلاغي لاختيار هادوا لم نجد إلا أنه لتمييزهم عن غيرهم فقط دون غيره من الأسرار ، فهو عَلَم مميز فقط مثل تميم وقريش دون نظر لسر بلاغي فوق ذلك بخلاف

القول الأول ولننظر في هذه الآيات: { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ } { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا} { وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ} { { مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ } {{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا}

نعم يستثنى من ذلك موضع واحد يظهر فيه سر بلاغي على هذا القول وهو قوله تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6)} يظهر سر اختياره على هذا القول أنهم افتخروا بأصلهم النسبي .

4) رابعا: إذا أخذنا بهذا القول لا نجد سرا مرجحا لاختيار هادوا دون يهود في كثير من المواضع السابقة.

3) خامسا: هذا القول يجعل الكلمة معربة ، بخلاف القول الأول فهو يجعلها عربية أصالة، ولا شك أن القول بأنها عربية أولى من القول بالتعريب ، لا سيما أنه قد ورد في القرآن { إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} .

بناء على ما سبق لا نرى أن هذا الاشتقاق هو الراجح.

****

4) وأما على القول الثالث: وهو أن هادوا معناه : الذين تهوّدوا أي دانوا بدين اليهود، فمردود قطعا ؛ لأن " الذين هادوا" أطلقت على المؤمنين منهم كما تبين من قبل كما في

{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ} ، وهذا القول يقول:" الذين هادوا" معناه تهودوا أي دانوا بدين اليهود ، ومن المحقق ـ كما سيأتي تفصيله في المباحث الآتي ـ أن اليهودية ليست دين سيدنا موسى ؛ لأن دينه هو الإسلام كما قال تعالى { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ

اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) } و(ال) في الدين للجنس فجنس الدين عند الله في كل الأزمان هو الإسلام ، وأيضا النبيون والربانيون إنما يحكمون للذين تابوا إلى الله وقبلوا الإيمان لأنهم هم الذين قبلوا التوراة والعمل بها .

فإن قيل فمن أين جاءت النصرانية واليهودية ؟ نقول قد أجاب الله تعالى عن ذلك في الآية نفسها ، { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } ،فاليهودية هي الدين الذي حرفه اليهود من دين سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، إذا ظهر هذا نقول: لا يصح تفسير الذين هادوا في كل موضع بالذين دانوا باليهودية ؛لأن "الذين هادوا" أطلقت في القرآن في بعض المواضع على الموحدين المؤمنين ، فإذا أخذنا بهذا القول يكون المعنى في الآية الذين دانوا باليهودية ،وهذا غير صحيح فهم لم يدينوا باليهودية ؛ لأن اليهودية دين محرف باطل ، فهذا القول الذي يفسر الذين هادوا بدانوا باليهودية لا يطرد في كل موضع فلا يصح .

وإذا تبين ما سبق يظهر رجحان القول الأول في أصل (الذين هادوا) وهو أن هادوا فعل ماض أي تابواورجعوا إلى الله بخضوع وذل ولين جانب وسكون وموادعة وترك التصلب طلبا للنجاة، والله أعلم بحقيقة الحال .

****

ثانيا [75]: المراد باسم (اليهود) والفرق بينه وبين هادوا:

إذا نظرنا في استعمال القرآن لكلمة اليهود نجد أن القرآن الكريم استعملها في مقابل الحنيفية والتوحيد وفي مقابل هدي الله سبحانه، وبرأ سيدنا إبراهيم عليه السلام منها، ووصفهم بالسعي في الفساد في الأرض وبشدة العداوة للذين آمنوا ، ووصفهم بأنهم صدر عنهم ألفاظ كفرية نحو قولهم: { يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ}، {

[75] النقطة الأولى كانت في بيان اشتقاق هادوا.

عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ}،فالقرآن لم يطلقها على المؤمنين منهم مطلقا ، بخلاف كلمة { هادوا} فقد أطلقت على المؤمنين والكفار منهم ، ومن الملاحظ أن كلمة "يهود" ورد ت في سور مدنية ، وإليك الآيات لتتأملها وترى ما سبق:

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)} .

{ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)} .

{ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)}

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)} .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51} .

{ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64)}.

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [البقرة : 113].

{ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82)}.

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30)}[76]

---

[76] وإليك بعض النقولات التي تعطي بعض الفوائد عن هذا الاسم : قال السمين الحلبي :"اليهودُ مِلَّةٌ معروفةٌ ، والياءُ فيه أصليةُ لثبوتِها في التصريفِ ، وليست من مادَّةِ هَوَد من قوله : { هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ } [البقرة : 111] وقد تقدَّم أن الفراء يَدَّعي أنَّ " هوداً " أصلُه : يَهود فَحُذِفت ياؤُه ، وتقدَّم أيضاً عند قولِه : " والذين هادوا " أنَّ اليهودَ نسبةُ ليهوذا ابن يعقوب . وقال الشلوبين : " يَهُود فيها وجهان ، أحدُهما : أن تكونَ جمعَ يهودي فتكونَ نكرةً مصروفةً . والثاني : أَنْ تكونَ عَلَماً لهذه القبيلةِ فتكونَ ممنوعةُ من الصرف . انتهى ، وعلى الأولِ دَخَلَتْ الألفُ واللامُ ، وعلى الثاني قولُه :أولئك أَوْلَى من يهودَ بِمِدْحَةٍ *** إذا أنتَ يوماً قُلْتَها لم تُؤَنَّبِ وقال :فَرَّتْ يهودُ وأَسْلَمَتْ جيرانُها *** . . . . . ولو قيل بأنَّ " يهود " منقولٌ من الفعلِ المضارع نحو : يَزيد ويشكر لكان قولاً حسناً . ويؤيِّدُه قولُهم : سُمُّوا يهوداً لاشتقاقِهم من هاد يَهُود إذا تَحَرَّك". الدر المصون (2 / 113). وقال السعدي :"الوجه الثاني : أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة ، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل ، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم ، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم وهو قبلهم متقدم عليهم ، فهل هذا يعقل ؟ ! فلهذا قال { أفلا تعقلون } أي : فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك ". (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 134) ، وقال ابن عاشور :"عطف على جملة { وإذا جاؤوكم قالوا آمنّا } [المائدة : 61] ، فإنّه لمّا كان أولئك من اليهود والمنافقين انتقل إلى سوء معتقدهم وخبث طويتهم ليظهر فرط التنافي بين معتقدهم ومعتقد أهل الإسلام ، وهذا قول اليهود الصرحاء غير المنافقين فلذلك أسند إلى اسم (اليهود) ".(التحرير والتنوير (6/ 248) وقال دروزة :" ولقد تكرر ورود هذا الاسم كثيرا في السور المدنية . وجاء في بعضها مختزلا بصيغة (هود) وجاء في بعضها منسوباً (يهوديا) وورد في بعض الأحاديث بدون حرف تعريف وغير مصروف كأنه اسم أعجمي حيث روى الترمذي بسند صحيح عن زيد بن ثابت قال : «أمرني رسول الله أن أتعلّم له كتاب يهود قال : والله ما آمن يهود على كتاب . قال فما مرّ بي شهر حتى تعلمته له . فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم ، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم » ومن المفسرين من يرجع تسمية (اليهود) و(يهود) و(هود) إلى ذلك الجذر العربي ، غير أن الأكثر على أنها تعريب يهوذا اسم أكبر أبناء يعقوب . وأبو السبط الذي منه داود وسليمان وعيسى عليهم السلام . ولقد سميت

ثالثا : معنى (هود) في قوله تعالى:

{ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111)}{ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135)} { أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140)}

(هوداً) جمعُ هائد على أظهر القولين ، نحو : بازِل وبُزّل ، وعائِد وعُود ، وحائل وحُول وبائِر وبُور ، فهو جمع هائد، أي: متبع اليهودية ، واليهود كانوا يَدْعُون إلى اليهودية التي هم عليها ويحصرون الهداية فيها ،

المملكة التي قامت في بيت المقدس بعد سليمان باسم مملكة يهوذا ؛ لأن سبط يهوذا كان يقيم في منطقة بيت المقدس وكان أكبر وأشهر أسباط بني إسرائيل ونحن نرجّح ما عليه الأكثر وعدم صرفه في الحديث قد يكون داعما لهذا الترجيح . ونرجّح أن تسمية (اليهود) و(يهود) و(هود) للذين كانوا يدينون بالدين الموسوي سابقة للبعثة ، وأصبحت بذلك جزءاً من اللغة العربية ؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين . وقد غدت كذلك بعد البعثة وصار منها اشتقاق فصار يقال : تهوّد لمن صار يهوديا ، ومن ذلك الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » يقول علي هاني: قد تقدم نقاش أنه مشتق من يهوذا " التفسير الحديث (6/ 21) قال الواحدي في البسيط: "فأما اليهود، فقال الليث: سُمّوا يهودًا اشتقاقًا من هادوا، أي تابو امن عبادة العجل فعلى هذا القول لزمهم الاسم في ذلك الوقت. وقال غيره: سموا بذلك لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى ، وعلى هذا إنما سموا يهودا بعد أنبيائهم. وقال ابن الأعرابي: يقال: هاد إذا رجع من خير إلى شر أو من شر إلى خير سمي اليهود بذلك لتخليطهم، وكثرة انتقالهم من مذاهبهم.وقيل: اليهود معرب من يهوذا بن يعقوب، عُرِّب يهوذا إلى يهود ثم نسب الواحد إليه فقيل: يهودي، ثم حذف الياء في الجمع فقيل يهود، وكل جمع منسوب إلى جنس فهو بإسقاط ياء النسبة، كقولهم: زنجي وزنج ورومي وروم" البسيط (2/ 608).

والنصارىٰ يَدْعُون إلىٰ النصرانية التي هم عليها، ويحصرون الهداية فيها، والحنيف في اللغة : المائل . وإنما أطلق علىٰ إبراهيم ؛ لأن الناس في عصره كانوا علىٰ طريقة واحدة وهي الكفر ، فخالفهم كلهم وتنكب عن طريقتهم مائلا إلىٰ التوحيد ، و اسما اليهودية والنصرانية حدثا بعد إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ، بل حدث اسم اليهودية بعد موسىٰ واسم النصرانية بعد عيسىٰ كما حدث لليهود تقاليد كثيرة صار مجموعها مميزا لهم[٧٧] .

---

[٧٧] قال السمين الحلبي :" فإنَّ هوداً جمعُ هائد علىٰ أظهر القولين ، نحو : بازِل وبُزْل وعائِد وعُود وحائل وحُول وبائِر وبُور" الدر المصون (2 / 69) ، قال ابن عاشور :"والهود جمع هائد أي متبع اليهودية (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) فقوله تعالىٰ { وقالوا كونوا هودا أو نصارىٰ تهتدوا } بيان لعقيدة الفريقين في التفرق في الدين والضمير في (وقالوا) لأهل الكتاب و " أو " للتوزيع أو التنويع ، أي إن اليهود يدعون إلىٰ اليهودية التي هم عليها ويحصرون الهداية فيها والنصارىٰ يدعون إلىٰ النصرانية التي هم عليها ويحصرون الهداية فيها والحنيف في اللغة : المائل . وإنما أطلق علىٰ إبراهيم . لأن الناس في عصره كانوا علىٰ طريقة واحدة وهي الكفر ، فخالفهم كلهم وتنكب طريقتهم ولا يسمىٰ المائل حنيفا إلا إذا كان الميل عن الجادة المعبدة . وفي الأساس : من مال عن كل دين أعوج . ويطلق علىٰ المستقيم ، وبه فسر الكلمة بعضهم وأورد له شاهدا من اللغة وهو أقرب . ومن التأويلات البعيدة . ما روي من تفسير الحنيف بالحاج ووجه القول به أنه مما حفظ من دين إبراهيم " التحرير والتنوير (1/ 673).

قال رشيد رضا :"وأنتم تعلمون أيضا أن اسمي اليهودية والنصرانية حدثا بعد هؤلاء ، بل حدث اسم اليهودية بعد موسىٰ واسم النصرانية بعد عيسىٰ كما حدث لليهود تقاليد كثيرة صار مجموعها مميزا لهم . وأما النصارىٰ فجميع تقاليدهم الخاصة بهم المميزة للنصرانية حادثة ، فإن عيسىٰ عليه السلام كان عدو التقاليد ، ولهذا كان النصارىٰ علىٰ كثرة ما أحدثوا أقرب إلىٰ الإسلام ، لأنهم لم ينسوا جميعا كيف زلزل روح الله تقاليد اليهود الظاهرة ما كان منها في التوراة وما لم يكن . ولكن الذين ادعوا اتباعه زادوا عليهم من بعده في ابتداع التقاليد والرسوم ".المنار (1/ 402) .

المسألة السابعة : هل اليهودية دين سيدنا موسىٰ عليه السلام

تقدم أن اسم اليهود لم يرد إلا في سياق تكفيرهم وذمهم وبيان ضلالهم ، وقد نص العلماء علىٰ أن اليهودية ليست دين سيدنا موسىٰ عليه السلام بل هي الدين المحرف المبدل الذي اخترعه أتباع سيدنا موسىٰ وقد نص علىٰ ذلك كثير من العلماء:

قال الواحدي في البسيط[78] : {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا} الآية نزَّهه وبرأه من الدِّينَيْنِ،ووصفه بدين الإسلام، واليهودية والنصرانية صفتا ذَمٍّ، ما تُعبِّد بهما قط؛لأنَّ موسىٰ لم يكن يهوديا ، وعيسىٰ لم يكن نصرانيًا، مع قوله: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} فاليهودية مِلَّةٌ محرَّفة عن شريعة موسىٰ، والنصرانية مِلَّةٌ مُحرَّفةٌ عن شريعة عيسىٰ عليهما السلام"[79]

وقال الطبري عند تفسير: "أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى" قال الحسن: والله لقد كان عند القوم من الله شهادةُ أنّ أنبياءَه بُرآء من اليهودية والنصرانية، كما أن عند القوم من الله شَهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام، فبم استحلُّوها؟ عن الربيع قوله:"ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عنده من الله"، أهلُ الكتاب، كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دينُ الله، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل: أنّهم لم يكونوا يهودَ ولا نصارَىٰ، وكانت اليهودية والنصرانية بعد هؤلاء بزمان. "[80]

---

79 البسيط(5/ 338).

[80] جامع البيان (3/ 125)

وقال الطبري عند تفسير:" قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95) "فاتبعوا ملة إبراهيم"، خليل الله، فإنكم تعلمون أنه الحق الذي ارتضَاه الله منْ خلقه دينًا، وابتعث به أنبياءَه، ذلك الحنيفية -يعني الاستقامة على الإسلام وشرائعه- دون اليهودية والنصرانية والمشركة"[81].

وقال الزمخشري:" زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم، وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم: إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبينه وبين عيسى ألفان، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة؟ أَفَلا تَعْقِلُونَ حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال"[82]

وقال الزمخشري: "قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95) قُلْ صَدَقَ اللهُ تعريض بكذبهم كقوله: (ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصادِقُونَ) أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وهي ملة الإسلام التي عليها محمد ومن آمن معه، حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم، حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم، وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه"[83].

****

فتحصل مما سبق أن { الذين هادوا} الأصل أنها في أتباع سيدنا موسى عليه السلام سواء من كان منهم مؤمن أو كان كافرا :فالمؤمنون منهم من كان على الحق في فترة ما قبل نسخ شريعتهم بسيدنا عيسى عليه السلام، ومنهم كفار وهم من ثبت على العمل بالتوراة رغم نسخها بشريعة عيسى عليه السلام ثم بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء كفار ادعوا أنهم أولياء لله وحدهم، وحرفوا التوراة وكذبوا وطعنوا في

---

[81] تفسير الطبري (6/ 17) .

[82] الكشاف (1 / 371).

[83] الكشاف (1/ 386).

الإسلام ، وذكرنا من قبل السر البلاغي في استعمالهم ، وأما لفظ "اليهود" فهي علَم على هذه الجماعة الكافرة المحرفة لدينها فهي على الدين الباطل.

وأما "هود" : فهي جمع هائد أي متبع اليهودية المحرفة ، فكل من "اليهود" و"هود" تدل على متبعي الدين المحرف المبدل ، واليهودية هي: الدين المحرف الذي انتسب أصحابه إلى سيدنا موسى ثم بدلوه وغيروه وشوهوه ، فاليهود هم تلك الجماعة المحرفة المبدلة المغيرة المغضبة لربها ، والتركيز فيها على الدين ، فلذلك كلمة "اليهود" اقترنت بالكفر وأقوال الكفر.

وإذا أردنا اختيار أصل كلمة (اليهود) بناء على الأوصاف التي وصفوا بها في القرآن مع أصول الكلمة التي ذكرها العلماء، نجد ان هذه الكلمة أقرب لأصل مادة (ه ، و، د)، الدال على : لين و رخاوة وفتور ممتد في أثناء الشيء مع طلبه أي عدم الحدة والصلابة فيه، ومنه وهَوَّدَه الشَّرَابُ إِذا فَتَّرَهُ فأَنَامَهُ، الهَوَدَة، وَهِي أَصلُ (السَّنَام) وهو تجمع شحمي رخو ، فهو عدم تصلب في الدين الحق، وأيضا أقرب لما ذكره الواحدي في البسيط حيث قال:" وقال غيره [أي غير الليث]: سموا بذلك لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى ، وعلى هذا إنما سموا يهودا بعد أنبيائهم. وقال ابن الأعرابي: يقال: هاد إذا رجع من خير إلى شر أو من شر إلى خير ، سمي اليهود بذلك لتخليطهم، وكثرة انتقالهم من مذاهبهم، والله أعلم بحقيقة الحال"[84].

المسألة الثامنة:أصل كلمة النصارى:

اتفق العلماء على أن كلمة النصارى جمع، واختلفوا في كونها جمعا لأي شيء وفي المسألة أربعة أقوال:

---

[84] البسيط للواحدي (2/ 609).

القول الأول:

{النَّصَارى} جمع نصران بمعنى نصراني85، وهو الممتلئ نصراً 86 أي القوي في النصرة ، كما أن الغضبان هو الممتلئ غضباً ، ومثله في المفرد والجمع في ذلك : نَدمان ونَدامى، سكران وسكارى ، ، ونشوان ونشاوى ، وكذلك كل نعت كان واحده على فعلان ، فإن جمعه على فَعالى ، إلا أن المستفيض في كلام العرب في واحد النصارى نصرانيّ فالمفرد نصران إلا أنه لم يستعمل في الأكثر إلا بياءِ النسب (نصراني) ، وورد سماعا نطقهم بنصران ونصرانة ولكنه قليل ، وإن أنكره البعض كقول الشاعر يصف الحرباء:

تَرَاهُ إِذَا دَارَ الْعَشِيُّ مُحَنِّفًا ... وَيُضْحِي لَدَيْهِ وَهْو نَصْرَانُ شَامِسُ87

ويقال في مؤنث نصران نصرانة كندمان وندمانة فيقال: رجلٌ نصرانٌ وامرأة نصرانةٌ أنشدوا: كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ.

وهذا مذهب سيبويه والزمخشري ورجحه الطبري ومكي وأبو حيان والسمين الحلبي وابن كثير وابن الهائم والشربيني وأبو السعود والآلوسي وجمهور المفسرين .

---

85 وهو نكرة يعرف بالألف واللام ولذلك دَخَلَتْ عليه أَلْ وَوُصِفَ بالنكرةِ

86 قال المصطفوي في التحقيق الأصل الواحد في المادة أي مادة (ن ، ص، ر) هو إعانة في قبال مخالف ، أما الإعانة فهي تقوية شيء في نفسه ومن دون نظر إلى غيره "(12/ 155).قال محمد حسن جبل: " المعنى المحوري: "الإمداد بما فيه زيادة مناسبة وقوة ومن ملحظ الإمداد بالزيادة والقوة جاءت النصرة : حسن المعونة ".

87 قوله: (مُحَنَّفًا). تحنف: صار إلى الحنيفية، والمراد أنه مستقبل القبلة، (شامس) مستقبل الشمس كما يستقبلها نصراني، قال أحمد محمد شاكر في تحقيقه على الطبري (2/ 144): لم أعرف قائله. الأضداد لابن الأنباري: 155 ، ورواه: "تراه ويضحى وهو. . " ونقله أبو حيان في البحر المحيط 1: 238 عن الطبري، وفيهما"إذا دار العشي" وأخطأ والبيت في صفة الحرباء. و"محنفا": قد تحنف، أو صار إلى الحنيفية. ويعني أنه مستقبل القبلة. وقوله: "لديه"، أي لدى العشي، ويريد قبل أن يستوي العشي أو لدى الضحى، ويكون قد ذكره في بيت قبله. وقوله: "شامس"، يريد مستقبل الشمس، قبل المشرق. يقول يستقبل الشمس كأنه نصراني، وهو كقول ذي الرمة في صفة الحرباء أيضًا: إذا حول الظل العشى رأيته ... حنيفا، وفي قرن الضحى ينتصر

ثم زيدت ياء النسبة فقيل: نصرانيّ فهو لا يستعمل في الكلام في الأغلب إلا بياء النسب فيقال نصرانيّ، وقال الزمخشري: الياء في نصراني للمبالغة88 إشارة إلى أنه عريق في وصفه ، كقوله : رجل أحمري ، إشارة إلى أنه عريق في وصفه وأنه منسوب إلى ذلك عريق فيه لا مجرد موصوف بالحمرة ، والدهر بالإنسان دوَّاري.

وتبعه البيضاوي والنسفي وأبو السعود والآلوسي واطفيش وسيد طنطاوي .

القول الثاني:

قالوا "النصارى " جمع واحده نصراني ، والياء في نصراني: للوحدة ، كزنجي من زنج ، و روم رومي .

القرطبي والماوردي[89]

القول الثالث:

جمع نصريّ كـبَعِيرٌ مَهْرِيّ وإبل مَهَارى ، حذفت إحدى ياءيه ، وفتحت الراء ، وقلبت الكسرة فتحة للتخفيف فقلبت الياء ألفاً ، وإلى ذلك ذهب الخليل وأجازه الخليل والزجاج .

القول الرابع:

جمع ناصري90 نسبة إلى الناصرة 91 ، وهي قرية نشأت فيها مريم أم المسيح عليهما السلام ونشأ فيها المسيح عليه السلام ، وقد خرجت مريم عليها السلام من الناصرة قاصدة بيت المقدس فولدت المسيح في بيت لحم

---

88 قال الزمخشري :"الياءُ في نَصْرانيّ للمبالغة كالتي في أَحْمَري" الكشاف (1/ 146) .

89 قال الماوردي :"و { والنصارى } ، جمع وواحده " نصرانيٌّ " ، وقيل : " نصران " بإسقاط الياء ، وهذا قول سيبويه ، وقال الخليل بن أحمد : واحده نصْرِي ، والأول هو المستعمل { والنصارى }" (النكت والعيون/ 132) .

90 قال ابن عاشور:" إما جمع ناصري أو نصري"، وقال المصطفوي في التحقيق :"على هذا إما جمع ناصريّ أو نصريّ أو نصرانيّ" (6/ 146).

ولذلك كان بنو إسرائيل يدعونه يشوع الناصري ، فلما نسب أصحابه إليه قيل النصارىٰ نسبة إلى الناصرة التي نسب إليها المسيح ، فهذا وجه تسمية أتباعه بالنصارىٰ .

روي عن ابن عباس واختاره ابن جريج وقتادة ومقاتل والأصمعي وابن عاشور والهواري والمراغي وابن أبي زمنين والتحقيق قدمه السمين الحلبي في الذكر .

المسألة التاسعة: اختلف العلماء كذلك لِمَ سموا "نصارىٰ":

القول الأول:

لأنهم نصروا المسيح عليه السلام ؛ لأن الحواريين قالوا: {نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} حين قال لهم سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} ،فهي لفظة مشتقة من النصر ، وواحدهم: نَصَرّان كقولهم: ندمان وندامىٰ، فنصران وناصر بمعنىٰ، كما يقال: صديان وصادٍ للعطشان[92].

---

91 قال في معجم البلدان:" ناصرة قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا " (معجم البلدان / ياقوت الحموي (5 / 251)،قال ابن عطية: "ويقال نصريا ويقال نصرتا"، قال القاموس:" ونَصْرَانَةُ: قرية بالشام، ويُقالُ لها ناصِرَةُ ونَصوريَةُ أيضاً، يُنْسَبُ إليها النصارىٰ، أو جَمْعُ نَصْرانٍ، كالنَّدامَىٰ جمعُ نَدْمانٍ، أو جمعُ نَصْرِيٍّ، كمَهْرِيٍّ ومَهارَىٰ" (القاموس المحيط/ 482 فصل النون) ، وقال تاج العروس: "قَالَ ابنُ دُرَيْد: النَّصارىٰ منسوبون إِلَىٰ نَصْرَانة، وَهِي مَوْضِع، هَذَا قَول الأصمعيّ، وَقيل: هِيَ قرية بِالشَّام، وَيُقَال لَهَا ناصِرَة، وَهِي الَّتِي طَبَرِيَّة، وَقد تقدّم عَن اللَّيْث، قَالَ غيرُه: هِيَ نَصُورِيَة، بِفَتْح النُّون وَتَخْفِيف التحتيَّة، كَمَا ضَبطه الصَّاغانِيّ. وَيُقَال فِيهَا أَيْضا: نَصْرَىٰ بِالْفَتْح، ونَصْرُونة، يُنسَب إِلَيْهَا النَّصارىٰ قَالَ ابنُ سِيدَه: هَذَا قولُ أهلِ اللُّغَة، قَالَ: وَهُوَ ضعيفٌ إلاّ أنّ نادرَ النَّسَبِ يسَعُه، أَو النَّصارىٰ جمعُ نَصْرَانٍ، كالنَّدامىٰ جمع نَدْمَان، وَلَكنهُمْ حذفوا إِحْدَىٰ الياءَيْن، كَمَا حذفوا من أُثْفِيَّة وأبدلوا مَكَانهَا ألفا كَمَا قَالُوا صَحارىٰ، وَهَذَا مذهبُ الخليلِ وَنَقله سِيبَوَيْهِ. أَو النَّصارىٰ جَمْعُ نَصْرِيٍّ، كمَهْرِيٍّ وإبلٍ مَهارىٰ، فَهِيَ أَقْوَال ثَلَاثَة" تاج العروس(14/ 229"
قال الآلوسي :" يقال لها ناصرة أو نصورية ". روح المعاني(3 / 268) .

[92] قال السيوطي في المزهر: دل علىٰ هذا أنهم يُسَمُّون النصارىٰ: أنصاراً. قال الشاعر:

اختار هذا القول: الزهري و ابن الأنباري و الزمخشري الخازن والبغوي وابن الجوزي والنسفي والشربيني وحسنين مخلوف وحقي البورسوي وقدمه البيضاوي وأبو السعود ، ، وقال به : من قال نصارىٰ : **جمع نصران، أو** جمع نصراني، أو **جمع نصريّ** .

القول الثاني:

نسبة إلىٰ الناصرة[93] وهي قرية نشأت فيها مريم أم المسيح عليهما السلام[94] و كان يَنْزِلها سيدنا عيسىٰ عليه السلام ونشأ بها، وقال ابن عاشور وسيد طنطاوي[95]:" إنه عليه السلام أعلن دعوته منها أيضا " ، فسيدنا عيسىٰ عليه السلام ولد في بيت لحم بالقدس ثم سارت به أمه إلىٰ مصر ولما بلغ اثنتي عشر سنة عادت به إلىٰ الشام وأقامت بقرية ناصرة فنسب اليها فقيل : يشوع الناصري[96]، وقد كان بنو إسرائيل يدعونه يشوع الناصري أي: عيسىٰ الناصري ، فلما نسب أصحابه إليه قيل النصارىٰ نسبة إلىٰ الناصرة التي نسب إليها المسيح ، فعلىٰ هذا يكون من تغيرات النسب[97] فهذا وجه تسمية أتباعه بالنصارىٰ .

(لمّا رأيتُ نَبَطاً أنصارا ... (شمَّرتُ عن رُكْبَتِيَ الإِزارا ...)

(كنتُ لها من النصارىٰ جارا ...)

93 قال ابن عطية: "ويقال نصريا ويقال نصرتا". (المحرر الوجيز (1/ 157)، قال القاموس:" ونَصْرَانَةُ: ة بالشامِ، ويُقالُ لها ناصِرَةُ ونَصورِيَةُ أيضاً، يُنْسَبُ إليها النصارىٰ، أو جَمعُ نَصْرانٍ ـ ـ " تقدم، قال الواحدي في الوسيط: "وسموا نصارىٰ لأنهم كانوا من قرية يقال لها: نصرة (1/ 149)..

94 وقد خرجت مريم من الناصرة قاصدة بيت المقدس فولدت المسيح في بيت لحم.

95 ذكراه في سورة المائدة في تفسير { ومن الذين قالوا إنا نصارىٰ أخذنا ميثاقهم}

96 ولذلك كان بنو إسرائيل يلقبونه بيشوع الناصري، وقد جاء في الإنجيل (يسوع الناصري).

97 هذا جواب اعتراض يقول: هذا الاشتقاق بعيد، فإن قياس النسبة إليه: ناصري، والجمع ناصرون،ويجاب عما اعترض به بأن هذا من شواذ النسب التي جاءت علىٰ غير القياس، كقولهم: لحياني ورقباني ، ومروزي.

روي عن ابن عباس و ابن جريج و اختاره: قتادة، ومقاتل ، والأصمعي، وابن عاشور ، والراغب في تفسيره[98] ، والهواري ، والمراغي ، وابن أبي زمنين، والمصطفوي، ونظام الدين النيسابوري ، وكذا الصنعاني في المائدة ، وقدمه السمين الحلبي في الذكر، وكذا الشهاب في المائدة ، والجوهري ، ورده جماعة من العلماء منهم ابن سيده [99].

واستدل عليه المصطفوي بما ورد في إنجيل متى:" وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريا" ، قال وهذا أقدم سند تاريخي يقرب من زمان المسيح ، فتكون كلمة النصارى جمعاً لـ(الناصري أو النصري أو النصراني) والكلمة كانت مستعملة في السريانية بصيغة (نُسرايا ، نُسرات) قال المصطفوي فالاحتمالات الأخرى ضعيفة جدا.

---

[98] قال الراغب في تفسيره: "والأقرب ما قال بعضهم إن المسيح كان من قرية يقال لها نصران، فإما أن سموا باسمها، ثم جمعته العرب على نصارى نحو: " سكران " و " سكارى " أو جعلوا منسوبين إليها ثم جمعت نحو: " مهرى " و " مهارى " تفسير الراغب الأصفهاني (1/ 214).

[99] قال ابن سيده: "هذا قول أهل اللغة، قال: وهو ضعيف، إلا أن نادر النسب يسعه" (المحكم والمحيط الأعظم (8 / 300).

القول الثالث[100]: الجمع بين قولين:

[100] وهناك قول رابع:" أنها لفظة مشتقة من النصر أيضا لكن سموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم أي لنصرة بعضهم بعضا ، قال الشاعر :لما رأيت نبطاً أنصارا *** شمرت عن ركبتي الإزارا ، رجحه الطبري والطوسي، قال الطبري: وهذه الأبيات التي ذكرتها تدل على أنهم سُموا نصارى لنصرة بعضهم بعضا وتناصرهم بينهم يعني بالابيات:

تَرَاهُ إِذَا زَارَ العَشِيِّ مُحَنِّفا *** ويُضْحِي لَدَيْهِ وَهْوَ نَصْرانُ شَامِسُ

فكِلْتاهُما خَرّتْ وأَسْجَدَ رأسُها *** كما سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ
لَمَّا رأَيْتُ نَبَطا أَنْصَارَا *** شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الإِزَارَا

وهناك أقوال أخرى في اشتقاق الكلمة قالها المستشرقون:" جاء في كتاب" المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام " للدكتور جواد علي ولفظة "النصرانية" ،"نصارى" التي تطلق في العربية على أتباع المسيح، من الألفاظ المعربة، يرى بعض المستشرقين أنها من أصل سرياني هو: "نصرويو" Nosroyo، "نصرايا" Nasraya1، ويرى بعض آخر أنها من Nazereneds التسمية العبرانية التي أطلقها اليهود على من اتبع ديانة المسيح ، وقد وردت في العهد الجديد في "أعمال الرسل" حكاية على لسان يهود، ويرى بعض المؤرخين أن لها صلة "بالناصرة" التي كان منها "يسوع" حيث يقال: "يسوع الناصري" أو أن لها صلة بـ "الناصريين" "Nazarenes =Nasarenes" إحدى الفرق القديمة اليهودية المتنصرة. وقد بقي اليهود يطلقون على من اتبع ديانة المسيح "النصارى"، وبهذا المعنى وردت الكلمة في القرآن الكريم، ومن هنا صارت النصرانية علما لديانة المسيح عند المسلمين " يقول علي هاني: السريانية والعبرانية من اللغات العربية القديمة كما سيأتي أو على الأقل يقال: فيها إنها من اللغات السامية التي تشترك مع العربية في الأصل فلا يبعد هذا عن قول القائلين إنها من النصر، وأما الذين قالوا اطلقها اليهود على من اتبع ديانة المسيح فهذا لا يتطابق مع اطلاق القرآن الكريم فقد أطلقها القرآن على الذين حرفوا دين المسيح وقالوا بالتثليث وادعوا إنهم نصارى كما سيأتي ، وقد جاء في آيتين قالوا إنا نصارى فهي مجرد دعوى لا تصح ، وأما قول من قال إنها إحدى الفرق اليهودية فهذا بعيد لأن اليهود في اصطلاح القرآن الكريم غير النصارى .

قم قال المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام "ولعلماء اللغة الإسلاميين آراء في معنى هذه الكلمة وفي أصلها، هي من قبيل التفسيرات المألوفة المعروفة عنهم في الكلمات الغريبة التي لا يعرفون لها أصلا، وقد ذهب بعضهم إلى أنها نسبة إلى الناصرة التي نسب إليها المسيح وزعم بعض منهم أنها نسبة إلى قرية يقال لها "نصران"، فقيل نصراني وجمعه نصارى وذكر أن "النصرانة" هي

قال الميرغني:(والنصارى) وهم الذين نصروا المسيح وكانت قريتهم تسمى نصران .

مؤنث النصراني، ولم أعثر حتى الآن على نص جاهلي منشور وردت فيه هذه التسمية. أما في الشعر الجاهلي، وفي شعر المخضرمين، فقد ذكر أن أمية بن أبي الصلت ذكرهم في هذا البيت:

أيام يلقى نصاراهم مسيحهم ... والكائنين له ودا وقربانا

وذكر أن شاعر جاهليا ذكر النصارى في شعر له، وهو:

إليك تعدو قلقا وضينها ... معترضا في بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها غير أن هذه الأبيات وأمثالها إن صح إنها لشعراء جاهليين حقًّا، هي من الشعر المتأخر الذي قيل قبل الإسلام ، أما قبل ذلك، فليس لنا علم بما كان العرب يسمون به النصارى من تسميات. المفصل.

والذي نعرفه أن قدماء النصارى حينما كانوا يتحدثون عن أنفسهم كانوا يقولون: "تلاميذ" Discipies، "تلاميذ المسيح"، ذلك أنهم كانوا ينظرون إلى المسيح نظرتهم إلى معلم يعلمهم وكذلك نظروا إلى حوارييه، فورد "تلاميذ يوحنا" وقصدوا بذلك النصارى، وهذه التعابير من أقدم التعابير التي استعلمها النصارى للتعبير عن أنفسهم ، وقد عرف النصارى بـ Christians نسبة إلى Christos اليونانية التي تعني "المسيح" Messiah، أي المنتظر المخلص الذي على يديه يتم خلاص الشعب المختار ، ويسوع هو المسيح، أي المنتظر المخلص الذي جاء للخلاص كما جاء في عقيدة أتباعه، ولذلك قيل لهم أتباع المسيح. فأطلقت عليهم اللفظة اليونانية، وعرفوا بها، تمييزا لهم عن اليهود. وقد وردت الكلمة في أعمال الرسل وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس ، أما في القرآن الكريم وفي الأخبار، فلم ترد هذه اللفظة اليونانية الأصل. ولهذا نجد أن العربية اقتصرت على إطلاق "نصارى" و"نصراني" و"نصرانية" على النصارى تمييزا لهم عن أهل الأديان الأخرى. أما مصطلح "عيسوي" و"مسيحي"، فلم يعرفا في المؤلفات العربية القديمة وفي الشعر الجاهلي، فهما من المصطلحات المتأخرة التي أطلقت على النصارى وقد قصد في القرآن الكريم بـ "أهل الإنجيل"النصارى، إذ لا يعترف اليهود بالإنجيل. وقد أدخل بعض علماء اللغة اللفظة في المعربات" (ج12/ 161)

الترجيح:

لا بد قبل أن نرجح أحد الأقوال على الآخر أن نقرر أمرا ثابتا، واضحا كالشمس في القرآن الكريم، معلوما من الدين بالضرورة، مأخوذاً من ألفاظ القرآن ، وهو أن اسم النصارى في القرآن الكريم أطلق على الذين حرفوا وبدلوا دين المسيح عليه السلام أو حُرِّف لهم وبـُدِّل فاتبعوه وضلوا فيه ضلالا كفريا ، وأن ما عندهم ليس بهدى بل ضلال وأهواء ، وأن ما دانوا به مضاد و مقابل لملة إبراهيم عليه السلام ، وأنهم قالوا بالتثليث ، وأنهم فرَّقوا بين الرسل فكفروا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم نسوا حظا عظيما مما وصلهم من الله سبحانه فأغرى الله العداوة بين فرقهم إلى يوم القيامة عقوبة لهم، وأنهم يوالون اليهود ضد المسلمين ، وأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر على الوجه الذي فصله القرآن وهو: أنه يوم ينجي الله المؤمنين بجميع الرسل والكتب لا سيما المؤمنون بسيدنا محمد وبالقرآن ، ويعذب الكافرين بأي رسول أو كتاب تعذيبا مخلدا ، فلذلك جعلهم القرآن الكريم لا يؤمنون باليوم الآخر وحكم بكفرهم بلفظ صريح لا يقبل التأويل ؛ لأنهم لم يؤمنوا بالله الواحد الذي لا شريك له الذي لم يتخذ ولدا ، ونحن نستعرض الآيات التي ورد فيها اسم النصارى لنرى هذه الأوصاف المذكورة عنهم:

{ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)}

{ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)}

{ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15 }

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51)}

{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)}

{ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)}

{ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)}

فالقرآن يقرر أن النصرانية ليست دين الله سبحانه بل هي دين محرَّف ، و كفَّر من اعتنقه كفرا مخلدا في النار ، كما هو واضح جلي في الآيات السابقة ، ثم العلماء قد قرروا هذا كما قرروه في اليهودية :

قال السمرقندي:"والنصارىٰ : الذين تركوا دين عيسىٰ وَتسَمَّوْا بالنصرانية . واليهود الذين تركوا دين موسىٰ وتسمَّوا باليهودية"[101] .

[101] بحر العلوم/ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ) (1/ 59)

قال ابن الأنباري : "هذا رد على اليهود والنصارى لأن بعضهم كانوا يقولون : الأنبياء كلهم يهود أو نصارى ، فقال تعالى : { يحكم بها النبيون الذين أسلموا } يعني الأنبياء ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية ، بل كانوا مسلمين لله منقادين لتكاليفه"[102] .

قال رشيد رضا :"وأنتم تعلمون أيضا أن اسمي اليهودية والنصرانية حدثا بعد هؤلاء ، بل حدث اسم اليهودية بعد موسى واسم النصرانية بعد عيسى كما حدث لليهود تقاليد كثيرة صار مجموعها مميزا لهم ، وأما النصارى فجميع تقاليدهم الخاصة بهم المميزة للنصرانية حادثة ، فإن عيسى عليه السلام كان عدو التقاليد ، ولهذا كان النصارى على كثرة ما أحدثوا أقرب إلى الإسلام ؛ لأنهم لم ينسوا جميعا كيف زلزل روح الله تقاليد اليهود الظاهرة ما كان منها في التوراة وما لم يكن، ولكن الذين ادعوا اتباعه زادوا عليهم من بعده في ابتداع التقاليد والرسوم "[103].

****

وبعد ما تقدم من النصوص الصريحة فيما ذكرنا نورد دليلا يزيد الأمر وضوحا ، ويبين أنهم لم يكونوا على دين سيدنا عيسى عليه السلام ، وهذا الدليل هو آيتان جاء فيهما هذا التعبير :{الذين قالوا إنا نصارى} وهو تعبير خاص ذو دلالة خاصة ، فلم يقل عز وجل ومن النصارى كما هو الظاهر الأخصر بل اختار القرآن طريق الإطناب بأن قال" قالوا إنا نصارى" :

{ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)} المائدة

---

[102] نقله عنه الرازي (12/ 366) والقرطبي (6/ 431) وأبو حيان 1/ 660

[103] تفسير المنار(1/ 402).

{ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82)} المائدة .

ولنستعرض توجهات العلماء في كل موضع من الموضعين:

أولا : الموضع الأول :{ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ} :

وفي توجيه هذه الزيادة في الآية الأولى ثلاثة أقوال:

القول الأول:

قالوا : ليدل على أنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء أنهم أنصار مبالغون[104] في نصرة الله سبحانه تعالى وما يأمر به ، ونصرة المسيح عليه السلام و دينه و الحق وأنبياء الله ، ثم إنهم كذبوا وخالفوا ما قالوا في اعتقادهم وقولهم وفعلهم ، ونسوا حظا عظيما مما ذكروا به فكفروا بالله ووصفوه بما لا يليق به من الولد ، وخالفوا ما في الإنجيل من التبشير بنبينا صلى الله عليه الذي أخذ ميثاقهم على لسان رسوله عيسى عليه السلام ، وعهد إليهم في الإنجيل أن يؤمنوا به ، واختلفوا أحزابا[105] ، فتسموا بما لم يفوا به حيث قالوا إنا نصارى ، و قالوها دعوى لا حقيقة لها ، وهي تقوّلٌ محضٌ بمعزلٍ من الصدق والاستحقاق ، ، فهم ليسوا من نُصْرة الله تعالى في شيء وهي نصرة ادعائية لا واقعية ، فليسوا على منهاج الذين اتّبعوا المسيح في زمانه من الحواريين ، وهم الذين كانوا حققوا النصرة الحقيقة للمسيح؛ لأن أولئك كانوا مُوَحِّدَةً مؤمنين ، وهؤلاء مُثَلِّثَةٌ مشركون فهي في الحقيقة نصرة للشيطان ،وفيه إظهار لكمال تناقضهم ، فجاءت هذه العبارة موبخة لهم على ذلك ، وأكدوا قولهم بـ(إنا) رداً على من يرتاب فيه.

[104] بما أشار له ووزن فعلان لأن نصارى جمع نصران كما تقدم.

[105] الأرثوذكس ، والكاثوليك ، والبروتستانت ، والمارون ؛ اليوم ، ومن قبل كان اليعقوبيون ، والملكانيون والنساطرة

ونكتة تخصيص في قوله تعالى{ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)} بإسناد النصرانية إلى دعواهم أنه لما كان المقصود في هذه الآية ذمهم بنقض الميثاق[106] المأخوذ عليهم في نصرة الله تعالى ناسب ذلك أن يصدر الكلام بما يدل على أنهم لم ينصروا الله تعالى ولم يفوا بما واثقوا عليه من النصرة وما كان حاصل أمرهم إلا التفوه بالدعوى وقولها دون فعلها .

اختاره الجمهور : الزمخشري و ابن عطية والرازي والبيضاوي وابن جزي والبقاعي وأبو السعود واطفيش في التيسير والهميان و سيد قطب وابن كثير و النيسابوري وابن المنير107 والصابوني و رشيد رضا و الشوكاني و ابن عجيبة وزكريا الأنصاري و أبو حيان و سعيد حوّى وقدمه ذكرا ابن عاشور والآلوسي.

فإن قيل لم ذكرهم في أكثر مواضع القرآن باسم "النصارى" ولم يقل قالوا "إنا نصارى"، فإن كان الأمر ادعاء ومحض دعوى فلم لم يقل في كل موضع "قالوا إنا نصارى" : فالجواب أنهم اشتهروا به وصار سمة لهم

---

[106] { اخذنا ميثاقهم} : أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره ، والإيمان بكل نبي يرسله الله إلى أهل الأرض، أخذناه عليهم بالتزام أحكام الإنجيل ، وأن يؤمنوا بالله وحده لا شريك له ، ولا صاحبة ولا ولد ، وأعظم من ذلك كلّه أن ينصروا النبيءَ المبشَّر به في التَّوراة والإنجيل الّذي يجيء بعد عيسى قبل منتهى العالم ويخلِّص النّاس من الضلال { وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة ثُمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمِنُنّ به ولتَنْصُرُنَّه } ،وهذا هو الحظ الذي نسوه مما ذكروا به ؛ ونسيانه هو الذي قاد بعد ذلك إلى كل انحراف، وإلى الخلاف بين الفرق حتى بلغت حد الحروب الطاحنة { فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء} ، فنسيانه هو الذي نشأ من عنده الخلاف بين الطوائف والمذاهب والفرق ، التي لا تكاد تعد في القديم وفي الحديث .

[107] قال ابن المنير في (الانتصاف) : وبقيت نكتة في تخصيص هذا الموضع بإسناد النصرانية على دعواهم . ولم يتفق ذلك في غيره . ألا ترى إلى قوله تعالى : { وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه } ؟ فالوجه في ذلك- والله أعلم- إنه لما كان المقصود في هذه الآية ذمهم بنقض الميثاق المأخوذ عليهم في نصرة الله تعالى ، ناسب ذلك أن يصدر الكلام بما يدل على أنهم لم ينصروا الله ولم يفوا بما واثقوا عليه من النصرة . وما كان حاصل أمرهم إلا التفوه بدعوى النصرة وقولها دون فعلها . والله أعلم (حاشية الانتصاف على الكشاف: (1/ 616).

وعلامة أطلقه عليهم ، لا أنه يقر أنهم أنصار لعيسى عليه السلام ، قال أبو حيان:"وحيث جاء النصارى من غير نسبة إلى أنهم قالوا عن أنفسهم ذلك ، فإنما هو من باب العَلم لم يلحظ فيه المعنى الأول الذي قصدوه من النصر ، كما صار اليهود علماً لم يلحظ فيه معنى قوله هُدنا إليك" [108].

القول الثاني: وهو قريب من الأول ولا يتعارض معه

قالوا انما لم يقل : من النصارى لأنه أراد تعالى بذلك أن يدل على أنهم ابتدعوا النصرانية التي هم عليها اليوم ، وتسموا بها .

الحسن و القرطبي و الخازن والطوسي والطبرسي .

القول الثالث:

قالوا الموجود في كتب اللغة والتاريخ أن النصارى نسبت إلى بلدة (ناصرة) أي التي نشأ فيها المسيح وتربى فيها وأعلن دعوته منها نسبة إلى الناصرة ، فنسب اليها فقيل : يشوع الناصري، أي: عيسى الناصري ، فلما نسب أصحابه إليه قيل النصارى نسبة إلى الناصرة التي نسب إليها المسيح ، لذلك كان بنو إسرائيل يدعونه يشوع الناصري فهذا وجه تسمية أتباعه بالنصارى؛ فلذلك كان معنى النسبة ، النسبة إلى طريقته وشرعه وقد كان أتباعه من الحواريين في زمانه صادقين في اتباعه واتباع شرعه فقد كانوا نصارى حقيقيين لكن كلّ من حاد عن شرعه من الذين قالوا بالتثليث لم يكن حقيقاً بالنسبة إليه إلاّ بدعوى كاذبة ، فلذلك قال : { قالوا إنَّا نصارى } وأنهم ليسوا على منهاج الذين اتّبعوا المسيح في زمانه من الحواريين ، وهم الذين كانوا نصارى في الحقيقة ؛ لأن أولئك كانوا مُوَحِّدَةً مؤمنين ، وهؤلاء مُثَلِّثَةٌ مشركون.

اختاره : الشهاب الخفاجي والجصاص وأبو زهرة وأجازه ابن عاشور والآلوسي واطفيش والقاسمي وسيد طنطاوي .

---

[108] البحر (4/ 207)

قال الشهاب:" فلو قيل في الآية: إنهم على دين النصرانية وليسوا عليها لعدم عملهم بموجبها ومخالفتهم لما في الإنجيل من التبشير بنبينا صلى الله عليه وسلم- لكان أقرب من وجه التسمية الذي ذكروه"[109].

قال أبو زهرة:"ولم يقل النصارى للإشارة إلى أن ادعائهم النصرانية التي هي الدين الذي دعا إليه المسيح عليه السلام قول يقولونه بأفواههم ولا يتبعونه بقلوبهم ، إذ هجروا لب تعاليم المسيح وهو الوحدانية . يصنعون }[110] .

قال ابن عاشور:"؛ فإن كان النّصارى اسم جمع ناصريّ ، بمعنى المنسوب إلى الناصري ، والناصري عيسى ، لأنّه ظهر من مدينة الناصرة . فالناصري صفة عرف بها المسيح عليه السّلام في كتب اليهود لأنّه ظهر بدعوة الرسالة من بلد النّاصرة في فلسطين ؛ فلذلك كان معنى النسبة إليه النسبة إلى طريقته وشرعه ؛ فكلّ من حاد عن شرعه لم يكن حقيقاً بالنسبة إليه إلاّ بدعوى كاذبة ، فلذلك قال : { قالوا إنَّا نصارى }[111] ".

هذه هي الآية الأولى التي ورد فيها " قالوا إنا نصارى"

ثانيا : الموضع الثاني الذي ورد فيه {قالوا إنا نصارى} { وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}:

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) [المائدة : 82]

في الآية قولان:

---

[109] حاشية الشهاب على البيضاوي (3/ 225)

[110] زهرة التفاسير (4/ 2085)

[111] التحرير والتنوير: (6/ 146).

القول الأول:

{ الذين قَالُوا إِنَّا نصارى} عبر عنهم بذلك إشعاراً بقرب مودتهم حيث يدّعون أنهم أنصارُ الله وأَوِدّاءُ أهل الحق وإن لم يظهروا اعتقاد حقية الإسلام ، وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى : { وَمِنَ الذين قَالُوا إِنَّا نصارى أَخَذْنَا ميثاقهم } [المائدة ، الآية

أبو السعود والآلوسي وابن عاشور[112] والقونوي[113].

القول الثاني:

قالوا : إشارة إلى أن المعاصرين لهذه الأمة أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النصارى ليسوا على حقيقة النصرانية بل كونهم نصارى قول منهم وزعم، ومناسبة ذكر الذين قالوا في هذا السياق أن في وصفهم بأنهم أقرب مودة مدح لهم ، فقد يظن بعض الناس أنه تصحيح لعقيدتهم فدفع هذا بـ(قالوا إنا نصارى" احتراسا من هذا الوهم ، قال أبو زهرة :" يلاحظ أن الذين قالوا نحن أنصار الله هم الحواريون، والذين كانت بينهم مودة المسلمين ليسوا هم الحواريين الذين سلمت عقيدتهم، أما الذين يتحدث عنهم فهم كانوا من أهل التثليث ثم تاب الله تعالى عليهم، ولقد ذكرهم بهذا العنوان: (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ). في مقام الذم، فقد قال تعالى: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ. . .).ولأجل هذا لَا نقول إن

---

[112] قال ابن عاشور :" المقصودِ منه إقامة الحجّة عليهم بأنّهم التزموا أن يكونوا أنصاراً لله { قال الحواريّون نحن أنصار اللهّ } [الصف : 14] ، كما تقدّم في تفسير نظيره ، فالمقصود هنا تذكيرهم بمضمون هذا اللقب ليزدادوا من مودّة المسلمين فيتّبعوا دين الإسلام"(7/ 6).

[113] قال القونوي:" إنهم سموا بالنصارى لنصرهم روح الله كالحواريين فبعد ذلك بدلوا دين الله ولا يبعد أن يكون قوله تعالى { قالوا إنا نصارى} إشارة إلى ذلك" .

التعبير بـ(قالوا) إنا نصارىٰ فيه تشريف، إنما هو بيان أن هؤلاء يقولون "إنهم نصارىٰ، ولكنهم ليسوا نصارىٰ عيسىٰ – عليه السلام – وإن كانوا من بعد ذلك قد اهتدوا".

اختاره : ابن عطية وأبو حيان114 وابن كثير115 والبقاعي116 وأبو زهرة

يقول علي هاني: القولان اللذان ذكرا في تفسير الآية الثانية (قالوا إنا نصارىٰ) لا تعارض بينهما بل كل منهما أشار إلىٰ جزء من المراد.

وبعد كل ما سبق نعود إلىٰ الترجيح بين الأقوال السابقة في اشتقاق النصارىٰ هل الأرجح: 1) أنهم سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح عليه السلام ؛ لأن الحواريين قالوا: {نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} حين قال لهم سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}،فهي لفظة مشتقة من النصر، ولكن هؤلاء الذين يصفهم القرآن ادعوا ذلك وليسوا بصادقين في هذا النصر كالحواريين الصادقين في النصر 2) أو نسبة إلىٰ قرية الناصرة .

يقول علي هاني: كلا القولين له وجاهة وليس من السهل الترجيح بينهما لكن يمكن أن نذكر عدة مرجحات ترجح القول الأول :

---

[114] قال أبو حيان وفي قوله تعالىٰ : { الذين قالوا إنا نصارىٰ } إشارة إلىٰ أنهم ليسوا متمسكين بحقيقة النصرانية ، بل ذلك"البحر المحيط(4/ 343).

[115] قال ابن كثير :"وقوله : { وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ } أي : الذين زعموا أنهم نصارىٰ من أتباع المسيح وعلىٰ منهاج إنجيله".(تفسير القرآن العظيم(3/ 167).

[116] قال البقاعي: "قالوا ا إنا نصارىٰ : وفي التوريك علىٰ قولهم إشارة إلىٰ أنهم ما كانوا علىٰ حقيقة النصرانية {إنا نصارىٰ}

1) المرجح الأول: إن أمكننا أن نرجح بكثرة القائلين من العلماء بكل قول أو بكبرهم وعظمتهم ، نجد أن القائلين بالقول الأول هم جمهور العلماء ، وأيضا الذين قالوا إن اشتقاق الكلمة من النصرة هم أكبر العلماء فقد اختاره سيبويه والزمخشري و الطبري كما تقدم .

2) المرجح الثاني: أننا إن نظرنا إلى آية { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ} نجد أن كل وصف منها يشير إلى عمل عملته كل جماعة فالذين آمنوا أحدثوا الإيمان ، والذين هادوا ـ كما رجحنا ـ أحدثوا التوبة عن عبادة العجل فأشارت إلى شيء عظيم فعلوه وهي التوبة من عبادة العجل بذبح النفس فخلدها القرآن ، وكذلك الصابئة كما سيأتي ، فالأنسب أن يكون النصارى هم الذين نصروا المسيح عليه السلام ، وأن الذين قالوا: إنا نصارى نسبوا إلى شيء عظيم فعله أتباع سيدنا عيسى وهو أنهم نصروا المسيح حين كفر به الناس وأعانوه على أهل الباطل والكفر وهو أمر عظيم لا بد أن يخلد حتى طلب الله من هذه الأمة الاقتداء بهم في نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14) } لكن النصارى الذين سموا بذلك في القرآن ادعوا ذلك ادعاء فهم ليسوا مثل الحواريين الصادقين في النصرة قل قالوا إنا نصارى ادعاء لا واقع له .

3) المرجح الثالث: يمكن أن يرجح أيضا أن جمع نصران على نصارى وارد مثله نحو : نَدمان ونَدامى، سكران وسكارى، وأما نسبة نصراني إلى ناصرة ليس على القياس بل من شواذ النسب .

وعلى كل فأي القولين كان هو الواقع ، فليس هذا هو الموضوع الأهم ، بل الأهم في هذا البحث أن أتباع المسيح الذين كانوا في زمن المسيح كانوا صادقين ، مخلصين موحدين سائرين على منهاج الله الذي أنزله، نصروا المسيح وقالوا نحن أنصار الله ولم يصفهم القرآن بأنهم نصارى بل سماهم الحواريين لكن على التسليم به فسواء تسموا بذلك لنصرتهم للمسيح عليه السلام ـ كما عليه الجمهور ـ وهي نصرة صادقة ، أو نسبوا إلى مدينة الناصرة التي نسب إليها المسيح فيكون معنى النسبة إليها النسبة إلى طريقته وشرعه فهم غير الذين

أرادهم القرآن باسم " النصارىٰ" ، فاسم النصارىٰ في القرآن أطلق علىٰ الذين جاءوا بعد ذلك فحرفوا وبدلوا وابتعدوا عن دين سيدنا عيسىٰ عليه السلام وملة إبراهيم ، فوصفهم القرآن الكريم بالكفر، وقال عنهم " قالوا إنا نصارىٰ" فهم علىٰ كل الأقوال في اشتقاق النصارىٰ ليسوا نصارىٰ حقيقيين ، ليسوا أتباع سيدنا عيسىٰ عليه السلام وهذا واضح جدا من استعراض آيات القرآن معلوم من الدين بالضرروة كما تقدم في الآيات التي استعرضناها وأكرر بعضها زيادة في الإيضاح :

{ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)}

{ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135)} { وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)}

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)}ويزيد هذا قوة ما قاله الدكتور جواد علي :" والذي نعرفه أن قدماء النصارىٰ حينما كانوا يتحدثون عن أنفسهم كانوا يقولون: "تلاميد" Discipies، "تلاميذ المسيح"، ذلك أنهم كانوا ينظرون إلىٰ المسيح نظرتهم إلىٰ معلم يعلمهم وكذلك نظروا إلىٰ حوارييه، فورد "تلاميذ يوحنا" وقصدوا بذلك النصارىٰ، وهذه التعابير من أقدم التعابير التي استعملها النصارىٰ للتعبير عن أنفسهم " .

المسألة العاشرة: السر في أنه تعالى في حق اليهود لم يقل قالوا إنا يهود بل قال {اليهود} وفي حق النصارى قال:" قالوا إنا نصارى"

أقول : أن اسم اليهود في القرآن أطلق على الدين المحرف الذي ادعى اتباعه أنهم على دين موسى لكنهم حرفوه ، وقوام دينهم تفضيل أنفسهم وقولهم: إنهم أولياء لله من دون الناس وأنهم يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ، ووصفهم بالجرأة على الله بقوله : {وقالت اليهودُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} والجرأة على عباد الله، والسياق في الآية جاء لبيان أنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا فهذه التسمية حقيقية وكافية في بيان عداوتهم وليس فيها ادعاء لا سيما إن كان اشتقاق اليهود من (ه ، و، د)، الدال على عدم تصلب في الدين الحق أوأنهم مالوا عن دين الإسلام دين موسى وهو خير إلى الكفر والشر ، بخلاف النصارى فسواء قلنا أصل الكلمة النصرة أو الانتساب إلى سيدنا عيسى عليه السلام وشريعته ففي كلا الاحتمالين تعليل لهذه المودة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أنه لما مدح النصارى فقد يتوهم صحة ما هم عليه وأنهم أنصار عيسى حقيقة أو منسوبون إليه حقيقة بين أنهم ليسوا على دين صحيح بقوله { قالوا إنا نصارى}[117] والله أعلم .

****

[117] وللشيخ الشربيني رأي آخر حيث قال:"إنما أسند تسميتهم نصارى إليهم دون تسمية اليهود لأنهم الذين سموا أنفسهم نصارى حين قال لهم عيسى عليه السلام : { من أنصاري إلى الله } (آل عمران ، 52) الآية ، أو لأنهم كانوا يسكنون قرية يقال لها : ناصرة وكلهم لم يكونوا ساكنين فيها ، وعلى التقديرين فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية اليهود يهوداً فإنها حقيقة سواء سموا بذلك لكونهم أولاد يهودا بن يعقوب أو لكونهم تابوا عن عبادة العجل بقولهم : إنا هُدْنا إليك أو لتحرّكهم في دراستهم" . السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشربيني (1/ 391).

المسألة الحادية عشر: تاريخ الصَّابِئة وفرقهم :

سأشرح عن الصابئة شرحا مستفيضا يجمع أطراف الموضوع ، وذلك لأمرين : الأمر الأول أنه يفيدنا كثيرا في فهم الآية الكريمة ودحض الأقوال الباطلة في تفسيرها ، ويبين بعد قول الذين يقولون بنجاتهم مع بقائهم على أديانهم التي هم عليها ، والأمر الثاني: أن كتب التفسير والفقه والعقائد اضطربت جدا في تحديد حقيقتهم ، فحاولت أن استقصي حالهم وتجميع شتات الموضوع بما يناسب هذا البحث بحيث يجلي حقيقة الحال:

1) الصابئة -كما يذكر المؤرخون للأديان- في مقابلة الحنيفية ، فأهم الفرق في زمان سيدنا إبراهيم عليه السلام راجعة إلى صنفين اثنين: الصابئة ، و الحنفاء،قال صاحب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" وهو يتكلم عن الصابئة : ،"وهم أصناف وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة"[118] ، و قال الشهرستاني :" أهل الأهواء والنحل: من الصابئة، والفلاسفة، وآراء العرب في الجاهلية، وآراء الهند. وهؤلاء يقابلون أرباب الديانات تقابل التضاد، كما ذكرنا".

2) الذي يفهم من القرآن الكريم أن الصابئة جماعة كانت على دين خاص، وأنها طائفة مثل اليهود والنصارى بدليل اقترانهم معهم في الذكر، أي أن الكلمة تطلق على جماعة لها شعائرها وعباداتها وعقائدها ، وليس المراد بها الاطلاق الآخر الذي استعملته العرب: وهو أن كل من خرج عن دينه فهو صابئ ليس هذا هو المراد هنا ، فالمراد به هنا دين قديم[119] ظهر في بلاد الكلدان في العراق وانتشر معظم أتباعه فيما بين الخابور[120] ودجلة ، وفيما بين الخابور والفرات وكانوا في

---

118 أحمد بن علي العبيدي، تقي الدين المقريزي (4/ 168).

119 قال ابن حزم في كتاب « الفِصَل » : كان الذي ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث فبعث الله إبراهيم عليه السلام بالحنيفية اهـ انظر الخرائط في نهاية البحث توضح هذه المناطق المذكورة .

120 قال في تاج العروس: الخَابُورُ: نَهرٌ بَيْنَ رَأْسِ عَيْنٍ والفُراتِ مَشْهُور. (و) الخَابُورُ: نَهرٌ (آخرُ شَرْقِيَّ دِجْلَةَ المَوْصِلِ) ، بَينه وَبَين الرَّقَّة، عَلَيْهِ قُرًى كَثِيرةٌ وبُلَيْدَاتٌ قال في موسوعة ويكيبيديا : الخابور: وهو أحد روافد نهر دجلةوينبع من منطقة الأناضول

البطائح[121] وكَسْكَر في سواد[122] واسط وفي حَرَّان[123] من بلاد الجزيرة جزيرةِ الموصل، ، ولذلك تعرف الصابئة في كتب العقائد الإسلامية بالحَرّنَانية (بنونين نسبة إلى حرَّان). جاء في تاريخ الفكر الديني الجاهلي :"يروي الطبري: أن الصابئة كانوا بجزيرة "الموصل"، ويؤكد هذا النقل المسعودي فيقول: وديارهم بين بلد واسط والبصرة من أرض العراق ، ويقرر ابن حجر أن أهل بابل كانوا قوما صابئين، [ومعلوم أن بابل هي أحد المحافظات الواقعة في وسط العراق جنوب العاصمة بغداد] ، ويقول النيسابوري: وينسب هذا المذهب إلى الكلدانيين ، ويتوسع الشهرستاني فيجعلهم يشملون النبط، والفرس، والروم، والهند، فهذا المذهب كان واسع الانتشار الجغرافي، وأمته من الأمم الكبار ، وقد اختلف فيه اختلافا كثيرا بحسب ما وصل إليهم من معرفة عن هذا المذهب، ويفيد نقل الشهرستاني: أنه شمل دولا من الشرق، ودولا من الغرب، والنقول السابقة –عدا توسع الشهرستاني– تفيد أن هذا المذهب نشأ في بلاد شرقية، وكانت الدول التي تميزت وتفردت بالسيادة في الشرق هي دولة الفرس، ودولة الفرس: هي التي حكمت تلك المناطق الجغرافية التي ذكرها الرواة تارة، وحكمتها الدولة

الشرقية في محافظة هكاري في تركيا باتجاه كردستان العراق حيث يمر بمدينة زاخو . يصب الخابور في نهر دجلة بالقرب من قرية فيشخابور . ويشكل النهر جزء من الحد الفاصل مابين حدود تركيا و العراق بالقرب من بلدة سيلوبي التركية . حيث يربط جسران يعبران هذا النهر مابين منفذي إبراهيم الخليل (العراق) و الخابور (تركيا. (

[121] البطائح هي محافظة في جنوب شرقي العراق وذي قار سميت ذي قار: لانها تحتوي في ارضها مادة القار فسميت ذات القار،ولكثرة استعمال القار في أبنيتها، وليس كما يذكر نسبة إلى معركة ذي قار فالمعركة أخذت اسمها من المنطقة وليس العكس فهي بلاد سومر في العصور القديمة، وواسط أيام الدولة الأموية، ثم البطائح في العصر العباسي، فالمنتفق في العهد العثماني نسبة إلى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعيب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة" انظر ويكيبيديا .

[122] سواد المدينة: ما حولها من القُرىٰ والرّيف.

123 حران مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين تقع حالياً جنوب شرق تركياعند منبع نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات، تابعة لتركيا .

الرومانية تارة أخرى، فالفرس أخذوا الملك من البابليين، كذلك والعراق كانت تحكم تحت حكم ملوك دولتي الفرس الأولى والثانية". [124] .

3) ودين الصابئة كان معروفاً للعرب في الجاهلية ، بسبب جوار بلاد الصابئة في العراق والشام لمنازل بعض قبائل العرب مثل ديار بكر وبلاد الأنباط المجاورة لبلاد تغلب وقضاعة ، ألا ترى أنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفه المشركون بالصابئ وذلك فيه احتمالان:

أ) إما لأنهم شبهوه بالصابئة ، وربما دَعوه بابن أبي كبشة الذي هو أحد أجداد آمنة الزهرية أمِّ النبي صلى الله عليه وسلم [125]، كان أظهر عبادة الكواكب في قومه فزعموا أن النبيء ورث ذلك منه وكَذَبُوا .

---

[124] تاريخ الفكر الديني الجاهلي / محمد إبراهيم الفيومي / 256

[125] **ذكر العلماء في قوله تعالى { وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (49)} قال البيضاوي: عبدها أبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم[أي أحد أجداده لأمه] وخالف قريشا في عبادة الأوثان ، ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة ، ولعل تخصيصها للإشعار بأنه عليه الصلاة والسلام وإن وافق أبا كبشة في مخالفاتهم خالفه أيضا في عبادتها .[أبو كبشة أحد أجداد النبي لأمه] انتهى الشِّعْرَى: كوكب مضيء يطلع بعد الجوزاء ـ وهي النجم المسمى بهذا الاسم وسميت الجوزاء لشدة بياضها في سواد الليل تشبيهاً له بالشاة الجوزاء وهي الشاة السوداء التي وسطها أبيض، فالشعرى نجم من نجوم برج الجوزاء وبرج الجوزاء ذو كواكب كثيرة ولكثير منها أسماء خاصة وتسمى الجوزاء الجبار تشبيهاً لها بملك على كرسيه وعلى رأسه تاج والعرب يتخيلون مجموع نجومها في صورة رجل واقف بيده عصا وعلى وسطه سيف ، فلذلك سموه الجَبّار . وربما تخيّلوها صورة امرأة فيطلقون على وسطها اسم المنطقة ، والشعرى أبهر نجم برج الجوزاء أكثرها لمعاناً ويطّلع عند السحر وترى عند صلاة الصبح نيرة زائداً نورها على نور سائر الكواكب حولها ، وقد طمس الصبح نور سائر الكواكب.**

وكانت ينسب إليها الغنى عبدته قبيلة جميعها خزاعة في الجاهلية من دون الله تعالى ظنوا أن ما في ذلك الكوكب من الحسن والجمال لقدر له عند الله ومنزلة لأنها أكبر جرماً وأكثر ضياءاً ، وأن تدبيرهم يرجع إليه ، فعبدوه لذلك واعتقدوا أن لها تأثيرات

وهذا رجحه ابن عاشور وابن زيد والطوسي[126].

ب) أو لأن الصابئ في اللغة من خرج من دين إلى دين؛ لأنه خرج عن دينهم و أظهر دينا بخلاف أديانهم .

وهذا رجحه ابن عطية والرازي[127] الشوكاني والشهاب على البيضاوي والقرطبي والماتريدي[128] وجواد علي في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام[129]، والظاهر أن الرأي الثاني هو الصحيح ،

ومن ذلك اعتقادهم أن نوره يأتي بمطر بارد في الشتاء ويتكلمون على المغيبات عند طلوعها والذي عليه الجمهور أن الشّعرى لم يعبدها من قبائل العرب إلاّ خزاعة . وغير خزاعة كانوا يرصدونه ويعتقدون أنه ذو شأن، وأول مَن سنّ لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له : أبو كبشة .

[126] قال الطوسي:" وقال ابن زيد : الصابئون هو اهل دين من الاديان كانو بالجزيرة : جزيرة الموصل ، يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله " صلى الله عليه وسلم " ، فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي " صلى الله عليه وسلم " واصحابه : هؤلاء الصابئون : يشبهونهم بهم" التبيان(1/ 280).

[127] قال الرازي(3/ 536) قال" وَالصَّابِئِينَ فَهُوَ مِنْ صَبَأَ إِذَا خَرَجَ مِنْ دِينِهِ إِلَى دِينٍ آخَرَ، وَكَذَلِكَ كَانَتِ الْعَرَبُ يُسَمُّونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَابِئًا لِأَنَّهُ أَظْهَرَ دِينًا بِخِلَافِ أَدْيَانِهِمْ"

[128] قال الماتريدي في التفسير:" ويقال: الصبو: هو الخروج عن الأمر؛ يقال: كل مَنْ خرج عن دينه فقد صبا.

وبهذا كان المشركون يُسَمون النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -: صابئا، أي: خرج مما نحن عليه." (6/ 236).

129" حيث قال: "ونحن إذا ما تتبعنا ما ورد عن لفظة صبأ وصابئ في الموارد الإسلامية نرى أن هذه الموارد تفسر ما ورد عن لفظة صبأ وصابئ في الموارد الإسلامية نرى أن هذه الموارد تفسير لفظة صبأ بمعنى خرج من شيء إلى شيء، وخرج من دين إلى دين غيره. وتذكر أن قريشًا كانت تسمي النبي صابئا، والصحابة الصباة ، أي الخارجين على دين قومهم ، فإن هذا يدل على أن المراد من الصابئة بين العرب عند ظهور الإسلام هم المنشقون الخارجون على ديانة قومهم، أي على عبادة الأوثان والمنادين بالتوحيد، واطلاق قريش لفظة الصابئ والصباة على المسلمين بدلا من تسميتهم بمسلمين قضية مهمة جدا، يجب الاهتمام بها، وفي الأخبار أمثلة كثيرة على ذلك ، ذكرت كتب الحديث والسير واللغة أن قريشًا دعت النبي صابئا، وفي جملة من دعاه بذلك عمر قبل إسلامه، ثم رمي عمر بها بعد إسلامه أيضًا. ولما أسلم أبو ذر الغفاري، انهال عليه أهل مكة بالضرب، لأنه صبأ وفتن وخرج عن دينهم. ولما أرادت زوج مطعم بن عدي خطبة ابنة أبي بكر إلى ابنها، ذكرت له أنها تخشى أن يؤثر على ولدها، فيكون من الصباة. وقد كانت لفظة الصباة والصباء بمعنى مسلمين عند المشركين، ، فالصابئون في نظر المشركين هم المسلمين، ولما ذهب سعد بن معاذ إلى معركة، أنبه أبو جهل على قدومه إليها بعد أن دخل في دين الصابئين، ولما قدم خالد بن الوليد على بني جذيمة، نادوه بأنهم صبئوا، أي دخلوا في الإسلام ويلاحظ أن الوثنيين أطلقوا هذه التسمية على كل من أسلم، وعلى كل من شكوا فيه ورأوا أنه ميال إليهم، فكانوا يرمونه بهذه التهمة. أما المسلمون، فلم يرتاحوا إليها. والظاهر أنها كانت سبة بالنسبة إليهم في ذلك العهد، بدليل إنهم كانوا يكذبون من كان يطلقها من المشركين عليهم ويرد عليهم ردا شديدا، فلما نادى جميل بن معمر الجمحي في قريش:ألا، إن ابن الخطاب قد صبأ، وذلك حين دخل في الإسلام، وشهد بذلك أمام النبي، نادى عمر من خلفه: كذب، ولكني أسلمت، وقالت قريش: صبأ عمر. ولا بد أن يكون لتكذيب عمر وغيره الوثنيين لتسميتهم المسلمين بهذه التسمية من سبب. وهو سبب يشعر أن أهل مكة إنما أطلقوها عليهم إهانة لهم وازدراء لشأنهم وعلى سبيل السبة، لأنها كانت سبة عندهم وذلك قبل الإسلام. وإلا لما انزعج المسلمون منها، وردوا على قريش بسببها ردا قبيحا. وقد رأيت أن المسلمين كانوا يفتخرون باطلاق الحنيفية عليهم، وإنهم كانوا يرون أن الحنفاء هم سلف المسلمين، وأن إبراهيم كان حنيفا وكان أول المسلمين.

فالصابئون إذن هم أولئك الخارجون على عبادة قومهم المخالفون لهم في ديانتهم شأنهم في ذلك في نظر قريش شأن من يسميهم المسلمون في أيامنا بالملحدين ، أو أي مصطلح آخر يراد به الرمي بالخروج عن دين القوم ، وذلك ازدراء بهم، وتنفيرا للناس عنهم". المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام(12/ 278)

وفي حديث عمران بن حصين أنهم كانوا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم ونفد دماؤهم فابتغوا الماء فلقوا امرأة بين مزادتين على بعير فقالوا لها : انطلقي إلى رسول الله فقالت : الذي يقال له الصابئ قالوا : هو الذين تَعنين ، وساق حديث تكثير الماء ، وكانوا يُسمُّون المسلمين الصُّبَاةَ كما ورد في خبر سعد بن معاذ : أنه كان صديقاً لأمية بن خلف وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة انطلق سعد ذات يوم معتمراً فنزل على أمية بمكة وقال لأمية : انظُر لي ساعة خلوة لعلي أطوف بالبيت فخرج به فلقيهما أبو جهل فقال لأمية يا أبا صفوان من هذا معك قال : سعد ، فقال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أوَيْتم الصُّباةَ .

الصَّابِئَةَ فِرَق متمايزة لاَ تَدْخُل إِحْدَاها فِي الأُخْرَىٰ وَإِنْ تَوَافَقَت فِي الإِسْمِ[130]:

130 من أحسن من توسع في بيان الفرق الأربعة الأولى في هذا البحث الإمام الشهرستاني في الملل والنحل ثم جاء و الإمام أبو الحسن علي بن محمد المكنى بأبي علي بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين الآمدي المتوفى عام 631هـ؛ فلخصها في "كتاب أبكار الأفكار" حقق بعضه د. أحمد المهدي ، ونقلها عنه: كتاب تاريخ الفكر الديني الجاهلي ،و لخص أيضا من كتاب السيد عبد الرازق الحسيني: "الصابئة قديما وحديثا" وقد وأشار إلى بعضها ا الإمام الرازي والآلوسي أشارة مختصرة مفيدة .

المراجع التي لخصت منها عن الصابئة هي : كتب التفسير لا سيما (التحرير والتنوير(1 / 534)، زهرة التفاسير (1/ 256). ، روح المعاني (1/ 279). الرازي(3/ 536) ، (أحكام القرآن للجصاص(2/ 413) ، القرطبي (1/ 435). البقاعي (1/ 456).

وهناك أشياء مشتركة بينها ذكرها الشهرستاني[131] بقوله: "والصابئون كلهم يصلون ثلاث صلوات، ويغتسلون من الجنابة ومن مس الميت، وحرموا أكل الجزور، والخنزير، والكلب، ومن الطير كل ما له مخلب

، الموسوعة الكويتية (26/ 299)، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام(12/ 278)، وتاريخ الفكر الديني الجاهلي محمد إبراهيم الفيومي ص256 ، الملل والنحل للشهرستاني "2/ 98"،المسعودي في التنبيه والإشراف(1/ 137): "، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أحمد بن علي العبيدي، تقي الدين المقريزي (4/ 168) الرد على المنطقيين لابن تيمية 289. ، تاريخ الفكر الديني الجاهلي محمد إبراهيم الفيومي ، كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي ، إغاثة اللهفان ابن القيم (2/ 250). " ، "كتاب أبكار الأفكار" للإمام أبو الحسن علي بن محمد المكنى بأبي علي بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين الآمدي "الصابئة قديما وحديثا" السيد عبد الرازق الحسينين، قال الآثار الباقية لأبي ريحان البيروني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (2 / 714)وهي أخذت من هذه الكتب من: الصابئة المندائيون، الليدي دراوور – مطبعة الإرشاد – بغداد – 1969م.- مندائي أو الصابئة الأقدمون، عبد الحميد عبادة – طبع في بغداد – 1927م.-الصابئة في حاضرهم وماضيهم، عبد الرزاق الحسني – طبعة لبنان – 1970م.- الكنزاربّا، وهو كتاب الصابئة الكبير ومنه نسخة في خزانة المتحف العراقي.- الفهرست، ابن النديم – طبع في القاهرة – 1348هـ. المختصر في أخبار البشر، تأليف أبي الفداء – طبع في القاهرة – 1325هـ.- الملل والنحل، للشهرستاني – طبعة لبنان – 1975م.- معجم البلدان، لياقوت الحموي – طبع في القاهر – 1906م.- مقالة لأنستاس الكرملي، مجلة المشرق – بيروت – 1901م.- مقالة لزويمر، مجلة المقتطف – القاهرة – 1897م.- مقالة لإبراهيم اليازجي، مجلة البيان – القاهرة – 1897م.- الموجز في تاريخ الصابئة المندائين العرب البائدة، لعبد الفتاح الزهيري، مطبعة الأركان ببغداد 1403هـ.- الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية، لرافد الشيخ عبد الله نجم – بغداد 1988م.- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين الرازي – القاهرة – 1356هـ.-إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – صفحة 139-148 طبعة عام 1386هـ/ 1967م،و والدمشقي في «نخبة الدهر في عجائب البحر » و كتب عنهم السيد عبد الرزاق الحسن رسالةً مطبوعة بمصر

[131] الملل والنحل" 2/ 115)

والحمام ، ونهوا عن السكر في الشراب، وعن الاختتان. وأمروا بالتزويج بولي وشهود، ولا يجوزون الطلاق إلا بحكم حاكم، ولا يجمعون بين امرأتين.

وعند تتبع كتب العقائد والتاريخ والتفسير نجد أن أشهر فرق هذه الجماعة ست فرق وهي:

الفرقة الأولى: أصحاب الروحانيات:[132]

ومذهب هؤلاء: أن للعالم صانعا، فاطرا، حكيما، مقدسا عن سمات الحدثان وهو أجل وأعلى من أن يتوصل إلى جلاله بالعبودية له والخدمة من السفليات وذوات الأنفس المنغمسة في عالم الرذائل والشهوات،. والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون، المطهرون، المقدسون جوهرا، وفعلا، وحالةً المبرءون عن القوى الجسدانية، المنزهون عن الحركات المكانية، والتغيرات الزمانية. قد جبلوا على الطهارة، المتوسطات بينه وبين السفليات في جوار رب العالمين، وهم مجبولون على تقديسه وتمجيده وتعظيمه دائما وسرمدا، فنحن نتقرب إليهم، ونتوكل عليهم، وهم أربابنا وآلهتنا، ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله ووسائلنا إلى حاجاتنا وبهم يتقرب إلى الله تعالى ، وهو رب الأرباب، وإله الآلهة رب كل شيء، ومليكه، وهي المدبرة للكواكب الفلكية والمديرة لها على التناسب المخصوص حيث يتبعها انفعالات في العناصر السفلية وحركات بعضها إلى بعض وانفعال بعضها من بعض عند الاختلاط والامتزاج المفضي إلى التركيب الموجب؛ لتنوع المركبات إلى أنواع المعادن والنباتات والحيوانات وتصريف موجودات الأعيان من حال إلى حال ومن شأن إلى شأن إلى غير ذلك من الآثار العلوية والسفلية ، وزعموا أن الكواكب الفلكية هي هياكل هذه الروحانيات وأن نسبة الروحانيات إليها في التقدير لها والتدوير، نسبة الأنفس الإنسانية إلى أبدانها، وأن لكل روحاني هيكلا يخصه ولكل هيكل فلكًا يكون فيه. فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية، ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية، حتى تحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات، فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم، ونصبو في جميع أمورنا إليهم، فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم، ورازقنا ورازقهم. وهذا التطهير

---

132 قال الشهرستاني: وفي العبارة لغتان:روحاني، بالضم؛ من الروح، وروحاني، بالفتح؛ من الروح.والروح والروح متقاربان1، فكأن الروح جوهر، والروح: حالته الخاصة به.

والتهذيب ليس يحصل إلا باكتسابنا ورياضتنا وفطامنا أنفسنا عن دنيات الشهوات، باستمداد من جهة الروحانيات. والاستمداد هو التضرع والابتهال بالدعوات، وإقامة الصلوات، وبذل الزكوات، والصيام عن المطعومات والمشروبات، وتقريب القرابين والذبائح، وتبخير البخورات، وتعزيم العزائم، فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة، بل يكون حكمنا وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة.

قالوا: والأنبياء[133] أمثالنا في النوع، وأشكالنا في الصورة، يشاركوننا في المادة، يأكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، ويساهموننا في الصورة. أناس بشر مثلنا، فمن أين لنا طاعتهم؟ وبأية مزية لهم لزمت متابعته؟ {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ}، فمدعي الرسالة من البشر فلا يمكن لهم أن يكونوا واسطة بين الناس والخالق لأنهم يقولون بالوسائط الروحانية ولا يقولون بوسيط بشري مثل وساطة الأنبياء ،[134] ، وهذا من أهم عقائدهم التي صادمهم فيها القرآن.

[133] ولكن هناك فرقة من الصابئة وهي الصابئة المندائية كما سيأتي ، يؤمنون بِبَعْضِ الأَنْبِيَاءِ، مِنْهُمْ: يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِسيدنا مُوسَى، وَلاَ بِالْمَسِيحِ، وَلاَ التَّوْرَاةِ، وَلاَ الإِنْجِيل[133] قال " السيد محمود شكري الألوسي البغدادي في كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب " (1273 – 1342 هـ = 1857 – 1924 م) وهو مؤرخ، عالم بالأدب والدين": فهؤلاء الصابئة كفروا بالأصلين اللذين جاءت بهما جميع الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم.

الأول: عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه من إله.

والثاني: الإيمان برسله وما جاءوا به من عند الله تصديقا وإقرارا وانقيادا وامتثالا.

وليس هذا مختصا بمشركي الصابئة كما غلط فيه كثير من أرباب المقالات، بل هذا مذهب المشركين من سائر الأمم، ولكن شرك الصابئة كان من جهة الكواكب والعلويات.

وإنما أرشدنا إليهم معلمنا [135]الأول 1) عاذيمون (أو غارميون ، أو أغَاثَاد يمون) 2) وهرمس[136] [137] اللذان هما أصل علم الهيئة وصناعة النجامة، فهما المعلمان الأولان، وقد أوجدا الصابئة الأولى؛ التي تدعو إلى الروحانية .

---

[135] هناك تناقض عند أصحاب الروحانيات من الصابئة الذين يقولون بعدم الحاجة إلى الرسل لأنهم يقولون إنهم أخذوا معلوماتهم من عاذيمون و هرمس فيقال لهم : بأن قالت: بم عرفتم معاشرة الصابئة وجود هذه الروحانيات؟ والحس ما دلكم عليه، والدليل ما أرشدكم إليه؟. قالوا: عرفنا وجودها، وتعرفنا أحوالها من عاذيمون، وهرمس: شيث، وإدريس عليهما السلام. قالت الحنفاء: لقد ناقضتم وضع مذهبكم. فإن غرضكم في ترجيح الروحاني على الجسماني: نفي متوسط البشري، فصار نفيكم إثباتا. وعاد إنكاركم إقرارا.

[136] روى ابن النديم عن الكندي من أنه قال:" إنه نظر في كتاب يقربه هؤلاء القوم: وهو مقالات لـ "هرمس" في التوحيد كتبها لابنه على غاية من التقائه في التوحيد –لا يجد الفيلسوف إذا اتعب نفسه مندوحة عنها وعن القول بها

[137] يرى الشهرساتاني : أن عاذيمون و هرمس هما شيث بن آدم وإدريس ، وأن هرمس أتى بالتوحيد وأنه بريء مما يقوله الصابئة من الضلال فقد قال:" حكم هرمس العظيم، لا على أنه من جملة فرق الصابئة، حاشاه، بل على أن حكمه مما تدل على تقرير مذهب الحنفاء، في إثبات الكمال في الأشخاص البشرية، وإيجاب القول بإتباع النواميس الإلهية، على خلاف مذاهب الصابئة :هرمس المحمودة آثاره، المرضية أقواله وأفعاله، الذي يعد من الأنبياء الكبار، ويقال هو إدريس النبي عليه السلام. وهو الذي وضع أسامي البروج والكواكب السيارة، ورتبها في بيوتها، وأثبت لها الشرف والوبال، والأوج والحضيض، والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع، والمقابلة والمقارنة، والرجعة والاستقامة، وبين تعديل الكواكب، وتقويمها، وأما الأحكام المنسوبة إلى هذه الاتصالات، فغير مبرهن عليها عند الجميع. ومن حكم هرمس:

قوله: أول ما يجب على المرء الفاضل بطباعه، المحمود بسنخه، المرضي في عادته، المرجو في عاقبته: تعظيم الله عز وجل، وشكره على معرفته، وبعد ذلك، فللناموس عليه حق الطاعة له، والاعتراف بمنزلته، وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد، ولنفسه عليه حق الاجتهاد، والدأب في فتح باب السعادة. ولخلصائه عليه حق التحلي لهم بالود، والتسارع إليهم بالبذل. فإذا أحكم هذه الأسس لم يبق عليه إلا كف الأذى عن العامة، وحسن المعاشرة، وسهولة الخلق".

ثم قال الشهرستاني :انظروا معاشر الصابئة: كيف عظم أمر الرسالة، حتى قرن طاعة الرسول الذي عبر عنه بالناموس بمعرفة الله تعالى. ولم يذكر ههنا تعظيم الروحانيات، ولا تعرض لها. وقال الشهرستاني في موضع آخر وهو يقسم الفرق الضالة: ثم يتلوهم، ويقرب منهم قوم يقولون بحدود وأحكام عقلية، وربما أخذوا أصولها وقوانينها من مؤيد بالوحي، إلا انهم اقتصروا على الأول منهم، وما نفذوا إلى الآخر وهؤلاء هم الصابئة الأولى، الذين قالوا بعاذيمون وهرمس، وهما: شيث وإدريس عليهما

ويقولون : إن هرمس هو أول من قسم البروج ووضع أسماءها وأسماء الكواكب السيارة ورتبها في بيوتها وبين الشرف ، والوبال والأوج والحضيض والمناظر والتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجوع والاستقامة والميل والتعديل، واستقل باستخراج أكثر الكواكب وأحوالها، وقيل إن غارميون هو شيث وهرمس وهو إدريس "عليه السلام"[138] [139]

السلام، ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء عليهم السلام. وقال عبد القاهر الإسفراييني في" الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية:" الصائبين يدعونَ نبوة هرمس" اهـ

2) وقال الإمام ابن كثير: "إن إدريس عليه السلام وهو خنوخ، قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً} . [سورة مريم، الآية: 56-57] . وقد كان قبل نوح عليه السلام، ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام أنه أوّل من تكلم عن الخطّ بالرمل، ويسمونه هرمس الهرامسة. ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء الحكماء والأولياء" البداية والنهاية (1/ 111) ، وجاء في كتاب "تخجيل من حرف التوراة والإنجيل/ صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي "(1/ 440): هرمس: وجمعه هرامس، يسمى عند العرب إدريس، وعند اليونانيين أطرسمسين، وعند العبرانيين أخنوخ، وعند الفرس: أبهجل أو اللهجد – وتفسيره – ذو عدل. وقد اشتهر من الهرامسة ثلاثة:

1- هرمس الأوّل ويسمونه: (هرمس الهرامسة) – وقد كان قبل الطوفان – وهو أخنون أو إدريس، وللصابئة شرائع يسندونها إليه، وقيل أوّل من استخرج الحكمة وعلم النجوم والطبّ.

2- هرمس الثاني: من أهل بابل الكلدانيين وكان بعد الطوفان.

3- هرمس الثالث: سكن مصر.

(انظر: الفهرست لابن النديم ص 492، الفصل لابن حزم 1/ 90، الشهرستاني 2/ 45، الكامل لابن الأثير 1/ 34، أخبار العلماء للقفطي ص 5، دائرة معارف فريد وجدي 10/ 504) .اهـ

4) وقال صاحب : الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر/ : عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة 629هـ) وهو يتكلم على الأهرامات:" وقرأت في بعض كتب الصابئة القديمة أن أحد هذين الهرمين هو قبر عاذيمون، والآخر قبر هرميس ويزعمون أنهما نبيان عظيمان، وأن (عاذيمون) أقدم وأعظم".

[138] روى ابن النديم عن الكندي من أنه قال: إنه نظر في كتاب يقربه هؤلاء القوم: وهو مقالات لـ "هرمس" في التوحيد كتبها لابنه على غاية من التقائه في التوحيد –لا يجد الفيلسوف إذا اتعب نفسه مندوحة عنها وعن القول بها

الفرقة الثانية:

أصحاب الهياكل:وهم جماعة من أصحاب الروحانيات يقرون بالألوهية، وأن للعالم صانعا فاطرا حكيما وأنه واحد حكيم مقدس عن سمات الحوادث ، من العيوب والنقائص ويعتقدون بما اعتقده أصحاب[140]

---

[139] قال الشهرستاني: ":فقالوا: الروحانيات هم الأسباب المتوسطون في الاختراع، والإيجاد، وتصريف الأمور من حال إلى حال، وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى كمال يستمدون القوة من الحضرة القديسة، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية.فمنها مدبرات الكواكب السبعة السيارة في أفلاكها، وهي هياكلها، فلكل روحاني هيكل، ولكل هيكل فلك، ونسبة الروحاني إلى ذلك الهيكل الذي اختص به، نسبة الروح إلى الجسد، فهو ربه ومدبره ومديره. وكانوا يسمون الهياكل: أربابا، وربما يسمونها: آباء، والعناصر أمهات. ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص، ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر، فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات، فيتبعها قوى جسمانية، وتركب عليها نفوس روحانية، مثل أنواع النبات وأنواع الحيوان. ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي، وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي، فمع جنس المطر ملك، ومع كل قطرة ملك" الملل والنحل (2/ 65).

[140] قال أبو ريحان البيروني في الآثار الباقية : "عن هذه الفرقة والتي بعدها : ونحن لا نعلم منهم إلا أنهم أناس يوحدون الله ، وينزهونه عن القبائح ، ويصفونه بالسلب لا الإيجاب كقولهم : لا يحد ، ولا يرى ، ولا يظلم ، ولا يجور ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازا ، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة ، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه ، ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها ، ويعظمون الأنوار ، ومن آثارهم القبة التي فوق محراب عند المقصورة من جامع دمشق ، وكان مصلاهم ، كان اليونانيون والروم على دينهم ، ثم صارت في أيدي اليهود ، فعملوها كنيستهم ، ثم تغلب عليها النصارى ، فصيروها بيعة إلى أن جاء الإسلام وأهله فاتخذوها مسجدا وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس معلومة الأشكال كما ذكرها أبو معشر البلخي في كتابه في بيوت العبادات ، مثل هيكل بعلبك كان لصنم الشمس ، وقران فإنها منسوبة إلى القمر ، وبناؤها على صورته كالطيلسان وبقربها قرية تسمى سلمسين ، واسمها القديم صنمسين ، أي صنم القمر ، وقرية أخرى تسمى ترعموز أي باب الزهرة ويذكرون أن الكعبة وأصنامها كانت لهم ، وعبدتها كانوا من جملتهم ، وأن اللات كان باسم زحل ، والعزى باسم الزهرة ، ولهم ثلاث صلوات مكتوبات . أولها : عند طلوع الشمس ثماني ركعات . والثانية : عند زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات ، وفي كل ركعة من صلاتهم ثلاث سجدات ، ويتنفلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار ، وأخرى في التاسعة من النهار . والثالثة : في الساعة الثالثة من الليل ، ويصلون على طهر ووضوء ، ويغتسلون من الجنابة ولا يختتنون إذ لم يؤمروا

الروحانيات من انه لا بد للإنسان من متوسط، لكن قالوا لا بد للمتوسط من أن يرى ويشاهد ، فيتوجه إليه، ويتقرب به، ويستفاد منه، والروحانيات ليست كذلك فلا بد من متوسط بينها وبين الإنسان، وأقرب ما إليها هياكلها فزعموا أن هذه الأرواح ساكنة في الكواكب [141] ، وكانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات، ويتقربون إلى الروحانيات تقربا إلى الباري تعالى، لاعتقادهم بأن الهياكل أبدان الروحانيات، ونسبتها إلى الروحانيات نسبة أجسادنا إلى أرواحنا، فهم الأحياء الناطقون بحياة الروحانيات، وهي تتصرف في أبدانها تدبيرا، وتصريفا، وتحريكا، كما نتصرف في أبداننا. ولاشك أن من تقرب إلى شخص فقد تقرب إلى روحه.

ففزعوا إلى هياكل الأرواح وهي السيارات السبع ، وبعضهم إلى البروج الاثني عشر والقمر وبعض النجوم[142] الأخرى أيضا ، يعبدونها يصوّرونها في هياكلهم (أماكن العبادة)، ويتعرفون بيوتها ومنازلها، و مطالعها ومغاربها و اتصالاتها على أشكال الموافقة والمخالفة مرتبة على طبائعها، وتقسيم الأيام والليالي والساعات عليها، وتقدير الصور والأشخاص والأقاليم والأمصار عليها ، فعملوا الخواتيم، وتعلموا العزائم والدعوات، وعينوا ليوم زحل مثلا يوم السبت، وراعوا فيه ساعته الأولى وتختموا بخاتمه المعمول على صورته وهيئته وصنعته، ولبسوا اللباس الخاص به، وتبخروا ببخوره الخاص، ودعوا بدعواته الخاصة به، وسألوا حاجتهم منه: الحاجة التي تستدعي من زحل، من أفعاله وآثاره الخاصة به ، وكذلك رفع الحاجة التي تختص بالمشتري في يومه وساعته وجميع الإضافات التي ذكرنا إليه. وكذلك سائر الحاجات إلى الكواكب. وكانوا يسمونها أربابا آلهة، والله تعالى هو رب الأرباب، وإله الآلهة. ومنهم من جعل الشمس إله الآلهة، ورب الأرباب.

بذلكولهم قرابين متعلقة بالكواكب وأصنامها وهياكلها وذبائح يتولاها كهنتهم وفاتنوهم ، ويستخرجون من ذلك علم ما عسى يكون المقرب وجواب ما يسأل عنه".

141 و وروي عن الحسن وقتادة إنهم عَبدوا الملائكةَ وكذلك قال الخليل و السمين الحلبي.

142 قال الواحدي في الوسيط:" وهم قوم كانوا يعبدون النجوم ويعظمونها".(1/ 149)

ثم استخرجوا من عجائب الحيل المرتبة على عمل الكواكب ما كان يقضي منهم العجب. وهذه الطلسمات[143] المذكورة في الكتب، والسحر، والكهانة، والتنجيم، والتعزيم، والخواتيم، والصور كلها من علومهم ، وزعموا أن هذه الروحانيات تنزل إلى النفوس الإنسانية وتتصل بها بمقدار ما تقترب نفوس البشر من طبيعة الروحانيات، قالوا فالواجب علينا أن نتقرب إليه بتوسطات الروحانيات المقربة منه المقدسة عن المواد الجسمانية، وعن القوى الجسدانية المجبولة على الطهارة،ولأجل نزول تلك الروحانيات على النفوس البشرية وحصول المناسبة بيننا وبين الروحانيات، واتصال أرواحهم بتلك الروحانيات يتعين تزكية النفس بتطهيرها وتهذيب أخلاقها من آثار القوى الشهوانية والغضبية بقدر الإمكان والإقبال على العبادة بالتضرع إلى الأرواح بالتضرع والابتهال بالدعوات: من الصلوات. والزكوات، وذبح القرابين، والبخورات، والعزائم، وبتطهير الجسم والصيام والصدقة والطيب ، وألزموا أنفسهم فضائل النفس الأربع الأصلية (وهي العفة والعدالة والحكمة والشجاعة) والأخذَ بالفضائل الجزئية (المتشعبة عن الفضائل الأربع وهي الأعمال الصالحة) وتجنب الرذائل الجزئية (وهي أضداد الفضائل وهي الأعمال السيئة) ، فقالوا حينئذ نسأل حاجتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم، ونصبوا في جميع أمورنا إليهم، فيشفعون لنا إلى إلهنا وإلههم. قالوا وحينئذ يحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة الرسل، بل نأخذ من المعدن الذى أخذت منه الرسل. فيكون حكمنا وحكمهم واحدا: ونحن وإياهم بمنزلة واحدة فنحن نتقرب إليهم، ونتقرب بهم إلى الله ، فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عند رب الأرباب وإله الآلهة. فما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ،وهم يَعْتَقِدُونَ تَأْثِيرَها أي الكواكب ، وَأَنَّهَا فَعَّالَةٌ[144]، وقد بنوا هياكل

---

[143] الطلسم: خطوط أو كتابة، يستعملها الساحر ويزعم أن يدفع بها كل مؤذ: واصل الكلمة يونانية.

[144] وربما احتجوا على وجود هذه المدبرات وأنها أحياء ناطقة بأن حدوث العالم؛ إذ الكلام فيه إما أن يكون مستندا إلى حادث أو قديم، ولا جائز أن يكون مستندا إلى حادث؛ إذ الكلام فيه كالكلام في الأول، والتسلسل والدور محالان، فلم يبقَ إلا أن يكون مستندا إلى ما في نفسه قديم، وذلك القديم إما أن يكون موجبا لذاته أو بالاختبار، فإن كان الأول فإما أن يكون كل ما لا بد منه في إيجاد الحوادث متحققا معه، أو أنه متوقف على تجدد، فإن كان الأول فيلزم قدم المعلوم والقدم علته وشرطه، وإن كان الثاني فالكلام في تحديد ذلك الأمر كالكلام في الأول، وهو تسلسل، فلم يبقَ إلا أن يكون فاعلا مختارا، وليس في عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار إلا الأفلاك والكواكب؛ ولذلك حكموا بأنها أحياء ناطقة[144]، وقد بنوا هياكل للكواكب لتكون مهابط لأرواح الكواكب وهي المتعبدات الكبار، كالكنائس للنصارى والبيع لليهود.

للكواكب لتكون مهابط لأرواح الكواكب وهي المتعبدات الكبار، كالكنائس للنصارى والبيع لليهود، وحرصوا على تطهيرها وتطييبها لكي تألفها الروحانيات وقد يجعلون للكواكب تماثيل من الصور يتوخون فيها محاكاة صور الروحانيات بحسب ظنهم ، وقد يجعلون للكواكب تماثيل من الصور يتوخون فيها محاكاة صور الروحانيات بحسب ظنهم ، قال الشهرستاني في الملل والنحل: وأما الهياكل التي بناها الصابئة على أسماء الجواهر العقلية الروحانية، وأشكال الكواكب السماوية [145].

، فمنها: هيكل العلة الأولى، ودونها هيكل العقل، وهيكل السياسة، وهيكل الصورة، وهيكل النفس. مدورات الشكل.وهيكل زحل مسدس، وهيكل المشتري مثلث، وهيكل المريخ مربع مستطيل، وهيكل الشمس مربع، وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع، وهيكل عطارد مثلث في جوفه مربع مستطيل، وهيكل القمر مثمن ، قال ابن تيمية: وكان

بحران هيكل العلة و هيكل العقل الأول هيكل النفس الكلية هيكل زحل هيكل المشتري هيكل المريخ هيكل الشمس، وكذلك الزهرة وعطارد والقمر .

قال الآلوسي رحمه الله ملخصا مذهبهم: "(والصابئون): هم قوم مدار مذاهبهم على التعصب للروحانيين واتخاذهم وسائط ولما لم يتيسر لهم التقرب إليها بأعيانها والتلقي منها بذواتها فزعت جماعة منهم إلى هياكلها ،

---

[145] ، وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان: "ولتلك الكواكب عندهم هياكل مخصوصة، وهى المتعبدات الكبار، كالكنائس للنصارى والبيع لليهود.فلهم هيكل كبير للشمس، وهيكل للقمر، وهيكل للزهرة، وهيكل للمشترى، وهيكل للمريخ، وهيكل لعطادر، وهيكل لزحل وهيكل للعلة الأولى.ولهذه الكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة. ويصورونها فى تلك الهياكل" (2/ 250).

فصابئة الروم مفزعها السيارات ، وصابئة الهند مفزعها الثوابت ، فهذه الفرقة هم عبدة الكواكب وهم أصناف شتى مختلفون في الاعتقادات والتعبدات" [146].اهـ

وقد بين الإمام الرازي أن من فرقهم من يوحد الله سبحانه لكنه يعظم الكواكب ولا يعبدها ومنهم من يعبدها.

و قال الإمام الفخر الرازي[147] وهو يذكر الأقوال في الصابئة :ثالثها : وهو الأقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب ، ثم لهم قولان . الأول : أن خالق العالم هو الله سبحانه ، إلا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم . والثاني : أن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب ، ثم إن الكواكب هي المدبرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض ، والخالقة لها فيجب على البشر تعظيمها لأنها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم ثم إنها تعبد الله سبحانه ، وهذا المذهب هو القول المنسوب إلى الكلدانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام رادا عليهم ومبطلا لقولهم"

وقال البقاعي : "{ والصابئين } المنكرين للرسالة في الصورة البشرية القائلين بالأوثان السماوية والأصنام الأرضية متوسطين إلى رب"[148].

وقال القرطبي [149]:"والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض علمائنا أنهم موحدون معتقدون تأثير النجوم وأنها فعالة ، ولهذا أفتى أبو سعيد الاصطخري القادر بالله بكفرهم حين سأله عنهم" يقول علي هاني : ذكر جماعة من العلماء أن هناك فرقة من الصابئة تعظم الكواكب ولا تعبدها فهي تجعلها كالكعبة وعلى هذه الفرقة يحمل كلام أبي حنيفة رحمه الله في إجرائهم كأهل الكتاب ؛لأنهم لا يعبدون الكواكب ، وَلَكِنْ يُعَظِّمُونَهَا كَتَعْظِيمِ الْمُسْلِمِينَ لِلْكَعْبَةِ فِي الِاسْتِقْبَالِ إِلَيْهَا" [150]

---

[146] روح المعاني (1/ 279).

[147] الرازي (3/ 536).

[148] البقاعي (1/ 456).

[149] القرطبي (1/ 435).

[150] وهناك قول ضعيف يقول إنهم لم يكن اسمهم الصابئة فقد ذَكَرَهُمُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي فَهْرَسَتِهِ، وَذَكَرَ قُرَاهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ وَمَعَابِدَهُمْ، وَنَقَلَ عَنِ الْمُؤَلِّفِينَ النَّصَارَى: أَنَّهُمْ لَمْ يَكُنِ اسْمُهُمُ الصَّابِئَةَ، وَأَنَّ الْمَأْمُونَ مَرَّ بِدِيَارِ مُضَرَ فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ، وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحَرْنَانِيِّينَ،

****

الفرقة الثالثة:أصحاب الأشخاص [151]

وهؤلاء زعموا أنه إذا كان لا بد من متوسط مرئي والكواكب وإن كانت مرئية إلا أنها قد تُرىٰ في وقت دون وقت؛ لطلوعها وأفولها وظهورها وصفائها نهارا،، فلم يصف لنا التقرب بها، والتوجه إليها، فدعت الحاجة إلىٰ وجود أشخاص مشاهدة نصب أعيينا، تكون لنا وسيلة إلىٰ الهياكل التي هي وسيلة إلىٰ الروحانيات، التي هي وسيلة إلىٰ الله تعالىٰ، فاتخذوا بذلك أصناما وصورا علىٰ صور الهياكل السبعة، كل صنم من جسم مشارك في طبيعته لطبيعة ذلك الكوكب، فدعوه وسألوه بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكان واللبس والتختم، بما يناسبه والتحيز المناسب له، من اتصال محمود يؤثر في نجاح المطالب التي تستدعي منه. فتقربوا

فَأَنْكَرَ الْمَأْمُونُ زِيَّهُمْ. فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا يَهُودًا وَلاَ نَصَارَىٰ وَلاَ مَجُوسًا أَنْظَرَهُمْ إِلَىٰ رُجُوعِهِ مِنْ سَفْرَتِهِ، وَقَال: إِنْ أَنْتُمْ دَخَلْتُمْ فِي الإِسْلاَمِ، أَوْ فِي دِينٍ مِنْ هَذِهِ الأَدْيَانِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَإِلاَّ أَمَرْتُ بِقَتْلِكُمْ. وَرَحل عَنْهُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الرُّومِ، وَهِيَ رِحْلَتُهُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا. فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَنَصَّرَ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ شِرْذِمَةٌ عَلَىٰ دِينِهِمْ، احْتَالُوا بِأَنْ سَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ الصَّابِئَةَ، لِيَسْلَمُوا وَيَبْقَوْا فِي الذِّمَّةِ ، . وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ لَمْ يَكُنِ اسْمُهُمُ الصَّابِئَةَ أَوَّلاً، وَأَنَّهُمْ تَسَمَّوْا بِذَلِكَ فِي آخِرِ عَهْدِ الْمَأْمُونِ، وَأَفَادَ الْبَيْرُونِيُّ: أَنَّ هَذِهِ النِّحْلَةَ هِيَ نِحْلَةُ فَلاَسِفَةِ الْيُونَانِيِّينَ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قَبْل النَّصْرَانِيَّةِ، وَأَنَّ مِنْ فَلاَسِفَتِهَا: فِيثَاغُورْسُ، وَأَغَاذِيمُونُ، وَوَالِيسُ، وَهُرْمُسُ، وَكَانَتْ لَهُمْ هَيَاكِل بِأَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ، وَأَنَّ الْيُونَانِيِّينَ، وَمِنْ بَعْدِهِمُ الرُّومَانُ، كَانُوا عَلَىٰ هَذِهِ النِّحْلَةِ، ثُمَّ لَمَّا غَلَبَتِ النَّصْرَانِيَّةُ عَلَىٰ بِلاَدِ الرُّومِ وَالْيُونَانِ وَتَنَصَّرَ أَهْل هَذِهِ النِّحْلَةِ: بَقِيَ عَلَيْهَا مِنْ أَهْل الْمَشْرِقِ بَقَايَا، وَلَمْ يَكُنِ اسْمُهُمُ الصَّابِئَةَ، وَإِنَّمَا تَسَمَّوْا بِذَلِكَ فِي عَصْرِ الْمَأْمُونِ سَنَةَ 228 هـ ، وَهُمْ لَيْسُوا مِنَ الصَّابِئَةِ فِي الْحَقِيقَةِ، بَل حَقِيقَةُ الصَّابِئَةِ هُمُ الْفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ " اهـ وهذا قول ضعيف، فَدَعْوَىٰ أَنَّ الْحَرَّانِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَكُونُوا يَتَسَمَّوْنَ الصَّابِئَةَ حَتَّىٰ كَانَ عَهْدُ الْمَأْمُونِ، دَعْوَىٰ هِيَ مَوْضُوعُ شَكٍّ – وَإِنْ دَرَجَ عَلَيْهَا بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ – فَإِنَّ كُتُبَ الْحَنَفِيَّةِ، تَنْسُبُ إِلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ: أَنَّ الصَّابِئَةَ الَّذِينَ يُعَظِّمُونَ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ لَيْسُوا مُشْرِكِينَ؛ بَل هُمْ أَهْل الْكِتَابِ؛ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ تِلْكَ الْكَوَاكِبَ، بَل يُعَظِّمُونَهَا كَتَعْظِيمِ الْمُسْلِمِينَ الْكَعْبَةَ، وَأَنَّ صَاحِبَيْهِ قَالاَ: بَل هُمْ كَعُبَّادِ الأَوْثَانِ وَأَبُو حَنِيفَةَ كَانَ قَبْل الْمَأْمُونِ فَإِنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ 150 وَالْمَأْمُونُ سَنَةَ 218 هـ. وَكَلاَمُهُ وَكَلاَمُ صَاحِبَيْهِ مُنْصَبٌّ عَلَىٰ الْحَرَّانِيِّينَ؛ فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ، مِمَّا يَدُل عَلَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي زَمَانِهِ مُسَمَّيْنَ بِاسْمِ الصَّابِئَةِ.

[151] قَال الْجَصَّاصُ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ: و"هَذِهِ الْفِرْقَةُ تَسَمَّتْ بِالصَّابِئَةِ، وَهُمُ الْفَلاَسِفَةُ الْحَرَّانِيُّونَ الَّذِينَ بِنَاحِيَةِ حَرَّانَ ، وَهُمْ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ، وَلاَ يَنْتَمُونَ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَلاَ يَنْتَحِلُونَ شَيْئًا مِنْ كُتُبِ اللهِ، فَهَؤُلاَءِ لَيْسُوا أَهْل كِتَابٍ.(أحكام القرآن للجصاص(2/ 413).

إليه في يومه وساعته، وتبخروا بالبخور الخاص به، وتختموا بخاتمه، ولبسوا لباسه، وتضرعوا بدعائه، وعزموا بعزائمه، وسألوا حاجتهم منه فيقولون: إنه كان يقضي حوائجهم بعد رعاية الإضافات كلها. وذلك هو الذي أخبر التنزيل عنهم أنهم عبدة الكواكب والأوثان. . وأصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان، إذ سموها آلهة في مقابلة الآلهة السماوية، وقالوا: {هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّه}

قال الآلوسي[152]: مبينا أنهم فرقة من الروحانيين:"(والصابئون): هم قوم مدار مذاهبهم على التعصب للروحانيين واتخاذهم وسائط ولما لم يتيسر لهم التقرب إليها بأعيانها والتلقي منها بذواتها فزعت جماعة منهم إلى هياكلها ، فصابئة الروم مفزعها السيارات ، وصابئة الهند مفزعها الثوابت ، وجماعة نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن أحد شيئاً ـ أي الاصنام ـ فالفرقة الأولى : هم عبدة الكواكب ، والثانية : هم عبدة الأصنام وكل من هاتين الفرقتين أصناف شتى مختلفون في الاعتقادات والتعبدات ."اهـ

وقد ناظر سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام كلاً من أصحاب الهياكل وأصحاب الأشخاص، وكسر مذاهبهم ، فابتدأ بكسر مذاهب أصحاب الأشخاص والهياكل، وله:تَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ، وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}153 ، ثم عدل إلى كسر مذاهب أصحاب الهياكل، كما أراه الله تعالى الحجة على قومه، قال

---

[152] روح المعاني (1/ 279)

[153] قال الشهرستاني:" مناظرات إبراهيم الخليل لأصحاب الهياكل وأصحاب الأشخاص، وكسره مذاهبهما:وقد ناظر الخليل عليه السلام هؤلاء الفريقين.فابتدأ بكسر مذاهب أصحاب الأشخاص، وذلك قوله تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} ، وتلك الحجة أن كسرهم قولا بقوله: {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ، وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} ولما كان أبوه آزر هو أعلم القوم بعمل الأشخاص والأصنام، ورعاية الإضافات النجومية فيها حق الرعاية، ولهذا كانوا يشترون منه الأصنام لا من غيره كان أكثر الحجج معه، وأقوى الإلزامات عليه، إذ قال عليه السلام لأبيه آزر: {أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} 3، وقال: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} 1 لأنك جهدت كل الجهد، واستعملت كل العلم حتى عملت أصناما في مقابلة الأجرام السماوية، فما بلغت قوتك العلمية والعملية إلى أن تحدث فيها سمعا وبصرا، وأن تغني عنك، وتضر وتنفع. وأنت بفطرتك وخلقتك أشرف درجة منها، لأنك

خلقت سميعا بصيرا، نافعا، ضارا، والآثار السماوية فيك أظهر منها في هذا المتخذ تكلفا والمعمول تصنعا، فيالها من حيرة! إذ صار المصنوع! {يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ} ثم دعاه إلى الحيفية الحقة. قال: {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} 3 {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ} ؟ 4 فلم تقبل حجته القولية: فعدل عليه السلام عن القول إلى الكسر للأصنام بالفعل، {فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ} 5، فقالوا: {مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا} 6 {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ 7، فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ 8، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ} 9 فافحمهم بالفعل، حيث أحال الفعل على كبيرهم، كما أفحمهم بالقول، حيث أحال الفعل منهم. وكل ذلك على طريق الإلزام عليهم، وإلا فما كان الخليل كاذبا قط.

ثم عدل إلى كسر مذاهب أصحاب الهياكل، وكما أراه الله تعالى الحجة على قومه، قال {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} فأطلعه على ملكوت الكونين والعالمين تشريفا له على الروحانيات وهياكلها. وترجيحا لمذهب الحنفاء على مذهب الصابئة، وتقريرا أن الكمال في الرجال، فأقبل على إبطال مذهب أصحاب الهياكل {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي} على ميزان إلزامه على أصحاب الأصنام {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} ، وإلا فما كان الخليل عليه السلام كاذبا في هذا القول، ولا مشركا في تلك الإشارة.

ثم استدل بالأفول والزوال، والتغير، والانتقال، على أنه لا يصلح أن يكون ربا إلها. فإن الإله القديم لا يتغير، وإذا تغير احتاج إلى مغير، هذا لو اعتقدتموه ربا قديما، وإلها أزليا، ولو اعتقدتموه واسطة، وقبلة، وشفيعا، ووسيلة، فإن الأفول، الزوال، يخرجه أيضا عن حد الكمال. وعن هذا ما استدل عليه بالطلوع، وإن كان الطلوع أقرب إلى الحدوث من الأفول، فإنهم إنما انتقلوا إلى عمل الأشخاص لما عراهم من التحير بالأفول، فأتاهم الخليل عليه السلام من حيث تحيرهم، فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته، وذلك أبلغ في الاحتجاج.

ثم لما {رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} ، فيا عجبا مما لا يعرف ربا كيف يقول {لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} رؤية الهداية من الرب تعالى غاية التوحيد، ونهاية المعرفة، والواصل إلى الغاية والنهاية، كيف يكون في مدارج البداية؟! ـــ فإن الموافقة في العبارة على طريق الإلزام على الخصم من أبلغ الحجج، وأوضح المناهج، وعن هذا قال: {فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ} لاعتقاد القوم أن الشمس ملك الفلك، وهو

{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} في الآيات التي ذكرت في سورة الانعام{ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي} الآيات.

قال الجصاص: " وَفِرْقَةٌ أُخْرَىٰ قَدْ تَسَمَّتْ بِالصَّابِئِينَ، وَهُمْ الْحَرَّانِيُّونَ الَّذِينَ بِنَاحِيَةِ حَرَّانَ، وَهُمْ عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ، وَلَا يَنْتَمُونَ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَنْتَحِلُونَ شَيْئًا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا أَهْلَ الْكِتَابِ. وَلَا خِلَافَ أَنَّ هَذِهِ النِّحْلَةَ لَا تُؤْكَلُ ذَبَائِحُهُمْ، وَلَا تُنْكَحُ نِسَاؤُهُمْ"[154].

رب الأرباب الذي يقتبسون منه الأنوار، ويقبلون منه الآثار، {فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

قرر مذهب الحنفاء، وأبطل مذهب الصابئة، وبين أن الفطرة هي الحنيفية، وأن الطهارة فيها، وأن الشهادة بالتوحيد مقصورة عليها وأن النجاة والخلاص متعلقة بها، وأن الشرائع والأحكام مشارع ومناهج إليها. وأن الأنبياء والرسل مبعوثون لتقريرها وتقديرها. وأن الفاتحة والخاتمة والمبدأ والكمال منوطة بتحصيلها وتحريرها {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}، والصراط المستقيم، والمنهج الواضح، والمسلك اللائح، قال الله تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه سلم {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ، مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} .

[154] أحكام القرآن (3/ 118) (2/ 413).

الفرقة الرابعة: الحلولية ، وقد سماها ابن بطوطة والشهرستاني وغيرهما من ثقات المؤرخين بالحرنانية[155]:

قالوا: إن الصانع المعبود واحد وكثير: أما واحد، ففي الذات، والأول، والأصل، والأزل ، وأما كثير، فلأنه يتكثر بالأشخاص في رأي العين، وهي المدبرات السبعة والأشخاص الأرضية الخيرة، العاملة، الفاضلة. فإنه يظهر بها، ويتشخص بأشخاصها، ولا تبطل وحدته في ذاته ، فالإله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ويتشخص بأشخاصها من غير تعدد في ذاته، وقد يظهر أيضا في الأشخاص الأرضية الخيرة الفاضلة وهي ما كان من المواليد قال المقريزي: والحرّانية: ومن قولهم المعبود واحد بالذات وكثير بالأشخاص في رأي العين، وهي المدبرات السبع من الكواكب والأرضية الجزئية والعالمة الفاضلة[156].

1. زعموا أن الإله المعبود واحد في ذاته أبدع الفلك وجميع ما فيه من الأجرام والكواكب، وجعلها مدبرات هذا العالم، وهم الآباء والعناصر أمهات، والمركبات مواليد. والآباء أحياء ناطقون، يؤدون الآثار إلى العناصر فتقبلها العناصر في أرحامها، فيحصل من ذلك المواليد. ثم من المواليد قد يتفق

---

[155] جاء في كتاب اتاريخ الفكر الديني الجاهلي: " حران مدينة من مدن العراق عرفت مدرستها في التاريخ الفكري بأنها مدرسة وثنية، كانت ذات أهمية كبرى لمرور طرق القوافل، وأن اشتقاق اسم المدينة في البابلية هو: "حرانو" أو "حرانو" تعني الطريق.كما اشتهرت في التوراة في سفر التكوين: 24، 4، 29، 21، وقد كانت الموطن الأصلي للآباء العبرانيين الأوائل قبل ذهابهم إلى فلسطين.والمرجح كثيرًا أن إبراهيم وأحفاده كانوا من سكان أراضي هذه المنطقة كما تشير إلى ذلك التوراة نفسها في هذا المركز عاشت الصابئة ، فمدرسة حران عرفت وتخصصت في الوثنية ولا نرى مؤلفا أو باحثا في تاريخ الفكر العربي يذكرها دون أن يصفها بالوثنية وكانت إلى جانب هذا نقطة مهمة للتبادل والاتصال، أما أهلها فكانت الغالبية منهم وثنيين يعبدون الكواكب مما دفعهم إلى ملاحظة السماء والتعمق في الدراسات الفلكية (303).

[156] قسم ابن تيمية الحرنانيين إلى قسمين" : قال : وأما قدماء الفلاسفة الذين كانوا يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً ويؤمنون بأن الله محدث لهذا العالم ويقرون بمعاد الأبدان، فأولئك من الصابئة الحنفاء الذين أثنى الله عليهم" الرد على المنطقيين 289.

شخص مركب من صفوها دون كدرها ويحصل له مزاج كامل الاستعداد، فيتشخص الإله به في العالم[157].

2. وزعموا أن الله تعالى أجل من أن يخلق الشرور، والقبائح، والأقذار، والخنافس، والحيات، والعقارب. بل هي كلها واقعة ضرورة عن اتصالات الكواكب سعادة، ونحوسة، واجتماعات العناصر صفوة، وكدورة.. فما كان من سعد، وخير وصفو، فهو المقصود من الفطرة، فينسب إلى الباري تعالى. وما كان من نحوسة، وشر، وكدر، فهو الواقع ضرورة، فلا ينسب إليه، بل هي إما اتفاقيات، وضروريات، وإما مستندة إلى أصل الشرور، والاتصال المذموم.
3. زعموا أيضا أنه على رأس ستة وثلاثين ألف وسنة أربعمائة وخمس وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر وكذا إلى ما يتناهى، وأن الثواب والعقاب على أفعال الخير والشر كل دور واقع لكن في الدور الذي بعده في هذه الدار لا غيرها ، فطبيعة الكل تحدث في كل إقليم من الأقاليم المسكونة على رأس كل سنة وثلاثين ألف سنة وأربعمائة وخمس وعشرين سنة: زوجين من كل نوع من أجناس الحيوانات، ذكرا أو أنثى، من الإنسان وغيره، فيبقى ذلك النوع تلك المدة. ثم إذا انقضى الدور بتمامه انقطعت الأنواع: نسلها، وتوالدها، فيبتدأ دور آخر، ويحدث قرن آخر من الإنسان، والحيوان، والنبات وكذلك أبد الدهر. وإنما نشأ أصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم، فإن التناسخ هو أن تتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية له، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول. والثواب والعقاب في هذه الدار، لا في دار أخرى لا عمل فيها فلا يوم قيامة ولا بعث ولا حساب ي الآخرة ، والأعمال التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية. فالراحة، والسرور، والفرح، والدعة التي نجدها هي مرتبة على أعمال البر التي سلفت منا في الأدوار

---

[157] وأما الحلول فهو التشخص الذي ذكرناه، وربما يكون ذلك بحلول ذاته، وربما يكون بحلول جزء من ذاته، على قدر استعداد مزاج الشخص.وربما قالوا إنما تشخص بالهياكل السماوية كلها، وهو واحد، وإنما يظهر فعله في واحد واحد بقدر آثاره فيه، وتشخصه به.فكأن الهياكل السبعة أعضاؤه السبعة. وكأن أعضاءنا السبعة هياكله السبعة فيها يظهر، فينطق بلساننا، ويبصر بأعيننا، ويسمع بآذاننا، ويقبض ويبسط بأيدينا، ويجيء ويذهب بأرجلنا، ويفعل بجوارحنا.

الماضية، والغم والحزن، والضنك، والكلفة التي نجدها هي مرتبة على أعمال الفجور التي سبقت منا، وكذلك كان في الأول. وكذا يكون في الآخر[158].

وهذه الفرق الأربعة قد انقرضت وقد بين كيفية انقراضهم ابن عاشور وأبو زهرة ، وذكرا كيف نشأت الفرقة الخامسة:

قال ابن عاشور[159]:" وَكَانَ أَهْلُ هَذَا الدِّينِ نَبَطًا فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ. فلما ظهر الفرس على إقليم العراق أزالوا مملكة الصابئين ومنعوهم من عبادة الأصنام فلم يجسروا بعد على عبادة أوثانهم ، وكذلك منع الروم أهلَ الشام والجزيرة من الصابئين فلما تنصر قسطنطين حملهم بالسيف على التنصر فبطلت عبادة الأوثان منهم من ذلك الوقت ، وتظاهروا بالنصرانية فلما ظهر الإسلام على بلادهم اعتبروا في جملة النصارى وقد كانت صابئة بلاد كَسْكَر والبَطَائح معتبرين صنفاً من النصارى ينتمون إلى النبيء يحيى بن زكريا ومع ذلك لهم كتب يزعمون أن الله أنزلها على شيث بن آدم ويسمونه (أغاثاديمون) ، والنصارى يسمونهم يُوحَنَّاسِية (نسبة إلى يوحنا وهو يحيى)".

وقال أبو زهرة[160] : "الصابئون الذين ظهروا في الإسلام وقبله هم أكتم الناس لعبادة الأوثان، ويعلمون صبيانهم كتمانها، وقد قال عنهم أبو بكر الرازي في كتابه أحكام القرآن: وأصل اعتقادهم تعظيم الكواكب السبعة أو عبادتها واتخاذها آلهة، وهم عبدة أوثان في الأصل إلا أنهم منذ ظهر الفرس على إقليم العراق،

---

[158] هذه الفرقة تتشابه مع ما سماه كتاب "تاريخ العرب الديني" صابئة الهند حيث قال: ": صابئة الهند:صابئة الهند منزعها الثوابت من حيث إنهم رابطوا عبادتهم بزحل وزحل من شأنه البقاء والثبوت وهم الذين قالوا بالتناسخ والحلول.1- التناسخ: يعني لديهم أن تتكرر الأدوار والأطوار إلى ما لا نهاية ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول.وأن الثواب والعقاب سيحدث في هذه الدار لا في دار أخرى لا عمل فيها.2- الحلول: يعني لديهم أن الشخص ربما يحدث ذلك منه بحلول ذاته وربما يكون بحلول جزء من ذاته على قدر استعداد المزاج الشخصي.والهياكل تحل فيه، فينطق بلسانها ويبصر بعينها ويسمع بآذانها ويقبض بيدها ويبسط بها"

159 (1/ 534).

[160] زهرة التفاسير (1/ 256).

وأزالوا مملكة الصابئين لم يجسروا على عبادة الأوثان ظاهرا، لأنهم منعوهم من ذلك، وكذلك الروم وأهل الشام والجزيرة كانوا صابئين، فلما تنصر قسطنطين حملهم بالسيف على الدخول في النصرانية، فبطلت عبادة الأوثان من ذلك الوقت، ودخلوا في غمار النصارى في الظاهر، وبقي كثير منهم على تلك النحلة مستخفين بعبادة الأوثان، فلما ظهر الإسلام دخلوا في غمار النصارى، ولم يميز المسلمون بينهم وبين النصارى، إذ كانوا مستخفين بعبادة الأوثان، كاتمين لأصل اعتقادهم، وهم أكتم الناس لاعتقادهم، فالصابئة يعبدون الكواكب والأوثان، ويظهرون بالنصرانية، هذا ما يجب بيانه هنا، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابنا تاريخ الجدل".

الفرقة الخامسة:

(الْمَنْدَائِيُّونَ) ويسمون ، الصابئة المندائية[161] و"الصابئة المغتسلة " ويسميهم النصارى يُوحَنَّاسِيَةَ (نِسْبَةً إِلَى يُوحَنَّا وَهُوَ يَحْيَى) و يبرءون منهم [162]، وهي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم .

- يزعمون أن يحيى عليه السلام هو نبيهم الذي أرسل إليهم.
- وفيهم رأيان: فموسوعة الأديان والفرق ترى: أن هؤلاء كانوا يقيمون في القدس، وبعد الميلاد طردوا من فلسطين فهاجروا إلى مدينة حران ويرى المسعودي والبيروني وابن عاشور أنهم كلدانيون[163].

---

161 جاء في كتاب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل / صالح بن الحسين الجعفري:" الصابئة المندائيون: ويزعمون أنهم أتباع النبيّ يحيى عليه السلام. ويُقَدَّر عددهم حالياً بعشرة آلاف شخص تقريباً معظمهم في العراق وإيران. والصابئة يقدسون الكواكب والنجوم، ويعتبر الاتّجاه نحو القطب الشمالي والتعميد في المياه الجارية من أبرز معالم ديانتهم".

162 قال الإمام الجصاص: وَالْفِرَقُ الثَّلَاثُ مِنْ النَّسْطُورِيَّةِ وَالْمَلْكِيَّةِ وَالْيَعْقُوبِيَّةِ يبرءون منهم ويحرمونهم.

163 قال المسعودي في التنبيه والإشراف(1/ 137):" والكلدانيون وهم البابليون الذين بقيتهم في هذا الوقت بالبطائح بين واسط والبصرة في قرايا هناك وتوجههم في صلاتهم إلى القطب الشمالي والجدي"، وقال البيروني يصف أقواما شبيها حالهم بهؤلاء فيقول: "وقد قيل : إن هؤلاء الحرانية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة ، بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والوثنية ، فإن

- تأثروا هناك بمن حولهم من صابئة حران فأخذوا عنهم عبادة الكواكب والنجوم وتأليهها [164] أو على الأقل تقديس هذه الكواكب وتعظيمها [165]، فهم يقدّسون الكواكب والنجوم ويعظمونها.

الصابئة هم الذين تخلفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيام كورش وأيام أرطحشست إلى بيت المقدس ، ومالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بخت نصر ، فذهبوا مذهبا ممتزجا من المجوسية واليهودية ، كالسامرة بالشام ، وقد توجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهري الصلة منتمين إلى أنوش بن شيث ، ومخالفين للحرانية ، عائبين مذاهبهم ، لا يوافقونهم إلا في أشياء قليلة ، حتى أنهم يتوجهون في الصلاة إلى جهة القطب الشمالي والحرانية إلى الجنوبي" قال ابن تيمية في الفتاوى: وَقَدْ كَانَ بَقَايَا الصَّابِئَةِ أَعْدَاءِ إبْرَاهِيمَ إمَامِ الْحُنَفَاءِ بِنَوَاحِي الْبَطَائِحِ مُنْضَمِّينَ إلَى مَنْ يُضَاهِيهِمْ مِنْ نَصَارَى الدَّهْمَاءِ. وَبَيْنَ الصَّابِئَةِ وَمَنْ ضَلَّ مِنْ الْعِبَادِ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى هَذَا الدِّينِ نَسَبٌ يَعْرِفُهُ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ الْمُبِينَ.".(مجموع الفتاوى (11/ 455) .

[164] وقد ذكر تأليههم لها عبد الرازق الحسيني في كتابه الصابئة قديما وحديثا ص25، 26 حيث قال:" صابئة البطائح:"يعيش بين ظهرانينا في العراق قسم من الناس لهم تقاليدهم، وعاداتهم ولغتهم، ويكادون يكونون ممتازين في كل مظاهر حياتهم حتى بأشكالهم وسحنة وجوههم، ويطلق عليهم اسم "الصابئة" وقد يكون هؤلاء هم الصابئة الأصليون وقد.لا يكونون، إلا أن الشيء المحقق هو أن قسما كبيرا من عبادة الصابئة من القدماء وطقوس دينهم، بارزة بين معتقدات هؤلاء القوم وطقوسهم، فعبادة النجوم واستقبال نجم القطب وتأليه الكواكب وغير ذلك من أصول الدين الصابئ مما يتدين به هذا المجموع المتميز.

وقد يتعرف الباحث من اللغة التي يتكلم بها هؤلاء ومن إسبالهم شعور لحاهم ورءوسهم، أنهم شعب غريب نزح إلى هذه البلاد واستوطنها واحتفظ بما له من تقاليد وعادات والتزم بالسكنى على ضفاف الأنهر، وبقرب المياه الجارية؛ نظرا لما يقيمه من الطقوس التي لا تتم إلا بالارتماء في الماء الجاري، لذا عرف هذا القسم من الناس بصابئة البطائح نسبة إلى بطائح العراق المشهور.فإما أن يكون هذا الشعب قد انحدر من الصابئة الحرنانية أو أنه من بقية الصابئة الأقدمين، وهذا أمر مشكوك فيه وموكول إلى فحص التاريخ الدقيق.

ونظن أن أحسن رواية -وقد تكون أقربها إلى الحقيقة- هي التي أثبتها هنري يونيون في كتابه الفرنسي الموسوم بـ "الفرقة المندائية" المطبوع في عام 1898، فقد جاء في ص224 منه تحت عنوان "الفرق الدستائية" وهي المندائية التي اشتهر بها الصابئة الحاليون ما مضمونه: أن صاحبها "أي صاحب هذه الفرقة" كان متسولا وقد جاء من بلاد ما بين الزابين إلى ميسان "أي جنوب العراق"؛ للتسول، وكان مسيحيا اسمه "دبدا" واسم أمه "أم كشطا"، ثم توطن ضفاف نهر قارون وأسس ديانة جديدة وعقائد مأخوذ معظمها من فرق المرقيونيين والمانويين والكنتيين وغيرها من الفرق الصابئة، ثم توسعت هذه الطائفة على مر

- تأثروا بهم في إتقان علم الفلك وحسابات النجوم .
- تأثروا بالأفلاطونية الحديثة التي استقرت فلسفتها في سوريا مثل الاعتقاد بالفيض الروحي على العالم المادي.
- تأثروا بالفلسفة الدينية التي ظهرت أيام سيدنا إبراهيم الخليل – عليه السلام – فقد كان الناس حينها يعتقدون بقدرة الكواكب والنجوم على التأثير في حياة الناس.
- تأثروا بالفلسفة اليونانية التي استقلت عن الدين.
- ودينهم فيه من اليهودية والنصرانية [166] والمجوسية .
- ثم ومن حران هاجروا إلى موطنهم الحالي في جنوبي العراق وإيران وما يزالون فيه، حيث يعرفون بصابئة البطائح، لاَ يُؤْمِنُونَ بِمُوسَى، وَلاَ بِالْمَسِيحِ، وَلاَ التَّوْرَاةِ، وَلاَ الإِنْجِيل، وَيُؤْمِنُونَ بِالتَّعْمِيدِ.

السنين وسموا بالصابئة المغتسلة؛ لأن جميع طقوسهم الدينية لا تتم إلا بالاغتسال في الماء الجاري اهـ، والذي يؤسفنا كثيرا ويجعل تاريخ الصابئة مفصولا وغير مرتبط الحلقات، خلو هذا التلخيص من الزمن الذي يعين قدوم "دبدا" إلى جنوبي العراق "ميسان" الأمر الذي يوقفنا على تاريخ منشأ صابئة البطائح والصلة بينم وبين الصابئة الحرنانية. ومع ذلك لا يخلو من فائدة تاريخية تكشف لنا عن تاريخ غامض من تاريخ الصابئة".

165 قال أبو زهرة في تفسير سورة المائدة : "والصابئون أو الصابئة طائفة ظهرت في بلاد المشرق ، وقد قيل فيها : إنهم يعبدون الكواكب ، وبعضهم قال : إنهم يقدسونها من غير عبادة ، ولا يخرجهم ذلك عن الشرك لأن تقديس ما لا سبب لتقديسه نوع من العبادة وإن لم تكن بالصلاة ".

166 سماهم فيليب حتى في كتابه تاريخ سورية الصابئة النصارى فقال : " صابئة أهل الكتاب:

أ- صابئة اليهود: وهم الذين وافقوا أبوللونيوس عندما أعلن الوثنية في معبدهم ووضع تمثالا لهيكل إغريقي.ب- صابئة مسيحيون:وهم الذين اتبعوا القديس يوحنا المعمدان في شعيرة التعميد "وهؤلاء هم المنديون" ولا يزال قوم منهم يسكنون إلى الآن الأغوار المحاذية لمصب الفرات.

- يعتقدون من حيث المبدأ – بوجود الإله الخالق الواحد الأزلي الذي لا تناله الحواس ولايفضي إليه مخلوق.
- ولكنهم يجعلون بعد هذا الإله 360 شخصاً خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، وهؤلاء الأشخاص ليسوا بآلهة ولا ملائكة، يعملون كل شيء من رعد وبرق ومطر وشمس وليل ونهار ، وهؤلاء يعرفون الغيب، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار، – هؤلاء الأشخاص الـ 360 ليسوا مخلوقين كبقية الكائنات الحية، ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا وتزوجوا بنساء من صنفهم، ويتناسلون بأن يلفظ أحدهم كلمة فتحمل أمرأته فوراً وتلد واحداً منهم.
- يعتقدون بأن الكواكب مسكن للملائكة، ولذلك يعظمونها ويقدسونها.

: قال الجصاص عنهم :" الصابئة فريقان أحدهما بنوا حي كَسْكَرَ وَالْبَطَائِحِ وَهُمْ فِيمَا بَلَغْنَا صِنْفٌ مِنْ النَّصَارَىٰ، وَإِنْ كَانُوا مُخَالِفِينَ لَهُمْ فِي كَثِيرٍ من ديانتهم لِأَنَّ النَّصَارَىٰ فِرَقٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ الْمَرْقُونِيَّةُ والْآرْيُوسِيَّةُ وَالْمَارُونِيَّةُ وَالْفِرَقُ الثَّلَاثُ مِنْ النَّسْطُورِيَّةِ وَالْمَلْكِيَّةِ وَالْيَعْقُوبِيَّةِ يبرءون منهم ويحرمون وَهُمْ يَنْتَمُونَ إلَىٰ يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا وَشِيثٌ وَيَنْتَحِلُونَ كُتُبًا يَزْعُمُونَ أَنَّهَا كُتُبُ اللهَّ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَىٰ شِيثِ بْنِ آدَمَ وَيَحْيَىٰ بْنِ زكريا والنصارىٰ تسميهم يوحنا سية فَهَذِهِ الْفِرْقَةُ يَجْعَلُهَا أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَيُبِيحُ أَكْلَ ذَبَائِحِهِمْ وَمُنَاكَحَةَ نِسَائِهِمْ"[167]

معبدهم يسمىٰ المندي ، وفيه كتبهم المقدسة، ويجري فيه تعميد رجال الدين، يقام علىٰ الضفاف اليمنىٰ من الأنهر الجارية، له باب واحد يقابل الجنوب بحيث يستقبل الداخل إليه نجم القطب الشمالي، لابدَّ من وجود قناة فيه متصلة بماء النهر، ولا يجوز دخوله من قبل النساء، ولا بدّ من وجود علم يحيىٰ فوقه في ساعات العمل.

[167] احكام القرآن (2/ 413)(3/ 118)

تؤدىٰ ثلاث مرات في اليوم: قبيل الشروق، وعند الزوال، وقبيل الغروب، وتستحبّ أن تكون جماعة في أيام الآحاد والأعياد، فيها وقوف وركوع وجلوس علىٰ الأرض من غير سجود، وهي تستغرق ساعة وربع الساعة تقريباً.

يتوجه المصلي خلالها إلىٰ الجدي بلباسه الطاهر، حافي القدمي، يتلو سبع قراءات يمجد فيها الرب مستمداً منه العون طالباً منه تيسير اتصاله بعالم الأنوار.

صابئة اليوم يحرمون الصوم لأنه من باب تحريم ما أحل الله ، وقد كان الصوم عند الصابئة علىٰ نوعين: الصوم الكبير: ويشمل الصوم عن كبائر الذنوب والأخلاق الرديئة، والصوم الصغير الذي يمتنعون فيه عن أكل اللحوم المباحة لهم لمدة 32 يوماً متفرقة علىٰ طول أيام السنة. وقد نص ابن النديم المتوفىٰ سنة 385هـ في فهرسته، وابن العبري المتوفىٰ سنة 685هـ في تاريخ مختصر الدول ينصان علىٰ أن الصيام كان مفروضاً عليهم لمدة ثلاثين يوماً من كل سنة. ٠

الطهارة مفروضة علىٰ الذكر والأنثىٰ سواء بلا تمييز، تكون الطهارة في الماء الحي غير المنقطع عن مجراه الطبيعي، و الجنابة تحتاج إلىٰ طهارة وذلك بالارتماس في الماء ثلاث دفعات مع استحضار نية الاغتسال من غير قراءة لأنها لا تجوز علىٰ جنب، عقب الارتماس في الماء يجب الوضوء، وهو واجب لكل صلاة، حيث يتوضأ الشخص وهو متجه إلىٰ نجم القطب، فيؤديه علىٰ هيئة تشبه وضوء المسلمين مصحوباً بأدعية خاصة.

مفسدات الوضوء: البول، الغائط، الريح، لمس الحائض والنفساء.

التعميد وأنواعه:- يعتبر التعميد من أبرز معالم هذه الديانة ولا يكون إلا في الماء الحي، ولا تتم الطقوس إلا بالارتماس في الماء سواء أكان الوقت صيفاً أم شتاءً، وقد أجاز لهم رجال دينهم مؤخراً الاغتسال في الحمامات وأجازوا لهم كذلك ماء العيون النابعة لتحقيق الطهارة – يجب أن يتم التعميد علىٰ أيدي رجال الدين.

يكون العماد في حالات الولادة، والزواج، وعماد الجماعة، وعماد الأعياد [168]

- عماد الأعياد: وهي:

أ - العيد الكبير: عيد ملك الأنوار حيث يعتكفون في بيوتهم 36 ساعة متتالية لا تغمض لهم عين خشية أن يتطرق الشيطان إليهم لأن الاحتلام يفسد فرحتهم، وبعد الاعتكاف مباشرة يرتسمون، ومدة العيد أربعة

---

[168] 1- الولادة: يعمد المولود بعد 45 يوماً ليصبح طاهراً من دنس الولادة حيث يُدخل هذا الوليد في الماء الجاري إلى ركبتيه مع الإتجاه جهة نجم القطب، ويوضع في يده خاتم أخضر من الآس.2- عماد الزواج: يتمّ في يوم الأحد وبحضور ترميدة وكنزبرا، يتم بثلاث دفعات في الماء مع قراءة من كتاب الفلستا وبلباس خاص، ثم يشربان من قنينة ملئت بماء أُخذ من النهر يسمى (ممبوهة) ثم يطعمان (البهثة) ويدهن جبينهما بدهن السمسم، ويكون ذلك لكلا العروسين لكل واحد منهما على حدة، بعد ذلك لا يُلمسان لمدة سبعة أيام حيث يكونان نجسين وبعد الأيام السبعة من الزواج يعمدان من جديد، وتعمد معهما كافة القدور والأواني التي أكلا فيها أو شربا منها.- عماد الجماعة: يكون في كل عيد (بنجة) من كل سنة كبيسة لمدة خمسة أيام ويشمل أبناء الطائفة كافة رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، وذلك بالارتماس في الماء الجاري ثلاث دفعات قبل تناول الطعام في كل يوم من الأيام الخمسة. والمقصود منه هو التكفير عن الخطايا والذنوب المرتكبة في بحر السنة الماضية، كما يجوز التعميد في أيام البنجة ليلاً ونهاراً على حين أن التعميد في سائر المواسم لا يجوز إلا نهاراً وفي أيام الآحاد فقط.· تعميد المحتضر ودفنه: - عندما يحتضر الصابيء يجب أن يؤخذ - وقبل زهوق روحه - إلى الماء الجاري ليتمّ تعميده.ومن مات من دون عماد نجس ويحرم لمسه.خ - أثناء العماد يغسلونه متجهاً إلى نجم القطب الشمالي، ثم يعيدونه إلى بيته ويجلسونه في فراشه بحيث يواجه نجم القطب أيضاً حتى يوافيه الأجل.د - بعد ثلاث ساعات من موته يغسل ويكفن ويدفن حيث يموت إذ لا يجوز نقله مطلقاً من بلد إلى بلد آخر.ذ - من مات غيلة أو فجأة، فإنه لا يغسل ولا يلمس، ويقوم الكنزبرا بواجب العماد عنه.ر - يدفن الصابيء بحيث يكون مستلقياً على ظهره ووجهه ورجلاه متجهة نحو الجدي حتى إذا بعث واجه الكوكب الثابت بالذات.ز - يضعون في فم الميت قليلاً من تراب أول حفرة تحفر لقبره فيها.

أيام، تنحر فيه الخراف ويذبح فيه الدجاج ولا يقومون خلاله بأي عمل دنيوي.ب – العيد الصغير: يوم واحد شرعاً، وقد يمتد لثلاثة أيام من أجل التزاور، ويكون بعد العيد الكبير بمائة وثمانية عشر يوماً.

ت – عيد البنجة: سبق الحديث عنه، وهو خمسة أيام تكبس بها السنة، ويأتي بعد العيد الصغير بأربعة أشهر.

ث – عيد يحيى: يوم واحد من أقدس الأيام، يأتي بعد عيد البنجة بستين يوماً وفيه كانت ولادة النبي يحيى عليه السلام الذي يعتبرونه نبيًّا خاصاً بهم، والذي جاء ليعيد إلى دين آدم صفاءه بعد أن دخله الانحراف بسبب تقادم الزمان.

يحرم على أهل الميت الندب والبكاء والعويل، والموت عندهم مدعاة للسرور، ويوم المأتم من أكثر الأيام فرحاً حسب وصية يحيى لزوجته. ش – لا يوجد لديهم خلود في الجحيم، بل عندما يموت الإنسان إما أن ينتقل إلى الجنة أو المطهر حيث يعذب بدرجات متفاوتة حتى يطهر فتنتقل روحه بعدها إلى الملأ الأعلى، فالروح خالدة والجسد فان.

– يعظمون يوم الأحد كالنصارى ويقدسونه ولا يعملون فيه أي شيء على الإطلاق.

– يتنبئون بحوادث المستقبل عن طريق التأمل في السماء والنجوم وبعض الحسابات الفلكية.

– يؤمنون بالتناسخ ويعتقدون بتطبيقاته في بعض جوانب عقيدتهم.

– للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء على قدر ما تسمح له به ظروفه.

– تنص عقيدتهم على أن يكون الميراث محصوراً في الابن الأكبر، لكنهم لمجاورتهم المسلمين فقد أخذوا بقانون المواريث الإسلامي.

– لديهم عدد من الكتب المقدسة مكتوبة بلغة سامية قريبة من السريانية وهي:

1 – الكنزاربّا: أي الكتاب العظيم ويعتقدون بأنه صحف آدم عليه السلام، فيه موضوعات كثيرة حول كيفية بدء الخلق ، ونظام تكوين العالم وحساب الخليقة وأدعية وقصص، وتوجد في خزانة المتحف العراقي نسخة كاملة منه. طبع في كوبنهاجن سنة 1815م، وطبع في لايبزيغ سنة 1867م.

2 – دراشة إديهيا: أي تعاليم يحيى، وفيه تعاليم وحياة النبي (*) يحيى عليه السلام.

3 – الفلستا: أي كتاب عقد الزواج، ويتعلق بالاحتفالات والنكاح الشرعي والخطبة.

4 – سدرة إدنشاماثا: يدور حول التعميد (*) والدفن والحداد، وانتقال الروح من الجسد إلى الأرض ومن ثمّ إلى عالم الأنوار، وفي خزانة المتحف العراقي نسخة حديثة منه مكتوبة باللغة المندائية.

5 – كتاب الديونان: فيه قصص وسير بعض الروحانيين مع صور لهم.

6 – كتاب إسفر ملواشه: أي سفر البروج لمعرفة حوادث السنة المقبلة عن طريق علم الفلك والتنجيم (*) .

7 – كتاب النباتي: أي الأناشيد والأذكار الدينية، وتوجد نسخة منه في المتحف العراقي.

8 – كتاب قماها ذهيقل زيوا: ويتألف من 200 سطر وهو عبارة عن حجاب يعتقدون بأن من يحمله لا يؤثر فيه سلاح أو نار.

9 – تفسير بغره: يختص في علم تشريح جسم الإنسان وتركيبه والأطعمة المناسبة لكل طقس مما يجوز لأبناء الطائفة تناوله.

10 – كتاب ترسسر ألف شياله: أي كتاب الأثنى عشر ألف سؤال.

11 – ديوان طقوس التطهير: وهو كتاب يبين طرق التعميد (*) بأنواعه على شكل ديوان.

12 – كتاب كداواكدفيانا: أي كتاب العوذ.

· الانتشار ومواقع النفوذ:

· الصابئة المندائيون الحاليون ينتشرون على الضفاف السفلى من نهري دجلة والفرات، ويسكنون في منطقة الأهوار وشط العرب، ويكثرون في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية والزكية وسوق الشيوخ والقرنة وهي موضع اقتران دجلة بالفرات، وهم موزعون على عدد من الألوية مثل لواء بغداد، والحلة، والديوانية والكوت وكركوك والموصل. كما يوجد أعداد مختلفة منهم في ناصرية المنتفق والشرش ونهر صالح والجبابيش والسليمانية.

· كذلك ينتشرون في إيران، وتحديداً على ضفاف نهر الكارون والدز ويسكنون في مدن إيران الساحلية، كالمحمرة، وناصرية الأهواز وششتر ودزبول.

· تهدمت معابدهم في العراق، ولم يبق لهم إلا معبدان في قلعة صالح، وقد بنوا معبداً مندياً بجوار المصافي في بغداد، وذلك لكثرة الصابئين النازحين إلى هناك من أجل العمل.

· يعمل معظمهم في صياغة معدن الفضة لتزيين الحلي والأواني والساعات وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم لأنهم يحرصون على حفظ أسرارهما كما يجيدون صناعة القوارب الخشبية والحدادة وصناعة الخناجر.

· مهاراتهم في صياغة الفضة دفعتهم إلى الرحيل للعمل في بيروت ودمشق والإسكندرية ووصل بعضهم إلى إيطاليا وفرنسا وأمريكا، ليس لديهم أي طموح سياسي، وهم يتقربون إلى أصحاب الديانات الأخرى بنقاط التشابه الموجودة بينهم وبين الآخرين169.

---

[169] · أفكار ومعتقدات أخرى:- البكارة: تقوم والدة الكنزبرا أو زوجته بفحص كل فتاة عذراء بعد تعميدها وقبل تسليمها لعريسها وذلك بغية التأكد من سلامة بكارتها.

- الخطيئة: إذا وقعت الفتاة أو المرأة في جريمة الزنى فإنها لا تقتل، بل تهجر، وبإمكانها أن تكفر عن خطيئتها بالارتماس في الماء الجاري.

- الطلاق: لا يعترف دينهم بالطلاق إلا إذا كانت هناك انحرافات أخلاقية خطيرة فيتمّ التفريق عن طريق الكنزبرا.

- السنة المندائية: 360 يوماً، في 12 شهراً، وفي كل شهر ثلاثون يوماً مع خمسة أيام كبيسة يقام فيها عيد البنجة.

- يعتقدون بصحة التاريخ الهجري ويستعملونه، وذلك بسبب اختلاطهم بالمسلمين، ولأن ظهور النبي (ﷺ) محمد صلى الله عليه وسلم كان مذكوراً في الكتب المقدسة الموجودة لديهم.

- ينفرون من اللون الأزرق النيلي ولا يلامسونه مطلقاً. - ليس للرجل غير المتزوج من جنة لا في الدنيا ولا في الآخرة.

- لكل مناسبة دينية ألبسة خاصة بها، ولكل مرتبة دينية لباس خاص بها يميزها عن غيرها.

- إذا توفي شخص دون أن ينجب أولاداً فإنه يمرّ بالمطهر ليعود بعد إقامته في العالم الآخر إلى عالم الأنوار ثم يعود إلى حالته البدنية مرة أخرى حيث تتلبس روحه في جسم روحاني فيتزوج وينجب أطفالاً.

- يرفضون شرب الدواء، ولا يعترضون على الدهون والحقن الجلدية.

- الشباب والشابات يأتون إلى الكهان (*) ليخبروهم عن اليوم السعيد الذي يمكنهم أن يتزوجوا فيه، وكذلك يخبرون السائلين عن الوقت المناسب للتجارة أو السفر، وذلك عن طريق علم النجوم.

- لا تؤكل الذبيحة إلا أن تذبح بيدي رجال الدين وبحضور الشهود، ويقوم الذابح - بعد أن يتوضأ - بغمسها في الماء الجاري ثلاث مرات ثم يقرأ عليها أذكاراً دينية خاصة ثم يذبحها مستقبلاً الشمال، ويستنزف دمها حتى آخر قطرة، ويحرم الذبح بعد غروب الشمس أو قبل شروقها إلا في عيد البنجة.

من رجالهم الدينيين: الكنزبرا الشيخ عبد الله بن الشيخ سام الذي كان مقيماً في بغداد سنة 1969م وهو الرئيس الروحي لهم، وقد كان في عام 1954م يسكن في دار واقعة بجوار السفارة البريطانية في الكرخ ببغداد.

· طبقات رجال الدين: يشترط في رجل الدين أن يكون سليم الجسم، صحيح الحواس، متزوجاً منجباً، غير مختون، وله كلمة نافذة في شؤون الطائفة كحالات الولادة والتسمية والتعميد والزواج والصلاة والذبح والجنازة، ورتبهم على النحو التالي:

1 - الحلالي: ويسمى "الشماس" يسير في الجنازات، ويقيم سنن الذبح للعامة، ولايتزوج إلا بكراً، فإذا تزوج ثيباً سقطت مرتبته ومنع من وظيفته إلا إذا تعمد هو وزوجته 360مرة في ماء النهر الجاري.2- الترميدة: إذا فقه الحلالي الكتابين المقدَّسين سدره إنشماثا والنياني أي كتابَيّ التعميد والأذكار فإنه يتعمد بالارتماس في الماء الموجود في المندي ويبقى بعدها سبعة أيام مستيقظاً لا تغمض له عين حتى لا يحتلم، ويترقى بعدها هذا الحلالي إلى ترميدة، وتنحصر وظيفته في العقد على البنات الأبكار.3- الأبيسق: الترميدة الذي يختص في العقد على الأرامل يتحول إلى أبيسق ولا ينتقل من مرتبته هذه.

قال ابن عاشور: " أَنَّ اسْمَ الصَّابِئَةِ عُرِفَتْ بِهِ طَائِفَةُ (الْمَنْدِيَا) وَهِيَ طَائِفَةٌ يَهُودِيَّةٌ نَصْرَانِيَّةٌ فِي الْعِرَاقِ يَقُومُونَ بِالتَّعْمِيدِ كَالنَّصَارَىٰ.وَيُقَالُ الصَّابِئُونَ بِصِيغَة جمع صابئ وَهَذَا الدِّينُ دِينٌ قَدِيمٌ ظَهَرَ فِي بِلَادِ الْكِلْدَانِ[170] فِي الْعِرَاقِ وَانْتَشَرَ مُعْظَمُ أَتْبَاعِهِ فِيمَا بَيْنَ الْخَابُورِ وَدِجْلَةَ وَفِيمَا بَيْنَ الْخَابُورِ وَالْفُرَاتِ فَكَانُوا فِي الْبَطَائِحِ وَكَسْكَرَ فِي سَوَادِ وَاسِطَ وَفِي حَرَّانَ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ، وَكَانَ أَهْلُ هَذَا الدِّينِ نَبَطًا فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ فَلَمَّا ظَهَرَ الْفُرْسُ عَلَىٰ إِقْلِيمِ الْعِرَاقِ أَزَالُوا مَمْلَكَةَ الصَّابِئِينَ وَمَنَعُوهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَلَمْ يَجْسُرُوا بَعْدُ عَلَىٰ عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ. وَكَذَلِكَ مَنَعَ الرُّومُ أَهْلَ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ مِنَ الصَّابِئِينَ فَلَمَّا تَنَصَّرَ قُسْطَنْطِينُ حَمَلَهُمْ بِالسَّيْفِ عَلَىٰ التَّنَصُّرِ فَبَطَلَتْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَتَظَاهَرُوا بِالنَّصْرَانِيَّةِ فَلَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ بِلَادِهِمْ اعْتُبِرُوا فِي جُمْلَةِ النَّصَارَىٰ وَقَدْ كَانَتْ صَابِئَةُ بِلَادِ كَسْكَرَ وَالْبَطَائِحِ مُعْتَبَرِينَ صِنْفًا مِنَ النَّصَارَىٰ ينتمون إِلَىٰ النبيء يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا وَمَعَ ذَلِكَ

4- الكنزبرا: الترميدة الفاضل الذي لم يعقد على الثيبات مطلقاً يمكنه أن ينتقل إلى كنزبرا وذلك إذا حفظ كتاب الكنزاربّا فيصبح حينئذٍ مفسراً له، ويجوز له ما لا يجوز لغيره، فلو قتل واحداً من أفراد الطائفة لا يقتص منه لأنه وكيل الرئيس الإلهي عليها.5- الريش أمه: أي رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها ولا يوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة لأنها تحتاج إلى علم وفير وقدرة فائقة.6- الربّاني: وفق هذه الديانة لم يصل إلى هذه الدرجة إلا يحيي بن زكريا عليهما السلام كما أنه لا يجوز أن يوجد شخصان من هذه الدرجة في وقت واحد. والرباني يرتفع ليسكن في عالم الأنوار وينزل ليبلغ طائفته تعاليم الدين ثم يرتفع كرة أخرى إلى عالمه الرباني النوراني · الإله (*) :

170 قال المسعودي في التنبيه والإشراف: " والكلدانيين وهم البابليون الذين بقيتهم في هذا الوقت بالبطائح بين واسط والبصرة في قرايا هناك وتوجههم في صلاتهم إلى القطب الشمالي والجدي"

لَهُمْ كُتُبٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَّ أَنْزَلَهَا عَلَىٰ شِيثِ بْنِ آدم ويسمونه (أغاثاديمون) ، وَالنَّصَارَىٰ يُسَمُّونَهُمْ يُوحَنَّاسِيَةَ (نِسْبَةً إِلَىٰ يُوحَنَّا وَهُوَ يَحْيَىٰ)"[171] ، [172].

---

[171] قال أبو زهرة : "الصابئون الذين ظهروا في الإسلام وقبله هم أكتم الناس لعبادة الأوثان، ويعلمون صبيانهم كتبانها، وقد قال عنهم أبو بكر الرازي في كتابه أحكام القرآن: وأصل اعتقادهم تعظيم الكواكب السبعة أو عبادتها واتخاذها آلهة، وهم عبدة أوثان في الأصل إلا أنهم منذ ظهر الفرس على إقليم العراق، وأزالوا مملكة الصابئين لم يجسروا على عبادة الأوثان ظاهرا، لأنهم منعوهم من ذلك، وكذلك الروم وأهل الشام والجزيرة كانوا صابئين، فلما تنصر قسطنطين حملهم بالسيف على الدخول في النصرانية، فبطلت عبادة الأوثان من ذلك الوقت، ودخلوا في غمار النصارى في الظاهر، وبقي كثير منهم على تلك النحلة مستخفين بعبادة الأوثان، فلما ظهر الإسلام دخلوا في غمار النصارى، ولم يميز المسلمون بينهم وبين النصارى، إذ كانوا مستخفين بعبادة الأوثان، كاتمين لأصل اعتقادهم، وهم أكتم الناس لاعتقادهم، فالصابئة يعبدون الكواكب والأوثان، ويظهرون بالنصرانية، هذا ما يجب بيانه هنا، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابنا تاريخ الجدل" زهرة التفاسير (1/ 256) . قال الجصاص: " وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ أَيْضًا فِي حُكْمِ الصَّابِئِينَ، وَهَلْ هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ أَمْ لَا، وَهُمْ فَرِيقَانِ: أَحَدُهُمَا: بِنَوَاحِي كَسْكَرَ وَالْبَطَائِحِ، وَهُمْ فِيمَا بَلَغَنَا صِنْفٌ مِنْ النَّصَارَى، وَإِنْ كَانُوا مُخَالِفِينَ لَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ دِيَانَاتِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّصَارَى فِرَقٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ الْمَرْقُونِيَّةُ وَالْآرِيُوسِيَّةُ، وَالْمَارُونِيَّةُ، وَالْفِرَقُ الثَّلَاثُ مِنْ النَّسْطُورِيَّةِ وَالْمَلْكِيَّةِ، وَالْيَعْقُوبِيَّةِ يَبْرَءُونَ مِنْهُمْ، وَيُحَرِّمُونَهُمْ، وَهُمْ يَنْتَمُونَ إلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، وَشِيثٌ، وَيَنْتَحِلُونَ كُتُبًا يَزْعُمُونَ أَنَّهَا كُتُبُ اللهَّ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى شِيثِ بْنِ آدَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا،، وَالنَّصَارَى تُسَمِّيهِمْ يُوحَنَّاسِيَّةَ؛ فَهَذِهِ الْفِرْقَةُ يَجْعَلُهَا أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَيُبِيحُ أَكْلَ ذَبَائِحِهِمْ، وَمُنَاكَحَةَ نِسَائِهِمْ. وَفِرْقَةٌ أُخْرَى قَدْ تَسَمَّتْ بِالصَّابِئِينَ، وَهُمْ الْحَرَّانِيُّونَ الَّذِينَ بِنَاحِيَةِ حَرَّانَ، وَهُمْ عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ، وَلَا يَنْتَمُونَ إلَى أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَنْتَحِلُونَ شَيْئًا مِنْ كُتُبِ اللهَّ، فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا أَهْلَ الْكِتَابِ. وَلَا خِلَافَ أَنَّ هَذِهِ النِّحْلَةَ لَا تُؤْكَلُ ذَبَائِحُهُمْ، وَلَا تُنْكَحُ نِسَاؤُهُمْ، فَمَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ فِي جَعْلِهِ الصَّابِئِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَحْمُولٌ عَلَى مُرَادِهِ الْفِرْقَةَ الْأُولَى. وَأَمَّا أَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدٌ فَقَالَا: "إنَّ الصَّابِئِينَ لَيْسُوا أَهْلَ الْكِتَابِ" وَلَمْ يُفَصِّلُوا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ.(أحكام القرآن (3 / 118)..

[172] جاء في الموسوعة الكويتية : وَذَهَبَ الشَّافِعِيَّةُ: إِلَى أَنَّ الصَّابِئَةَ يَجُوزُ أَنْ تُعْقَدَ لَهُمُ الذِّمَّةُ بِالْجِزْيَةِ، عَلَى الْقَوْل بِأَنَّهُمْ مِنَ النَّصَارَى، إِنْ وَافَقُوهُمْ فِي أَصْل دِينِهِمْ، وَلَوْ خَالَفُوهُمْ فِي فُرُوعِهِ، وَلَمْ تُكَفِّرْهُمُ النَّصَارَى. أَمَّا إِنْ كَفَّرَتْهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى لِمُخَالَفَتِهِمْ فِي الْفُرُوعِ، فَقَدْ قِيل: يَجُوزُ أَنْ يُقَرُّوا بِالْجِزْيَةِ وَإِنْ لَمْ تَجُزْ مُنَاكَحَتُهُمْ، لأَنَّ مَبْنَى تَحْرِيمِ النِّكَاحِ، الاِحْتِيَاطُ، بِخِلاَفِ الْجِزْيَةِ .
وَهَذَا التَّرَدُّدُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ فِي الصَّابِئَةِ الْمُشَابِهَةِ لِلنَّصَارَى (وَهُمُ الْمُسَمَّوْنَ الْمَنْدائِيِّينَ) ، أَمَّا الصَّابِئَةُ عُبَّادُ الْكَوَاكِبِ: فَقَدْ جَزَمَ الرَّمْلِيُّ بِأَنَّ الْخِلاَفَ لاَ يَجْرِي فِيهِمْ، وَأَنَّهُمْ لاَ يُقَرُّونَ بِبِلاَدِ الإِسْلاَمِ. قَال: وَلِذَلِكَ أَفْتَى الإِصْطَخْرِيُّ وَالْمَحَامِلِيُّ – الْخَلِيفَةَ الْقَاهِرَ – بِقَتْلِهِمْ، لَمَّا اسْتَفْتَى فِيهِمُ الْفُقَهَاءَ، فَبَذَلُوا لَهُ مَالاً كَثِيرًا فَتَرَكَهُمْ(26/ 299)

قَال ابْنُ الْهُمام: "وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي قَال الْبَعْضُ إِنَّهُمْ مِنَ النَّصَارَىٰ يُسَمَّوْنَ (الْمُنْدَائِيِّينَ) وَمِنْهُمُ الْآنَ بَقَايَا فِي جَنُوبِا لْعِرَاق"

الفرقة السادسة : الموحدون

أضاف ابْنُ تَيْمِيَّةَ[173] ، وابن القيم فِرْقَةً أخرىٰ ـ كَانَتْ قَبْل التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيل، كَانُوا مُوَحِّدِينَ؛ قَال: فَهَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِل صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} قَال: فَهَؤُلاَءِ

[173] قال ابن تيمية في كتابه في الرد علىٰ المنطقيين:" إن حران كانت دار هؤلاء الصابئة وفيها ولد إبراهيم عليه السلام أو انتقل إليها من العراق علىٰ اختلاف القولين، وكان بها هيكل العلة هيكل العقل الأول هيكل النفس الكلية هيكل زحل هيكل المشتري هيكل المريخ هيكل الشمس، وكذلك الزهرة وعطارد والقمر، وكان هذا دينهم قبل ظهور النصرانية فيهم، ثم ظهرت النصرانية فيهم مع بقاء أولئك الصابئة المشركين حتىٰ جاء الإسلام ولم يزل بها الصابئة والفلاسفة في دولة الإسلام إلىٰ آخر وقت، ومنهم الصابئة الذين كانوا ببغداد وغيرها أطباء وكتاباً وبعضهم لم يسلم.

ولما قدم الفارابي حران في أثناء المائة الرابعة دخل عليهم وتعلم منهم وأخذ عنهم ما أخذ من المتفلسفة، وكان ثابت بن قرة الحراني صاحب الزيج قد شرح كلام أرسطو في الإلهيات، وقد رأيته وبينت بعض ما فيه من الفساد، فإن فيه ضلالاً كثيراً، وكذلك كان دين أهل دمشق وغيرها قبل ظهور دين النصرانية وكانوا يصلون إلىٰ القطب الشمالي، ولهذا يوجد في دمشق مساجد قديمة فيها قبلة إلىٰ القطب الشمالي، وتحت جامع دمشق معبد كبير له قبلة إلىٰ القطب الشمالي كان لهؤلاء، فإن الصابئة نوعان صابئة حنفاء موحدون، وصابئة مشركون، فالأول هم الذين أثنىٰ الله عليهم بهذه الآية فأثنىٰ علىٰ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من هذه الملل الأربع: المؤمنين واليهود والنصارىٰ والصابئين، فهؤلاء كانوا يدينون بالتوراة قبل النسخ والتبديل، وكذلك الذين دانوا بالإنجيل قبل النسخ والتبديل، والصابئون الذين كانوا قبل هؤلاء كالمتبعين لملة إبراهيم إمام الحنفاء قبل نزول التوراة والإنجيل، وهذا بخلاف المجوس والمشركين فإنه ليس فيهم مؤمن، فلهذا قال تعالىٰ (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارىٰ والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله علىٰ كل شي شهيد) فذكر الملل الست هؤلاء، وأخبر أنه يفصل بينهم يوم القيامة لم يذكر في الست من كان مؤمناً، وإنما ذكر ذلك في الأربعة فقط، ثم إن الصابئين ابتدعوا الشرك فصاروا مشركين، والفلاسفة المشركون من هؤلاء المشركين.

وأما قدماء الفلاسفة الذين كانوا يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً ويؤمنون بأن الله محدث لهذا العالم ويقرون بمعاد الأبدان، فأولئك من الصابئة الحنفاء الذين أثنىٰ الله عليهم".ابن تيمية، الرد علىٰ المنطقيين 287

كَالْمُتَّبِعِينَ لِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – إِمَامِ الْحُنَفَاءِ قَبْلَ نُزُولِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، هُمُ الَّذِينَ أَثْنَى عَلَيْهِمُ اللَّهُ تَعَالَى ، فيكون الصابئة على هذا قسمين: القسم الأول: صابئة حنفاء موحدون، القسم الثاني: مشركون

فالقسم الأول: هم الذين أثنى الله عليهم بهذه الآية فأثنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من هذه الملل الأربع: المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، فاليهود كانوا يدينون بالتوراة قبل النسخ والتبديل، وكذلك الذين دانوا بالإنجيل قبل النسخ والتبديل، والصابئون الذين كانوا قبل هؤلاء كالمتبعين لملة إبراهيم إمام الحنفاء قبل نزول التوراة والإنجيل، ومنهم قدماء الفلاسفة الذين كانوا يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً ويؤمنون بأن الله محدث لهذا العالم ويقرون بمعاد الأبدان، فأولئك من الصابئة الحنفاء الذين أثنى الله عليهم.

القسم الثاني : الصابئون ابتدعوا الشرك فصاروا مشركين فهؤلاء هم الكفار.

وقال بوجود موحدين منهم من تقدم ذكرهم من قبل وهم: مجاهد، والسدي، والبيضاوي وسيد قطب والسعدي والأمثل والطوسي، وقد تقدم شرح هذا من قبل. قال البيضاوي: "من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ ، مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد ، عاملا بمقتضى شرعه . وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ، ودخل في الإسلام دخولا صادقا"[174]. [175]

---

[174] أنوار التنزيل (1/ 85). قال الطباطبائي :"ذكرهم مع أهل الأديان يدل على أنهم كانوا يدينون بدين سماوي" قال الأمثل : " وذكرهم إلى جانب المؤمنين واليهود والنصارى يدل على أنهم كانوا يدينون بدين سماوي ويؤمنون بالله واليوم الآخر ". الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل (1/ 254 " وقال أيضا" من مجموع ما سبق يتبين أن الصابئين كانوا في الأصل أتباع أحد الأنبياء وإن اختلف المحققون في تعيين نبيّهم ".(الأمثل (1 / 257)انتهى

يقول علي هاني : وهناك فرقة سابعة: سماهم المقريزي الصابئة الحنفاء، ذكرهم المقريزي، وهو يتلكم عن فرق الصابئة : "قال: والحنفاء هم القائلون بأن الروحانيات منها ما وجودها بالقوّة، ومنها ما وجودها بالفعل، فما هو بالقوّة يحتاج إلى من يوجده بالفعل ، ويقرّون بنبوّة إبراهيم، وأنه منهم. وهم طوائف:

أ) الكاظمة أصحاب كاظم بن تارح، ومن قوله أنّ الحق في الجمع بين شريعة إدريس وشريعة نوح وشريعة إبراهيم عليهم السّلام.

ب) ومنهم البيدانية: أصحاب بيدان الأصغر، ومن قوله اعتقاد نبوّة من يفهم عالم الروح، وأن النبوّة من أسرار الإلهية.

الحاصل:

مما تقدم يتبين لنا أن الصابئة بجميع أقسامهم مشركون بالله سبحانه لا يؤمنون بالأنبياء ولا الكتب ولا اليوم الآخر بالمعنى الذي أراده الله سبحانه ووصفه في القرآن ، اللهم إلا القسم السادس ، وهذا القول لم يقل به إلا قليل من المفسرين ، ورده المحققون كما تقدم ، وقد كفانا الآلوسي مؤونة الرد حيث قال: " إلا أنه يرد عليه أنه مستلزم أن يكون للصائبين دين ، وقد ذكر غير واحد أنه ليس لهم دين تجوز رعايته في وقت من الأوقات ففي «الملل والنحل » أن الصبوة في مقابلة الحنيفية ، ولميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم : الصابئة ، ولو سلم أنه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه ، فمن مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين "[176] اهـ ، وأيضا يستحيل أن يكون المراد أن الصابئة الذي هم باقون على ما هم عليه إذا آمنوا بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم ، لأن الصابئة ، كما اتضح لنا ـ عندهم ضلالات شركية كفرية لا تعد ولا تحصى فكيف يقال هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ثم هم لم يؤمنوا بالله الواحد الذي لا شريك له ، ولا يؤمنون بيوم القيامة الذي تحدث عنه القرآن ، ولا يؤمنون بالأنبياء إلا المندائيين الذين يؤمنون بسيدنا يحيى عليه السلام ، فتبين كم يلحد كثير من الناس في آيات الله عندما يحرفون تفسيرها وفهمها .

ما تقدم كان خلاصة أقوال العلماء في الصابئة مع تحقيق مذهبهم ، واستيفاء للموضوع ألخص أقوال المفسرين في الصابئة ثم أقوال الفقهاء.

ت) ومنهم القنطارية: أصحاب قنطار بن أرفخشد، ويقرّ بنبوّة نوح.، وهم أصناف[175] وبينهم وبين الحنفاء مناظرات وحروب مهلكة، وتولدت من مذاهبهم الحكمة الملطية. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار / المقريزي (4/ 168).(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار/ المقريزي/ (4/ 168).

ولم أجد من شرح حقيقة هذا القسم الذي ذكره المقريزي.

[176] روح المعاني (1/ 280)

المسألة الثانية عشرة : أقوال المفسرين في الصابئة وهي تسعة أقوال :

القول الأول:

قالوا هم قوم يعبدون الكواكب ، ثم لهم قولان . الأول : أن خالق العالم هو الله سبحانه ، إلا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم . والثاني : أن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب ، ثم إن الكواكب هي المدبرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض ، والخالقة لها فيجب على البشر تعظيمها لأنها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم ثم إنها تعبد الله سبحانه ، وهذا المذهب هو القول المنسوب إلى الكلدانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام رادا عليهم ومبطلا لقولهم

اختاره : الرازي وابن عاشور والشهرستاني والقمي[177] وكذا البقاعي في المائدة [178] وإبراهيم القطان[179] .

القول الثاني:

قالوا هم قوم من أهل الكتاب[180] ، يقرؤون الزبور ، ويخالفونهم في بقية أفعالهم ، لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم ذبائحهم كذبائح أهل الكتاب

---

[177] قال القمي:"الصابئون قوم لا مجوس ولا يهود ولا نصارى ولا مسلمون وهم يعبدون النجوم والكواكب

178 قال البقاعي : {والصابئون } أي القائلون بالأوثان السماوية والأصنام الأرضية" نظم الدرر(6/ 206).

[179] إبراهيم القطان :"والصابئة فرقتان : جماعة المندائيّين أتباعِ يوحنّا المعمدان ، وصابئةُ حرّان الّذين عاشوا زمناً في كنف الإسلام ، ولهم عقائدهم وعلماؤهم ، ومن أشهرهم إبراهيم من هلال الصابي الأديبُ الكبير ، والعالِم بالفلك والفلسفة الرياضية ". (تيسير التفسير/ إبراهيم القطان/ (1/ 422).

قاله سيدنا عمر و أبو العالية والربيع بن أنس ، والسدي ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، والضحاك وإسحاق بن راهويه و أبو حنيفة وزيد بن علي

القول الثالث:

قالوا : هُمْ قَوْمٌ بَيْنَ النَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسِ.

قَاله سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ واختاره البيضاوي أبو السعود وكذا ابن كثير في المائدة

القول الرابع:

قالوا هُمْ قَوْمٌ تَرَكَّبَ دِينُهُمْ بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَجُوسِيَّةِ لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم.

مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَابْنُ أَبِي نُجَيْحٍ والسدي وروي عن عطاء وسعيد بن جبير وهو مروي عن ابن عباس واختاره الطباطبائي[181]

القول الخامس:

قالوا: الصابئون هو أهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة : جزيرة الموصل ، يقولون لا إله إلا الله ولم يؤمنوا برسول الله " صلى الله عليه وسلم " ، فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي " صلى الله عليه وسلم " واصحابه : هؤلاء الصابئون : يشبهونهم بهم .قال ابن جريج : قلت لعطاء

---

[180] قال الشوكاني: "{ والصابئين }" قوم يعبدون النجوم . وقيل : هم من جنس النصارى وليس ذلك بصحيح بل هم فرقة معروفة لا ترجع إلى ملة من الملل المنتسبة إلى الأنبياء". وهذا رده المحققون: بأن القرآن ذكر الصابئة والنصارى والذين هادوا ، وهذا يدل على أنهم غير اليهود والنصارى " فتح القدير (3/ 523).

[181] قال الطباطبائي :"أقول : وما نسبه إلى البعض من تفسير الصائبة بالمذهب الممتزج من المجوسية واليهودية مع أشياء من الحرانية هو الأوفق بها في الآية فإن ظاهر السياق أن التعداد لأهل الملة ".

: «الصابئون » زعموا أنها قبيلة من نحو السواد [182] ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارىٰ . قال : قد سمعنا ذلك قاله ابن زيد وابن جريج .

القول السادس:

قالوا : هم بين اليهود والنصارىٰ[183] قاله قتادة : والكلبي ابن عباس وسعيد بن جبير

القول السابع:

هم قوم يقرأون الزبور ويعبدون الملائكة

قاله الهواري.

القول الثامن :

قوم يعبدون الملائكة

روي عن قتادة .

---

[182] يعني سواد العراق:وهو ما بين البصرة والكوفة وحولهما من قراهما سمي سوادا لشدة خضرته ، وَالْعَرَبُ تَقولُ لِكِلِّ أَخْضَرَ أَسْوَدُ. قال ابن فارس مدهامتان: أَيْ سَوْدَاوَانِ. وَهَذَا مِنَ الْخُضْرَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبَاتَ النَّاعِمَ الرَّيَّانَ يُرَىٰ لِشِدَّةِ خُضْرَتِهِ مِنْ بُعْدٍ أَسْوَدَ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَ سَوَادُ الْعِرَاقِ لِكَثْرَةِ شَجَرِهِ.

183 قال ابن عباس: هم قوم من اليهود والنصارىٰ ، لا تحل مناكحتهم ولا تؤكل ذبائحهم . قال الطباطبائي:" و الصابئون ليس المراد بهم عبدة الكواكب من الوثنية بدليل ما في الآية من المقابلة بينهم وبين الذين أشركوا بل هم – علىٰ ما قيل – قوم متوسطون بين اليهودية والمجوسية ولهم كتاب ينسبونه إلىٰ يحيىٰ بن زكريا النبي اهـ يمكن أن يقال لما تميزوا بعقائد معينة واسم معين وضعوا مقابلين للذين أشركوا لذلك . وقريب من ذلك ما قاله دروزة: ولقد غاب عن الذين قالوا إنهم مجوس ورود اسم المجوس في آية الحجّ التي نحن في صددها مع اسم الصابئين. كما غاب عن الذين قالوا إنهم عبدة الملائكة أن هذا يعني أنهم مشركون مع أن اسم المشركين قد ورد أيضا مع اسمهم. وورود اسمهم في آيتي البقرة والمائدة مع المؤمنين واليهود والنصارىٰ، أي مع الموحّدين توحيدا صريحا أو مؤوّلا، يسوّغ القول إنهم هم الآخرون موحّدون بشكل من الأشكال.

القول التاسع:

أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين ، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه ؛ ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئي ، أي : أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك .

اختاره سيد قطب[184] ودروزة[185] و ابن كثير وقال وهو أظهر الأقوال ، وهو قول مجاهد ومتابعيه ، ووهب بن منبه .

---

[184] قال سيد قطب : "والصابئون : الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة ، الذي ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام ، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها ، فاهتدوا إلى التوحيد ، وقالوا : إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ، ملة إبراهيم ، واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم . فقال عنهم المشركون : إنهم صبأوا – أي مالوا عن دين آبائهم – كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك . ومن ثم سموا الصابئة . وهذا القول أرجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير .الظلال (1/ 75).

و قال سيد قطب أيضا :" والصابئون هم في الغالب تلك الفئة التي تركت عبادة الأوثان قبل بعثة الرسول [ص] وعبدت الله وحده على غير نحلة معينة ، ومنهم من العرب أفراد معدودون".الظلال (2/ 942)

[185] قال دروزة: "فإطلاق التسمية على النبي والذين آمنوا به في أول عهد الإسلام، ثم سلك الصابئين في آيتي البقرة والمائدة في سلك الموحدين يزيد في قوة الاستدلال على أن الكلمة القرآنية عنت الموحدين بشكل ما والمنحرفين عن دين الآباء وتقاليدهم الشركية. وورودها في القرآن دليل على أنها من تعابير ما قبل البعثة وأنها كانت تطلق على جماعة ما في بيئة النبي متصفين بهذه الصفة، وأن منهم من ظلّ على ما كان عليه ولم يتّبع النبي صلّى الله عليه وسلّم. ولقد ورد في كتب السيرة والتفسير ذكر أفراد من عرب الحجاز كانوا ألمّوا بالكتب السماوية، واستنارت عقولهم فأنفوا أن يظلوا يعبدون ما يعبد آباؤهم ويشركون مع الله آلهة أخرى ففارقوا ذلك واستقروا على عقيدة التوحيد ومنهم من اعتزم التطويف في الأرض للبحث عن ملّة إبراهيم ومنهم من أخذ يتعبّد على ملّة إبراهيم أو ما ظنّه كذلك ومنهم من تنصّر ومنهم من كان في مكة ومنهم من كان في يثرب. وممن ذكرتهم الروايات زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبد الله بن جحش وأمية بن الصلت وأبو قيس البخاري اليثربي وأبو الهيثم بن التيهان اليثربي وأبو عامر الأوسي وسلمان الفارسي وأبو ذرّ الغفاري ومنهم من آمن بالنبي صلّى الله عليه وسلّم مثل سلمان وأبو ذرّ وعبد الله بن جحش، ومنهم من مات قبل بعثته مثل زيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث ومنهم من مات في أوائل بعثته مثل ورقة بن نوفل، الذي أدرك أوائل البعثة وقال للنبي صلّى الله عليه وسلّم لأن أدركني أمرك لأنصرنك نصرا مؤزرا ومنهم من كفر بنبوة النبي وناوأه مناوأة شديدة حسدا وعنادا مثل أمية بن الصلت وأبي عامر الأوسي المعروف بالراهب. (التفسير الحديث (6/ 27).

يقول علي هاني في القول التاسع قولِ ابن كثير نظر بينه الدكتور محمد الفيومي حيث قال:

"الأصح أن الصابئة فرقة مستقلة لها عقائدها وأفكارها وأما إطلاق العرب على الحنفاء الذين خرجوا عن دين الشرك أنهم صابئة فلأن الصابئ أطلقته العرب على من خرج عن دين الجاهلية ، وعلى كل من استحدث دينا غير دينه، وهم الذين أطلق عليهم صابئة الحنفاء،فهؤلاء ليسوا صابئة لكن العرب سمتهم بذلك فلم يستعمله العربي بمعنى: مذهب معين أو نحلة معينة لجماعة معينة أو يكون قد استعمله لكننا لم نر لذلك نصًّا لكن إطلاقه كان على الخارج مطلقًا، أما الإسلام: فأطلقها على صنف ذي عقيدة، أخطأت تنزيه الله، فوسطت الكواكب بينها وبينه، إذ الكواكب في عرفهم تحتوي على النور الإلهي ، ففي الاستعمال الإسلامي تطلق كلمة الصابئة على جماعة بعينها معتنقة مذهبا معينا غير الحنيفية؛ لأن القرآن عندما يذكر الصابئة يذكرها مقترنة بدعوة معتنقيها إلى الإسلام، أما الحنيفية فإن الإسلام يصف بها نفسه." اهـ بتصرف[186].

المسألة الثالثة عشرة : أقوال الفقهاء في الصابئة:

قد اضطربت أقوال الفقهاء في إجراء الأحكام على الصابئة على أقوال كثيرة ،

وسبب هذا الاضطراب هو اشتباه أحوالهم وتكتمهم في دينهم وإصرارهم على إخفاء تعاليمهم ، وامتناعهم عن الدعوة إلى دينهم ، واعتقادهم أن دينهم خاص بهم لا عام لكل النّاس ، و ميلهم إلى الانزواء والابتعاد عن غير أبناء دينهم وتحريمهم تزوّج النساء من غير الصابئين ، وأيضا بسبب ما دخل على دينهم من التخليط بسبب قهر الأمم التي تغلبت على بلادهم ، ولذلك أُحيطوا بكثير من الغموض واكتنفتهم الأسرار ، فالقسم

---

[186] تاريخ الفكر الديني (273).

الذي تغلَّب عليهم الفرس اختلط دينهم بالمجوسية ، والذين غَلَب عليهم الروم اختل دينهم بالنصرانية فكانوا ، وأيضا انقسموا فرقا كثيرة، فلذلك اختلف فيهم الفقهاء، وإليك أقوالهم:

- يَنْطَبِقُ عَلَىٰ الصَّابِئَةِ الأَحْكَامُ الَّتِي تَنْطَبِقُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ عَامَّةً: كَتَحْرِيمِ نِكَاحِ الصَّابِئِ لِلْمُسْلِمَةِ، وَكَعَدِمِ صِحَّةِ الْعِبَادَةِ مِنْهُمْ، وَعَدَمِ إِقَامَتِهِمْ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ.
- وَأَمَّا الأَحْكَامُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الْكِتَابِ: كَجَوَازِ عَقْدِ الذِّمَّةِ لَهُمْ، وَأَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُسْلِمُ مِنْ نِسَائِهِمْ، وَأَنْ يَأْكُل مِنْ ذَبَائِحِهِمْ، فَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي إِجْرَائِهَا عَلَيْهِمْ تَبَعًا لِاخْتِلاَفِهِمْ فِي حَقِيقَةِ دِينِهِمْ، وسأذكر أقوالهم وعليكم أيها القارئ الكريم أن تربط كل حكم فقهي بالطائفة التي تناسبه من الطوائف التي ذكرتها لك من قبل[187] :

القول الأول:

أَنَّهُمْ مِنْ أَهْل الْكِتَابِ،فيعدونهم طَائِفَة مِنْ أَهْل الْكِتَابِ لأَنَّهُمْ يَقْرَءُونَ الزَّبُور ، وَلاَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ، وَلَكِنْ يُعَظِّمُونَهَا كَتَعْظِيمِ الْمُسْلِمِينَ لِلْكَعْبَةِ فِي الاِسْتِقْبَال إِلَيْهَا، فأجروا عليهم الأَحْكَامَ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْكِتَابِيِّ، أَوْ مَنْ لَهُ شُبْهَةُ كِتَابٍ من ذلك أَنَّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَأْكُل مِنْ ذَبَائِحِ الصَّابِئَةِ، وَأَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ نِسَائِهِمْ، بِنَاءً عَلَىٰ أَنَّهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ، وَإِنَّمَا يُعَظِّمُونَهَا كَتَعْظِيمِ الْمُسْلِمِينَ لِلْكَعْبَةِ..

اختاره الإمام أَبُو حَنِيفَةَ والإمام أحمد[188] واستدل الإمام ابو حنيفة عليه بِقَوْل أَبِي الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَالسُّدِّيِّ، وَأَبِي الشَّعْثَاءِ، وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَالضَّحَّاكِ وَإِسْحَاق بْن رَاهَوَيْهِ.

---

[187] معظم المبحث الفقهي ملخص من الموسوعة الفقهية من عدة مواضع (7/ 140)(15/ 169) (21/ 185) (26/ 294) وكتب فقهية سأذكرها..

[188] وفقد قَال الإمام أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ ثَانِيَةٍ: إِنَّهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْبِتُونَ وَاسْتَدَل لِذَلِكَ بِمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَال: إِنَّهُمْ يَسْبِتُونَ. فِي رِوَايَةٍ للإمام أحمد : هُمْ مِنَ النَّصَارَىٰ؛ لأَنَّهُمْ يَدِينُونَ بِالإِنْجِيل وَاسْتَدَل لِذَلِكَ بِمَا نُقِل عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَفِي رِوَايَةٍ ثَالِثَةٍ: أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ؛ فَهُمْ كَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ.

القول الثاني:

قَالَ الصَّاحِبَانِ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ [189] والمالكية[190]: إِنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ، وَعَابِدُ الْكَوْكَبِ كَعَابِدِ الْوَثَنِ فأجروا عَلَيْهِمُ الأَحْكَامَ الَّتِي تَنْطَبِقُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ[191] من ذلك أنهم أَلاَ تَحِل نِسَاؤُهُمْ وَلاَ ذَبَائِحُهُمْ.

قَالَ ابْنُ الْهُمَامِ: الْخِلاَفُ بَيْن أبي حنيفة وصاحبيه مَبْنِيٌّ عَلَى الْقَوْل بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِمْ، فَلَوِ اتَّفَقَ عَلَى تَفْسِيرِهِمُ اتَّفَقَ الْحُكْمُ فِيهِمْ.

الْقَوْل الثَّالِثُ:

وأما الشَّافِعِيَّة، وَهُوَ مَا صَحَّحَهُ ابْنُ قُدَامَةَ مِنَ الْحَنَابِلَةِ[192] فَقَدْ تَرَدَّدُوا فِيهِمْ، قَال النَّوَوِيُّ: الْمَذْهَبُ أَنَّهُمْ إِنْ خَالَفُوا النَّصَارَى فِي أَصْل دِينِهِمْ فَلَيْسُوا مِنْهُمْ، وَإِلاَّ فَهُمْ مِنْهُمْ. قَال: وَهَكَذَا

---

[189] قال الجصاص : "الصابئة الذين يعرفون بهذا الاسم في هذا الوقت ليس فيهم أهل كتاب وانتحالهم في الأصل واحد أعني الذين هم بناحية حران ، والذين هم بناحية البطائح وكَسْكَر في سواد واسط ، وإنما الخلاف بين الذين بناحية حران والذين بناحية البطائح في شيء من شرائعهم وليس فيهم أهل كتاب فالذي يغلب على ظني في قول أبي حنيفة أنه شاهدَ قوماً منهم يظهرون أنهم نصارى تقيةً ، وهم الذين كانوا بناحية البطائح وكسْكر ويسميهم النصارى، يُوحنَّاسِيَّة وهم ينتمون إلى يحيى بن زكرياء ، وينتحلون كتباً يزعمون أنها التي أنزلها الله على شيث ويحيى . ومن كان اعتقاده من الصابئين على ما وصفنا وهم الحرانيون الذين بناحية حران وهم عبدة أوثان لا ينتمون إلى أحد من الأنبياء ولا ينتحلون شيئاً من كتب الله فلا خلاف بين الفقهاء في أنهم ليسوا أهل كتاب ، وأنه لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وأبو يوسف ومحمد قالا : إن الصابئين ليسوا أهل كتاب ولم يفصلوا بين الفريقين وكذا قول الأوزاعي ومالك بن أنس".احكام القرآن (2/ 413)(3/ 118)

[190] قَال الْقُرْطُبِيُّ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ:" الَّذِي تَحَصَّل مِنْ مَذْهَبِهِمْ فِيمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: أَنَّهُمْ مُوَحِّدُونَ، يَعْتَقِدُونَ تَأْثِيرَ النُّجُومِ، وَأَنَّهَا فَعَّالَةٌ، قَال: وَلِهَذَا أَفْتَى أَبُو سَعِيدٍ الإِصْطَخْرِيُّ، الْقَاهِرَ بِاللَّهِ بِكُفْرِهِمْ، حِينَ سَأَلَهُ عَنْهُمْ " انتهى ، وَهُوَ قَوْل أَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ فِيهِمْ؛ لأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ، وَعَابِدُ الْكَوَاكِبِ كَعَابِدِ الْوَثَنِ".الجامع لأحكام القرآن (1 / 435)

191 قال ابن القيم : "وَبِالْجُمْلَةِ فَالصَّابِئَةُ أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمَجُوسِ. فَأَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنَ الْمَجُوسِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَخْذِهَا مِنَ الصَّابِئَةِ بِطَرِيقِ الأَوْلَى، فَإِنَّ الْمَجُوسَ مِنْ أَخْبَثِ الأُمَمِ دِينًا وَمَذْهَبًا، وَلاَ يَتَمَسَّكُونَ بِكِتَابٍ وَلاَ يَنْتَمُونَ إِلَى مِلَّةٍ، فَشِرْكُ الصَّابِئَةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَخَفَّ مِنْهُ فَلَيْسَ بِأَعْظَمَ مِنْهُ" (أحكام أهل الذمة/ ابن قيم الجوزية/ 242).

نَصَّ عَلَيْهِ (أَيْ نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ) ، وَالْمُرَادُ بِأَصْلِ دِينِهِمْ: سيدنا عِيسَى وَالإِنْجِيل، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فُرُوعٌ، أَيْ: إِنْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – وَيُؤْمِنُونَ بِالإِنْجِيلِ فَهُمْ مِنَ النَّصَارَى وَلَوْ خَالَفُوا النَّصَارَى فِي الْفُرُوعِ، مَا لَمْ تُكَفِّرْهُمُ النَّصَارَى بِالْمُخَالَفَةِ فِي الْفُرُوعِ فَإِنْ كَفَّرُوهُمْ فَلَيْسُوا مِنْهُمْ ، وَفِي نِهَايَةِ الْمُحْتَاجِ: لَوْ خَالَفُوا النَّصَارَى فِي أَصْلِ دِينِهِمْ وَلَوِ احْتِمَالاً كَأَنْ نَفَوْا الصَّانِعَ أَوْ عَبَدُوا كَوْكَبًا حَرُمَ نِسَاؤُهُمْ عَلَيْنَا ، وَهَذَا التَّرَدُّدُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ فِي الصَّابِئَةِ الْمُشَابِهَةِ لِلنَّصَارَى (وَهُمُ الْمُسَمَّوْنَ الْمَنْدَائِيِّينَ) ، أَمَّا الصَّابِئَةُ عُبَّادُ الْكَوَاكِبِ وَهُمُ الْحَرَّانِيَّةُ؛ فَهَؤُلاَءِ مَجْزُومٌ بِكُفْرِهِمْ؛ فَلاَ تَحِل مُنَاكَحَتُهُمْ وَلاَ ذَبَائِحُهُمْ قَوْلاً وَاحِدًا، فَقَدْ جَزَمَ الرَّمْلِيُّ بِأَنَّ الْخِلاَفَ لاَ يَجْرِي فِيهِمْ.

المسألة الثالثة عشرة : اشتقاق اسم الصابئة :

في (الصابئين)(الصابئون) قراءتان:

الأولى بالهمز (الصابئين)(الصابئون) ، والثانية بدون همز (الصابين، الصابون):

فقرأه الجمهور بهمزة بعدَ الموحدة على صيغة جمع صَابِئ بهمزة في آخره ، وقرأه نافع وحده بياء ساكنة بعد الموحدة المكسورة (الصابين) على أنه جمع صَابٍ منقوصاً

أولا على قراءة الهمز (الصابئين/ الصابئون):

على قراءة الجمهور فيها قولان:

---

[192] جاء في المبدع في شرح المقنع:" وَأَمَّا الصَّابِئَةُ فَقَالَ أَحْمَدُ: هُمْ مِنْ جِنْسِ النَّصَارَى، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: بَلَغَنِي أَنَّهُمْ يَسْبِتُونَ، فَأَلْحَقَهُمْ بِالْيَهُودِ وَفِي " الْمُغْنِي ": الصَّحِيحُ أَنَّ مَنْ وَافَقَ الْيَهُودَ فِي أَصْلِ دِينِهِمْ وَخَالَفَهُمْ فِي فُرُوعِهِ – فَهُوَ مِنْهُمْ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ فِي أَصْلِ دِينِهِمْ، فَلَا، وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ كَالْمُتَمَسِّكِ بِصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ، وَشِيثَ، وَزَبُورِ دَاوُدَ، فَلَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ عَلَى الصَّحِيحِ، ذَكَرَهُ ابْنُ عَقِيلٍ، فَلَا تَحِلُّ نِسَاؤُهُمْ وَلَا ذَبَائِحُهُمْ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى {أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ} [الأنعام: 156] الْآيَةَ.(6/ 140).

القول الأول:

فالصابئون جمع صابئ ، وصابئ: اسم فاعل صَبَأ مهموزاً ، أي ظهر وطلع. ومادة (ص، ب، أ) تدور[193] على : خروج الشيء أو نفاذه بصلابة وحِدة من بين الأثناء التي كانت تضمه.

يقال صبأ ناب ذي الخف والحافر: طلع حدُّه وخرج ، وصبأ سن الغلام: طلع ، وصبأ النجم والقمر: طلع وبرز ، وصبأت النجوم إذا أخرجت من مطلعها ، وصبأ علينا فلان موضع كذا وكذا ، يعني به طلع، ويقال: صَبَأْتُ على القومِ إذا طَرَأْتُ عليهم ، والصابئ أطلقه العرب على غير الملة المعروفة فقد أطلقوه على: من انتقل من دينه إلى دين آخر كالمرتد من أهل الاسلام . وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر يسمى صابئا ، والصابئة تطلق أيضا على ملة متميزة معروفة عبر التاريخ.

لم سميت الصابئة بذلك على هذا القول:

القول الأول:

1) لخروجهم عن الدين الحق وميلهم إلى الباطل وكأن معنى الصابئ التارك دينه الذي شرع له إلى دين غيره ، كما أن الصابئ على القوم تارك لأرضه ومنتقل إلى سواها ، فالدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد إلى عبادة لنجوم[194]

اختاره : الآلوسي[195] والشهاب على البيضاوي والشعراوي والطوسي [196] وأجازه البيضاوي .

---

[193] ينظر المعجم الاشتقاقي لمحمد حسن جبل (ج3/ 1188).

[194] قال «الشّهرستاني » في «الملل والنحل » يقول : الصابئة من صبأ أي انحرف عن طريق الأنبياء ، وهؤلاء قوم انحرفوا عن طريق الحق ودين الأنبياء فهم «صابئة » اهـ فجعلهم في مقابلة الحنيفية .

[195] قال الآلوسي :"والمناسب لعموم اللفظ وعدم صرفه إلى تخصيص { الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى } بالكفرة منهم/ وتخصيص { مَنْ ءامَنَ } الخ بالدخول في ملة الإسلام ، إلا أنه يرد عليه أنه مستلزم أن يكون للصائبين دين ، وقد ذكر غير واحد أنه ليس لهم دين تجوز رعايته في وقت من الأوقات ففي «الملل والنحل » أن الصبوة في مقابلة الحنيفية ، ولميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم : الصابئة ، ولو سلم أنه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه ، فمن مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن إرجاع الضمير الرابط بين اسم (إن) وخبرها إليهم على القول

القول الثاني:

لأنهم تركوا دينهم و استحدثوا دينا سوى دينهم ، فالصابئ : التارِكُ لدينِه، كالصابئِ الطارئِ على القومِ فإنه تارِكٌ لأرضِه ومنتقِلُ عنها ، فهو المستحدث سوى دينه دينا ، كالمرتدّ من أهل الإسلام عن دينه . وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب صابئا [197]

الطبري ومكي[198] والواحدي والبغوي والرازي وابن الجوزي

القول الثالث:

سموا صابئة لأنهم خارجون عن التقيد بكل الأديان لأنهم خرجوا عن الأديان كلها، بمعنى خرجوا إلى اتباع الهوى في دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله،فهم يأخذون محاسن كل دين كما يزعمون ، فأصل دين هؤلاء فيما زعموا أنهم يأخذون محاسن ديانات العالم ومذاهبهم ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولا وعملا ، ولهذا سموا صابئة ، أي خارجين ، فقد خرجوا عن تقييدهم بجملة كل دين وتفصيله إلاّ ما رأوه فيه من الحق.

المشهور وارتكاب إرجاعه إلى المجموع من حيث هو مجموع قصداً إلى إدراج الفريق المذكور فيهم ضرورة أن من كان من أهل الكتاب عاملاً بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع أولئك الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وإن لم يكن من الصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه ؟ على أن فيه بعد ما لا يخفى فتدبر .(روح المعاني 1/ 280).

[196] قال الطوسي:" فالدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد إلى عبادة لنجوم " التبيان في تفسير القرآن (1/ 279).

[197] ويدخل في هذا القول قول من قال: سموا بذلك لأنهم مالوا إلى دين بخت نصر قال بعضهم الصابئة هم الذين تخلفوا ببابل من جملة الأسباط الناهضة في أيام كورش وأيام أرطحشست إلى بيت المقدس ، ومالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بخت نصر ، فذهبوا مذهبا ممتزجا من المجوسية واليهودية ، كالسامرة بالشام ذكره البيروني.

198 قال أبو جعفر :" والصابئون جمع صابئ ، وهو المستحدث سوى دينه دينا ، كالمرتدّ من أهل الإسلام عن دينه . وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب صابئا ، يقال منه : صَبَأَ فلان يَصْبَأ صَبْأً ، ويقال : صبأت النجوم : إذا طلعت ، وصبأ علينا فلان موضع كذا وكذا ، يعني به طلع قال مكي: والصابئين : قوم خرجوا من دين إلى دين " جامع البيان(2/ 145).

اختاره : محمد الأمين في الحدائق وابن القيم في إغاثة اللهفان وكذا الزمخشري[199] والخازن[200] والنيسابوري في المائدة .

القول الرابع:

لأنهم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية، فهم ليسوا بيهود ولا نصارىٰ ولا دين لهم .

روي عن مجاهد وقتادة

وهو من صبأ : إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة.

اختاره الزمخشري.

القول الخامس:

من صبأ : إذا رفع رأسه إلىٰ السماء لأنهم يعبدون الكواكب، وقيل الملائكة .

القول السادس:

قالوا من لغات عربية قديمة (من لغات سامية)ثم اختلفوا :[201]:

---

199 قال الزمخشري: " وما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها ، أي خرجوا".الكشاف (1/ 166)

200 قال الخازن "لأنهم صبأوا عن الأديان كلها ، بمعنىٰ : خرجوا لأنهم صبئوا إلىٰ اتباع الهوىٰ والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عنده الله "لباب التأويل (2/ 64).

201 عبر كثير ممن قال بذلك : أن هذه اللغة مأخوذة من أصل سرياني وعبري مثلا وتعبيرات كثير منهم كالمصطفوي في التحقيق في كثير من مواضع كتابه تشير إلىٰ أن السريانية والآشورية ونحوها ليست عربية " وفيه نظر فكل من السريانية والآشورية والسريانية والآكادية والآرامية وغيرها هي لغات عربية قديمة تطورت عبر التاريخ حتىٰ نضجت وكملت فوصلت للغة العربية الفصيحة أو أن اللغة العربية أم للغات السامية وسائر اللّغات السّاميّة تفرّعت عنها كما العاميّة عن الفصحىٰ ، كما حققه كثير من الباحثين كالدكتور محمد محفل المتخصص في اللغات القديمة والهلالي وعبد الله أمين ، وقد كنت جمعت رسالة في الرد علىٰ تسمية اللغة العربية باللغة السامية جمعتها من كلام علماء اللغات : وأنقل بعض ما جاء فيها للفائدة : بروز

اللهجات وتمكنها من المجتمعات وتشعبها من أصول اللغات هو أمر طبيعي وصحي وحتمي للغاية، فكل لغة مصيرها الزوال والتحور إلى طور آخر مختلف ، وأما اللغة العربية الفصحية فهي محفوظة بحفظ القرآن ، ويبدأ تطور اللغة من خلال تفرعها إلى عدد من اللهجات تتجه يوماً ما إلى تباين هائل بينها وبين أمها أو إلى لغة متكاملة تحل محل سابقتها وإن كانت من أصلابها ، كما حدث للغات القديمة كالسامية واللاتينية والسنسكريتية التي انسلخت منها مئات اللهجات لتتحور بعد دهر من الزمان إلى لغات مستقلة تشعبت هي كذلك إلى لهجات يتحدث بها المتحدثون، كما حدث للغة اللاتينية التي كانت تضم الفرنسية، والإيطالية ، والبرتغالية ، والرومانية ، والأسبانية، والسر الخبيء في استمرار التعاطي مع العربية الفصحى ولأكثر من ألفي عام هو تقديسها وتبجيلها بالقرآن الذي نزل بها وبحكم التصاقها بالدين الذي لا يتوقف العباد عن ممارسته صبيحة كل يوم وعشيته ، فلم تغِب عن الذهنية التخاطبية والتحاورية رغم تراكم السنين

1) اللغة العربية هي أم اللغات السامية :

قال عبدالله بن أمين في كتابه الاشتقاق: درست أشهر اللغات السامية السريانية والعبرية وأسفرت الموازنة عن أن بين هذه اللغات الثلاث العربية والعبرية والسريانية من وجوه الشبه ما يحمل الباحث على الجزم بأن ثلاثتها أخوات لأم واحدة أو أن إحداها أم للأخريين ، وقد اختلف علماء اللغات السامية في ذلك ثم قال –– على أني أذهب إلى أبعد من ذلك فأزعم أن اللغة العربية أم للغات السامية كلها أو على الأقل للغتين السريانية والعبرانية اللتين درستهما وذلك لأدلة كثيرة –––، على أن الرأي الراجح عند علماء اللغات السامية أن مهد الساميين الأصليين بلاد العرب وكاتب هذا يجزم بذلك لما يأتي :

لأن بلاد العرب بلاد جرداء جدبة [201] لا ماء فيها ولا نبات وما يجاورها من البلاد شرقا وشمالا وغربا وهي العراق وما إليه وبلاد الشام كلها ومصر من أخصب بلاد الدنيا وهذه البلاد كلها استوطنها الساميون والثابت المقطوع به أن البشر إذا تكاثروا في البوادي القاحلة وهاجروا إلى ما يجاورها من البلاد الخصبة وإن حدث عكس ذلك كان نادرا ولأسباب قوية .

ولأن الثابت من التاريخ أن العرب نزحوا إلى العراق وكونوا فيه دولة هي دولة المناذرة ونزحوا إلى الشام وكونوا فيها دولة هي دولة الغساسنة، وكونوا في طرف البادية بين الشام والعراق دولة تدمر ونزحوا إلى مصر وكونوا فيها الأسرتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة باسم الهكسوس ، فالجماعة الأولى السامية هي الجماعة العربية ومهد الساميين الأول هو مهد هذه الجماعة العربية الأصلي وهو نجد والحجاز والعروض واليمن وما والى هذه البقاع ومنها جميعا ابتدأت الهجرة السامية الأولى إلى شمال

الجزيرة العربية حيث مساكن اليهود العرب وإلى فلسطين وسورية ومشارف الشام والعراق حتى تخوم بلاد إيران ثم إلى الحبشة ووادي النيل

والذي قالوه ـ وهو حق ـ وأقول اللغة العربية لقدمها ولعزلتها في الجزيرة العربية بعيدة عن الأمم الأعجمية بقيت محتفظة بطابعها العربي ماضية في سبيل التقدم والنماء اللغوي على النسق العربي وتخلفت عنها في الميدان بنتاها السريانية والعبرية لأنهما وليدتا الهجرة إلى العراق والشام وقد اختلط أهلها بمن في هذه البلاد وغيرها من البلاد المجاورة وكلها أعجمية ففسد لسانها ووقف نماؤها وتقدمها على نحو ما نمت اللغة العربية وتقدمت

وبعد هذا كله نقول ونحن مطمئنون إلى ما نقول إن تسعين في المائة على الأقل من الكلمات المتشابهة في اللغات الثلاث من أصل عربي أما العشرة في المائة الباقية فقد يكون بعضها سريانيا وبعضها الآخر عبرانيا أو غير ذلك [201] اهـ

3) قال محمد محفل :التشابه الكبير بين مختلف لهجات أسلافنا القدامى، إن كان في بلاد الهلال الخصيب أو في الحوض الأدنى لنهر النيل أو في شبه الجزيرة العربية. فيمكن اعتبار اللهجات العتيقة: أكدية [201] / بابلية/ آشورية/ كنعانية، بمثابة العتبات الأولى في السلم اللغوي العربي، ولا تشكّل هذه اللهجات لغات قائمة بذاتها، لدرجة أن أمرها قد اختلط على العلماء الأجانب (المستشرقين)، فمثلاً بالنسبة للغات بلاد الرافدين: أكدية/ بابلية/ آشورية، نراهم يطلقون عليها في البدء اسم "الآشوريات" كما عهدناه سابقاً في جامعاتهم، ثم راحوا يقولون "الأكديات" وهي التسمية الرائجة في أوساطهم حالياً، وفي الواقع، فلا هذه التسمية ولا تلك منطقية: إذ أن هذه التسميات لا تشير إلى عرق/ جنس محددٍ قائم بذاته ، بل تعود بنسبتها إلى مواقع أو مدن الخ... فالأكدية، نسبة إلى أكد، عاصمة الامبراطورية الأكدية والبابلية نسبة إلى بابل الخ.."_ أو ناحية جغرافية { كنعان : أي بلاد الغرب } الخ ، قد يستغرب البعض برنامجنا هذا وعلى كل كما قالوا كل جديد غريب، أما بالنسبة لنا فليس بجديد ولا بغريب فمنذ أربعة عقود كتبنا هذا في كتبنا وما جئنا به ليس خطابا بيزنطيا بل برنامج عمل علمي بدأنا نتلمس معالمه منذ بداية تدريسنا الجامعي وبحثنا اللغوي المقارن عام 1967 ونرى أنه الرد المناسب على مدرسة الاستشراق منذ حملة نابليون وحتى اليوم فبعد كل كشف أثري يبادرون إلى ابتداع اسم لغة جديدة وبعد العثور على على "رُقُم إبلا تل مرديخ" جاؤونا بنغمة الإبلائية فأبدينا تحفظاتنا واقترحنا البديل الكنعاني الباكر وأعلناه في الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية يقول البعض إننا الورثة الشرعيون لتلك الحضارات المشرقية القديمة وهذا صحيح

ــــــثم قال كيف نفسر هذا الإهمال الصارخ لتاريخ الوطن العربي منذ فجر الكتابة وحتى عصر الإسلام فإن كان لقدماء أسلافنا عذرهم ألا وهو جهل إرثنا اللغوي القديم لأسباب ذاتية وموضوعية مما جعلهم فريسة أوهام { الإسرائيليات } فكيف نعلل حال باحثينا المعاصرين بعد هذا الكشف الكبير الذي أعطانا مئات الألوف من رُقُم متعددة اللهجات

- تنتسب لغتنا "العربية الفصحى" إلى تلك المجموعة اللغوية، التي أُطْلِق عليها تجاوزاً اسم "اللغات السامية". وهي اللغات واللهجات التي تكوّنت في مختلف أصقاع وطننا العربي القديم اعتباراً من الألف الرابع (ق.م). وأوّل من نادى بالنظرية السامية بدءاً من عام 1781 ، الباحث النمساوي شلوتسر معتمداً -لأسبابٍ سياسية/ كهنوتية- على ماجاء في (سفر التكوين، الإصحاح العاشر)، ومن يقرأ هذا الإصحاح يلاحظ مباشرةً أن كاتب النصّ يُقسّم الشعوب والأقوام لاعتبارات سياسية، لاسيّما موقفها من أهل التوراة، ومن الأمثلة على ذلك، أنهم أخرجوا الكنعانيين من دائرة "الشجرة السامية"؛ علماً أن مختلف الدراسات المقارنة قد أظهرت الصلات الجوهرية والوشائج المطلقة، التي تشدّ الكنعانية إلى غيرها من لغات مشرقنا العربي القديم. ثم جاء بعد شلوتسر من عمل على ترويج هذه التسمية وفي مقدمتهم العالم الفرنسي (إرنِسْت رِنَان)، بل راح "يفلسفها" عرقياً، خدمة للمدرسة الاستعمارية الفرنسية في القرن التاسع عشر.
- نحن نرفض جازمين نظرية "التسمية السامية"، لأسبابٍ علميةٍ محضة، ثانياً: التسمية ذات أصل توراتي -كما ذكرنا أعلاه- كما أن الاستشراق الغربي قد "ابتدعها" وروّجها، لأسبابٍ سياسية/ مذهبية، لم تعد خافية على أحد، وذلك في أوج اندفاع الاستعمار الغربي، وقبل قرنٍ تقريباً من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول. كما أننا اكتوينا كافياً برعونة سلاح: سامية/ لاسامية، وإضافةَ لهذا وذاك، لا نجد أثراً لهذه التسمية في مؤلفات علمائنا وشيوخنا الأوائل؛ وما نقرّره هنا، قد نَبَّهْنا إليه منذ ربع قرن تقريباً في المقدّمة التاريخية لكتابنا (المدخل إلى اللغة الآرامية)، المقرّر في جامعة دمشق، والمعمول به حتى يومنا هذا، إذ قلنا أن المُهمة ملقاة على عاتق الباحثين العرب المعاصرين لإيجاد بديلٍ للتسمية التوراتية... ويدخل الموضوع في باب "السهل الممتنع" لانتشار هذا الخطأ الشائع في الأوساط الجامعية، عربياً ودولياً. وقد سبق أن انتبه لإبهام التسمية بعض الباحثين العرب، لاسيّما الأستاذين محمد عزّة دروزة وجواد علي، وقد لخّص هذا الأخير الموضوع كما يلي: "... ولعلّني لا أكون مخطئاً أو مبالغاً إذا قلت إن الوقت قد حان لاستبدال مصطلح (سامي) و(سامية) بـ(عربي) و(عربية)... ولما كان العلماء قديماً قد أطلقوا على هذه الأرض التي ظهرت فيها شعوب كثيرة ولغات عديدة اسم (جزيرة العرب) أو (شبه جزيرة العرب) غير مراعين في ذلك تعداد

المواضع أو اللغات واللهجات أو القبائل، ولا تاريخ ظهور لفظة (العرب) إلى عالم الوجود، جاز لنا بل وجب علينا -على ما أرى- أن نستبدل مصطلح (السامية) بمصطلح (العربية)، فنكون بذلك قد لاحظنا عاملين مهمّين: عامل القرابة اللغوية والأصل اللغوي، وعامل وحدة المكان

- وغنيّ عن البيان، أنه لا يمكن تمييز أولئك "الساميين" عن غيرهم من أقوام وطننا العربي القديم، استناداً إلى ماهية العرق البشري فقط، إذ أن هؤلاء قد امتزجوا، منذ الألف الرابع (ق.م)؛ بسواهم من الأقوام المنحدرة من جبال زاغروس أو المتدفقة من بلاد الأناضول أو الوافدة من جزر الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط: من سومريين وغوتيّين وحثيّين وكاشيين وحوريين-ميتانيين وفلستينيين وفرس أخمينيين وإغريق ولاتين وغيرهم. ومع أن أولئك الأقوام قد نطقوا بألسنٍ مغايرة لما كان سائداً في ربوعنا، فلم يتمكنّوا من فرض لغاتهم على أهل البلاد، فظلّت محدودة في أوساطهم لتندثر بزوال سلطانهم السياسي.
- وأظهرت شتى الدراسات المقارنة الخاصة بأصول السلالات البشرية (الاثنولوجية)، أن عملية تمازج الشعوب لم تنقطع منذ عصور ماقبل التاريخ، من جراء الهجرات البشرية المختلفة، مما أدّى إلى اختلاط دماء شتى الشعوب، وينطبق هذا الأمر على وطننا العربي القديم كما ذكرنا أعلاه
- فالتسمية السامية التي أطلقها شلوتسر في نهاية القرن الثامن عشر غير منطقية ومخالفة لأبسط الحقائق العلمية، ـ ـ فالتسمية توراتية ومضلّلة، وهدفها الترويج للغة "عبرية" قديمة. مع العلم أنه لا توجد لغة عبرية قديمة، كما يتوهّم البعض، والتوراة ذاتها تقول "شفة كنعان" أو "لسان يهودي" نسبةً إلى سبط يهوذا. والتوراتية ليست سوى خليط كنعاني/ آرامي كما هو معروف أكاديمياً ، ولم تظهر تسمية "لغة عبرية" إلا بعد السيد المسيح. فمن ظلّ على يهوديته نَطَقَ "بالعبرية" ومن تنصّر تكلم بالآرامية/ السريانية، (كُتِبَ انجيل متى بالآرامية/ السريانية في حين كُتِبَت الأناجيل الثلاثة الأخرى باليونانية). وعوضاً عن "السامية" -هذا الخطأ الشائع- من الأفضل أن نقول "العربيات العتيقة، لأسبابٍ وجيهة، كما سنوضحه لاحقاً
- إن عربيتنا الفصحى هي اللغة الوحيدة التي حافظت على عبقريتها في الصرف والنحو خلافا لسائر لغات المعمورة ـ مع تعديل وتجديد بسيط في معجمها وهي سنة الكون والحياة الاجتماعية

- يضم معجم العربية الفصحى ثروة لفظية ضخمة لا يعادلها أي معجم سامي آخر. ولهذا أصبحت عونا لعلماء الساميات في إجراء المقارنات اللغوية أو قراءة النصوص السامية القديمة كنصوص الآثار الأكادية والفينيقية والأوغاريتية وحتى نصوص التوراة العبرية.

5) قال صلاح عبدالستار الشهاوي : "أما مصطلح السامية فهو واحدة من شطحات المستشرقين الذين قاموا بنسبة اللغات العربية القديمة – المسندية، الأكادية، الكنعانية، الآرامية، والهيروغليفية والتي هي لهجات عربية إلى العبرية، فإذا استعصى ذلك أعطيت اسما خاصًا وجمعت بوصفها عائلة لغوية تحت المسمى العام – اللغات السامية.أما أول من اختلق فكرة السامية فهو العالم الألماني اليهودي – أوجست لودفيج شلوتر عام 1781م في مقال عن الكلدانيين مقترحا إطلاق تسمية السامية على مجموعة اللهجات العربية التي كان يتكلم بها سكان الجزيرة العربية وما بين النهرين وسوريا وفلسطين والحبشة ومصر وشمال إفريقيا حيث قال (من البحر المتوسط إلى الفرات ومن أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوبًا سادت – كما هو معروف – لغة واحدة، ولهذا كان السوريون والبابليون حتى والعبريون والعرب شعبًا واحدًا وكان – الحاميون – أيضًا يتكلمون هذه اللغة التي أود أن أسمّيها – اللغة السامية – ومن المؤسف أن ينتشر هذا الرأي حتى أصبح عند علماء الغرب علمًا لهذه التقسيمة الشعوبية، وأنشأوا أقسام اللغات السامية والدراسات السامية والحضارة السامية، ثم كان ما هو أفدح أن سرت إلى المؤرخين العرب وباحثيهم بطرق الاقتباس والتقليد. وهكذا أصبح هناك ما يطلق عليه عندنا بالسامية مع العلم أنها بدعة لم يقصد بها إلا تكملة معاصرة لإسقاط جغرافية التوراة على فلسطين وما حواها كأيديولوجية دينية عنصرية صهيونية ولذلك يقول د.جواد علي في كتابه – العرب قبل الإسلام) – "يجب علينا إهمال كلمة الشعوب السامية وساميين وتبديلها بكلمة الشعوب العربية وعرب لأن هذه التسمية ملموسة بينما السامية اصطلاح مبهم. إذن فالوقت حان لاستبدال المصطلح سام وسامية بعربي وعربية، فقد رأينا أن تلك التسمية مصطنعة تقوم على أساس فكرة الأنساب الواردة في التوراة، وهي فكرة لا تستند إلى أسس علمية، وإنما قامت على بواعث عاطفية على أساس حب الإسرائيليين أو بغضهم لمن عرفوا من الشعوب .(ولأن التوراة هي أكثر من أي كتاب آخر نتاج جهد مشترك وخلاصة عدة ثقافات وحصيلة مستمرة لثقافات متطورة، فمصطلح العرب الذي يقال للسامية أقرب إلى العلم فهو أدق وأصرح وأصدق من اصطلاح – الساميين – الذي وضعه شلوتر ونقله عنه وأيّده علماء من الغرب والشرق اهـ

قال محمد تقي الدين الهلالي :

- فإنَّ الرَّأْي الصّحيح الذي عليه المُحقِّقُون من علماء هذا الشّأن أنَّ اللُّغة العربيّة هي الأصل وسائر اللّغات السّاميّة تفرّعت عنها كما العامّيّة عن الفصحىٰ ومن العجب أنَّ التّطوُّر الذي وقع في اللّغة العبرانيّة واللّغة السّريانيّة هو بعينه الذي وقع في اللّغة العاميّة، فإنَّ العبرانيّة والسّريانيّة كان فيهما إعراب في الأصل ولا تزالُ بقاياه في اللُّغة العبرانيّة ولمّا كثر الجهلُ بالقواعد فيهما أخذ الإعرابُ يزولُ شيئًا فشيئًا، حتّىٰ صار معدوما بالمَرّة، ولنضرب لذلك مثلا: المرأة في اللّغة العبرانيّة اسمها "اشه" وأصلُها "اشة" فتقولُ مثلاً "ها اشه طوبه" فمعناه: المرأة الطّيّبة.و"ها" هي أداة التّعريف بمنزلة الألف واللاّم في العربيّة، فالأصل "هاشة طوبة" فلمّا وقع الفسادُ وتغيّرت اللُّغة عن أصلها وانحرفت عنه حُذِفت هاء التّأنيث في الكلمتين وأُبدِلت بألف مدّ كما يُقالُ في العامّيّة:"الغُرفا العاليا"،وعربِيَّتُها في الأصل: "الغُرفة العاليّة". والدّليلُ علىٰ ذلك أنَّك إذا أضفتَ كلمة "اشه"يظهرُ الأَصلُ فتقول "اشة خا طوبة" معناه امرأتُك طيِّبة، ولذلك اشتدّ ألمي وعظمت حسْرتي لأنّنا إذا سرنا في هذا الطّريق يزولُ الإعرابُ مِنْ لُغَة القُرْآن وتبْعُدُ عن أصْلِها كُلَّ البُعْدِ كما بعدتْ أُخْتاها.» (تقويم اللّسانين.141-140

6) اللغة العربية أقرب اللغات السامية إلى اللغة الأم أكثر من أي لغة سامية أخرىٰ بل اللغة العربية هي الأصل لكل اللغات السامية [العربية القديمة]

لأن العربية هي أكثر اللغات السامية احتفاظًا بسمات اللغة الأم إن لم نقل هي اللغة الأم :

الأدلة علىٰ كون العربية أقرب اللغات السامية إلى اللغة الأم :

- فقد احتفظت بأصوات فقدتها بعض اللغات مثل: غ، ح، خ، ض، ظ، ث، ذ. ولا ينافسها في هذه المحافظة إلا العربية الجنوبية.
- العين والحاء من خصائص اللغات السامية
- احتفظت العربية بعلامات الإعراب بينما فقدتها اللغات السامية الأخرىٰ.
- احتفظت بمعظم الصيغ الاشتقاقية للسامية الأم، اسم الفاعل، المفعول .وتصريف الضمائر مع الأسماء والأفعال: بيتي، بيتك، بيته، رأيته، رآني.

أ) ذكر الإمام ابن عاشور: أن الأظهر عنده أن أصل كلمة الصابئ أو الصابئة أو ما تفرع منها هو لفظ قديم من لغة عربية أو سامية قديمة هي لغة عرب ما بين النهرين من العراق.

ب) وكذلك قال المصطفوي في التحقيق: قال الأصل في مادة (ص، ب، أ) هو الخروج وتقرب منها لفظا ومعنى مادة الصبو بمعنى الميل والحب، وهذه اللغة مأخوذة عن أصل سرياني وعبري هو (ص~ ب~ ع~) أي غطس عرفت به طائفة (المنديا) وهي طائفة يهودية نصرانية في العراق يقومون بالتعميد كالنصارى" كذا وفي « دائرة المعارف الإسلامية " وهي من وضع المستشرقين، يقول علي هاني: " لكن استنتاجهم هذا ينطبق على فرقة المنديا فقط" دون غيرها من فرق الصابئة التي ذكرناها ، لذلك قال في تاريخ الفكر الديني الجاهلي: " وتقول دائرة المعارف الإسلامية: أن اسم الصابئة مشتق من الأصل العبري "ص. ب. ع" أي غطس، ثم أسقطت العين وهو يدل بلا ريب على المنديا، أو الصبوء وهي فرقة يهودية نصرانية تمارس شعيرة التعميد في العراق "نصارى يوحنا المعمدان" اهـ وهذا استنتاج فيه قصور واضح .

ت) وقريب منه قول إبراهيم القطان :"الصابئون : الكلمة آرامية الأصل ، تدل على التطهير والتعميد" فهو جعلها آرامية .

ث) (جسينوس) الألماني يذهب إلى أن هذه الكلمة عبرية ، ولا يستبعد أن تكون مشتقة من كلمة تعني «النّجم »[202] يقول علي هاني: قوله عبرية فيه نظر ، وأما قوله تعني النجم فكلام فيه وجاهة لأن فرق الصابئة كلها تعظم النجوم ، وصبأ في بعض اللغات القديمة وفي العربية تعني الطلوع

- احتفظت بمعظم الصيغ الأصلية للضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.
- يقول علي هاني : وقد أخبرني أخ مطلع على الدراسات الاستشراقية في أمريكا أنهم كانوا قديما يقولون العبرية هي أصل اللغات السامية والآن تراجعوا وأقروا أن اللغة العربية هي الأصل لكن يعبرون بعبارات لا تجرح شعور اليهود .

[202] نقل هذا الشيرازي الشيعي في تفسير الأمثل .

والظهور يقال: صبأ النجم طلع ، وصبأت ثنية الغلام إذا خرجت لأن النجم يطلع ويظهر وعبادة هؤلاء قائمة على تعظيم الكواكب والله أعلم

ج) انه اسم شخص: وزعم بعضهم أنه كان لمتوشلخ ابن غير ملك يسمى صابي ، وأن الصابئة سموا به ذكره البيروني[203].

ثانيا : على قراءة من لم يَهمز ـ وهي قراءة نافع ـ (الصابين، الصابون): فإنه يحتمل وجهين :

الوجه الأول:

أن يكونَ مأخوذاً من المهموزِ فأَبْدَلَ من الهمزةِ حرفَ علة إمَّا ياءً أو واواً مثل قراءَته { سَالَ سائل } ، فصارَ من باب المنقوصِ مثل قاضٍ أو غازٍ ، والأصل : صابٍ ، ثم جُمِع كما يُجْمع القاضي أو الغازي ، إلا أنَّ سيبويه لا يرى قلبَ هذه الهمزة إلا في الشعر فمثل هذا التخفيف سماعي عنده ؛لأنه لا موجب لتخفيف الهمز المتحرك بعد حرف متحرك ، والأخفشُ وأبو زيد يَرَيان ذلك مطلقاً.

الوجه الثاني:

أنه اسم فاعل من صَبَا يَصْبو إذا مال إلى الشيء ، وأحبه ، قال أبو ذئب الهذلي : صَبَوْتَ أَبَا ذِئْبٍ وَأَنْتَ كَبِيرُ 204، فالصابي كالغازي ، أصلُه ، صابِوٌ فأُعِلَّ كإعلال غازٍ ورامٍ . اختاره السمرقندي، ورده أبو علي الفارسي205.

---

[203] نقل هذا الطباطبائي الشيعي في تفسيره

[204] – ديار التي قالت غداة لقيتها ... صبوت أبا ذئب وأنت كبير

تغيرت بعدي أو أصابك حادث ... من الدهر أو مرت [عليك] مرور.(ورد في "شرح أشعار الهذليين" للسكري 1/ 65، و"الحجة" لأبي علي 2/ 69.)

[205] قائلا :" هذا ليس بجيد ، لأنه قد يصبو الانسان إلى دين فلا يكون منه مدين به مع صبوه اليه"

وعلى هذا ، سموا بذلك لأنهم :

1) مالوا عن الطريقة الحقة الإلهية ، فمالوا من الحق إلى الباطل.

2) مالوا من سائر الأديان إلى ما هم فيه فمالوا عن الإسلام والوثنية واليهودية والنصرانية ، قال ابن عاشور: " لأنهم مالوا عن أديان كثيرة إذ اتخذوا منها دينهم كما سيأتي" .

3) لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة الشرع والعقل والسمع.

ذكره الزمخشري والبيضاوي في المائدة .

****

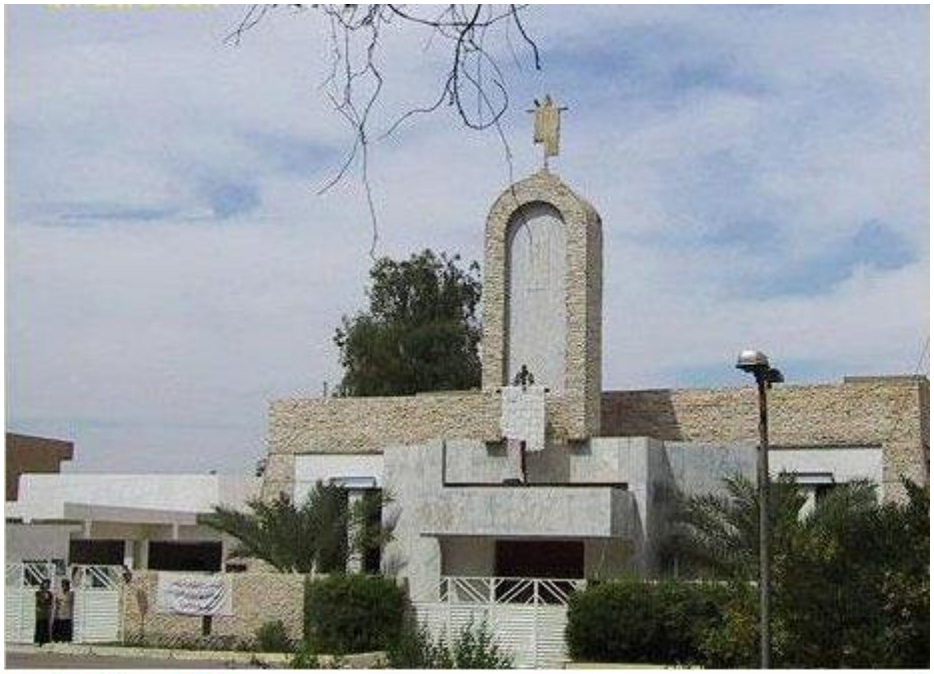

www.iraker.dk
مندي طائفة الصابئة
١٩٦٤
26 2:42 PM

نينوى
نمرود
آشور
آشور
بغداد
بابل
بابل
سومر
أور
مناطق الحضارات القديمة
مدن أثرية
حدود العراق الحديث

عنتاب
نزب
الرها
سروج
قرقميش
جرابلس
حرّان
تل أبيض
منبج
أعزاز
عفرين
حلب
بحيرة الأسد
الرقة
نهر الفرات
خناصر
معرة النعمان
الرصافة
حماة
بادية الشام
حمص
تدمر
lovely0smile.com

أطلس الأديان
صابئة حرّان (عبدة الكواكب)
عنتاب
الرها
نزب
سروج
قرقميش
جرابلس
حرّان
تل أبيض
منبج
أعزاز
عفرين
أنطاكية
حلب
الجزيرة الفراتية
الرقة
نهر الفرات
خناصر
معرة النعمان
الرصافة
اللاذقية
نهر العاصي
حماة
مصياف
بادية الشام
حمص
تدمر
طرابلس
ترعُ عُوز، قرية مشهورة بحرّان من بناء الصابئة، كان لهم بها هيكل، وكانوا يبنون الهياكل على أسماء الكواكب، وكان الهيكل الذي بهذه القرية باسم الزُّهَرَة، ومعنى ترع عُوز بلغة الصابئة باب الزهرة، وأهل حرّان في أيامنا يسمونها ترعوز، وينسبون إليها نوعاً من القثاء يزرعونه بها عذياً.
من بين فرق الصابئة المشهورة أربعة هي: أصحاب الروحانيات، وأصحاب الهياكل، وأصحاب الأشخاص، والحلولية. اشتهر منهم الصابئة الحرّانيون الذين انقرض أكثرهم ! ، والذين تختلف معتقداتهم بعض الشيء عن الصابئة المندائية المنتشرة على ضفاف الأنهار الكبيرة في جنوبي العراق وإيران .
مجموعة لفلي سمايل
lovely0smile.com

المسألة الرابعة عشرة: من آمن بالله

ومعنى { من آمن بالله } الإيمان الكامل[206] الإيمان بالله باعتقاد وحدانيته في الخلق والتكوين بألا يعتقدوا أن أحدا شارك الله تعالى في إنشائه الخلق أو استحقاق العبادة، وأنه ليس بوالد ولا ولد ولم يكن له كفوا أحد ،

---

[206] قال ابن عاشور: " ومعنى { من آمن بالله } الإيمان الكامل وهو الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقرينة المقام وقرينة قوله : { وعمل صالحاً } إذ شرط قبول الأعمال الإيمان الشرعي لقوله تعالى : { ثم كان من الذين آمنوا } [البلد : 17] . وقد عد عدم الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة عدم الإيمان بالله لأن مكابرة المعجزات ، القائمة مقام تصديق الله تعالى للرسول المتحدي بها يؤول إلى تكذيب الله تعالى في ذلك التصديق فذلك المكابر غير مؤمن بالله الإيمان الحق . وبهذا يعلم أن لا وجه لدعوى كون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : { ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه } [آل عمران : 85] إذ لا استقامة في دعوى نسخ الخبر إلا أن يقال إن الله أخبر به عن مؤمني أهل الكتاب والصابئين الذين آمنوا بما جاءت به رسل الله دون تحريف ولا تبديل ولا عصيان وماتوا على ذلك قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فيكون معنى الآية كمعنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر من يؤتى أجره مرتين : " ورجل من أهل الكتاب آمن برسوله ثم آمن بي فله أجران "، التحرير والتنوير (1/ 539) ، قال أبو زهرة:"والإيمان بالله تعالى هو الإيمان بالله باعتقاد وحدانيته في الخلق والتكوين بألا يعتقدوا أن أحدا شارك الله تعالى في إنشائه الخلق ، وأنه وحده خالق كل من في الوجود وأنه لا تخرج حركة عن حركة في الوجود ، وإنما ذلك قيوميته وإرادته ، وأنه ليس بوالد ولا ولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأنه جلت صفاته ، فليس كمثله أحد ، وهو السميع البصير ، وأن يؤمن باليوم الآخر وما فيه من حساب ، وثواب وعقاب ، وأن يؤمن بملائكته وكتبه ورسله هذا هو الإيمان فمن آمن من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ذلك الإيمان ، وأردف إيمانه بالعمل الصالح الذي يكون طاعة لله تعالى وفيه صلاح الناس ؛ { ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون } ، وكذلك من آمن من اليهود بالله والملائكة الأطهار والرسل الأمجاد ومنهم محمد بن عبد الله رسوله الأمين ، علم أن الله منزه عن مشابهة المخلوقين ، وأنه ليس كمثله شيء وعمل صالح { ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون } ، وكذلك النصارى إذا آمنوا بالله ورسله وأنه ليس بوالد ولا ولد { ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون } . هذا هو الإيمان بالله حق الإيمان ، وكذلك الصابئون من توافر فيهم ذلك الإيمان الموحد بالله تعالى في الخلق والتكوين والعبادة وآمن بالغيب ، وملائكته وكتبه ورسله عامة ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، هؤلاء إذا آمنوا ذلك الإيمان ، وأخلصوا لله ذلك الإخلاص وقووا إيمانهم بالعمل الصالح الذي يكون فيه الطاعة لله ولرسوله والاستجابة لكل ما أمر به – من كانوا كذلك فلا خوف عليهم من عقاب ينزل بهم ، ولا يحزنون على ما فاتهم في ماضيهم من شر ، لأن الإيمان يجب ما قبله كما قال تعالى : { قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف . . . (38) } [الأنفال] فلا يأسون على ما فاتهم ويفرحون بما أتاهم ".زهرة التفاسير (1/ 254)

وأنه جلت صفاته ليس كمثله أحد ، وهو السميع البصير ، والإيمان بالله تعالى يتضمن الإيمان بوحدانيته وأسمائه الحسنى ، وأنه الخالق وحده ، والمهيمن على الوجود وحده ، وأنه الأزلي الذي ليس له ابتداء ، والباقي الذي لا يعروه الفناء ، وأنه لا يشبه أحدا من خلقه ، وليس كالأشياء ، وهو منزه عما تتصف به الحوادث إلى آخر كل ما يقتضيه التنزيه، فالنصارى الذين يقولون بالتثليث ليسوا مؤمنين بالله سبحانه ، وكذلك الصابئة الذين يعبدون الكواكب واليهود الذين أشركوا في أوقات كثيرة وعبدوا الأصنام وخلطوا أمور الشرك بأديانهم وعبدوا الآلهة كما تقول التّوراة ، وبعضهم قال عزير ابن الله ووصفوا الله بما لا يليق به بل لا يليق بالبشر فضلا عن الله سبحانه ؛لأن القرآن الكريم نص في مواضع كثيرة أن من أشرك مع الله إلها آخر هو لا يعبد الله ، فلذلك نجد تعبير {من دون} يرد كثيرا في نحو { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} أي متجاوزين عبادة الله ، مع أنهم كانوا يعبدون الله وغيره، وقد نص القرآن نصا واضحا على أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله؛ لأنهم لم يؤمنوا به على الوجه اللائق ، ونص كذلك على أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر و انهم لا يدينون الدين الحق وأنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فاليهودية والنصرانية ليست الدين الحق ، قال تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29)}

<u>(مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا):</u> (من) بيانية ، أي بيان للذين مع ما في حيزه ، نفى عنهم الإيمان بالله ؛لأنّ اليهود يقولون : عزير ابن الله وهم يشبهون الله تعالى بخلقه ويصفونه بأوصاف لا تليق بالبشر فضلا عن خالق البشر ،و كثير من اليهود خلطوا أمور الشرك بأديانهم وعبدوا الآلهة كما تقول التّوراة ، والنصارى مثلثة : فهم يقولون : بالأب والابن وروح القدس ؛ والحلول والاتحاد ، وكل ذلك ينافي الإلهية ، وهم يضيفون إليه سبحانه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه ، وإيمانهم باليوم الآخر ليس بإيمان لأنهم فيه على خلاف ما يجب ، والفريقان قد ألصقوا باليوم الآخر تخيّلات وأكذوبات تنافي حقيقة الجزاء : كقولهم : { لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودة } [البقرة : 80] فكأنّهم لم يؤمنوا باليوم الآخر .

وهم لا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ؛ لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة .

لا يدينون دين الحق: فهم لا يعتقدون دين الإسلام هو الحق وما سواه باطل، وهم أيضا أوتوا الكتاب ولم يدينوا دين الحقّ الذي جاءت به كتبهم ، وإنّما دانوا بما حرفوا منه ، ومَا أنكروا منه ، وما ألصقوا به ، ولو دانوا دين الحق لاتّبعوا الإسلام الذي أوصاهم أنبياؤهم باتباع ولآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كما أوصتهم رسلهم ، { وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله تبغون } [آل عمران : 81 83] .

، والمراد (برسوله) في { وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ } محمد صلى الله عليه وسلم كما هو متعارف القرآن ولو أريد غيره من الرسل لقال ورسله ؛لأنّ الله ما حرّم على لسان رسوله إلاّ ما هو حقيق بالتحريم[207] ،

---

[207] قال أبو السعود :"{ قاتلوا الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالله وَلاَ باليوم الآخر } أمرَهم بقتال أهلِ الكتابين إثرَ أمرِهم بقتال المشركين ، والتعبيرُ عنهم بالموصول للإيذان بعلِّية ما في حيز الصلةِ للأمر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين ، فإن اليهودَ مُثَنّيةٌ والنصارى مُثلِّثةٌ ، فهم بمعزل من أن يؤمنوا بالله سبحانه وباليوم الآخر فإن عِلمَهم بأحوال الآخرة كلا علمٍ ، فإيمانُهم المبنيُّ عليه ليس بإيمان به { وَلاَ يُحَرِمُونَ مَا حَرَّمَ الله وَرَسُولُهُ } أي ما ثبت تحريمُه بالوحي متلواً أو غيرَ متلوٍ . وقيل : المرادُ برسوله الرسولُ الذي يزعُمون اتباعَه أي يخالفون أصلَ دينهم المنسوخِ اعتقاداً وعملاً { وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحق } الثابتَ الذي هو ناسخٌ لسائر الأديان وهو دينُ الإسلام وقيل : دين الله { مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب } من التوراة والإنجيل ، فمن بيانيةٌ لا تبعيضيةٌ حتى يكونَ بعضُهم على خلاف ما نُعت". إرشاد العقل السليم (4/ 58). قال ابن عطية :"ونفى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر من حيث تركوا شرع الإسلام الذي يجب عليهم الدخول فيه ، فصار جميع ما لهم في البعث وفي الله عز وجل من تخيلات واعتقادات لا معنى لها ، إذ تلقوها من غير طريقها ، وأيضاً فلم تكن اعتقاداتهم مستقيمة لأنهم تشعبوا وقالوا : عزيز ابن الله والله ثالث ثلاثة وغير ذلك ، ولهم أيضاً في البعث آراء كشراء منازل الجنة من الرهبان ، وقول اليهود في النار نكون فيها أياماً بعد ونحو ذلك ، وأما قوله { لا يحرمون ما حرم الله ورسوله } فبين ، ونص على مخالفتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأما قوله { ولا يدينون } فمعناه ولا يطيعون ويمتثلون ، وأما قوله { من الذين أوتوا الكتاب } فنص في بني إسرائيل وفي الروم وأجمع الناس في ذلك ، وأما المجوس فقال ابن المنذر : لا أعلم خلافاً في أن الجزية تؤخذ منهم .المحرر الوجيز (3 / 21)

فكيف يأتي أناس في زماننا يقولون: لا يجب على الناس اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم بل يجب عليهم فقط الإيمان به وهذا كافٍ مُنْجٍ.

المسألة الخامسة عشرة معنى اليوم الآخر في { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ (62)} :

اليوم الآخر: هو يوم القيامة والمراد به :

إما من وقت الحشر إلى ما لا ينتهي من الوقت الذي لا حدّ له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع ، سمي آخرا ؛ لأنه ليس بعده يوم آخر، وبعبارة أخرى آخرا : لتأخره عن الأيام المنقضية من أيام الدنيا .

وهذا قدمه البيضاوي وأبو السعود والآلوسي وحقي وسيد طنطاوي واختاره اطفيش

2)أو الوقت المحدود إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار سمي بذلك لأنه آخر الأيام المحدودة بطرفين وما بعده فلا حد له ولا آخر .

****

، قال البغوي :"فإن قيل : أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر ؟ قيل : لا يؤمنون كإيمان المؤمنين ، فإنهم إذا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله ، لا يكون ذلك إيمانا بالله (معالم التنزيل في تفسير القرآن (2/ 335).قال الماتريدي : ""قيل : هم ، وإن آمنوا في الظاهر بالله واليوم الآخر ، فإنما يؤمنون بإله ، له ولد ، كما ذكره على إثره ، وهو قوله : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله)[التوبة : 30] فالإيمان بإله ، له ولد ليس بإيمان بالله ، فهم غير مؤمنين . (تأويلات أهل السنة(5/ 337).

والإيمان باليوم الآخر: هو الإيمان بالبعث والنشور ، والحساب والعقاب والثواب وأنها جنة أبدا ، أو نار أبدا ، وأن الإنسان مجزئ بعمله إن خيرا فخير أو شرا فشر : {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)} الزلزلة

والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن، الإيمان برسل الله وكتبه والملائكة بقرينة المقام وللأدلة التي ستذكر ، هذا هو الإيمان فمن آمن بالله واليوم الآخر وبالنبي والملائكة والكتب وعمل صالحا فهذا هو الإيمان الحقيقي، وقرينة قوله : { وعمل صالحاً } إذ شرط قبول الأعمال الإيمان الشرعي لقوله تعالى : { ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر } [البلد : 17] { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (93) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94) } وقد عد عدم الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة عدم الإيمان بالله لأن مكابرة المعجزات ، القائمة مقام تصديق الله تعالى للرسول المتحدي بها يؤول إلى تكذيب الله تعالى في ذلك التصديق فذلك المكابر غير مؤمن بالله الإيمان الحق وفي الإيمان باليوم الآخر اندرج الإيمان بالرسل والكتب ، ومنه يتفهم، لأن البعث لم يعلم إلا بإخبار رسل الله عنه تبارك وتعالى[208].

فإن قيل إذا كان الأمر كذلك من أنه أراد جميع أركان الإيمان فلم اقتصر على الإيمان بالله واليوم الآخر فقط ؟

نقول سر الاقتصار على الإيمان بالله واليوم الآخر عدة أمور :

1) الأمر الأول: لأنها المقصود الأعظم من الإيمان :

[208] قال في تفسير فتح البيان: "كأنه سبحانه أراد أن يبين أن حال هذه الملة الإسلامية ، وحال من قبلها من سائر الملل ، يرجع إلى شيء واحد ، وهو أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا استحق ما ذكره الله من الأجر . ومن فاته ذلك فاته الخير كله ، والأجر دقه وجله.

أ) فالإيمان بالله: مبدأ الاعتقادات كلها ، إذ هو الأصل وبه يصلح الاعتقاد ، ولأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذئ صدر عنه الكون ، الصانع القادر سبحانه ، وبما يليق به تعالى من الصفات.

والإيمان بِٱلۡيَوۡمَ ٱلۡآخِرَ، يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود. ففي الإيمان بهما إيمان بالمبدأ والمعاد ، الإيمان بالله إيمان بالمبدأ والإيمان باليوم الآخر إيمان بالمعاد فعبر بأشرف أجزاء الإيمان .

أ) اليوم الآخر هُوَ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ التَّخْوِيفُ، و الوازع والباعث على الأعمال كلها ، وفيه صلاح الحال العملي .

ب) اليوم الآخر تُجْنَى فِيهِ ثَمَرَةُ استجابة الأوامر مُخَالَفَةِ النَّهْيِ.

ت) الإيمان باليوم الآخر هو فيصل الإذعان والتمرد، وفيصل الإيمان بالغيب والجحود به؛ إذ لَا يكفر به إلا من لَا يؤمن إلا بالمحسوس.

2) الأمر الثاني: أن الإيمان باليوم الآخر قطرا الإيمان، ومن أحاط بهما فقد حاز الإيمان بحذافيره؛ لأنهما يتضمنان بقية أركان الإيمان ، فمعنى الإيمان باللهّ والإيمان باللهّ هو الإيمانُ بجميع الرسل، وبجميع الكتب والملائكة ، وبيان ذلك أن :

أ) الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الإيمان بالله فإن من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله؛ لأن من جهته عرف الإيمان بالله واليوم الآخر ؛ لأنه هو الداعي إلى ذلك ، فيوم القيامة إنما يعرف من قِبَل الأنبياء وكتبهم ، فَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡآخِرِ إِنَّمَا هُوَ مُتَلَقَّفٌ مِنْ أَخْبَارِ الرَّسُولِ، فَيَتَضَمَّنُ ٱلۡإِيمَانَ بِالرَّسُولِ .

ب) وِلمَـا علم أن الإيمان بالله قرينه وتمامه الإيمان بالرسل، فقد عُلِمَ وَشُهِرَ مِنْ أَنَّ ٱلۡإِيمَانَ بِاللهِّ تَعَالَى قَرِينَتُهُ ٱلۡإِيمَانُ بالرسول، لِاشْتِمَالِ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وَٱلۡأَذَانِ وَٱلۡإِقَامَةِ وَغَيْرِهَا عَلَيْهِمَا مُقْتَرِنَيْنِ مُزْدَوِجَيْنِ، كَأَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَنْفِكُّ أَحَدُهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ، فَانْطَوَى تَحْتَ ذِكْرِ ٱلۡإِيمَانِ بِاللهِّ تَعَالَى ٱلۡإِيمَانُ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالأنبياء ، وبما جاءوا به ، فلما كان الإيمان

بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بجميع ما يجب أن يؤمن به ، اقتصر على ذلك ، لأن غيره في ضمنه .

ث) النبي صلى الله عليه وسلم فسر الإيمان بالله بالإيمان بجميع أركان الإيمان حيث كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم ـ وهما أصح الكتب بعد كتاب الله ـ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الجَعْدِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟ - أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ -» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ "، وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»[209]

ج) الله سبحانه عندما رد على اليهود اعتراضهم على تحويل القبلة إلى الكعبة بين حقيقة الإيمان فقال: { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ

---

[209] أخرجه مسلم في الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين ، الدباء: هو القَرْع اليابس، أي: الوعاء منه. والحنتم: الجرار الخُضر. والنقير: جذع ينقر وسطه. والمزفت: المطلي بالزفت، ويقال له: المقير. والنهي في هذه الأشياء عن الانتباذ فيها، والنهي عن الانتباذ بهذه الأوعية منسوخ بحديث بريدة عند أحمد 5/ 355، ومسلم (977) ، وصححه ابن حبان (5390) وفيه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية، فاشربوا في أي وعاء شئتم ولاتشربوا مسكراً" وفي رواية مسلم ص 1585، وعلي بن الجعد (2075) : "كنت نهيتكم عن الأشربة إلا في ظروف الأدم، فاشربوا في كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكراً".

وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}

3) الأمر الثالث: وفي ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر إشعار بدعوى حيازة ما طريقه العقل كالإيمان بالله ، وما طريقه السمع كالإيمان بالله اليوم الآخر ويتضمن ذلك الإيمان بالنبوة[210] .

4) الأمر الرابع : هذا من ضروب إيجاز القرآن التي بلغت حد الإعجاز ، وهو وارد في القرآن كثيرا جدا فما من آية إلا فيها إيجاز حذف أو قِصَر ومن ذلك أن القرآن لم يذكر الإيمان بيوم القيامة اكتفاء بذكر الكتب في قوله تعالى { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)} قال أبو السعود[211]: وإنَّما لَمْ يُذكر هَهُنا الإيمانُ باليوم الآخر كَما ذُكر في

---

[210] انظر الآلوسي وأبو السعود والزمخشري وابن عاشور و البيضاوي ومحمد رشيد رضا والماتريدي ، واطفيسش في هميان الزاد وغيرها من التفاسير في سورة البقرة { آمنا بالله وباليوم الآخر}(2/ 8)

[211] قال أبو زهرة :"والإيمان بالله تعالى هو الإيمان بالله باعتقاد وحدانيته في الخلق والتكوين بألا يعتقدوا أن أحدا شارك الله تعالى في إنشائه الخلق ، وأنه وحده خالق كل من في الوجود وأنه لا تخرج حركة عن حركة في الوجود ، وإنما ذلك قيوميته وإرادته ، وأنه ليس بوالد ولا ولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأنه جلت صفاته ، فليس كمثله أحد ، وهو السميع البصير ، وأن يؤمن باليوم الآخر وما فيه من حساب ، وثواب وعقاب ، وأن يؤمن بملائكته وكتبه ورسله .
هذا هو الإيمان فمن آمن من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ذلك الإيمان ، وأردف إيمانه بالعمل الصالح الذي يكون طاعة لله تعالى وفيه صلاح الناس ؛ { ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون } ،وكذلك من آمن من اليهود بالله والملائكة الأطهار والرسل الأمجاد ومنهم محمد بن عبد الله رسوله الأمين ، علم أن الله منزه عن مشابهة المخلوقين ، وأنه ليس كمثله شيء وعمل صالح { ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون } ". زهرة التفاسير (1/ 254) وقال الشوكاني:"والمراد بالإيمان هاهنا هو : ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله لما سأله جبريل عن الإيمان فقال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشرّه " ولا يتصف بهذا الإيمان إلا من دخل في الملة الإسلامية ، فمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولا بالقرآن ، فليس بمؤمن ، ومن آمن بهما صار مسلماً مؤمناً ، ولم يبق يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً . فتح القدير (1/ 254) ، وقال الآلوسي:" { مَنْ ءامَنَ بالله واليوم الآخر وعَمِلَ صالحا } أي أحدث من هذه الطوائف إيماناً بالله تعالى وصفاته وأفعاله والنبوات ، وبالنشأة الثانية على

قولِهِ تعالىٰ {ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين} لاندراجه في الايمان بكتبه.

بناء علىٰ ما سبق لا يكون مؤمنا من آمن بالله واليوم الآخر ولم يؤمن ببعض الأنبياء وفرق بينهم في الإيمان ، فكيف بالذي كفر بخاتم الأنبياء سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وفرق بين الله ورسله ،

الوجه اللائق ، وأتىٰ بعمل صالح حسبما يقتضيه الإيمان بما ذكر" وقال ابن عطية:"وفي الإيمان باليوم الآخر اندرج الإيمان بالرسل والكتب ، ومنه يتفهم، لأن البعث لم يعلم إلا بإخبار رسل الله عنه تبارك وتعالىٰ. وقال البقاعي { بالله } أي لذاته { واليوم الآخر } الذي الإيمان به متضمن للإيمان بجميع الصفات من العلم والقدرة وغيرهما وحاثّ علىٰ كل خير وصادّ عن كل ضير { وعمل صالحاً } أي وصدق ما ادعاه من الإيمان باتباع شرع الرسول الذي في زمانه في الأعمال الظاهرة ولم يفرق بين أحد من الرسل ولا أخل بشيء من اعتقاد ما جاءت به الكتب من الصلاح " روح المعاني(1/ 280)وقال اطفيش – الهميان: "{ وَعَمِلَ صَالِحاً } : العمل الصالح فىٰ جنب من كان قبل بعثة سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم أن يعمل ما فرض عليه فىٰ شرعه الذي لم ينسخه كتاب بعده وفىٰ جنب من كان بعد بعثته صلىٰ الله عليه وسلم أن يعمل بما فىٰ القرآن ، وما يوحىٰ إليه مؤمناً به صلىٰ الله عليه وسلم ، والعمل بكتاب نبىٰ يتضمن الإيمان بذلك النبىٰ ، وأيضاً فإن الإيمان بنبىٰ في القلب عمل صالح أيضاً ، فقد دخل الإيمان بالأنبياء فىٰ قوله : { وعمل صالحاً } هميان الزاد (1/ 341) ، وقال القرطبي:" وفي الإيمان بالله واليوم الآخر اندراج الإيمان بالرسل والكتب والبعث" ، وقال أبو حيان:" وقد اندرج في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالرسل ، إذ البعث لا يعرف إلا من جهة الرسل" وقال اطفيش – التيسير:"{ مَنْ آمَنَ } من اليهود والنصارىٰ والصابئين وترك الإشراك بالله { بِاللهِ } ورسله وأنبيائه وكتبه ولم ينكر نبيا أو كتابا { وَالْيَوْمِ الآخِرِ } يوم البعث والجزاء . ولم يذكر المجوس لأنه ليس منهم من لو تبع كتابه لنجا ، إذ كتابهم أضاعوه سرعة { وَعَمِلَ صَلِحاً } ولم يفرق بين أحد من رسله قبل بعثة نبينا صلىٰ الله عليه وسلم أو بعدها ، فآمن به واتبع القرآن ، ومن لم يؤمن به ، وبالقرآن لم ينتفع بعمله فهو مشرك فىٰ النار ، وهو غير متبع للتوراة والإنجيل ، بل كافر بهما أيضاً ، لأن فيهما الأمر باتباعه صلىٰ الله عليه وسلم ، وكذا من كفر من اليهود والنصارىٰ قبل سيدنا محمد صلىٰ الله عليه وسلم . لا يدخلون فىٰ الآية ، كمن قال ، عيسىٰ إله ، ومريم إله ، أو عيسىٰ ابن الله".

فكيف بالذي لم يؤمن بالله حق الإيمان ولم يوحده فكيف بالذي لم يؤمن بيوم القيامة الوجه الذي أراده الله سبحانه[212] .

سر التصريح والعناية بهذا الركن العظيم من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر :

وإنما اعتنى القرآن هذا الاهتمام باليوم الآخر، لعدة أسباب:

أ) أولاً: أن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد إنكار، {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ}.

ب) ثانيًا: أن أهل الكتاب، وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر، إلا أن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد.

فالنصارى مثلاً، يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادي المُخلِّص الذى يَفْدي الناس بنفسه، ويخلِّصهم من عقوبة الخطايا ، وهذا يطابق ما يقوله الهنود في كرشنه، وبوذا، سواء بسواء.

وعقيدة اليهود في الله وفي اليوم الآخر، لا تقل في فسادها وضلالها عن عقيدة النصارى، والهنود[213].

---

[212] قال العلامة أبو زهرة :"وقد يقول قائل : لماذا لم يذكر الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه ركن من أركان الإيمان فشهادة أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله تعالى هي لب الإيمان . والجواب عن ذلك ، أن الإيمان بالرسالة المحمدية التي قامت عليها الأدلة من المعجزات الباهرة ثمرة الإيمان بالله ولازمة له ، فلا يمكن أن يكون مؤمنا بالله من يكذب رسوله الذي قامت الشواهد والأمارات على صدق رسالته ، والإيمان بالله يقتضي الإيمان بصدق كل ما جاء في كتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهكذا فإن الإيمان بالله تعالى يقتضي الإيمان بالرسالة والرسل والإيمان بما جاءت به الكتب المنزلة ".

[213] قال أبو السعود:" أي من أحدث من هذه الطوائف إيماناً خالصاً بالمبدأ والمَعادِ على الوجه اللائق لا كما يزعمه أهل الكتاب فإن ذلك بمعزل من أن يكون إيماناً بهما ، وعمل عملاً صالحاً حسبما يقتضيه الإيمانُ بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفارُ العقابَ ولا هم يحزنون حيث يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب"إرشاد العقل السليم (1/ 108).

ت) ثالثًا: أن الإيمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية، وهدفًا أعلى، وهذه الغاية هي فعل الخيرات، وترك المنكرات، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل الضارة بالأبدان والأديان، والأعراض والعقول والأموال ؛ لأن في الإيمان باليوم الآخر إيمان بالثواب والعقاب المرتبين على الطاعة والمعصية اللذين هما مناط التكليف.

المسألة السادسة عشرة : عبارة { آمن بالله واليوم الآخر} في مصطلح القرآن يراد بها الإيمان بجميع الأركان كما تقدم ويوضحه استعمالات القرآن لذلك :

{ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}(سورة البقرة: 228)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}(264/2) .

{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)}سورة النور:2).

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)} (سورة البقرة: 126).

{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232)} (سورة البقرة:232).

{ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)}

{ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (39} (سورة النساء :39)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)} (سورة النساء: 59).

{ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18)} (التوبة: 18)

{ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45)} (التوبة: 45)

{ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (99)}(التوبة: 99)

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)} (المجادلة:22)

{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)}(الطلاق:2)

فهذا المصطلح ـ كما ترى ـ يطلقه الله ويخاطب به المؤمنين به ، الذين يؤمنون بالله الواحد الذي لا شريك له ويؤمنون برسوله محمد وبشرعه ويسيرون على ما أتى به من الشرع ، ويقيمون حدوده ويمتثلون بأحكامه، ويؤمنون بجميع ما يجب الإيمان به ، ومنها الإيمان بجميع الرسل كما وضحنا ذلك قريبا ، ونلاحظ في الآيات السابقة أنه ذكر الرسول فيها مع أنه لم يقل يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر ففي قوله تعالى:{لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44)}التوبة ، لاحظ الكلام في استئذان الرسول صلى الله عليه وسلم في التخلف عن الجهاد وهو يستلزم الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يقل القرآن لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر لأنه واضح معلوم ، وكذلك التصريح يخالف الإيجاز الذي هو قوام بلاغة القرآن المعجز ، وكذلك في قوله تعالى: { وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (99)}(التوبة: 99)لاحظ ذكر صلوات الرسول مع أنه لم يقل يؤمن بالله والرسول ، وكذلك في {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)} (المجادلة:22)}فهؤلاء لا بد أن يؤمنوا بالرسول إيمانا تاما ولو وادوا فقط من حاد الله ورسوله هم ليسوا مؤمنين حقيقة ، فذكر من حاد الله ورسوله مع أنه لم يقل في أول الآية قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر والرسول، فأي نص أصرح من هذا.

وأيضا يلاحظ أن الآيات التي فيها آمن بالله واليوم الآخر تتحدث عن أحكام لا يقوم بها إلا المسلمون المؤمنون إيمانا بجميع الأركان: كجلد الزاني مائة جلدة { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} ومثل ذلك يقال فى الطلاق { وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} وعمارة المساجد { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}.

****

وبهذا البيان الواضح يرد على من يستدل بقوله تعالى وهو يتحدث عن أهل الكتاب بقوله تعالى : { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)} فهو يستدل على أن النصارى الذين يقولون بالتثليث في زماننا ، واليهود المغيرون للعقائد والأديان ـ مؤمنون وفي الجنة ، ولو لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل ولو لم يتبعوا شرعه صلى الله عليه وسلم والقرآن ويتركوا نصرانيتهم ويهوديتهم ، وبعضهم يعدل هذا الادعاء الباطل ليقبله الناس فيقول: يشترط أن يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فيقول هذا نبي ، ولا يشترط أن يتبع شرعه وأن يتدين بشرعه فإن لم يتبع الرسول ولم يكفر به فله أجر واحد، فإن أقر به و اتبعه فله أجران:

فنقول يرد عليه بأمور كثيرة:

1) الأمر الأول: أنه قد تقدم الرد على هؤلاء جميعا بآية واضحة كالشمس وهي قوله تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29)} فكيف يأمر القرآن الكريم بقتالهم وهم مؤمنون متبعون للحق كما يقول هؤلاء؟! ، بل كيف يقول عنهم القرآن لا يدينون دين الحق؛ لأنهم لم

يعملوا بكتابهم الذي يدعوهم أن يؤمنوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ويبشر به ، ثم يأتي هؤلاء ويقولون هم على الحق؟!، فهؤلاء لم يؤمنوا لا بالتوراة ولا الإنجيل كما يدعون لأنهما يبشران بالرسول صلى الله عليه وسلم ويأمران بالإيمان به ، فلو كانوا يؤمنون بكتبهم حقيقة لآمنوا به صلى الله عليه وسلم ، { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6)}الصف، ولم يؤمنوا بالقرآن الناسخ للشرائع السابقة كما نص القرآن على ذلك ونص على أن كل أمة من الأمم جعل الله لها شرعا يناسب زمانها ، وأمر باتباع هذا المنهج والحذر من أهوائهم

{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)} المائدة ، وهم أيضا لم يحرموا ما حرم الله ورسوله : ومعلوم أن الرسول هنا المراد به النبي صلى الله عليه وسلم كما هو متعارف القرآن ولو أريد غيره من الرسل لقال ورسله لأنّ الله ما حرّم على لسان رسوله إلاّ ما هو حقيق بالتحريم.

قال ابن عاشور :"فإنّ كثيراً من اليهود خلطوا أمور الشرك بأديانهم وعبدوا الآلهة كما تقول التّوراة . ومنهم من جعل عُزيراً ابناً لله ، وإنّ النّصارى ألَهوا عيسى وعبدوه ، والصابئة عبدوا الكواكب بعد أن كانوا على دين له كتاب، ثمّ إنّ اليهود والنّصارى قد أحْدثوا في عقيدتهم من الغرور في نجاتهم من عذاب الآخرة بقولهم : { نحن أبناء الله وأحِبَّاؤه } [المائدة : 18] وقولهم { لن تمسّنا النّار إلاّ أيَّاماً معدودة } [البقرة : 80] ،

وقول النّصارى : إنّ عيسى قد كفَّر خطايا البشر بما تحمّله من عذاب الطّعن والإهانة والصّلب والقتل ، فصاروا بمنزلة من لا يؤمن باليوم الآخر ، لأنّهم عطّلوا الجزاء وهو الحكمة الّتي قُدّر البعث لتحقيقها"[214].

2) الأمر الثاني: في نص الآية والسياق وكلام العلماء ما يرد عليه { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَايِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}

أ) **فأولا:** مصطلح الإيمان بالله واليوم الآخر: كما كررت مرارا مراد به الإيمان بجميع أركان الإيمان.

ب) **ثانيا:** هذه الآية وردت في سورة آل عمران ، التي هي أكثر سورة ردت على النصارى فهي متخصصة في الرد عليهم ، فمقصود سورة آل عمران ومحورها الذي تدور عليه : "إثبات وحدانية الله تعالى وأنه ليس له ولد، وصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم المصدقة للتوراة والإنجيل وإثبات ذلك بالأدلة الكثيرة فمن كذب به من أهل الكتاب نال عذاب الدنيا والآخرة وإن وتقلب في البلاد فلا بد من خسارته وغلبته دنيا وأخرى ، ومن آمن به واتقى الله وصبر وصابر ورابط، وأوذي في سبيل الله نال سعادة الدنيا والنصر والعزة والرضوان والجنة وإن ابتلي وأوذي" ، واسم السورة يشير لموضوعها : فما ذكر من أخبار آل عمران دال على القدرة التامة الموجبة للتوحيد، فمن المضحكات التي تضحك منها الثكلى أن يدعي هؤلاء أن هذه الآية تحكم على أن النصارى مؤمنون مقبولة أعمالهم عند الله مع أنها وردت في أطول سورة ترد على النصارى وتحكم بكفرهم وتدعوهم للإيمان بالرسول وتذكر معايبهم ، وتبين أن حب الله مربوط باتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فهذا قول عجيب لا يصدر من عاقل منصف،ولو أردت أن أورد الآيات التي وردت في آل عمران تبطل دين النصارى المثلث لاحتجت أن أورد جميع آيات السورة ، لكن لأننا في زمان احتاج النهار فيه إلى

---

[214] التحرير والتنوير(6 / 270)

دليل، أورد بعضا من هذه الآيات التي هي في نفس السورة التي وردت فيها آية { ليسوا سواء }
وهي سورة آل عمران:

{ الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ
التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4)} { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10)} { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ
أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (22) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى
كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا
أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)} { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ (32) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)} { وَمُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51)} { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ
كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60)
فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ
وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61)}

{ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74)} { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)و { قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)و { قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100)} .

ثالثا: وصف الصلاح والتقوىٰ والخير ، { وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} لا تجتمع مع أوصاف النصارىٰ المشركين المثلثين ، ولا مع اليهود الواصفين لله بالأوصاف التي لا تليق الذين يكفرون بالأنبياء ، ويصفونهم بما لا يليق، فهل هذه الأفعال تسمىٰ أعمالا صالحا وخيرا ، وهل هؤلاء يوصفون بالتقوىٰ ؟!وسيأتي تفصيل هذا قريبا.

رابعا: هذا القول لم يقل به أحد من المفسرين قط قبل هذا القرن الذي نحن فيه ، فالمفسرون على اختلاف فرقهم مُجْمِعون على بطلان هذا التفسير ،وسأبين تفسير الآية وأقوال العلماء فيها ليتضح سر اختيار كل لفظة في الآية ، ففي كل كلمة رد على هذا القول :

التفسير التحليلي للآية:

لأنه يكثر الاستدلال من قبل أهل الباطل بهذه الآية سأطيل في شرحها لأدحض أي شبهة يذكرونها من خلالها:

في الآية أحد عشر مبحثا :

1) **المبحث الأول** : القول الراجح في معنى المراد منهم :

في الآية قولان: أورد القول الأول: مع تفسير الآية كاملة لأنه هو الراجح ثم أورد القول الثاني:

القول الأول :**قول الجمهور** ، **ومنهم** الطبري والكشاف والآلوسي والبيضاوي وأبو السعود وابن كثير والواحدي **والسمعاني** والسعدي والنسفي والصابوني وسيد طنطاوي والمراغي **وغيرهم** .

قالوا المراد بهذه الآية : الذين آمنوا من أهل الكتاب بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن { مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ] :

- فمعنى {أُمَّةٌ قَايِمَةٌ} أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشَرْعه مُتَّبِعة نبيَّ الله، وهم الذين أسلموا منهم واستقاموا على أمر الله وأطاعوه في السر والعلن ، كعبد الله بن سلام ، وأصحابه ، والنجاشي ومن آمن معه من النصارى ، فهؤلاء قد آمنوا بكل ما يجب الإيمان به ، ولم يفرقوا بين أنبياء الله ورسله ، فمدحهم الله على ذلك وأثنى عليهم ،

{ يتلون آيات الله آناء الليل }فعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود ، لأنه أبين لما يفعلون وأظهر لخضوعهم؛ وأدل على حسن صورة أمرهم فبدل أن يقول آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم أتى بوصف يتضمنه وزيادة .

2) المبحث الثاني: معنى { يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ }

معنى { يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } كما أخبر به القرآن والنبي ويؤمنون بجميع أركان الإيمان بما فيها الإيمان بجميع الرسل كما بين في سورة آل عمران نفسها { قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم ــ لا نفرق بين أحد من رسله } ولا يكتفون بهذا بل يعملون بمقتضاه[215]

[215] قال الطبري : "قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال بقولهما على ما روينا عنهم، وإن كان سائر الأقوال الأخَر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك. وذلك أن معنى قوله:"قائمة"، مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه، والعدلُ والطاعةُ وغير ذلك من أسباب الخير، (من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونظير ذلك، الخبرُ الذي رواه النعمان بن بشير، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:-"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم ركبوا سفينة"، ثم ضرب لهم مثلا.(جامع البيان(7/ 123) .

وقال الطبري: "فتأويل الكلام: من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله، متمسكة به، ثابتة على العمل بما فيه وما سن لهم رسوله صلى الله عليه وسلم.**قال ابن كثير** : قال تعالى: { مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ] أُمَّةٌ قَائِمَةٌ } أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشَرْعه مُتَّبِعة نبيَّ الله، [فهي] { قَآئِمَةٌ } يعني مستقيمة، قال **الكشاف** : الضمير في { لَيْسُواْ } لأهل الكتاب ، أي ليس أهل الكتاب مستوين . وقوله : { مّنْ أَهْلِ الكتاب أُمَّةٌ قَائِمَةٌ } كلام مستأنف لبيان قوله : { لَيْسُواْ سَوَاءً } كما وقع قوله : { تَأْمُرُونَ بالمعروف } [آل عمران : 110] بياناً لقوله { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ } { أُمَّةٌ قَائِمَةٌ } مستقيمة عادلة ، من قولك : أقمت العود فقام ، بمعنى استقام ، وهم الذين أسلموا منهم . وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود ، لأنه أبين لما يفعلون؛ وأدل على حسن صورة أمرهم" جامع البيان (7/ 124).

3) **المبحث الثالث: علاقة الآية بما قبلها:**

ثم مناسبة الآية توضح لنا صحة هذا التأويل الذي ذكره الجمهور :

ولما كان السياق في بيان قبائح أهل الكتاب وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ولا سيما اليهود { بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)} { وأكثرهم الفاسقون} { وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110)} ربما أفهم أنهم كلهم متصفون بالصفات الذميمة وأنهم لا يؤمنون قال مستأنفاً نافياً لذلك : { ليسوا سواء } أي في هذه الأفعال، فهم ليسوا بدرجة واحدة ، ففيهم المؤمن بالنبي صلى الله والقرآن العامل به ، ومنهم الكافر ،فأثنى الله سبحانه وتعالى على من أقبل على الحق منهم ، وخلع الباطل ولم يراع سلفاً ولا خلفاً بعيدا ولا قريباً ، فالقرآن يمدح كلّ من انفصل عن أكثريتهم الفاسدة، وخضع للحقّ والإيمان بالنبي والقرآن [216].

4) المبحث الرابع : موقع { ليسوا سواء) ومعناها:

الجملة تمهيد لتعداد محاسن مؤمنى أهل الكتاب ◉ وضمير الجمع لأهل الكتاب جميعاً لا للفاسقين (منهم)◉ اسْتِئْنَافٌ قُصِدَ بِهِ إِنْصَافُ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ◉ بَعْدَ الْحُكْمِ عَلَى مُعْظَمِهِمْ بِصِيغَةٍ تَعُمُّهُمْ◉ تَأْكِيدًا لِمَا أَفَادَهُ قَوْلُهُ {مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ} فَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ لَيْسُوا لِأَهْلِ الْكِتَابِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهُمْ آنِفًا وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَتَنَزَّلُ مِنَ الَّتِي بَعْدَهَا منزلَة التَّمْهِيد.

والمعنى : { ليسوا } : ليس أهل الكتاب مستوين في القبائح والمساوئ ، بل منهم من آمن بكتابه كالتوراة والإنجيل وبالقرآن ممن أدرك شريعة الإسلام ، فلما جرى ذكر أهل الكتاب في قوله تعالى : { كانوا يكفرون بآيات الله ◉ ويقتلون الأنبياء بغير حق } أعلم الله أن منهم أمة قائمة مؤمنة بالله سبحانه وبالقرآن والرسول ، وإنما بدأ بذكر فعل الأكثر منهم ، وهو الكفر والمشاقة ، فذكر من كان منهم مبايناً لهؤلاء.

---

[216] انظر البقاعي والصابوني والأمثل.

5) **المبحث الخامس : المراد بكونهم أهل كتاب وسر الإظهار في موضع الإضمار:**

- "إِطْلَاقُ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَيْهِمْ مَجَازٌ مرسل بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَآتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ [النِّسَاء: 2] } لِأَنَّهُمْ صَارُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[217].
- سر الإظهار في موضع الإضمار أن الأصل أن يقال ـ بحسب الظاهر ـ (منهم أمة) لأنه قد تقدم ذكرهم لكنه قال { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ }:

أولا: إن ذكرهم بعنوان أهليةِ الكتابِ ليذكر أن أهلية الكتاب موجبةِ للإيمان بكتابهم (التوراة ، الإنجيل) الناطقِ بوجوب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وبما يصدّقه من القرآن العظيمِ كما ورد في هذه السورة { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83) } فهذا العنوانَ ـ أعني أهلية الكتاب ـ يستدعي الإيمانَ بما هو مصدِّقٌ لما معهم وهو القرآن .

ثانيا: أنه يتضمن أيضا المدح بأنهم أهل الكتاب المتمسكون به العاملون بما نطق به بخلاف غيرهم ، كما قال تعالى قوله تعالى { الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به }، فـ(الذين) مبتدأ، و{ يتلونه } حال، {أولئك يؤمنون} خبر، فهؤلاء هم أهل الكتاب الحقيقيون الذين يؤمنون حقيقة بالتوراة والإنجيل ويعملون به ، فاستجابوا للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن التوراة والإنجيل يأمرانهم بذلك ، أما الذي يقرأ في التوراة والإنجيل أنه يجب الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم يكفر بالنبي صلى الله عليه

[217] التحرير والتنوير، ابن عاشور(4/ 57).

وسلم فهو لم يؤمن لا بتوراة ولا بإنجيل وليس من أهل الكتاب حقيقة ، فوضع { أَهْلِ الكتاب } موضع الضمير زيادة في تشريفهم والاعتناء بهم .

ثالثا : ليَكُون الثَّنَاءُ شَامِلًا لِصَالِحِي الْيَهُودِ، وَصَالِحِي النَّصَارَىٰ، فَلَا يُخْتَصُّ بِصَالِحِي الْيَهُودِ، لأن الآيات السابقة كانت تتحدث عن اليهود فلو قال:" منهم" لظن أن الكلام في اليهود خاصة .

رابعا: لما ذكر قبلها { كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ } فلو قال بعده (منهم أمة) لظن أن هذه الأمة من هؤلاء القتلة الكفرة .

وبهذا يظهر بطلان من يستدل بها على أن الآية تمدح الذين بستمرون على العمل بالتوراة والإنجيل بعد نزول القرآن ، قال ولا يشترط أن يتبع شرع النبي صلى الله عليه وسلم ، بدليل أنه قال : سماهم أهل الكتاب ، والرد عليه أن التعبير عنهم بأهل الكتاب مع أنهم دخلوا في دين النبي صلى الله عليه وسلم من باب الْمَجَازٌ المرسل بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: { وَآتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ [النِّسَاء: 2] } لِأَنَّهُمْ صَارُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وسر هذا التعبير لأجل تحصيل الأسرار البلاغية السابقة .

المبحث السادس : موقع ومعنى { مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِّ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}

وَجُمْلَةُ { مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قايِمَةٌ }استئناف مبين لكيفية عدم التساوي ومزيل لما فيه من الإبهام فهي مُبَيِّنَةٌ لِإِبْهَامِ لَيْسُوا سَواءً .

- **قائمة :** "من قام اللازم بمعنى استقام أي : أمة مستقيمة على طاعة الله تعالى ثابتة على أمره لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه "[218].

[218] روح المعاني (2/ 249).

- المراد بآيات الله في{ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ} : هي آيات القرآن الكريم كما أريد بـ{آيات الله} القرآن في قوله تعالى: { رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (11)} ، وكيف يمدح الله من تلى آيات منسوخة يتعبد بها ، وهو الذي قال سبحانه { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)} الصف (6-9).
- <u>{ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} سر التعبير عن الصلاة بالسجود :</u>
- التعبير عن الصلاة بالسجود لأنه أدل على كمال وغاية الخضوع ، وهذا الوصف لا ينطبق على الذين لم يرضوا بدين الإسلام دينا ، ولا بالنبي محمد صلى عليه وسلم رسولا، واستمروا على نصرانيتهم ويهوديتهم.

المبحث السابع: سر الاكتفاء من أركان الإيمان { بالله واليوم الآخر } في هذا الموضع لفائدتين :

<u>**أولا :**</u> لأنهما قطرا الإيمان ، ومن أحاط بهما فقد حاز الإيمان بحذافيره ؛لأن الإيمان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على أن يقر بكل ما يجب الإيمان به ويثاب عليه في ذلك اليوم، وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم ويدخل دخولا اوليا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن.

قال القونوي : "{ والاكتفاء فى قوله تعالى { يؤمنون بالله واليوم الآخر } بهما دون بقية أركان الإيمان لأنهما قطرا الإيمان انتهى أي طرفا الإيمان الذين من حواهما حوى جميع الأركان فالإيمان بهما يستلزم جميع أركان الإيمان".

قال أبو حيان :" الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهو الحامل على عبادة الله وذكر اليوم الآخر لأنّ فيه ظهور آثار عبادة الله من الجزاء الجزيل، وتضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالأنبياء ، إذ هم الذين أخبروا بكينونة هذا الجائز في العقل ووقوعه ، فصار الإيمان به واجباً. "[219].

ثانيا : إظهاراً لمخالفتهم لسائر اليهود لأن إيمان أهل الكتاب باليوم الآخر كلا إيمان لما فيه من تحريف فما عليه المؤمنون ومن يؤمن هو الإيمان الحقيقي باليوم الآخر

قال الآلوسي :" { يُؤْمِنُونَ بالله واليوم الاخر } صفة أخرى لأمة ، والمراد بهذا الإيمان الإيمان بجميع ما يجب الإيمان به على الوجه المقبول ، وخص الله تعالى اليوم الآخر بالذكر إظهاراً لمخالفتهم لسائر اليهود فيما عسى أن يتوهم متوهم مشاركتهم لهم فيه لأنهم يدّعون أيضاً الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر لكن لما كان ذلك مع قولهم : { عُزَيْرٌ ابن الله } [التوبة : 30] وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف ما نطقت به الشريعة المصطفوية جعل هو والعدم سواء"[220] .

قال الخازن :" { يؤمنون بالله واليوم الآخر } وذلك لأن إيمان أهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المؤمنون"221..

المبحث الثامن : سر تخصيصهم بهذه الصفات :

---

[219] البحر المحيط (3 / 312) .

[220] روح المعاني (2/ 250).

[221] لباب التأويل في معاني التنزيل (1/ 287).

سر تخصيصهم بهذه الصفات وصفهم بصفات لم تكن في اليهود :

من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله ؛ لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عُزيراً وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ، ومن الإيمان باليوم الآخر؛ لأنهم يصفونه بخلاف صفته ، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنهم كانوا مداهنين ، ومن المسارعة في الخيرات و فرط الرغبة ؛ لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها.

قال أبو حيان : ولمّا ذكر تعالى هذه الأمة وصفها بصفات ست :

إحداها : أنها قائمة ، أي مستقيمة على النهج القويم.

ولمّا كانت الاستقامة وصفاً ثابتاً لها لا يتغير جاء باسم الفاعل.

الثانية : الصلاة بالليل المعبر عنها بالتلاوة والسجود ، وهي العبادة التي يظهر بها الخلو لمناجاة الله بالليل.

الثالثة : الإيمان بالله واليوم الآخر ، وهو الحامل على عبادة الله وذكر اليوم الآخر لأنّ فيه ظهور آثار عبادة الله من الجزاء الجزيل، وتضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالأنبياء ، إذ هم الذين أخبروا بكينونة هذا الجائز في العقل ووقوعه ، فصار الإيمان به واجباً.

الرابعة : الأمر بالمعروف.

الخامسة : النهي عن المنكر ، لما كملوا في أنفسهم سعوا في تكميل غيرهم بهذين الوصفين.

السادسة : المسارعة في الخيرات.

وهي صفة تشمل أفعالهم المختصة بهم ، والأفعال المتعدية منهم إلى غيرهم.

وهذه الصفات الثلاثة ناشئة أيضاً عن الإيمان ، فانظر إلى حسن سياق هذه الصفات حيث توسط الإيمان ، وتقدمت عليه الصفة المختصة بالإنسان في ذاته وهي الصلاة بالليل ، وتأخرت عنه الصفتان المتعدّيتان والصفة المشتركة ، وكلها نتائج عن الإيمان"[222].اهـ

المبحث التاسع:

معنى { وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115) }

اسم الإشارة{ وَأُولَٰئِكَ} :

يعطينا فائدتين :

الأولى: علو منزلتهم في الشرف

الثانية : أن المتصفين بما قبلها يستحقون ما بعدها كما تقول: زيد يساعدك وينصرك ويخلص لك ذلك الصديق الحق ، فَالْإِشَارَةُ بِأُولَئِكَ إِلَى الْأُمَّةِ الْقَائِمَةِ الْمَوْصُوفَةِ بِتِلْكَ الْأَوْصَافِ. تنبه عَلَى أَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوا الْوَصْفَ الْمَذْكُورَ بَعْدُ من الصلاح وأنهم لا يُكْفَرون أجرهم .

معنى { من الصالحين }وسر التعبير به :

رمن الصالحين} من عداد الذين صلحت عند الله تعالى حالهم، وفي التعبير بقوله : { مِنَ الصالحين } إشارة إلى أنهم بهذه المزايا وتلك الصفات ، قد انسلخوا من عداد أهل الكتاب الذين ذمهم الله – تعالى – ووصفهم بأن أكثرهم من الفاسقين فهم بسبب إيمانهم وأفعالهم الحميدة قد خرجوا من صفوف المذمومين إلى صفوف الممدوحين ، وهذا رد لقول اليهود : ما آمن به إلا شرارنا .

---

[222] البحر المحيط(3/ 312).

وفي الوصف بالصلاح زيادة على الوصف بالإسلام ، ولذلك سأل هذه الرتبةَ بعضُ الأنبياء عليهم السلام ، فقال تعالى حكاية عن سليمان ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ : { وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) }النمل، وقال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام : { وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) }البقرة، وقال تعالى : { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) }الأنبياء، وقال تعالى: { وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) }الأنعام، فهل الذين يشركون بالله ويقولون بالتثليث ينطبق عليهم هذا الوصف.

(وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) :

ثمّ إنّه سبحانه قال : (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) معقباً بذلك على العبارات السابقة ومكملاً للآية، ويعني بقوله أن هؤلاء الذين أسلموا واتخذوا مواقعهم في صفوف المتقين لن يضيع الله لهم عملاً، وإن كانوا قد ارتكبوا في سابق حالهم ما ارتكبوه من الآثام، وما اقترفوه من المعاصي، ذلك لأنهم قد أعادوا النظر في سلوكهم وأصلحوا مسارهم، وغيروا موقفهم.

معنى { والله عَلِيمٌ بالمتقين } وسر التعبير به :

عليم بأحوالهم فيجازيهم ، وهذا تذييل مقرر لمضمون ما قبله ، والمراد بالمتقين عام ويدخل المخاطبون دخولاً أولياً ، وفي وضع الظاهر موضع المضمر إيذان بالعلة وأنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى، هذا وصف كما ترى لا ينطبق إلا المؤمن إيمانا كاملا ولا ينطبق على النصارى واليهود الذين في زماننا ، وهل الذي يبقى على الشرك والتثليث كما هو عليه النصارى ، والذي يصف الله سبحانه بأوصاف لا تليق، ويكفر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم من المتقين ، هذا لعمري في القياس عجيب .

المبحث العاشر:

سر إتباع الآية السابقة بقول تعالىٰ : { إِنَّ الذين كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أموالهم وَلاَ * أولادهم مّنَ الله شَيْئاً }:

لما وصف تعالىٰ اهل الكتاب بالصفات الذميمة ، ذكر انهم ليسوا بدرجة واحدة ، ففيهم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ،ثم ذكر تعالىٰ أن عمل المتقين لن يضيع، وأنهم يجازون به، ذكر هنا عقاب الكافرين وأن أموالهم وأولادهم لن تنفعهم يوم القيامة شيئا ، وأعقب ذلك بالنهي عن اتخاذ أعداء الدين أولياء ، ونبه إلىٰ ما في ذلك من الضرر الجسيم في الدنيا والدين ، و أستأنف حكم الكافرين، ففي مقابل الذين يبحثون عن الحقّ، ويؤمنون به من الذين وصفتهم الآية السابقة، هناك عناصر كافرة ظالمة وصفهم الله سبحانه في هاتين الآيتين بقوله : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (116)) فلا ينفع في الآخرة سوىٰ العمل الصالح والإيمان الخالص لا الامتيازات المادية، في هذه الحياة : { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) }الشعراء، والمراد بالذين كفروا في قوله : { إِنَّ الذين كَفَرُواْ } جميع الكفار ، لأن اللفظ عام ، ولا دليل يقتضىٰ تخصيصه بفريق من الكافرين دون فريق ، فيدخل دخولا أوليا النصارىٰ واليهود الذين تتحدث عنهم السورة من أولها ، قال محمد سيد طنطاوي:" المراد بالذين كفروا في قوله : { إِنَّ الذين كَفَرُواْ } جميع الكفار ، لأن اللفظ عام ، ولا دليل يقتضىٰ تخصيصه بفريق من الكافرين دون فريق "[223].

المبحث الحادي عشر : القول الثاني في الآية:[224]

هذا الذي تقدم هو القول الأول وهو قول الجمهور الذي يناسب السياق والسباق وتؤيده الأدلة ، وهناك قول آخر لا ينافي العقيدة الإسلامية وهو مقبول وإن كان مرجوحا من حيث التفسير، لأن السياق لا يناسبه.

---

[223] التفسير الوسيط (2/ 230)

[224] القول الأول هو الوارد في المسألة الأولىٰ .

قالوا: إن المراد بهؤلاء المذكورين في الآية هم الذين آمنوا بشريعة موسى وعيسى عليهما السلام غير المحرفة وعملوا بها وداموا عليها إلى أن جاء الإسلام فآمنوا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتبعوه كما قال تعالى { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ }القصص، وكما قال تعالى { لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85) } المائدة

اختاره التحرير والبقاعي والسامرائي ومحمد رشيد رضا ، وكذا أبو زهرة[225]

وهذا القول ـ وإن كنا لا نختاره ولم يختره جمهور العلماء ـ إلا أنه مقبول ، لكن القول غير المقبول هو القول الذي لم يقل به أحد قبل هذا القرن الذي نحن فيه ، وهو أن الآية في المشركين المثلثين من النصارى والكفار من اليهود ولو لم يؤمنوا بأركان الإيمان، ولو لم يؤمنوا بيوم القيامة كما جاء تفصيله في القرآن، ولو لم يؤمنوا بجميع الأنبياء ،وبعضهم يقول يكفي أن يؤمن بالنبي صلى الله عليه ولو لم يتبع شرعه.

---

[225] لكن أبا زهرة جعل الآية فيمن مات قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذه أقوال لم يقل بها أحد من علماء المسلمين ؛لأن هذا مخالف للقواطع القرآنية وأقربها ما ذكر في سورة آل عمران: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82) } كما سيأتي تفصيل شرحها ، ونحن إذا لم نفهم القرآن كاملا بجميع نصوصه نكون ممن في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ما تشابه ـ على فرض التسليم أن هذا مما يتشابه ـ ممن ذكرتهم سورة آل عمران في أولها في قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7)}.

وهناك كلام للإمام الرازي يكتب بماء الذهب قال فيه عند تفسير قوله تعالى { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ} الآية (سورة البقرة: 177):

" فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ صِفَةَ الْبِرِّ لَا تَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ اسْتِقْبَالِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، بَلِ الْبِرُّ لَا يَحْصُلُ إِلَّا عِنْدَ مَجْمُوعِ أُمُورٍ أَحَدُهَا: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ أخلوا بذلك، أما اليهود فقولهم:

بِالتَّجْسِيمِ وَلِقَوْلِهِمْ: بِأَنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللَّهِ، وَأَمَّا النَّصَارَى، فَقَوْلُهُمْ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَلِأَنَّ الْيَهُودَ وَصَفُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالْبُخْلِ، عَلَى مَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ [آلِ عِمْرَانَ: 181] وَثَانِيهَا: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْيَهُودُ أَخَلُّوا بِهَذَا الْإِيمَانِ حيث قالوا: وَقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى [الْبَقَرَةِ: 111] وَقَالُوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً [الْبَقَرَةِ: 80] وَالنَّصَارَى أَنْكَرُوا الْمَعَادَ الْجُسْمَانِيَّ، وَكُلُّ ذَلِكَ تَكْذِيبٌ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَثَالِثُهَا: الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ، وَالْيَهُودُ أَخَلُّوا ذَلِكَ حَيْثُ أَظْهَرُوا عَدَاوَةَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَابِعُهَا: الْإِيمَانُ بِكُتُبِ اللَّهِ، وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَدْ أَخَلُّوا بِذَلِكَ، لِأَنَّ مَعَ قِيَامِ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابُ اللَّهِ رَدُّوهُ وَلَمْ يَقْبَلُوهُ قَالَ تَعَالَى: وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ [الْبَقَرَةِ: 85] وَخَامِسُهَا: الْإِيمَانُ بِالنَّبِيِّينَ وَالْيَهُودُ أَخَلُّوا بِذَلِكَ حَيْثُ قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ، عَلَى مَا قَالَ تَعَالَى: وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ [الْبَقَرَةِ: 61] وَحَيْثُ طَعَنُوا فِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَادِسُهَا: بَذْلُ الْأَمْوَالِ عَلَى وَفْقِ أَمْرِ الله سبحانه واليهود وأخلوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يُلْقُونَ الشُّبُهَاتِ لِطَلَبِ الْمَالِ الْقَلِيلِ كما قال وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا [البقرة: 187] وَسَابِعُهَا: إِقَامَةُ الصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتُ وَالْيَهُودُ كَانُوا يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْهَا وَثَامِنُهَا: الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ، وَالْيَهُودُ نَقَضُوا العهد حيث قال: أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ "[226]

وأرجو العذر من القارئ في الإطالة في هذه الآية ، لأني اضطررت إليه لكثرة ما يستدل بها من حرف القرآن عامدا أو غير عامد، ولنعد إلى تفسير الآية التي بحثنا فيه أصالة .

****

المسألة السابعة عشرة : معنى العمل الصالح في آية { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا (62)} :

1) <u>أولا</u> : إذا نحن تتبعنا الآيات التي فيها (عمل صالحا) وجدناها اشترط فيها واقترن بها الإيمان والإسلام أو أن يكون صالحا يرضاه الله ، أو الإيمان مع التنصيص على الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وإلا فلا تنفع الأعمال :

قال تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى <u>وَهُوَ مُؤْمِنٌ</u> فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) }(النحل: 97).

{وَأَمَّا <u>مَنْ آمَنَ</u> وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88)}(الكهف:88).

---

[226] التفسير الكبير (5/ 213).

{ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60)}(مريم: 60) .

{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}(طه: 82).

{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80)}(القصص:80) .

{ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ}(سبأ : 37) .

{ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40)}(غافر:80).

{ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)} (التغابن:9).

{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)} (فصلت: 33).

{ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (10) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (11)} (الحديد:11) ذكر في الآية الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن والإيمان بالله تعالى

2) ثانيا : ذكر العمل الصالح في مقابل كفر الكفار بالرسل وما أنزل إليهم من ربهم، فالكفر بالرسل وما أنزل عليهم مضاد مناقض للعمل الصالح لا يجتمع معه،فلا يمكن أن يكون الشرك والكفر بالأنبياء من العمل الصالح، ويوضح هذا الآيات الآتية:

{ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)}

هنا ذكر الذين كفروا في مقابل الذين أورثهم الكتاب فآمنوا وانقسموا إلى ثلاثة أقسام ، فهؤلاء الذين كفروا بالكتاب الذي أنزله الله تعالى وهو القرآن في النار ـ يصطرخون ويتمنون أن يعملوا صالحا مخالفا تماما للذي عملوا ، ويدخل فيه دخولا أوليا إيمانهم بالله والرسول صلى الله عليه وسلم {وجاءكم النذير}والآيات واضحة كرابعة النهار .

****

{ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12) وَلَوْ شئنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)}.

ذكر هنا الذين يتمنون الرجوع ليعملوا العمل الصالح المقابل لكفرهم وشركهم وإنكارهم البعث ، والصابئة كما رأينا لا يؤمنون بالبعث ، والنصارىٰ واليهود لا يؤمنون به علىٰ الوجه الذي أراده الله كما سبق.

****

{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (62) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (63) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (64) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (66) فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67)}

فالتائب المؤمن الذي عمل صالحا عسىٰ ويرجىٰ أن يكون من المفلحين يبقىٰ علىٰ جناح الخوف فما ظنك بالذين اتخذوا عيسىٰ شريكا لله وعزيرا وكفروا به سبحانه، ووصفوه ووصفوا رسله بما لا يليق.

****

{ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71)}

يقابل من يعمل صالحا الذين يدعون مع الله إلها آخر كالنصارىٰ والصابئة واليهود الذين انحرفوا عبر التاريخ

.

****

{ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (90) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (95) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (96) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)}

هذه الآيات لا تترك مجالا لامتراء ممتر فهي تنفي عن الله سبحانه الولد وتقول : سبحانه أي تنزه تنزها تاما عما يصفون ، والوصف في اصطلاح القرآن كل وصف باطل كاذب غير صحيح ، ثم بينت أنهم سينزل بهم عذاب وأمر الرسول عليه السلام والمسلمون من بعده أن يدعوا الله سبحانه أن لا يجعلهم معهم ، ثم هؤلاء يستمرون علىٰ باطلهم وكفرهم واتخاذ الولد إلىٰ أن يأتيهم الموت فهناك يقول رب ارجعني لعلي أعمل صالحا فالصالح هو المقابل لما كانوا عليه من اتخاذ الولد والكفر .

****

وهناك آية أخرىٰ أيضا تحسم الأمر تماما وهي أول آية ورد فيها ذكر الصالحات وهي:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا

شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)}

فبعد أن بين القرآن عظمة القرآن وقسم الناس بالنسبة للتعامل معه إلى مؤمن وكافر ومنافق دعا جميع الناس إلى الإيمان ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله إن كانوا في ريب مما نزل الله سبحانه على عبده من القرآن ، ثم بين جزاء الكافر بالرسول والقرآن بأن له النار التي وقودها الناس والحجارة وقابل ذلك بالذين آمنوا وعملوا الصالحات فهؤلاء هم الذين لهم الجنة ، المؤمنون الموحدون الذين لا يكفرون ولا يشركون.

3) ثالثا : قد بين لنا علماء الإسلام قاطبة في كل العصور أن العمل الصالح هو الذي يبنى على الإيمان وأن ما عداه سيصير يوم القيامة هباء منثورا فقد قال الإمام البيضاوي في تفسير أول آية ورد فيها ذكر الأعمال الصالحة وهي: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة : 25]

"و{ الصالحات } جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الأسماء كالحسنة ، وهي من الأعمال ما سوغه الشرع وحسنه ، وتأنيثها على تأويل الخصلة ، أو الخلة ، واللام فيها للجنس ، وعطف العمل على الإيمان مرتبا للحكم عليهما إشعارا بأن السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الأمرين والجمع بين الوصفين ، فإن الإيمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق أس ، والعمل الصالح كالبناء عليه ، ولا غناء بأس لا بناء عليه ، ولذلك قلما ذكرا منفردين "[227].

---

[227] أنوار التنزيل (1/ 59).

وقال أبو السعود :" { وَعَمِلُواْ الصالحات } الصالحة كالحسنة في الجريان مَجرىٰ الاسم ، وهي كلُّ ما استقام من الأعمال بدليل العقلِ والنقلِ "[228].

4) رابعا : قد نص القرآن في آيات لا تحصىٰ والنبي صلىٰ الله عليه وسلم أن الشرك من أعظم الجرائم والذنوب التي لا يغفرها الله سبحانه بل توبق وتهلك وليست من الأعمال الصالحة ، قال تعالىٰ:{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48) }سورة النساء، أي إن الإنسان إذا مات علىٰ الشرك فلا يغفر له أما في حياته فيغفر إن تاب، وقال تعالىٰ: { حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31) }سورة الحج، والحنيف مأخوذ من الحنف وهو الميل ، ومعناه المائل عن كل دين باطل التارك له ذاهبا إلىٰ التوحيد ، وكل من النصارىٰ والصابئة واليهود ليسوا كذلك ، وفي صحيح البخاري: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» وفي صحيح مسلم : { قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»}[229]

وفي البخاري: { قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي} بل جعلها النبي صلىٰ الله عليه وسلم من الموبقات: ففي البخاري: { عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى

---

[228] إرشاد العقل السليم (1/ 68).

[229] صحيح البخاري: رقم : 4477 بابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22]

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»}[230] .

5) خامسا : قد بين لنا النبي صلى عليه وسلم ضابط العمل الصالح بقول عليه الصلاة والسلام { «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[231] .

قال الإمام النووي: " وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ قَالَ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ الرَّدُّ هُنَا بِمَعْنَى الْمَرْدُودِ وَمَعْنَاهُ فَهُوَ بَاطِلٌ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهِ وَهَذَا الْحَدِيثُ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ صَرِيحٌ فِي رَدِّ كُلِّ الْبِدَعِ وَالْمُخْتَرَعَاتِ وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ زِيَادَةٌ وَهِيَ أَنَّهُ قَدْ يُعَانِدُ بَعْضُ الْفَاعِلِينَ فِي بِدْعَةٍ سَبَقَ إِلَيْهَا فَإِذَا احْتُجَّ عَلَيْهِ بِالرِّوَايَةِ الْأُولَى يَقُولُ أَنَا مَا أَحْدَثْتُ شَيْئًا فَيُحْتَجُّ عَلَيْهِ بِالثَّانِيَةِ الَّتِي فِيهَا التَّصْرِيحُ بِرَدِّ كُلِّ الْمُحْدَثَاتِ سَوَاءٌ أَحْدَثَهَا الْفَاعِلُ أَوْ سُبِقَ بِإِحْدَاثِهَا"[232] .

فانظر كيف دل الحديث على رد ما أحدثه أهل البدع فما ظنك بما عليه أهل الكفر من اليهود والنصارى والصابئة .

المسألة السابعة عشرة : إعراب (من) في {من آمن بالله واليوم الآخر} :

في (من) وجهان:

1) إما أن تكون شرطية : في محل رفع مبتدأ خبره «فلهم أجرهم » والجملة خبر (إنَّ)

---

[230] صحيح البخاري : رقم 6557 – باب صفة الجنة والنار

[231] صحيح (1718)

[232] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ النووي (12/ 16)

2) وإما أن تكون موصولة : في محل نصب بدل من { الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين} وخبر إنَّ { فلهم أجرهم عند ربهم } والفاء زائدة : أفادت تأكيد الوعيد ، وأعطت الكلام معنى الشرط فكل من يؤمن ويعمل صالحا قطعا وحتما له أجره عند ربه ، فتضمن { مَنْ } معنى الشرط اختاره: أبو حيان .

- سر حذف العائد للمبدل منه[233] { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا} أي من آمن منهم :

3) قال البقاعي في المائدة: { من آمن } أي منهم مخلصاً من قلبه ، ولعله ترك الجار إعراقاً في التعميم اهـ أي مبالغة في التعميم وهذا مناسب لسياق الترغيب في التوبة والدخول في الإسلام ،فأي أحد كائنا من كان إن حقق شروط الإيمان فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

المسألة الثامنة عشرة : معنى {فلهم أجرهم عند ربهم}:

- سر إفراد الضمير في { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا}:

لما كان الإفراد أدل على تخصيص كل واحد بما له ، وأيضا لأن كل عامل يعمل لنفسه ، فكل منهم منظور لعمله الانفرادي ، ومسؤول عن نفسه ـ أفرد الضمائر في { من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا} مراعاة للفظ (من) ، ولما كان الجمع أدل على إرادة العموم ، بحيث يحكم على جميعهم وأقطع للتعنت جمع الضمائر في { فلهم أجرهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}مراعاة لمعنى (من).

- قدم (لهم) تعجيلا للبشارة اهتماما بها وتشويقا للمؤخر .
- (أجرهم) : ثوابهم الذي وعدوه على الإيمان والعمل الصالح والمراد به نعيم الآخرة سمى ما وعدهم أجرا مع أن الأجر أصالة ما كان عن اتفاق ومقابل عمل مع أن الأجر منه سبحانه كرم

[233] إن أعربنا من آمن بدلا ، وأما إن أعربناها مبتدأ وما بعدها خبر والجملة خبر إن فلا بد من رابط بين جملة الخبر والمبتدأ

منه لما أنه الخلود في مقابل عمل سنوات قلائل ـ تأكيدا لحصوله وتطيبا واعتناء بعملهم الذي وعدوه على تلك الأعمال المشروطة بالإيمان .

- (عند ربهم) : كائناً عند ربهم[234] " لا يضيع لأنه عند لطيف حفيظ فهو محفوظ لا يخشى عليه نسيان ولا يتوجه إليه تلف وفي التعبير بذلك مزيد لطف وتشريف فـ(عند): مستعملة في تحقيق الوعد وللتشريف كما تستعمل في تحقيق الإقرار في قولهم لك عندي كذا . (ربهم): في إضافة ضميرهم إلى الرب مزيدُ لُطفٍ بهم، وإيذانٌ بأن أجرَهم مُتَيَقَّنُ الثبوت مأمونُ الفَوات.
- فـ(عند): دلت على أن الأجر لا يضيع والإضافة لاسم الرب تعالى مما يزيد الأجر تحققاً ؛لأن المضاف إليه أكرم الكرماء فلا يفوت الأجر الكائن عنده.

المسألة التاسعة عشرة : معنى{ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}:

- الخوف: الفزع من المستقبل، و اضطراب النفس من توقع شيء ضارّ.
- الحزن: ضد السرور وهو مأخوذٌ من الحَزْن وهو: ما غَلُظَ من الأرض، فكأنه ما غَلُظ من الهمِّ ، ولا يكون إلا على أمر ماض .
- { فلا خوف عليهم}: المعنى لا خوف عليهم فضلاً عن أن يحل بهم مكروه أي لا يُخاف عليهم من خائف ما ، جعل نفي الخوف كناية عن نفي العقاب ونفي حصولِ هول من اهوال القيامة ، فالمنفي خوف حلول المكروه في الآخرة.

[234] (لهم): هو متعلق بما تعلق به { لَهُمْ } ، ويحتمل أن يكون حالاً من { أَجْرَهُمْ } .

- العدول عن (لا خوف لهم أو عندهم) إلى (لا خوف عليهم) للإشارة إلى أنهم قد بلغت حالهم إلى حيث لا ينبغي أن يخاف أحد عليهم[235].
- { ولا هم يحزنون} : على ما خلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها أو على شيء فات بل هم في أعظم السرور بما لهم من العز والكرامة مما أعدّ الله لهم من الثواب والنعيم المقيم عنده، لأنهم وجدوا أمورا أعظم وأشرف وأطيب مما كانت حاصلة لهم في الدنيا ، ومن كان كذلك فإنه لا يحزن، فنفي الحزن كناية عن تحصيل أعظم الثواب ، أي ينالهم من الثواب والكرامة ما ينسون معه مافقدوه في الدنيا ، وهي أبلغ من الصريح وآكد لأنها كدعوى الشيء ببينة ، والمراد بيان دوام الانتفاء .
- والتعبير في نفي الخوف بالخبر الاسمي وهو { لا خوف عليهم } لإفادة نفي جنس الخوف نفياً قاراً ، لدلالة الجملة الاسمية على الدوام والثبات، وبرزت جملته مصدرة بالنكرة التي هي أوغل في باب النفي لبيان انتفاء جنس الخوف قليله وكثيره .
- ورُفع خوفٌ في نفي الجنس دون أن يأتي به مبنيا كما هو شأن اسم (لا) النافية للجنس[236]، إذ لا يتوهم نفي الفرد لأنّ الخوف من المعاني التي هي أجناس محضة لا أفراد لها كما تقدّم في قوله تعالى : { لا بيع فيه ولا خلة } [البقرة : 254] ، ومنه ما في حديث أم زرع : « لا حَرٌ ولا قرٌ ولا مَخَافَةٌ ولا سَآمَةٌ ».
- والتعبير في نفي خوف بالخبر الفعلي وهو { يحزنون } لأن شأن الحزن أن يتجدد فعبر بالاسمية التي خبرها فعل ، أي ثابت لهم عدم تجدد حزنهم في وقت من الأوقات ، و لإفادة تخصيصهم بنفي الحزن في الآخرة أي بخلاف غير المؤمنين فإنهم يحزنون .
- وقدم عدم الخوف على عدم الحزن ، لأن انتفاء الخوف فيما هو آت آكد من انتفاء الحزن على ما فات ، ولذلك أبرزت جملته مصدرة بالنكرة التي هي أوغل في باب النفي [237] .

---

[235] قال أبو حيان: وظاهر الآية عموم نفي الخوف والحزن عنهم ، لكن يخص بما بعد الدنيا ، لأنه في دار الدنيا قد يلحق المؤمن الخوف والحزن ، فلا يمكن حمل الآية على ظاهرها من العموم لذلك .

[236] و { خوف } مرفوع في قراءة الجمهور وقرأه يعقوب مبنياً على الفتح وهما وجهان في اسم (لا) النافية للجنس.

[237] وللدكتور فاضل السامرائي في لمسات بيانية التي هي دروس فرغت في دروس على الشاملة (1/ 783) لطائف جميلة قال : " (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تعبير في غاية العجب والدقة من الناحية التعبيرية والدقة ولا تعبير آخر يؤدي مؤدّاه. نفى الخوف بالصورة الإسمية ونفى الحزن بالصورة الفعلية كما خصص الحزن (ولا هم) ولم يقل (لا عليهم خوف) : 1. (لا خوف عليهم) ولم يقل لا يخافون كما قال " ولا هم يحزنون " لأنهم يخافون ولا يصح أن يقال لا يخافون لأنهم يخافون قبل ذلك اليوم (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) (إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا) وهذا مدح لهم قبل يوم القيامة؛ أما يوم القيامة يخافون إلا مَن أمّنه الله تعالى. كل الخلق خائفون (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت) لذا لا يصح أن يقال لا يخافون فالخوف شيء طبيعي موجود في الإنسان.

2. (لا خوف عليهم) معناها: لا يُخشى عليهم خطر؛ ليس عليهم خطر فقد يكونوا خائفين أو غير خائفين كما يخاف الأهل على الطفل مع أنه هو لا يشعر بالخوف ولا يُقدّر الخوف فالطفل لا يخاف من الحيّة ولكنا نخاف عليه منها لأنه لا يُقدّر الخوف. الخوف موجود ولكن الأمان من الله تعالى أمّنهم بأنه لا خوف عليهم، ليس المهم أن يكون الإنسان خائفاً أو غير خائف المهم هل يكون عليه خطر أم لا (لا خوف عليهم) وقد يخاف الإنسان من شيء ولكن ليس خوف كالطفل يخاف من لعبة لا تشكل عليه خطراً.

3. (ولا هم يحزنون) : جعل الحزن بالفعل فأسنده إليهم لماذا لم يقل (ولا حزن) ؟ لأنه لا يصح المعنى لأنه لو قالها تعني ولا حزن عليهم أي لا يحزن عليهم أحد المهم أن لا يكون الإنسان حزيناً لكن لا أن يُحزن عليه أحد (إما لأنه لا يستحق الحزن عليه أو لا يشعر) . 4. ولا هم يحزنون: بتقديم (هم) الذين يحزن غيرهم وليس هم. نفي الفعل عن النفس ولكنه إثبات الفعل لشخص آخر كأن نقول (ما أنا ضربته) نفيته عن نفسي وأثبتّ وجود شخص آخر ضربه (يُسمّى التقديم للقصر) أما عندما نقول (ما ضربته) يعني لا أنا ولا غيري. نفى الحزن عنهم وأثبت أن غيرهم يحزن (أهل الضلال في حزن دائم) . ولم يقل " لا خوف عليهم ولا حزن لهم " لأنها لا تفيد التخصيص (نفى عنهم الحزن ولم يثبته لغيرهم) ولو قال ولا لهم حزن لانتفى التخصيص على الجنس أصلاً ولا ينفي التجدد وقوله تعالى (لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) لا يمكن أن يؤدي إلى حزن فنفى الخوف المتجدد والثابت ونفى الحزن المتجدد (ولا هم يحزنون) بمعنى لا يخافون؛ والثابت (لا خوف) ولا يمكن لعبارة أخرى أن تؤدي هذا المعنى المطلوب.

- قوله تعالى { فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)} ضد ما للمعتدين من الذل والمسكنة.

****

وبما سبق بحمد الله تعالى نكون قد فسرنا آية سورة البقرة ، ومن المعلوم أن هذه الآية تكررت ثلاث مرات، في سورة البقرة ، والمرة الثانية في المائدة: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

---

5 . لماذا إذن لم يقل (لا عليهم خوف) ولماذا لم يقدم هنا؟ لأنه لا يصح المعنى ولو قالها لكان معناها أنه نفى الخوف عنهم وأثبت أن الخوف على غيرهم؛ يعني يخاف على الكفار لكن من الذي يخاف على الكفار. لذا لا يصح أن يقال "لا عليهم خوف "كما قال (ولا هم يحزنون) .

6. لماذا قال (لا خوفٌ) ولم يقل " لا خوفَ عليهم " (مبنية على الفتح) ؟ لا خوفَ: لا النافية للجنس تفيد التنصيص في نفي الجنس (لا رجلَ هنا معناها نفينا الجنس كله) أما (لا خوفٌ) عندما تأتي بالرفع يحتمل نفي الجنس ونفي الواحد. والسياق عيّن أنه لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون من باب المدح على سبيل الإستغراق وفي مقام المدح. وفي قراءة أخرى (خوفَ) – قراءة يعقوب –. الرفع أفاد معنيين لا يمكن أن يفيدها البناء على الفتح، (لا خوفٌ عليهم) يفيد دلالتين: أولاً: إما أن يكون حرف الجر متعلق بالخوف "خوفٌ عليهم"والخبر محذوف بمعنى: لا خوف عليهم من أي خطر (لا خوف) من باب الحذف الشائع ويحتمل أن يكون الجار والمجرور هو الخبر (عليهم) قد يكون هو الخبر. مثال قولنا: الجلوس في الصف: قد تحتاج إلى خبر فنقول الجلوس في الصف نافع وجيّد، وقد تحتمل معنى أن الجلوس (مبتدأ) "في الصف" خبر بمعنى الجلوس كائن في الصفّ.

في الرفع (لا خوفٌ عليهم) تدل على معنيين:

لا خوف عليهم من أي شيء، وتحتمل لا خوف عليهم وهذا متعلق بالخوف ومتعلق بالخبر المحذوف (من أي خطر) . أما في النصب (لا خوفَ عليهم) لا يمكن أن يكون هذا الأمر ولابد أن يكون الجار والمجرور هو الخبر (لا خوف عليهم) عليهم لا يحتمل أن يكون متعلقاً وهذا يؤدي إلى معنى واحد وليس معنيين أي يأخذ شق من المعنيين ويكون متعلقاً بالخبر المحذوف وليس بالخبر. فلماذا لا يصح؟ لأنه إذا تعلق بالمضاف يجب القول لا خوفاً عليهم (لأنه يصبح شبيه بالمضاف) ولا يعد مبنياً على الفتح إنما منصوباً.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69)}، والمرة الثالثة وردت في سورة الحج: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17) وآية المائدة موضوعها ومناسبتها توافق سورة البقرة ، بخلاف سورة الحج فهي مفاصلة ووعيد للفرق الضالة ، وما يقال في سورة البقرة يقال في آيتي المائدة والحج، ولكن يبقى أمور لم تذكر في تفسير آية سورة البقرة، وهي المسألة التاسعة عشرة .

المسألة العشرون : مناسبة آية سورة المائدة وآية سورة الحج لما قبلهما:

أولا: مناسبة آية المائدة لما قبلها :

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) }(المائدة:69).

القول الأول: وهو الأصح

في الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة ، أشار سبحانه إلى استعلاء اليهود والنصارى وجرائمهم وكفرهم وعداوتهم للإسلام و شدة عناد اليهود والنصارى ، وأنهم مردوا على الجحود ، وتمرنوا على البهت ، وعتوا عن أوامر الله ،و ذكرت المنافقين وأفعالهم وأقوالهم الفاسدة ، وختمت بأن اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا استجابة للبشارات التي في كتبهم ، فكان ذلك موجباً أن يخطر في بال القارئ والسامع، وأهل الكفر السامعين للقرآن أنه إن آمن منهم أحد لا يقبل ، فأخبر سبحانه أن الباب مفتوح لهم ولغيرهم من جميع أهل الملل ، وأن هذا الحكم عام في الكل ، فمهما كانت ملتهم السابقة فالباب مفتوح لهم في الدخول في هذا الدين، والإسلام يـَجُبُّ ما قبله ، وأنه ليس على الإنسان ليكون من أهله إلا أن يؤمن بأركان الإيمان لا سيما الإيمان بالله الواحد ، ويوم القيامة الذي يكرم الله فيه المؤمنين ويعذب الكافرين ، وما يستلزم ذلك من خشية وخوف من الله ، وأن يعمل صالحا على حسب ما فصل في القرآن تصديقا لإيمانه ، وهذا يستلزم الإيمان بجميع الرسل وأولهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما دعت سورة المائدة ، والإيمان بجميع الكتب وأولها القرآن كما فصل في سورة المائدة وفي القرآن .

فالعبرة في النجاة الشروط السابقة ، فالمؤمنون ظاهرا أو ظاهرا وباطنا ، واليهود والنصارىٰ والصابئون جميعا في النجاة سواء ، إذا حققوا شروط الإيمان السابقة علىٰ ما أتىٰ به القرآن ، لا فرق بين يهودي ونصراني ،وعبدة للكواكب ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولا ينظر في ذلك إلىٰ سابق ما كانوا يتدينون ولا إلىٰ ما كانوا ينتحلون من نحل، ، فهذا النص الكريم يفتح أيضا باب الرجاء ويقرب التوبة ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرىٰ فيها بيان أن ادعاء الإيمان بدون إيمان حقيقي بالله واليوم الآخر وبدون عمل، لا يجدي كما يفعل كثير من المسلمين بأن يدعوا الإيمان بدون إيمان حقيقي وبدون عمل بمقتضىٰ ذلك، [238] .[239].

---

[238] ينظر : البقاعي وأبوز زهرة و البقاعي ومحمد رشيد رضا والخازن والرازي والشيرازي في الأمثل والشعراوي والطباطبائي ودروزة.

[239] ليتضح الربط أعرض الآيات السابقة في سورة المائدة : {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22)ـــــ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ

أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ
نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26)ــــــ
(40) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا
سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ
فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ (41) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ
ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا
وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
(45) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ
أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ
لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ
أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
(54) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَعْقِلُونَ (58) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (59) قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ
مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ
(61) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا
قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64) وَلَوْ أَنَّ

) المناسبة الثانية : لما بين لأهل الكتاب أنهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ، وذلك بالإيمان بالله الواحد والرسول محمد الموجود ذكره في كتبهم والإيمان باليوم الآخر ، وكان هذا قد يفسر على غير وجهه،بأن يفهم أنهم لهم أن يثبتوا على ما كانوا عليه قبل الإسلام ، بين الله تعالى بعد تلك الحجة أصول الدين المقصودة من إقامة كتبهم وأخبرهم عن الحق في نفسه بأنه الإيمان بالله الواحد واليوم الآخر على حسب ما فصل في القرآن ، ويستلزم ذلك الإيمان بجميع كتبه ورسله كما سيأتي ، فمن فعل ذلك مهما كانت ملته السابقة فهو الفائز الذي لا خوف عليه[240] .

ثانيا : مناسبة آية سورة الحج لما قبلها :

{ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (16) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ

أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69)}.

[240] هناك ربط ذكره ابن عاشور ولكن لم يتبناه إلا قليل من المفسرين في المائدة قال :" أن تكون الآية استئنافاً بيانياً ناشئاً على تقدير سؤال يخطر في نفس السامع لِقوله : { قل يأهل الكتاب لستم على شيء حتّى تقيموا التّوراة والإنجيل } [المائدة : 68] فيسأل سائل عن حال من انقرضوا من أهل الكتاب قبل مجيء الإسلام : هل هم على شيء أو ليسوا على شيء ، وهل نفعهم اتّباع دينهم أيّامئذٍ ؛ فوقع قوله : { إنّ الّذين آمنوا والّذين هادوا } الآية جواباً لهذا السؤال المقدّر "اهـ لكن يرد هذا الوجه ما ذكره سيد طنطاوي في الوسيط: أن مقتضى المقام هو الترغيب في دين الإسلام ، وأما بيان من ماضى على دين آخر قبل نسخه فلا ملابسة له بالمقام ، فضلا عن أن الصابئين ليس لهم دين تجوز رعايته في وقت من الأوقات" التحرير والتنوير (6/ 268).وهناك ربط آخر ذكره البقاعي:" أنه لما طال الكلام مع أهل الكتاب ، كان ربما ظن أن الأمر ترغيباً وترهيباً وأمراً ونهياً خاص بهم ، فوقع الإعلام بأنهم وغيرهم من جميع الفرق في ذلك سواء" نظم الدرر(6/ 240).

وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)}

مقصود سورة الحج: الحث على التقوى و استجاشة مشاعر التقوى في القلوب وهي الهدف المقصود، واسمها الحج دال على مقصودها.

العلاقة بين الآية الكريمة والتي قبلها :

1. المناسبة الأولى : ذكر القرآن الدلائل الداعية إلى الدخول في الإسلام والخضوع لله سبحانه ومع ذلك بقيت فرق لا تقبل الحق، فبين سبحانه أنه سيحكم ويفصل يوم القيامة بين أهل الأديان فيما اختصموا فيه ، إذ لم تفدهم الحجج في الدنيا، وهذا الكلام بما فيه من إجمال هو جار مجرى تفويض أمرهم لله والتهديد ، ومثله يكون كناية عن تصويب المتكلم طريقته وتخطئته طريقة خصمه ، لأن مثل ذلك التفويض لله لا يكون إلا من الواثق بأنه على الحق .
2. وأيضا بعد ما ذكر في الآيات السابقة اختلاف الناس واختصامهم في الله سبحانه بيّنَ تابعٍ ضالٍ يجادل في الله بغير علم ، ومتبوعٍ مضلٍ يجادل في الله بغير علم ، ومذبذبٍ يعبد الله على حرف ، والذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات بينت هذه الآية أن الله سبحانه سيفصل بين جميع الفرق هؤلاء ، والمجوس والصابئة والذين هادوا والنصارى .

وبيان ذلك بتفصيل:

1) **المناسبة الأولى** : انه قد خوف سبحانه الناس في أول السورة من يوم القيامة { يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) } ثم استدل على الوحدانية فقال { يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ـ }[241] ورغب في الإيمان

[241] { يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى

بدخول الجنة ورهب من الكفر، ومع ذلك كله من الناس من يكفر، وهؤلاء قسمان: 1) كافر معاند مجادل يجادل في الله بغير علم ولا هدىٰ ليضل 2) ، ومنافق مذبذب إن اصابه خير اطمأن به، و أن أصابته فتنة انقلب علىٰ وجهه ذاهبا إلىٰ الأصنام ساخطا عدم راض بقضاء الله ، مع أن الله ناصر دينه في الدنيا ، و يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات في الآخرة ، فبعد هذا البيان الواضح والترغيب والترهيب والاستدلال الذي يقتضي الإيمان والهدىٰ لمن فتح الله قلبه، لا يعذر من يستمر علىٰ كفره و باطله من الفرق المختلفة ، فأمرها إلىٰ الله يوم القيامة وهو العليم بكل ما في عقائدها وضلالها ، وشهيد عليهم وسيفصل بينهم يوم القيامة ، وهم في الدنيا خاضعون مقهورون له ساجدون في لعظمته وكبريائه حقيقة وفي نفس الأمر ، وإن كان بعضهم يأبىٰ عن السجود له ظاهرا في الدنيا ، وهم الذين حق عليهم العذاب ،فلذلك ذكر سبحانه بعدها :{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)}الحج ، ففي آية { ألم تر أن الله يسجد له }:

أ) بيان من الله تعالىٰ لخضوع الناس جميعا والكون كله لإرادته سبحانه ، فإذا كان في الناس فرق ضالة انحرفت كاليهود والنصارىٰ والمجوس بتفكيرهم ونزعاتهم وميولهم ، فإن الكون كله خاضع لله منقاد يتجه بفطرته إلىٰ خالقه ، يخضع لناموسه ، ويسجد لوجهه .

عَذَابِ السَّعِيرِ (4) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5)}

ب) وفيها بيان قدرة الله تعالىٰ علىٰ هذا الفصل بين الفرق والاطلاع عليها، فإنّ دلائل أحوال المخلوقات كلها عاقِلها وجمادها شاهدة بتفرد الله بالإلهية ، بعد أن بين ما يُوجب الفصل من كونِه تعالىٰ شهيداً علىٰ جميع الأشياء التي من جُملتها أحوالُهم وأفعالُهم.

ج) مع الإشارةِ إلىٰ كيفية الفصل، وكونه بطريقِ التَّعذيبِ والإثابة والإكرام والإهانة ولذلك ختمها سبحانه بـ{ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)}

د) وفي تلك الدلائل شهادة علىٰ بطلان دعوة من يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه .

2) المناسبة الثانية : لما ذكر قبل { وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (16)}

أ) عقب بيان أنه أعلم بالمهتدين والضالين ، وعليه حساب الجميع ، والأمر إليه في النهاية ، وهو علىٰ كل شيء شهيد{ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (16) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17)} .

ب) ولما كان ذلك موجباً للسؤال ، عن حال الفريقين : أخبر الله تعالىٰ عن فعله بالفرق المذكورين المهدي والضال ، أجاب عن ذلك ببيان جميع فرق الضلال ، لأن لهذه السورة أتم نظر إلىٰ يوم الجمع ، فقصد إلىٰ استيعاب الفرق تصويراً لذلك اليوم بأليق صورة .

المسألة الحادية والعشرون : تلخيص أقوال العلماء في سورة المائدة :

القول الأول:

قالوا المراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بالله الواحد والرسول محمد صلىٰ الله عليه وسلم من هذه الأُمة هم أهل الإسلام وصدقوا بكل ما جاء نبينا محمد وثبتوا علىٰ إيمانهم، وآمنوا باليوم الآخر علىٰ ما حسب ما ذكره القرآن، وأما في حق اليهود والنصارىٰ والصابئين ، فالمراد من أحدث الإيمان ودخل في الإسلام ودخل فيه

بأن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وآمن بجميع أركان الإيمان كما ، ثم نفى عنهم الخوف فلا خوف عليهم بما كان منهم في حال كفرهم كقوله تعالى : { إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف }، ولا حزن لهم بشرط انتقالهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر.

اختاره: الطبري[242] وابن عطية والثعالبي [243] وابن كثير[244] وابن عاشور[245] والسعدي وأبو زهرة [246] وسيد قطب والميرغني والهواري و الماتريدي و ابن أبي زمنين و الأعقم و ابن عجيبة[247].وأجازه الزمخشري [248]

---

[242] قال الطبري :"يقول تعالى ذكره : إن الذين صدّقوا الله ورسوله ، وهم أهل الإسلام ، والّذين هَادُوا وهم اليهود والصابئون . وقد بينا أمرهم . والنّصَارىٰ مَنْ آمَنَ باللهّ واليَوْمِ الآخِرِ فصدّق بالبعث بعد المماات ، وعمل من العمل صالحا لمعاده ، فلا خَوْفٌ عليهم فيما قدّموا عليه من أهوال القيامة ، ولا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما خلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها بعد معاينتهم ما أمرمهم الله به من جزيل ثوابه" جامع البيان (10/ 476).

[243] إلا أن ابن عطية وتبعه الثعالبي عمما الذين آمنوا في جميع العصور فقال: ابن عطية : { الذين } لفظ عام لكل مؤمن من ملة محمد ومن غيرها من الملل ، فكأن ألفاظ الآية حصر بها الناس كلهم ، وبينت الطوائف على اختلافها ، وهذا تأويل جمهور المفسرين " المحرر الوجيز (2/ 219)

[244] قال ابن كثير: "ثم قال : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا } وهم : المسلمون { وَالَّذِينَ هَادُوا } وهم : حملة التوراة { وَالصَّابِئُونَ والصابئون : طائفة بين النصارى والمجوس ، ليس لهم دين . قاله مجاهد ، ـ ـ والمقصود : أن كل فرقة آمنت بالله وباليوم الآخر ، وهو المعاد والجزاء يوم الدين ، وعملت عملا صالحًا ، ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقًا للشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى جميع الثقلين فمن اتصف بذلك { فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } فيما يستقبلونه ؛ ولا على ما تركوا وراء ظهورهم { وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } وقد تقدم الكلام على نظيراتها في سورة البقرة ، بما أغنى عن إعادته" تفسير ابن كثير:" (/ 156).

245 قال ابن عاشور : "والوجه عندي أنّ المراد بالَّذين آمنوا أصحاب الوصف المعروف بالإيمان واشتهر به المسلمون ، ولا يكون إلاّ بالقلب واللّسان لأنّ هذا الكلام وعد بجزاء الله تعالى ، فهو راجع إلى علم الله ، والله يعلم المؤمن الحقّ والمتظاهر بالإيمان نِفاقاً" التحرير والتنوير (6 / 269)

[246] قال أبو زهرة بعد أن رد الجواب الأول واعترض عليه : "الجواب الثاني- أن معنى آمن بالنسبة لهم استمرار الإيمان وبالنسبة لغيرهم إنشاؤه ونرى في هذا الجواب نوعا من دلالة اللفظ على معنيين متقاربين في موضع واحد ، إذ يراد الإذعان ، والاستمرار

القول الثاني:

قالوا المراد بالذين آمنوا المنافقون في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهم قوم آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم ، فالمراد بالإيمان على طريق المجاز والتسّمية دون الحكم والحقيقة ، فكأنه قال : إن المنافقين والذين هادوا والنصارى والصابئين، فقرنهم باليهود لنفاقهم ، ثم بين حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم ، فقال سبحانه: { من آمن } أي من حقق وأخلص من المنافقين، و دخل في الإيمان من النصارى والذين هادوا والصابئين بأن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وآمن باليوم الآخر كما ورد في القرآن الكريم وحقق شروط الإيمان قالوا ويدل على هذا الاختيار قوله " لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم "

اختاره : سفيان الثوري و الزجاج وأبو السعود والبقاعي[249] و السمعاني و النسفي والخازن[250] ، والطبرسي والنيسابوري والشوكاني واطفيش وحسنين مخلوف والشعراوي و الطوسي وصديق حسن خان ومكي و النسفي والبغوي وأجازه الزمخشري ورده أبو زهرة [251]

عليه ، وإني أرى أن الخبر ليس للحكم بقبول الإيمان فقط ، بل إنه خبر في معنى الشرط والجزاء فيه إثبات أن الايمان مناط النجاة والثواب ، وذلك ينطبق على المؤمنين ومن يدخلون في الإيمان " زهرة التفاسير (5/ 2298).

[247] قال ابن عجيبة: :" { من آمن } منه { بالله } إيمانًا حقيقيًا ؛ بلا شرك ولا تفريق ، وآمن باليوم الآخر"

[248] قال الزمخشري :"فإن قلت : كيف قال : { الذين آمنوا } ثم قال : { مَنْ ءامَنَ } ؟ قلت : فيه وجهان ، أحدهما : أن يراد بالذين آمنوا : الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن . من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه" الكشاف (1/ 661).

[249] قال البقاعي:" { إن الذين آمنوا } أي قالوا : آمنا { والذين هادوا } أي اليهود { والصابئون } أي القائلون بالأوثان السماوية والأصنام الأرضية { والنصارى } أي الذين يدعون اتباع المسيح عليه السلام ، { من آمن } أي منهم مخلصاً من قلبه ، ولعله ترك الجار إعراقاً في التعميم { بالله } أي الذي له جميع الجلال والإكرام { واليوم الآخر } أي الذي يبعث فيه العباد بأرواحهم وأشباحهم ، ويبعث من ذكره على الزهادة والجد في العبادة ، وبالإيمان به يحصل كمال المعرفة بالله تعالى باعتقاد كمال

القول الثالث: الجمع بين القولين السابقين

قال الآلوسي :" واختار القاضي[252] أن المراد بهم المتدينون بدين محمد صلى الله عليه وسلم مخلصين كانوا أو منافقين"، فالمراد بالذين آمنوا مطلقَ المتدينين بدين الإسلام المخلِصين منهم والمنافقين ، فالمرادُ بمن آمن من اتصف منهم بالإيمان الخالص بالمبدأ والمَعادِ على الإطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شأن المخلصين أو بطريق إحداثه وإنشائه كما هو حالُ من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف"

قدرته { وعمل صالحاً } أي صدق إيمانه القلبي بالعمل بما أمر به ، ليجمع بين فضيلتي العلم والعمل ، ويتطابق الجنان مع الأركان { فلا خوف عليهم } يعتد به في دنيا ولا في آخرة { ولا هم } أي خاصة { يحزنون * } أي على شيء فات ، لأنه لا يفوتهم شيء يؤسف عليه أصلاً ، وأما غيرهم فهم في الحزن أبداً " نظم الدرر(6/ 241).

[250] قال الخازن: "فإن قلت : قد قال الله تعالى في أول الآية إن الذين آمنوا ثم قال في آخر الآية فمن آمن فما فائدة هذا التكرار . قلت : فائدته أن المنافقين كانوا يظهرون الإسلام ويزعمون أنهم مؤمنون ، ففي هذا التكرار إخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى إن الذين آمنوا أي بألسنتهم لا بقلوبهم . ثم قال : من آمن يعني من ثبت على إيمانه ورجع عن نفاقه منهم ".

[251] قال أبو زهرة:"وقد تكلم العلماء في أمرين لا بد أن نتكلم فيهما :أولهما : أن الله تعالى ابتدأ طوائف الذين يغفر لهم أن آمنوا بالمؤمنين فقال سبحانه : (إن الذين آمنوا) وجاء الخبر من بعد : (من آمن بالله واليوم الآخر) ، فكيف ينطبق هذا الخبر على الذين آمنوا وهم قد سبق إيمانهم فلا يحتاج إلى تجديد ، ولو كان الخبر مقصورا على الذين هادوا والصابئين والنصارى لكان له موضعه ظاهرا لأنهم غير مؤمنين .وقد أجاب العلماء عن ذلك بجوابين : أحدهما – أن الذين آمنوا قد يراد بهم الذين أعلنوا الدخول في الإسلام وإن لم تذعن قلوبهم ، ولكن هذا الجواب لا نرتضيه لأن المنافقين ومن لم يذعنوا للحقائق الإسلامية لا يسمون مؤمنين ، اقرأ قوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم . .14) (الحجرات) " لباب النقول (2/ 64).

[252] يعني القاضي البيضاوي بيض الله غرته .

القول الرابع: أن المراد بالذين آمنوا المؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، و بالنصارى والذين هادوا والصابئين من كان منهم مؤمنا في فترة من الفترات قبل أن ينسخ شرع كل منهم

قاله مقاتل وشحاته [253] واطفيش ورده أبو السعود .

قال مقاتل : "قوله سبحانه : { إن الذين آمنوا } ، يعني الذين صدقوا ، { والذين هادوا } ، يعني -- { من آمن } من هؤلاء { بالله واليوم الآخر وعمل صالحا } ، وأدى الفرائض من قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فله الجنة ، ومن بقي منهم إلى أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا إيمان له ، إلا أن يصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فمن صدق بالله عز وجل أنه واحد لا شريك له ، وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال ، { فلا خوف عليهم } من العذاب ، { ولا هم يحزنون } من الموت"[254] .

رده أبو السعود قائلا:" وأما ما قيل : المعنى من كان منهم في دينه قبل أن يُنسَخَ مصدِّقاً بقلبه بالمبدأ أو المعاد عاملاً بمقتضى شرعه فمما لا سبيل إليه أصلاً كما مر تفصيله في سورة البقرة".

---

[253] قال شحاته :"إن أتباع الديانات السابقة من المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومن اليهود المتمسكين برسالة موسى عليه السلام قبل المسيحية ممن لم يحرفوا كتب أنبيائهم ، ومن الصابئين الذين تمسكوا بملة إبراهيم عليه السلام قبل نسخها ، (والصابئة : فرقة تعيش في العراق ولهم طقوس دينية خاصة بهم ، ومن العسير الجزم بحقيقة معتقدهم لأنهم أكتم الناس لعقائدهم . ويقال : إنهم يعبدون الملائكة أو الكواكب) ، ومن المسيحين الذي تمسكوا بالمسيحية ، ولم يحرفوها قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، هؤلاء جميعا إذا آمنوا بالله تعالى إيمانا صحيحا غير ملتبس بالشرك ، واستمسكوا بهذا الإيمان ، واتبعوا أنبياءهم وما جاء على ألسنتهم من التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به عند مبعثه ، وآمنوا بالبعث والنشور والجزاء ، وعملوا الصالحة ؛ إن هؤلاء جميعا يظفرون بالثواب الجزيل على ما قدموه من إيمان وعمل صالح ".

[254] تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 493)

المسألة الثانية والعشرون : تفسير آية سورة الحج مع ذكر أقوال العلماء:

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17)} سورة الحج

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا:

القول الأول:اختاره: قتادة أبو السعود ، وسيد طنطاوي، والطبري و الطوسي و الطبرسي القرطبي و اطفيش التيسير والسمرقندي والثعلبي وابن عطية وأبو زهرة.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} هذه الفرقة الأولى ، وهي: فرقة الذين آمنوا بالله بكلِّ ما يجبُ أنْ يُؤمن فيدخلُ فيه دخولا أوليا الإيمان بوحدانيته ورسله لا سيما النبي – صلى الله عليه وسلم – وصدقوه واتبعوه وآمنوا بما ذُكر من الآياتِ البيِّناتِ في قوله تعالى{ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (16)} وابتدأ القرآن بهم ، للإشعار بأن دين الإسلام هو الدين الحق

القول الثاني:

قال البقاعي : { إن الذين ءامنوا } أي من أيّ فرقة كانوا ، وعبر بالفعل ليشمل الإقرار باللسان ، الذي هو أدنى وجوه الإيمان

****

وَالْمَجُوسَ

المجوس[255] وكلمة مجوس من الكلمات المعربة، عربت عن لفظة "مغوس" الفارسية، التي تعني "عابد النار"، وهم عبدة النار وهم أهل فارس ، وجوهر دينهم يقوم على ثنائية تجسد المبدأين المتضادين مبدأ الخير ومبدأ الشر، أو مبدأي النور والظلام وهم يثبتون إلهين إلهاً للخير ، وإلهاً للشرّ الإله الأول: (يَزدَان) أو (أهُورَا مَزْدَا) أو رمازد" أو (هرمز)وهو إله الخير، والإله الثاني: (أهْرُمُن) (أهريمان)وهو إله الظلمة وهو مطبوع على الشرّ والضرّ، ويحدث بين (أهْرُمن) وبين (يزدان) خلاف ومحاربة إلى الأبد ، والمبدآن الخير والشر مبدآن يتصفان بقوى مبدعة خالقة، ثمّ نشأت على هذا الدّين نحل خُصّت بألقاب وهي متقاربة التعاليم أشهرها نحلة (زَرَادِشْت)[256] الذي ظهر في القرن السادس قبل ميلاد المسيح ، وبه اشتهرت المجوسية ، ثم دعا الناس إلى عبادة النار على أنها مظهر إله الخير وهو النّور. ووسّع شريعة المجوسية ، ووضع لها كتاباً سمّاه « زَندافستا » أو "الأفستا"، وهو من أقدم الكتب الأدبية في بلاد فارس، وهو مجموعة أقوال قديمة تعزى إلى زرادشت، وتراتيل دينية ترتل عند تقديم الذبائح وصلوات وشرائع كهنوتية وطقوس عبادة ، ومن أصول شريعته تجنّب عبادة التماثيل، والزرادشتية تتصور الحياة أنها صراع دائم بين قوة الخير وقوة الشر، قوة الخير وقوة الشروأما النصر النهائي فلمبدأ الخير، وواجب المؤمن الديني والخلقي أن يقوم بكل عمل من شأنه مساعدة قوة الخير؛ لكي تنتصر على قوة الشر، وجميع أفكار الإنسان وأعماله وأقواله مكتوبة في سجل الحياة؛ لتقابل يومًا بأعماله الشريرة وبخطاياه التي لا يمكن الإغضاء عنها أو منحه المغفرة عن واحدة منه.

ثم ظهرت في المجوس نِحلة « المَانوية » ، وهي المنسوبة إلى (مَاني) الذي ظهر في زمن سابور بن أردشير ملك الفرس بين سنة 238 وسنة 271م . وظهرت في المجوس نحلة (المزدكية) ، وهي منسوبة إلى (مَزدك) الذي ظهر في زمن قُباذ بين سنة 487 وسنة 523م . وهي نحلة قريبة من (المانوية) ، وهي آخر نحلة ظهرت في

[255] انظر ابن عاشور والطباطبائي وتاريخ الفكر الديني الجاهلي.

[256] ضبطه تاج العروس بضم الدال (زرادُشت)، وضبطه بعض العلماء بفتحها (زرادَشت)، وبعضهم بكسرها زَرَادِشْتُ

تطور المجوسيّة قبل الفتح الإسلامي لبلاد الفرس ، وللمجوسية شبه في الأصل بالإشراك إلا أنها تخالفه بمنع عبادة الأحجار ، وبأن لها كتاباً ، فأشبهوا بذلك أهل الكتاب ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم : " سُنوا بهم سنة أهل الكتاب " أي في جواز أخذ الجزية منهم ، وهم ويقدسون الملائكة ويتقربون إليهم من غير أن يتخذوا لهم أصناما كالوثنية ، ويقدسون البسائط العنصرية وخاصة النار وكانت لهم بيوت نيران بإيران والصين والهند وغيرها.

وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا

القول الأول:

المشهور أنهم عبدة الأوثان والأصنام من العرب ومن غيرهم

الآلوسي والطوسي وابن جزي وأبو السعود والسمرقندي وابن أبي زمنين والبغوي والشوكاني

القول الثاني:

ما يعم الذين عبدوا الأوثان والأصنام وسائر من عبد مع الله تعالى إلهاً آخر من ملك وكوكب وغيرهما ممن لم يشتهر باسم خاص كالصابئة والمجوس

أبو زهرة [257] والبقاعي[258] ودروزة

[257] قال أبو زهرة :" أي الذين أشركوا مع الله تعالى غيره في العبادة ، وبهذا يدخل فيهم الذين قالوا : إن الملائكة بنات الله ، ويدخل البراهمة ، لأنهم قالوا : إن كرشنة ابن الله ، وهم يصورون آلهتهم بتماثيل ، كما يدخل البوذية ، لأنهم قالوا إن بوذا ابن الله ، ويدخل الكونفوشيوسية الآخذون بتعاليم كونغ فوتس الذي حرف بكونفشيوس ، وهكذا فهم يدخلون في المشركون ، لأن الإشراك غير مقصور على العرب الأقدمين ، بل هو فيهم وفي غيرهم مع ملاحظة أن كونغ فوتس بوذي الديانة ولكن له مذهبا خلقيا أخذ به أهل الصين". (زهرة التفاسير (8 / 4958).

إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يفصل بينهم : الفَصْلُ في أصل اللغة: إبانة أحد الشّيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة ، والمراد ، يَفْصِلُ بينهم بالحكم والقضاء بالعدل فيما اختلف فيه أصحاب هذه الفرق فينفصل المحق منهم ويتميز من المبطل انفصالا وتميزا تاما

معنى الفصل بينهم:

1) القول الأول: قالوا: فصله بينهم إدخاله لجميع الأحزاب الكافرة كاليهود والنصارى النار وإدخال المؤمنين الجنة فذلك هو الفصل من الله بينهم.

الطبري، الطبرسي وابن الجوزي وأبو حيان و ابن كثير

2) القول الثاني: بإظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء بإثابة المؤمنين وعقاب الفرق الآخرين بحسب استحقاق أفراد كل منهما ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها.

اختاره أبو السعود و البقاعي والآلوسي و الطباطبائي والسعدي أبو زهرة وهو الحق

الإعراب :

قوله تعالى : { إِنَّ الله يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامة } في محل رفع خبرٌ لإنَّ السَّابقةِ، وحسن إعادة (إنَّ) في { إن الله يفصل} لطول الفصل بين اسم (إن) وخبرها ، مع إرادة تأكيد وتحقيق الوعيدِ وتقدم منه قوله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً } في [سورة الكهف : 30] ونحوه قول جرير :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرْبَلَه *** سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ

---

258 قال البقاعي: " { والذين أشركوا } لشموله كل شرك حتى الأصغر من الربا وغيره" نظم الدرر (13/ 24) .

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

تعليل لما قبله من الفصل أي عالِمٌ بكلِّ شيءٍ من الأشياء ومراقبٌ لأحواله ومن قضيَّتِه الإحاطةُ بتفاصيل ما صدرَ عن كلِّ فردٍ من أفراد الفرق المذكورةِ ، وإجراءُ جزائه اللاَّئِقِ به فالمراد أنه يفصل بينهم ، وهو عالِم بما يستحقه كل منهم فلا يجري في ذلك الفصل ظلم ولا حيف ، والتعدية بـ "على" إشارة إلى معنى الرقابة عليهم ، والإحاطة بهم .

الكلام على هذه الفرق: قال الإمام الرازي رحمه الله :

"واعلم أن المسلم لا يخالفه في المسائل الأصولية إلا طبقات ثلاثة :

أحدها: الطبقة المشاركة له في نبوة نبيه كالخلاف بين الجبرية والقدرية في خلق الأفعال البشرية والخلاف بين مثبتي الصفات والرؤية ونفاتها .

وثانيها: الذين يخالفونه في النبوة ولكن يشاركونه في الاعتراف بالفاعل المختار كالخلاف بين المسلمين واليهود والنصارى في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى وموسى عليهما السلام .

وثالثها: الذين يخالفونه في الإله وهؤلاء هم السوفسطائية المتوقفون في الحقائق ، والدهرية الذين لا يعترفون بوجود مؤثر في العالم ، والفلاسفة الذين يثبتون مؤثرا موجبا لا مختارا . فإذا كانت الاختلافات الواقعة في أصول الأديان محصورة في هذه الأقسام الثلاثة ، ثم لا يشك أن أعظم جهات الخلاف هو من جهة القسم الأخير منها . وهذا القسم الأخير بأقسامه الثلاثة لا يوجدون في العالم المتظاهرين بعقائدهم ومذاهبهم بل يكونون مستترين ، أما القسم الثاني وهو الاختلاف الحاصل بسبب الأنبياء عليهم السلام ، فتقسيمه أن يقال القائلون بالفاعل المختار ، إما أن يكونوا معترفين بوجود الأنبياء ، أو لا يكونوا معترفين بذلك ، فإما أن يكونوا أتباعا لمن كان نبيا في الحقيقة أو لمن كان متنبئا ، أما أتباع الأنبياء عليهم السلام فهم المسلمون واليهود والنصارى ، وفرقة أخرى بين اليهود والنصارى وهم الصابئون ، وأما أتباع المتنبئ فهم المجوس ، وأما المنكرون للأنبياء على الإطلاق فهم عبدة الأصنام والأوثان ، وهم المسمون بالمشركين ، ويدخل فيهم البراهمة

علىٰ اختلاف طبقاتهم . فثبت أن الأديان الحاصلة بسبب الاختلافات في الأنبياء عليهم السلام هي هذه الستة التي ذكرها الله تعالىٰ في هذه الآية ، قال قتادة ومقاتل الأديان ستة واحدة لله تعالىٰ وهو الإسلام وخمسة للشيطان"[259].

قال ابن القيم هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ:

"وَإِنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بَعْثَ سيدنا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ وَهُمْ خَمْسَةُ أَصْنَافٍ قَدْ طَبَقُوا الْأَرْضَ: يَهُودُ، وَنَصَارَىٰ، وَمَجُوسٌ، وَصَابِئُونَ، وَمُشْرِكُونَ.

وَهَذِهِ الْأَصْنَافُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ قَدِ اسْتَوْلَتْ عَلَىٰ الدُّنْيَا مِنْ مَشَارِقِهَا إِلَىٰ مَغَارِبِهَا.

فَأَمَّا الْيَهُودُ فَأَكْثَرُ مَا كَانُوا بِالْيَمَنِ وَخَيْبَرَ وَالْمَدِينَةِ وَمَا حَوْلَهَا، وَكَانُوا بِأَطْرَافِ الشَّامِ مُسْتَذَلِّينَ مَعَ النَّصَارَىٰ، وَكَانَ مِنْهُمْ بِأَرْضِ فَارِسَ مُسْتَذَلَّةٌ مَعَ الْمَجُوسِ، وَكَانَ مِنْهُمْ بِأَرْضِ الْمَغْرِبِ فِرْقَةٌ، وَأَعَزُّ مَا كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَخَيْبَرَ وَمَا حَوْلَهَا، وَكَانَ اللهُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ قَطَّعَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا وَسَلَبَهُمُ الْمُلْكَ وَالْعِزَّ.

وَأَمَّا النَّصَارَىٰ فَكَانُوا طَبَقَ الْأَرْضِ: فَكَانَتِ الشَّامُ كُلُّهَا نَصَارَىٰ، وَأَرْضُ الْمَغْرِبِ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمُ النَّصَارَىٰ، وَكَذَلِكَ أَرْضُ مِصْرَ وَالْحَبَشَةِ وَالنُّوبَةِ[260] وَالْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ وَأَرْضُ نَجْرَانَ وَغَيْرُهَا مِنَ الْبِلَادِ.

وَأَمَّا الْمَجُوسُ فَهُمْ أَهْلُ مَمْلَكَةِ فَارِسَ وَمَا اتَّصَلَ بِهِ.

وَأَمَّا الصَّابِئَةُ فَأَهْلُ حَرَّانَ وَكَثِيرٌ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ.

وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ جَمِيعُهَا وَبِلَادُ الْهِنْدِ وَبِلَادُ التُّرْكِ وَمَا جَاوَرَهَا

---

[259] التفسير الكبير " 23/ 212).

[260] (بِلَاد النّوبَة) وَطن ذَلِك الجيل وَيَقَع فِي الْجُزْء الجنوبي من بِلَاد مصر

وَأَدْيَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ لَا تَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْأَدْيَانِ الْخَمْسَةِ، وَدِينُ الْحُنَفَاءِ لَا يُعْرَفُ فِيهِمْ الْبَتَّةَ. وَهَذِهِ الْأَدْيَانُ الْخَمْسَةُ كُلُّهَا لِلشَّيْطَانِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرُهُ: الْأَدْيَانُ سِتَّةٌ: وَاحِدٌ لِلرَّحْمَنِ وَخَمْسَةٌ لِلشَّيْطَانِ"[261].

****

المسألة الثالثة والعشرون: الإعراب في المائدة والصابئون:

وفي رفعةِ أربعة أقوال:

القول الأول: في الآية تقديم وتأخير،

وأنه من المقدم الذي معناه التأخير ، وأنه مرفوع بالابتداء وخبرُه محذوفٌ لدلالةِ خبر الأول عليه ، والنيةُ به التأخيرُ ،و المعنى : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم والصابئون والنصارى كذلك أيضا . ونحوه : " إن زيداً وعمروٌ قائمٌ " أي : إنَّ زيداً قائم وعمرو قائم ، فإذا فَعَلْنا ذلك فالحذفُ من الثاني لدلالة الأول نحو: . . . . ***

فإني وقَيَّار بها لَغَريبُالتقدير : وقيارٌ بها كذلك [262].

وقوله : وإلا فاعلموا أنا وأنتم *** بغاة ما بقينا في شقاقأي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك

---

[261] ص 235

[262] فإن قيل : لِمَ لا يجوزُ أَنْ يكونَ الحذفُ من الأول أيضاً ؟ فالجوابُ أنه يلزم من ذلك دخولُ اللام في خبر المبتدأ غيرِ المنسوخِ ب " إنَّ " وهو قليلٌ لا يقع إلا في ضرورة شعر

وهو قول جمهورِ أهلِ البصرة : الخليل وسيبويه وأتباعِهما ، وقدره كذلك على مذهب البصريين ابن الأنباري[263] وخالد الأزهري[264] والصبان[265] وابن مالك في التسهيل[266] وابن يعيش[267] وأبو حيان[268] والسيرافي[269] وابن الشجري[270] والطبرسي[271] وابن عطية وابن الجوزي والشوكاني[272] وقرره كذلك ابن أبي زمنين .

---

[263] الإنصاف (1/ 152)

[264] التصريح على التوضيح (1/ 323)

[265] حاشية الصبان على الأشموني (1/ 422).

[266] (2/ 50) قال " وحمل سيبويه ما أوهم العطف قبل التمام على التقديم والتأخير فالتقدير عنده في: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى). إن الذين آمنوا والذين هادوا مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك"

[267] شرح المفصل (4/ 544).

[268] التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (5/ 188) قال " حمله سيبويه على التقديم والتأخير، التقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم إلى آخر الآية والصابئون والنصارى كذلك."

[269] شرح كتاب سيبويه (2/ 483)

[270] الأمالي (3/ 187)

[271] قال الطبرسي :"وقال سيبويه ، والخليل ، وجميع البصريين : إن قوله (والصابئون) محمول على التأخير ، ومرفوع بالابتداء . والمعنى : إن الذين آمنوا ، والذين هادوا من آمن منهم بالله إلى آخره ، والصابئون ، والنصارى ، كذلك أيضا ، أي : من آمن منهم بالله واليوم الآخر".

[272] قال الشوكاني: قال الخليل وسيبويه : الرفع محمول على التقديم والتأخير ، والتقدير : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً ، فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك ، وأنشد سيبويه ، قول الشاعر :

وإلا فاعلموا أنا وأنتم *** بغاة ما بقينا في شقاق

أي : وإلا فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك ، ومثله قول ضابي البرجمي :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله *** فإني وقيار بها لغريب

القول الثاني: مثل السابق لكن جعلوا الخبر المحذوف فقط لـ(الصابئون)

فـ{والصابئون} رفع على الابتداء وخبره محذوف ، والنية به التأخير عما في حيز إنَّ من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا ، والصابئون كذلك:

اختاره: الزمخشري273 ، والبيضاوي، والغلاييني[274] ، وأبو علي الفارسي، و البيضاوي وأبو السعود وابن جزي و وحقي البورسوي والشربيني ونسبه السمعاني والبغوي و الخازن والرازي[275] والنسفي لسيبويه .

---

[273] قال الزمخشري : " والصابئون : رفعٌ على الابتداء ، وخبرُه محذوفٌ ، والنيةُ به التأخير عمَّا في حَيِّز " إنَّ " من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمُهم كذا والصابئون كذلك ، وأنشد سيبويه شاهداً على ذلك :وإلاَّ فاعلَمُوا أَنَّا وأنتمْ *** بُغاةٌ ما بَقِينا في شِقاقِ
أي : فاعلموا أنَّا بُغاةٌ وأنتم كذلك " ثم قال بعد كلام : " فإنْ قلت : فقوله " والصابئون " معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو ؟ قلت : هو مع خبره المحذوفِ جملةٌ معطوفة على جملةِ : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ } إلى آخره ، ولا محلَّ لها كما لا محلَّ للتي عَطَفَتْ عليها " الكشاف(1/ 660) . قال محمد محي الدين في تحقيقه لابن عقيل (1/ 376) :" وذهب المحقق الرضي إلى أن جملة المبتدأ والخبر حينئذ لا محل لها معترضة بين اسم إن وخبرها، وهو حسن، لما يلزم على جعلها معطوفة على جملة إن واسمها وخبرها من تقديم المعطوف على بعض المعطوف عليه، لان خبر إن متأخر في اللفظ أو في التقدير عن جملة المبتدأ والخبر، وخبر إن جزء من الجملة المعطوف عليها." قال وإنما لم تجعل اعتراضاً حقيقة لأنها معطوفة على جملة { إِنَّ الذين } وخبرها" ، قال الآلوسي :"وإنما وسطت الجملة هنا بين إن وخبرها مع اعتبار نية التأخير ليسلم الكلام عن الفصل بين الاسم والخبر ، وليعلم أن الخبر ماذا دلالة كما قيل على أن الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الأديان كلها حيث قبلت توبتهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فغيرهم أولى بذلك ، ومن هنا قيل : إن الجملة كاعتراض دل به على ما ذكر ، وإنما لم تجعل اعتراضاً حقيقة لأنها معطوفة على جملة { إِنَّ الذين } وخبرها ، وأورد عليه ما قاله ابن هشام من أن فيه تقديم الجملة المعطوفة على بعض الجملة المعطوف عليها ، وإنما يتقدم المعطوف على المعطوف عليه في الشعر ، فكذا ينبغي أن يكون تقديمه على بعض المعطوف عليه بل هو أولى منه بالمنع ، وأما ما أجاب به عنه بأن الواو واو الاستئناف التي تدخل على الجمل المعترضة ، كقوله تعالى : { فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فاتقوا النار } [البقرة : 24] الخ ، وهذه الجملة معترضة لا معطوفة ، فلا يتمشى فيما نحن فيه لأنه يفوّت نكتة التقديم من تأخير التي أشير إليها لأنها إذا كانت معترضة لا تكون مقدمة من تأخير .(روح المعاني(3/ 367).

[274] جامع الدروس العربية (2/ 213).

القول الثالث: أنه مرفوعٌ نسقاً على محلِّ اسم " إنَّ "

لأنه قبل دخولها مرفوعٌ بالابتداء ، فلمَّا دخلَتْ عليه لم تغيِّر معناه بل أكَّدته ، غايةُ ما في الباب أنها عَمِلَتْ فيه لفظاً ، وفي الجملة فكثير من العلماء قد رَدُّوا هذا المذهبَ ، أعني جوازَ الرفعِ عطفاً على محَلِّ اسم " إنَّ " مطلقاً ، أعني قبلَ الخبرِ وبعده ، خَفِي إعرابُ الاسمِ أو ظهر وفي المسألةِ أربعةُ مذاهبَ :

أ) مذهبُ البصريين : المنعُ مطلقاً .

ب) ومذهبُ ابن مالك ، التفصيل قبل الخبر فيمتنع ، وبعده قال في الألفية :

وجائزٌ رفعُك معطوفًا على ... منصوبِ إنَّ بعدَ أن تستكملا

ت) مذهب الكسائي : وهو الجوازُ مطلقاً ويَسْتدل بظواهرِ قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ } الآية ، وهذا رجحه أبو زهرة والنحو الوافي .

ومذهب الفراء واختاره الرازي و السمرقندي[276] والثعلبي ، و انتصر له عباس حسن في النحو الوافي والسامرائي في معاني النحو، ورده الزمخشري[277] والبيضاوي[278] وأبو السعود والزجاج[279].

---

[275] ونسب إلى سيبويه قدره كذلك وليس كذلك فسيبويه مذهبه هو الأول

[276] قال السمرقندي" وقال : في هذه السورة { والصابئون } وقال في موضع آخر : { والصابئين } لأنه معطوف على خبر إن وكل اسم معطوف على خبر إن ، كان فيه طريقان ، إن شاء رفع ، وإن شاء نصب ، كقوله : «إن زيداً قادم وعمرو » إن شاء نصب الثاني ، وإن شاء رفعه ، كقوله تعالى : { وَأَذَانٌ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ إِلَى الناس يَوْمَ الحج الأكبر أَنَّ الله بريء مِّنَ المشركين وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فاعلموا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي الله وَبَشِّرِ الذين كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [التوبة : 3] وقد قرأ : { ورسوله } ولكنه شاذ ، وكذلك ها هنا جاز أن يقول : (والصابئين) { والصابئون } ، إلا أن في هذه السورة كتب بالرفع".بحر العلوم (1 / 407).

[277] وردَّ الزمخشري الرفع على المحل فقال : " فإنْ قلت : هَلاَّ زَعَمْتَ أن ارتفاعه للعطف على محل " إنَّ " واسمها . قلت : لا يَصِحُّ ذلك قبل الفراغ من الخبر ، لا تقول : " إنَّ زيداً وعمرو منطلقان " فإنْ قلت : لِمَ لا يَصِحُّ والنيةُ به التأخيرُ ، وكأنك قلت : إنَّ زيداً منطلق وعمرو ؟ قلت : لأني إذا رفعته رفعتُه على محل " إنَّ " واسمِها ، والعاملُ في محلها هو الابتداء ،

ث) : إنْ خَفِي إعرابُ الاسم جاز ذلك لزوال الكراهية اللفظية ، وحُكِي من كلامهم : " إنك وزيدٌ ذاهبان "[280]

قال الإمام الرازي: وهو مذهب حسن وأولى من مذهب البصريين ، لأن الذي قالوه يقتضي أن كلام الله على الترتيب الذي ورد عليه ليس بصحيح ، وإنما تحصل الصحة عند تفكيك هذا النظم ، وأما على قول الفراء فلا حاجة إليه ، فكان ذلك أولى .

ومثل هذا قول الشاعر(وهو ضابئ البرجمي):

فَمَنْ يَكُ أمسىٰ بالمدينةِ رحلُه *** فإني وقَيَّارٌ بها لغريبُ

وبقوله :

فيجب أن يكون هو العاملَ في الخبر ؛ لأنَّ الابتداءَ ينتظم الجزأين في عمله ، كما تنتظِمُها " إنَّ " في عمِلها ، فلو رَفَعْتَ " الصابئون " المنويَّ به التأخيرُ بالابتداء وقد رفَعْتَ الخبرَ ب " إنَّ " لأَعْمَلْتَ فيهما رافعين مختلفين " وهو واضحٌ فيما رَدَّ به إلا أنه يُفْهِمُ كلامُه أن يُجيز ذلك بعد استكمال الخبر ، وقد تقدَّم أنَّ بعضَهم نَقَل الإجماعَ على جوازِه" الكشاف (1 / 661)

278 قال البيضاوي:" ولا يجوز عطفه على محل إن واسمها فإنه مشروط بالفراغ من الخبر ، إذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر إن معا فيجتمع عليه عاملان".(أنوار التنزيل (2/ 137).

279 خطأ الزجّاج هذا القول وقال : { إن } أقوى النواصب.

[280] قال الفراء كلمة { إن } ضعيفة في العمل هاهنا ، وبيانه من وجوه : الأول : أن كلمة { إنَّ } إنما تعمل لكونها مشابهة للفعل ، ومعلوم أن المشابهة بين الفعل وبين الحرف ضعيفة . الثاني : أنها وإن كانت تعمل لكن إنما تعمل في الاسم فقط ، أما الخبر فإنه بقي مرفوعا بكونه خبر المبتدأ ، وليس لهذا الحرف في رفع الخبر تأثير ، وهذا مذهب الكوفيين الثالث : أنها إنما يظهر أثرها في بعض الأسماء ، أما الأسماء التي لا يتغير حالها عند اختلاف العوامل فلا يظهر أثر هذا الحرف فيها ، والأمر هاهنا كذلك ، لأن الاسم هاهنا هو قوله { الذين } وهذه الكلمة لا يظهر فيها أثر الرفع والنصب والخفض ، إذا ثبت هذا فنقول : إنه إذا كان اسم { إن } بحيث لا يظهر فيه أثر الإعراب ، فالذي يعطف عليه يجوز النصب على إعمال هذا الحرف ، والرفع على إسقاط عمله ، فلا يجوز أن يقال : إن زيدا وعمرو قائمان لأن زيدا ظهر فيه أثر الإعراب ، لكن إنما يجوز أن يقال : إن هؤلاء وإخوتك يكرموننا ، وإن هذا نفسه شجاع ، وإن قطام وهند عندنا ، والسبب في جواز ذلك أن كلمة { إن } كانت في الأصل ضعيفة العمل ، وإذا صارت بحيث لا يظهر لها أثر في اسمها صارت في غاية الضعف ، فجاز الرفع بمقتضى الحكم الثابت قبل دخول هذا الحرف عليه ، وهو كونه مبتدأ ، فهذا تقرير قول الفراء.

يا ليتنا وهما نَخْلُو بمنزلةٍ *** حتى يَرى بعضُنا بعضاً ونأْتَلِفُ
وبقوله :

وإلاَّ فاعلَمُوا أنَّا وأنتمْ *** بُغاةٌ ما بَقِينا في شِقاقِ .

وبقولهم : " إنك وزيدٌ ذاهبان " وكلُّ هذه تَصْلُح أن تكونَ دليلاً للكسائي والفراء معاً ، فكان حقه والصابئين وإنما رفعه عطفاً على الذين قبل دخول إنّ فلا يحدث معنى كما تقول : زيد قائم ، وإن زيداً قائم معناها واحد.

القول الرابع: اختاره: ابن عاشور[281]،و سيد طنطاوي واطفيش - الهميان واطفيش – التيسير وصلاح الخالدي[282] و الجلال وأجازه سليمان الجمل على الجلالين.

---

[281] قال ابن عاشور:"فالّذي أراه أن يجعل خبر (إنّ) محذوفاً . وحذفُ خبر (إنّ) وارد في الكلام الفصيح غير قليل ، كما ذكر سيبويه في « كتابه » . وقد دلّ على الخبر ما ذكر بعده من قوله : { فلا خوف عليهم } إلخ . ويكون قوله : { والّذين هادوا } عطفَ جملة على جملة ، فيجعل { الّذين هادوا } مبتدأ ، ولذلك حقّ رفع ما عُطف عليه ، وهو { والصابُون } . وهذا أولى من جعل { والصابون } مَبْدأ الجملة وتقدير خبر له ، أي والصابون كذلك ، كما ذهب إليه الأكثرون لأنّ ذلك يفضي إلى اختلاف المتعاطفات في الحكم وتشتيتها مع إمكان التفصّي عن ذلك ، ويكون قوله : { من آمن بالله } مبتدأ ثانياً ، وتكون (من) موصولة ، والرّابط للجملة بالّتي قبلها محذوفاً ، أي من آمن منهم ، وجملة { فلا خوف عليهم (1) } خبراً عن (مَن) الموصولة ، واقترانها بالفاء لأنّ الموصول شبيه بالشرط . وذلك كثير في الكلام ، كقوله تعالى : { إنّ الّذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثمّ لم يتوبوا فلهم عذاب جهنّم } [البروج : 10] الآية ، ووجود الفاء فيه يعيّن كونه خبراً عن (مَن) الموصولة وليس خبر إنّ على عكس قول ضابي بن الحارث :
ومن يَك أمسى بالمدينة رحلُه *** فإنّي وقبّار بها لغريب
فإنّ وجود لام الابتداء في قوله : « لغريب » عيَّن أنّه خبر (إنّ) وتقديرَ خبر عن قبّار ، فلا ينظّر به قوله تعالى : { والصابون } التحرير والتنوير (6/ 269) .

282 لكنه قدر الخبر (مفلحون) إنَّ المؤمنين مفلحون.فيكونُ مَعْنى الآية: المؤمنونَ من أُمَّةِ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم. مُفْلِحون فائزون، وأما الذين هادوا والنصارى ــ إن آمنوا وعملوا الصالحات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقوله : { إِنَّ الذين آمَنُواْ } أي : إيمانا حقا لا نفاقا وخبر إن محذوف تقديره :لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . دل عليه المذكور .

وقوله : { والذين هَادُواْ } مبتدأ مرفوع المحل والواو عطفَ جملة على جملة ، { وَالصَابِئُونَ } : معطوف على الذين هادوا ، فهو مرفوع معطوف على مرفوع المحل، { وَالنَّصَارَى } : معطوف على الذين هادوا وقوله { فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } ، خبر عن هذه المبتدآت الثلاثة ، وقوله : { مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر } بدل من كل منها بدل بعض من كل فهو مخصص ، فكأنه قال : الذين آمنوا من اليهود والنصارى ومن الصابئين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فالأخبار عن اليهود ومن بعدهم بما ذكر مشروط بالإيمان لا مطلقا[283].

وقريب من هذا القول ما أجازه الشهاب لكن على جعل المراد بـ {الذين آمنوا} المنافقين.

قال الشهاب:" لو صح أنّ المنافقين، واليهود أوغل المعدودين في الضلال، والصابئين، والنصارى أسهل صح تعاطفهما وجعل المذكور خبراً عنهما، وترك كلمة التحقيق المذكورة في الأوّلين دليلاً على هذا المعنى"[284].

الراجح عندي في هذه المسألة قول الزمخشري وهو قول الجمهور ، وإليك بيان الأسرار البلاغية فيه :

المسألة الرابعة والعشرون: الفائدة البلاغة في رفع الصابئون:

القول الأول: الزمخشري والبيضاوي وأبو زهرة وحقي البورسوي و الخازن والنيسابوري ومحمد رشيد رضا وحسنين مخلوف وابن المنير[285] ، وهم الذين جعلوا "الصابئون" مبتدأ خبره محذوف تقديره "كذلك".

[283] ، ويجوز أن يكون: { من آمن بالله } مبتدأ ثانياً ، وتكون (من) موصولة ، والرّابط للجملة بالّتي قبلها محذوفاً ، أي من آمن منهم ، وجملة { فلا خوف عليهم } خبراً عن (مَن) الموصولة ، واقترانها بالفاء لأنّ الموصول شبيه بالشرط . وذلك كثير في الكلام

[284] عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (3/ 264).

فإن قلت : ما التقديم والتأخير إلا لفائدة ، فما فائدة هذا التقديم ؟ فالجواب أنه لا بد أن يكون في عدوله عن النصب الذي هو ظاهر السياق إلى الرفع ، معنى قائم بذاته . فما هو ذلك المعنى ؟ فالجواب: أن فائدته التنبيه على أن الصابئين الذين هم أشد إيغالا في الكفر من اليهود والنصارى يتاب عليهم إن صحّ منهم الإيمان والعمل الصالح ، فما الظنّ بغيرهم ، وذلك أن الصابئين أشد الفرق المذكورين في هذه الآية ضلالا وأبين

---

[285] قال محمد رشيد رضا : "وفي هذه الآية بحث لفظي ليس في تلك ؛ وهو رفع كلمة الصائبين وتقديمها على كلمة النصارى هي تنبيه الذهن إلى أن الصابئين كانوا أهل كتاب وإن كان حكمهم كحكم المسلمين واليهود والنصارى في تعليق نفي الخوف والحزن عنهم يوم القيامة بشرط الإيمان الصحيح والعمل الصالح ، اللذين تتزكى بهما النفوسّ ، وتستعد لإرث الفردوس . ولما كان هذا غير معروف عند المخاطبين بهذه الآية ، وكان الصائبون غير مظنة لإشراكهم في الحكم مع أهل الكتب السماوية ، حسن في شرع البلاغة أن ينبه إلى ذلك بتغيير نسق الإعراب . فمثل هذا التغيير ، لا يعد فصيحا إلا في مثل هذا التعبير . وهو ما كان لما تغير إعرابه أخرج عما يماثله ، صفة خاصة تريد التنبيه عليها . فإذا قلت (إن زيد وعمرا – وكذا بكر – أو بكر كذلك – قادرون على مناظرة خالد) لم يكن هذا القول بليغا إلا إذا كان بكر في مظنة العجز عن مناظرة خالد ؛ وأردت أن تنبه عن خطإ هذا الظن ، وعلى كون بكر ، يقدر على ما يقدر عليه من ذلك زيد وعمرو .
وهاهنا قاعدة عامة في البلاغة تدخل في بلاغة النطق والكتابة . وهي أن ما يرد تنبيه السمع أو اللحظ إليه من المفردات أو الجمل يميز على غيره ، إما بتغيير نسق الإعراب في مثل الكلام العربي مطلقا ، وإما برفع الصوت في الخطابة ، وإما بكبر الحروف أو تغيير لون الحبر أو وضع الخطوط عليه في الكتابة . والمسلمون يكتبون القرآن في التفسير والمتون المشروحة بحبر أحمر . وفي الطبع يضعون الخطوط فوق الكلام الذي يميزونه كآيات القرآن في بعض كتب التفسير ، ثم صار الكثيرون منهم يقلدون الإفرنج في وضع هذه الخطوط تحت الكلام الذي يريدون التنبيه عليه بتمييزه .(المنار/ (6/)395

[286] قال الناصر في (الانتصاف) :" ثمة سؤال ، وهو أن يقال : لو عطف { الصابئين } ونصبه– – لأفاد أيضا دخولهم في جملة المتوب عليهم ، ولفهم من تقديم ذكرهم على { النصارى } ما يفهم من / الرفع من أن هؤلاء الصابئين– وهم أوغل الناس في الكفر– يتاب عليهم ، فما الظن بالنصارى ؟ ولكان الكلام جملة واحدة بليغا مختصرا ، والعطف إفرادي ؟ ويجاب عن هذا السؤال بأنه لو نصبه وعطفه لم يكن فيه إفهام خصوصية لهذا الصنف . لأن الأصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات . وهذا الصنف من جملتها ، والخبر عنها واحد . وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الإفرادي وتبقى بقية الأصناف مخصصة بالخبر المعطوف به . ويكون خبر هذا الصنف المنفرد بمعزل . تقديره مثلا { والصابئون كذلك } فيجيء كأنه مقيس على بقية الأصناف وملحق بها . وهو بهذه المثابة ، لأنهم لما استقر بعد الأصناف من قبول التوبة ، فكانوا أحقاء بجعلهم تبعا وفرعا مشبهين بمن هم أقعد منهم بهذا الخبر ، وفائدة التقديم على الخبر أن يكون توسط هذا المبتدأ المحذوف الخبر ، بين الجزأين ، أدل على الخبر المحذوف من ذكره ، بعد تقضي الكلام وتمامه ، والله أعلم .حاشية الانتصاف لابن المنير(1/ 660).

هؤلاء المعدودين وأشدّهم غياً فإذا قبلت توبتهم قبلت توبة غيرهم من باب أولى ، فحسن في شرع البلاغة أن ينبه إلى ذلك بتغيير نسق الإعراب ، فمثل هذا التغيير يعد من أفصح الأساليب في مثل هذا التعبير الذي يراد منه التنبيه على مثل هذا الأمر الدقيق، بإخراجه عن إعرابات أمثاله ومجاوراته ، فإذا قلت (إن زيد وعمرا – وكذا بكر – أو بكر كذلك – قادرون على مناظرة خالد) لم يكن هذا القول بليغا إلا إذا كان بكر في مظنة العجز عن مناظرة خالد ؛ وأردت أن تنبه عن خطإ هذا الظن ، وعلى كون بكر يقدر على ما يقدر عليه من ذلك زيد وعمرو ، و لو نصبه وعطفه لم يكن فيه إفهام خصوصية لهذا الصنف ؛ لأن الأصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات، وهذا الصنف من جملتها،والخبر عنها واحد ، وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الإفرادي وتبقى بقية الأصناف مخصصة بالخبر المعطوف به ، ويكون خبر هذا الصنف المنفرد بمعزل ، فيجيء كأنه مقيس على بقية الأصناف وملحق بها ، فكأنه قيل في الآية الكريمة: كل هؤلاء الفرق إن آمنوا بالعمل الصالح قَبِل الله توبتهم وأزال ذنبهم ، حتى الصابئون مع ظهور ضلالهم فإنهم إن آمنوا تاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح[287] ، ففيه الدّلالة على غرابة المُخبر عنه في هذا الحكم وتأكيد للكلام من الرفع ، و في توسيط حال الصابئين بين الذين هادوا و النصارى ، وفي تقديم الخبر عن "الصابئون" التّنبيه على تعجيل الإعلام بهذا الخبر فإنّ الصابئين يكادون ييأسون من هذا الحكم أو ييأس منهم من يسمع الحكم على المسلمين واليهود ، وأيضا توسط هذا المبتدأ المحذوف الخبر، بين الجزأين ، أدل على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقضي الكلام وفي نهايته، فجمع الرفع والتقديم فوائد بلاغية كثيرة ولو لم يقدّم ما حصل ذلك الاعتبار.

كما أن الشاعر في قوله وإلاَّ فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُم *** بُغَاةٌ مَا بَقِيْنَا فِي شِقَاقِأي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك ،

---

[287] وفي ذكر المغفرة للصابئين إشارة إلى بيان قبول توبة المشركين إذا آمنوا بعد شرك كما قال تعالى : (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين38) . (الأنفال) .

قدم قوله : (وأنتم) تنبيهاً علىٰ أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه ، حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو (بغاة) لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم ، مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدماً .

ومثل هذا التأكيد يناسب السياق: ففي الآيات السابقة أشار سبحانه إلىٰ استعلاء اليهود والنصارىٰ وجرائمهم وكفرهم وعداوتهم للإسلام و شدة عنادهم، وأنهم مردوا علىٰ الجحد ، وتمرنوا علىٰ البهت ، وعتوا عن أوامر الله ،و ذكرت المنافقين وأفعالهم وأقوالهم الفاسدة ، وختمت بأن اهل الكتاب ليسوا علىٰ شيء ما لم يؤمنوا استجابة للبشارات التي في كتبهم ، فكان ذلك موجباً أن يخطر في بال القارئ والسامع وأهل الكفر السامعين للقرآن أنه إن آمن منهم أحد ما يقبل ، فأخبر أن الباب مفتوح لهم ولغيرهم من جميع أهل الملل ، وأن هذا الحكم عام في الكل ، فمهما كانت ملتهم السابقة فالباب مفتوح لهم في الدخول في هذا الدين، والإسلام يَجُبُّ ما قبله حتىٰ الصابئة الذين هم أكفر من اليهود والنصارىٰ تقبل توبتهم ، وأكد الإخبار أنه تقبل توبة المنافقين واليهود والنصارىٰ لأن السياق كان يتحدث عنهم ، مبالغة في دفع توهم عدم قبول توبتهم .

ومثل هذا الأسلوب وهو مغايرة الإعراب لأمر بلاغي معهود مثله في القرآن الكريم فجاء النصب علىٰ المدح في قوله تعالىٰ : { لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162)} { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} ، وهذا الرأي في توجيه الآية عندي أرجح الأقوال.

القول الثاني:قالوا : أكد في الذين آمنوا المراد بهم المنافقون وفي اليهود لأن سياق سورة المائدة في ذم المنافقين واليهود وذكر قبائحهم بخلاف الصابئة والنصارىٰ فليس السياق لهم فلم يحتج لتأكيد ، أو يقال : لما كان

المقام للترغيب في التوبة ، جعل هؤلاء أي (الصابئون) أو (الصابئون والنصارىٰ) علىٰ اختلاف القولين، مع شناعة حالهم بظهور ضلالهم كمن لا إنكار لقبول توبته ، فيفهم أن غيرهم أولىٰ بذلك .

وهذا القول في السر البلاغي إنما يتأتىٰ علىٰ قول الفراء والكسائي أو علىٰ قول سيبويه في بعض الاحتمالات اختاره البقاعي وفاضل السامرائي[288] واجازه الآلوسي[289] والشهاب.

---

[288] قال السامرائي: " والذي ، يبدو لي في هذا الأمر أن ثمة فرقا في المعنىٰ بين الرفع والنصب، فإن العطف بالنصب علىٰ تقدير إرادة (إنَّ) ، والعطف بالرفع يكون علىٰ غير إرادة (إنَّ)، ومعنىٰ هذا أن العطف بالرفع غير مؤكد ، فعلىٰ هذا يكون المعطوف في قولك (إن زيدا مسافر وخالدا) مؤكدا ، بخلاف ما لو قلت :(إن زيدا مسافر وخالدٌ) فإن المعطوف غير مؤكد ، وهذا شبيه بما مر في قولنا :(ليس زيد بجبان ولا بخيل ولا بخيلا) في بحث ليس ، وهذا المعنىٰ حام حوله النحاة ولم يذكروه صراحة فهم حين يقولون إنه معطوف علىٰ اسم (إن) قبل دخولها ، يعنون إنه معطوف علىٰ غير إرادة التوكيد ، أي إن المعطوف عليه مؤكد بخلاف المعطوف، وقد رأيت قبل قبل قليل في كلام المفسرين في قوله تعالىٰ { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ} ما يشير إلىٰ أن كلمة (الصابئون) خولف حكمها عن أخواتها ، لأن هذه الفرقة أبعد ضلالا من الآخرين ، فجاءت أقل توكيدا من أخواتها ، وما ذكره الرضي من كونها اعتراضية ، يشير إلىٰ ذلك أيضا ، فإن الجملة الاعتراضية ليست من صميم الجملة المعقود بها الكلام ، وإنما هي تبع ، فالنحاة يدركون أن هذا المعطوف يختلف عن المعطوف عليه في الحكم ، فالصابئون لما كانوا أبعد المذكورين ضلالا كما ذكر المفسرون خولف في توكيدهم فكانوا أقل توكيدا وقال السامرائي في لمسات: " . فالصابئون خرجوا عن الديانات المشهورة. وهم قسمان وقسم قالوا إنهم يعبدون النجوم وقسم متبعون ليحيىٰ عليه السلام فهما قسمان. هؤلاء أبعد المذكورين والباقون أصحاب كتاب، الذين هادوا أصحاب كتاب عندهم التوراة والنصارىٰ عندهم كتاب الإنجيل والذين آمنوا عندهم القرآن الصابئون ما عندهم كتاب ولكن قسم من الصابئين يقولون عندهم كتاب لكن بالنسبة لنا هم أبعد المذكورين ضلالاً ولذلك هم دونهم في الديانة والاعتقاد ولذلك لم يجعلهم بمنزلة واحدة فرفع فكانوا أقل توكيداً. ورد مثل ذلك في الشعر العربي:إن النبوةَ والخلافةَ فيهم والمكرماتُ وسادةٌ أطهارُ، قال المكرماتُ ولم يقل المكرماتِ لأن هؤلاء السادة لا يرتقون لا إلىٰ النبوة ولا إلىٰ الخليفة". معاني النحو(ج 1/ 10).

[289] قال الآلوسي:" وبعض المحققين صرف الخبر المذكور إلىٰ قوله تعالىٰ : { والصابئون } وجعل خبر { إنٍ } محذوفاً ، وهو القول الآخر للنحاة في مثل هذا التركيب ، وهو موافق للاستعمال أيضاً كما في قوله :

قال البقاعي: "فقال سبحانه : { إن الذين آمنوا } أي قالوا : آمنا { والذين هادوا } أي اليهود { والصابئون } أي القائلون بالأوثان السماوية والأصنام الأرضية { والنصارى } أي الذين يدعون اتباع المسيح عليه السلام ، ولما كان اليهود قد عبدوا الأصنام متقربين بها إلى النجوم في استنزال الروحانيات انهاكاً في السحر الذي جاء نبيهم موسى عليهم السلام بإبطاله ، وكان ذلك هو معنى دين الصابئة ، فرّق بين فريقي بني إسرائيل بهم مكتفياً بهم عن ذكر بقية المشركين لما مضى في البقرة ، ولما سبق في هذه السورة من ذم اليهود بالنقض للميثاق والكفر واللعن والقسوة وتكرر الخيانة وإخفاء الكتاب والمسارعة في الكفر والنفاق والتخصيص بالكفر والظلم والفسق وغير ذلك من الطامات ما يسد الأسماع ، كان قبول توبتهم جديراً بالإنكار ، وكانوا هم ينكرون عناداً فلاح العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن ، فاقتضى الحال كون الفريقين في حيز التأكيد ، ولم يتقدم للصابئة ذكر هنا أصلا فأخرجوا منه تنبيهاً على أن المقام لا يقتضيه لهم ، فابتدئ بذكرهم اعتراضاً ودل على الخبر عنهم بخبر"[290] إن " ، أو أنه لما كان المقام للترغيب في التوبة ، وجعل هؤلاء مع شناعة حالهم بظهور ضلالهم كمن لا إنكار لقبول توبته ، كان غيرهم أولى بذلك ، ولما كان حال النصارى مشتبهاً ، جعلوا في حيز الاحتمال للعطف على اليهود لما تقدم من ذمهم ، وعلى الصابئة لخفة حالهم بأنهم مع أن أصل دينهم صحيح لم يبلغ ذمهم السابق في هذه السورة مبلغ ذم اليهود" .

يقول علي هاني: لكن المتتبع لسورة المائدة يجد أن الذم كان للفريقين اليهود والنصارى على السواء .

نحن بما عندنا وأنت بما *** عندك (راض) والرأي مختلف

فإن قوله : راض خبر أنت وخبر نحن محذوف ، ورجح بأن الإلحاق بالأقرب أقرب ، وبأنه خال عما يلزم على التوجيه الأول ، نعم غاية ما يرد عليه أن الأكثر الحذف من الثاني لدلالة الأول ، وعكسه قليل لكنه جائز ، وعورض بأن الكلام فيما نحن فيه مسوق لبيان حال أهل الكتاب ، فصرف الخبر إليهم أولى ، وفي توسيط بيان حال الصابئين ما علمت من التأكيد ، وأيضاً في صرف الخبر إلى الثاني فصل للنصارى عن اليهود وتفرقة بين أهل الكتاب لأنه حينئذ عطف على قوله سبحانه : { والصابئون } قطعاً ، نعم لو صح أن المنافقين واليهود أوغل المعدودين في الضلال ، والصابئين والنصارى أسهل حسن تعاطفهما وجعل المذكور خبراً عنهما ، وترك كلمة التحقيق المذكورة في الأولين دليلاً على هذا المعنى" روح المعاني (3/ 367)

[290] نظم الدرر (6/ 241).

المسألة الخامسة والعشرون : الرد على من يخطئ القرآن الكريم في رفع الصابئون:

قد تجرأ بعض أعداء الإسلام ، على دعوى وجود الغلط النحوي في القرآن ! وعدَّ رفع الصابئين هنا من هذا الغلط ! وهذا جمع بين السخف والجهل ، وإنما جاءت هذه الجرأة من الظاهر المتبادر من قواعد النحو مع جهل أو تجاهل أن النحو استنبط من اللغة ولم تستنبط اللغة منه ، وأن كل ما ثبت نقله عن العرب فهو عربي صحيح ، ولا ينسب إلى العرب الغلط في الألفاظ ولكن قد يغلطون في المعاني ، فهذا القول لا يقوله عالم إلا أن يكون كجهلة بعض المستشرفين الذين يحسبون أن قواعد النحو حاكمة على القرآن ، وذلك من فساد النظر لأن القرآن فوق النحو ، إذ النحو يستقي منه ، وهو لا يخضع لما يقرره النحويون ، بل هم الذين يخضعون له ، فلو لم يكن ذلك المعترض ضعيف العقل أو قوى التعصب على الإسلام ، لنهاه عن هذا الاعتراض رواية هذا اللفظ عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وإن لم يؤمن بأنه منزل عليه من الله عز وجل ، فكيف وقد تلقته العرب بالقبول والاستحسان ، فكان إجماعا عليه أقوى من إقرار الأندية الأدبية (الأكاديميات) الآن ؟ بل يجب أن ينهاه مثل ذلك نقله عن أي بدوي من صعاليك العرب ولو برواية الآحاد ، وليت شعري هل يعد ذلك المعتصب الأعمى مبتكرات مثل شكسبير في الإنكليزية وفيكتور هيغو بالفرنسية من اللحن والغلط فيهما ؟ [291] ، ويذكرني هذا بقصة عبد الله بن إسحاق الحضرمي الذي كان من مؤصلي مذهب البصريين مع الفرزدق وكان يكثر الاعتراض على الفرزدق:

ويروى أن الفرزدق أنشد قصيدة لعبد الله بن إسحاق، فلما بلغ قوله

وعضُّ زَمَان يا ابن مروان لم يَدَعْ ... من المال إلا مُسْحَتًا أو مُجَلَّفُ[292]

---

[291] انظر المنار / محمد رشيد رضا وزهرة التفاسير لأبي زهرة .

[292] ولم يدع: أي لم يترك، والمسحت -بضم أوله على زنة اسم المفعول- هو المستأصل الذي فني كله ولم يبقَ منه شيء، والمجلف -بالجيم على زنة المعظم- الذي قد ذهب أكثره وبقي منه شيء يسير

قال له عبد الله: علام رفعت "أو مجلف" ؟فقال الفرزدق: علىٰ ما يسوءك وينوءك! علينا أن نقول: وعليكم أن تتأولوا.

ويرویٰ أن الفرزدق أنشد هذه القصيدة لعبد الله ، فلما بلغ البيت المستشهد به قال له عبد الله: علام رفعت "أو مجلف" فقال الفرزدق: علىٰ ما يسوءك وينوءك! علينا أن نقول: وعليكم أن تتأولوا.

المسألة السادسة والعشرون: أسرار الاختلاف بين الآيات الثلاثة تقديما وتأخيرا ورفعا ونصبا واختلافا في الفاصلة :

قوله تعالىٰ: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) البقرة: 62

وقال في سورة المائدة 69: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وقال في سورة الحج17: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) .

أولا سر الترتيب في تقديم الذين آمنوا ثم الذين هادوا في الآيات الثلاث ثم تأخير الصابئين في سورة البقرة وتاخيره في المائدة والحج:

1) يكون سر الابتداء بذكر المؤمنين في جميع الآيات كما تقدم :

ث) الاهتمام بشأنهم ليكونوا في مقدمة ذكر الفاضلين فلا يذكر أهلُ الخير إلا ويذكرون معهم ، ففيه إدماج للتنويه بالمسلمين في هذه المناسبة ، لأنّ المسلمين هم المثال الصّالح في كمال الإيمان فكأن المسلمين لأنّهم الأوحدون في الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصّالح ، أوّلون في هذا الفضل.

ج) و الإِشعار بأن دين الإِسلام دين قائم على أساس أن الفوز برضا الله لا ينال إلا بالإِيمان الصادق والعمل الصالح ، ولا فضل لأمة على أمة إلا بذلك فحال هذه الملة الإسلامية، وحال من قبلها من سائر الملل، يرجع إلى شيء واحد، وهو: أنّ من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا، استحقّ ما ذكره الله من الأجر.

ح) والتحرّز عن الغرور وعن تسرّب مسارب الشرك إلى عقائد .

خ) إن المؤمنين أحق بالتقديم وهم أهل الخطاب والمتكلم معهم في الآي قبل، فهم من حيث أحوالهم معظم من قصد بالخطاب والتأنيس، وأما إن أريد بهم المنافقون فقد تقدم سر ذلك

2) وأما ذكر <u>{الذين هادوا}</u> في جميع الآيات ثانيا:

فلأن أهل الكتابين يلون المؤمنين فإنهم ليسوا كافرين بكل الرسل ولا منكرين لكل ما أنزل من الكتب ، فهم مقرون بالبداءة والعودة وإرسال الرسل فقد كانوا أقرب للمسلمين في عقائدهم ، لولا التبديل والتغيير والتحريف الذي وقع منهم ، فإنهم جاءهم رسول وكتاب فنكثوا ونقضوا وكفروا بمن قدم إليهم، فقدم أهل الكتاب اليهود والنصارى لأنهم اقرب للمؤمنين من الصابئين.

ولما كان اليهود أقدم وأسبق زمانا والسياق المتقدم لهم قدموا على النصارى ، فالسياق في سورة البقرة والمائدة كان مع الذين هادوا فناسب تقديمهم في الدعوة للتوبة إلى الله من كفرهم.

3) <u>تقديم النصارى على الصابئين في سورة البقرة وتأخيرهم في المائدة والحج</u>

في سورة البقرة قدم اليهود والنصارى على الصابئين، وهذا هو الأصل لما ذكر من أنهم أهل كتاب وأقرب للمسلمين[293] ، وأخر الصابئون لتأخرهم عن هؤلاء الأصناف في أنهم ليسوا من أهل الكتاب أو ليسوا مثلهم

---

[293] ينظر ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل (1/ 43) مع زيادات،

في ما وراء ما ذكر من أحوالهم، فدينهم أبعد ما يكون عن دين الإسلام كما تقدم ، فإيراد ذكرهم على ما في سورة البقرة من تقديم النصارى على الصابئين بيّن.

وأيضا لما ذكرت أحوالهم وقصصهم في سورة البقرة على هذا الترتيب ذكروا كذلك في الآية ، فذكر أولا أحوال اليهود في كلام طويل ابتدأ بـ{ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) }ثم ذكر النصارى { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111) } وما بعده و{ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى } ثم الصابئة { ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم }فقد كان قوم سيدنا إبراهيم من الصابئة .

وأما آية المائدة { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69)} فقد قدم الصابئون على النصارى لأمور:

1) في التقديم تأكيد للمقصد الذي سيق له الكلام من الدعوة للتوبة وأن التوبة مقبولة من الكل إن حققوا الشروط، ففي توسيط حال الصابئين بين الذين هادوا و النصارى ، التّنبيه على تعجيل الإعلام بهذا الخبر فإنّ الصابئين يكادون ييأسون من هذا الحكم أو ييأس منهم من يسمع الحكم على المسلمين واليهود .
2) و أيضا توسط هذا المبتدأ المحذوف الخبر ، بين الجزأين ، أدل على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقضي الكلام وفي نهايته.
3) وأيضا أخر ذكر النصارى لأن الكلام فيما بعد هذه الآية على ذم عقيدة النصارى وتسفيه عقيدة التثليث، وقد ذمّ النصارى في المائدة ذماً فظيعاً على معتقداتهم، وتكلم على عقيدة التثليث جعلهم كأنهم لم يؤمنوا بالله وكأنهم صنف من المشركين فقرنوا بالصابئة في الآية ،ومن أمثلة ذمهم وتوبيخهم قوله تعالى { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي

إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (77)}

فلما كان الكلام في ذم معتقدات النصارى اقتضى تأخيرهم عن الصابئين المشركين حتى تكون منزلتهم أقل منزلة،ولأجل أن يقرنهم بالمشركين الصابئة لأن السياق في ذمّ عقيدتهم، ليخبر أنهم مثلهم في الشرك لأن من يلصق ألوهية بغير الله يكون كمن عبد الكواكب وخرج عن التوحيد ؛ لأن الصابئة وإن كانوا يقولون بالإله الواحد لكنهم يجعلون معه شركاء سماوية أو أرضية، فقدم الصابئين عليهم لما تقدم من الفوائد ، وليس نحو هذا الأمر موجودا في آية البقرة فجرت سورة البقرة على تأخير الصابئين وجعلهم مكانهم بعد الملل ، وأيضا في سورة البقرة لم يتوسع في ذم عقيدة النصارى فلذلك وضع النصارى بعد الذين هادوا وقبل الذين الصابئين، وأخر الصابئين في آخر المِلل لأنهم أبعد الناس عن الإسلام [294]

4) وأما سورة الحج فقد أخر النصارى ؛ لأنهم مشركون، ولذلك قرن النصارى في الحج بالمجوس والمشركين، فأخرهم لإشراكهم بمن بعدهم في الشرك وقد فصل البقاعي الترتيب في سورة الحج فقال: قال البقاعي :" أجاب عن ذلك ببيان جميع فرق الضلال ، لأن لهذه السورة أتم نظر إلى يوم الجمع الذي هو مقصود السورة التي قبلها ، فقصد إلى استيعاب الفرق تصويراً لذلك اليوم بأليق

---

[294] ينظر السامرائي لمسات ، وملاك التأويل ، والبقاعي ، وابن عاشور .

صورة ، وقرن بكل من فريقي أهل الكتاب موافقة في معناه فقال : { إن الذين ءامنوا } { والذين هادوا } ولما كان اليهود عبدوا الأصنام متقربين بها إلى النجوم كما مضى في المائدة ، أتبعهم من شابهوه فقال : { والصابئين } ثم تلا بثاني فريقي أهل الكتاب فقال : { والنصارى } ثم أتبعهم من أشبهه بعض فرقهم في قولهم بإلهين اثنين فقال : { والمجوس } وهم عبدة النار ؛ ثم ختم بأعم الكل في الضلال كما فتح بأعمهم في الهدى فقال : { والذين أشركوا } لشموله كل شرك حتى الأصغر من الربا وغيره" اهـ بتصرف[295].

وذكر سرها الإمام الرازي بطريقة مختلفة: فقال: " أما القسم الثاني وهو الاختلاف الحاصل بسبب الأنبياء عليهم السلام ، فتقسيمه أن يقال القائلون بالفاعل المختار ، إما أن يكونوا معترفين بوجود الأنبياء ، أو لا يكونوا معترفين بذلك ، فإما أن يكونوا أتباعا لمن كان نبيا في الحقيقة أو لمن كان متنبئا ، أما أتباع الأنبياء عليهم السلام فهم المسلمون واليهود والنصارى ، وفرقة أخرى بين اليهود والنصارى وهم الصابئون ، وأما أتباع المتنبئ فهم المجوس ، وأما المنكرون للأنبياء على الإطلاق فهم عبدة الأصنام والأوثان ، وهم المسمون بالمشركين ، ويدخل فيهم البراهمة على اختلاف طبقاتهم . فثبت أن الأديان الحاصلة بسبب الاختلافات في الأنبياء عليهم السلام هي هذه الستة التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية ، قال قتادة ومقاتل الأديان ستة واحدة لله تعالى وهو الإسلام وخمسة للشيطان" فقدم الذين بالدين الحق وهم المؤمنون"[296].

****

سر الاقتصار على هذه الفرق في البقرة والمائدة والزيادة عليها في الحج:

---

[295] نظم الدرر (13/ 24).

[296] التفسير الكبير(23/ 212).

القول الأول: وهو الأصح

1) أن آية سورة الحج إنما هي فيمن بقي على دينه الباطل ثم جاء يوم القيامة على دينه من يهودية أو نصرانية أو غير ذلك غير تائب من كفره وضلاله ،ألا ترى أنه ذكر المجوس معهم والذين أشركوا ؛ لأن ذلك مقام التفويض إلى الله في الحكم بين أهل المِلل وتثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بأن الله سيحاسب الفرقة الضالة على ضلالها "

بخلاف آية البقرة والمائدة فهي فيمن ترك ما هو عليه من نصرانية أو يهودية ونحوها وتاب إلى الله عز وجل بالدخول في الإسلام ، فاقتصر على الأديان الثلاثة مع الإسلام دون غيرها من نحو المجوسية والدهريين والزنادقة ؛لأنهم أرجى لقبول الإسلام من المجوس والدهريين ؛ لأنهم يثبتون الإله المتفرد بخلق العالم ويتبعون الفضائل على تفاوت بينهم في ذلك ، فلذلك اقتصر عليهم تقريباً لهم من الدخول في الإسلام .

2) لأن لسورة الحج أتم نظر إلى يوم الجمع الذي هو مقصود السورة التي قبلها ، فقصد إلى استيعاب الفرق تصويراً لذلك اليوم بأليق صورة.

ولأجل اختلاف المقصد بين سورة البقرة والمائدة من جهة وسورة الحج من جهة أخرى اختلف الفاصلة فيهما ، ختمت سورة البقرة { فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62} وقريب منها المائدة ، وختمت الحج { إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.

القول الثاني :وهو مرجوح

من جعل الآية فيمن كان على التوحيد في زمن من الأزمان والآية تتكلم على هذه الفترة قال: لم يذكر المجوس والذين أشركوا لأنهم لم يكونوا على الحق في زمن من الأزمان ، ذكر ذلك ابن تيمية .

قال ابن تيمية: "فإن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء موحدون، وصابئة مشركون، فالأول هم الذين أثنى الله عليهم بهذه الآية فأثنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من هذه الملل الأربع: المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، فهؤلاء كانوا يدينون بالتوراة قبل النسخ والتبديل، وكذلك الذين دانوا بالإنجيل قبل

النسخ والتبديل، والصابئون الذين كانوا قبل هؤلاء كالمتبعين لملة إبراهيم إمام الحنفاء قبل نزول التوراة والإنجيل، وهذا بخلاف المجوس والمشركين فإنه ليس فيهم مؤمن، فلهذا قال تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) فذكر الملل الست هؤلاء، وأخبر أنه يفصل بينهم يوم القيامة لم يذكر في الست من كان مؤمناً، وإنما ذكر ذلك في الأربعة فقط، ثم إن الصابئين ابتدعوا الشرك فصاروا مشركين، والفلاسفة المشركون من هؤلاء المشركين ، وأما قدماء الفلاسفة الذين كانوا يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً ويؤمنون بأن الله محدث لهذا العالم ويقرون بمعاد الأبدان، فأولئك من الصابئة الحنفاء الذين أثنى الله عليهم".[297]

رد هذا الآلوسي:قائلا :" والمناسب لعموم اللفظ وعدم صرفه إلى تخصيص { الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى } بالكفرة منهم وتخصيص { مَنْ ءامَنَ } الخ بالدخول في ملة الإسلام ، إلا أنه يرد عليه أنه مستلزم أن يكون للصائبين دين ، وقد ذكر غير واحد أنه ليس لهم دين تجوز رعايته في وقت من الأوقات ففي «الملل والنحل » أن الصبوة في مقابلة الحنيفية ، ولميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم : الصابئة ، ولو سلم أنه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه ، فمن مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن إرجاع الضمير الرابط بين اسم (إن) وخبرها إليهم على القول المشهور وارتكاب إرجاعه إلى المجموع من حيث هو مجموع قصداً إلى إدراج الفريق المذكور فيهم ضرورة أن من كان من أهل الكتاب عاملاً بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع أولئك الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وإن لم يكن من الصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه ؟ على أن فيه بعد ما لا يخفى فتدبر ".

سر ذكر { فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } في البقرة دون المائدة :

[297] كتابه في الرد على المنطقيين 288.

فهناك فرق بين الآيتين (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في آية سورة البقرة أما في سورة المائدة (فلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) المذكورين في الآيتين هم نفسهم (الذين آمنوا، الذين هادوا، النصارىٰ، الصابئين) فلماذا جاء في سورة البقرة (فلهم أجرهم عند ربهم) ولم تأتي في سورة المائدة؟

1) إن قوله تعالىٰ: " فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ " ذكر في سورة البقرة ولم يذكر في المائدة ، لأنه ذكر في سورة المائدة ما هو بمعناه فأغنىٰ عنه واكتفىٰ به ألا ترىٰ أن قوله تعالىٰ: "ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم " تفسير بين للأجر الأخروي المجمل في قوله تعالىٰ في سورة البقرة: "فلهم أجرهم عند ربهم " إلىٰ آخر الآية فقد حصل ما في سورة المائدة مفصلا مبينا ما ورد في البقرة مجملا فلو قيل في آية المائدة فلهم أجرهم لكان تكرارا ورجوعا إلىٰ الإجمال بعد التفصيل وذلك عكس ما ينبغي[298].

2) سورة المائدة السياق كما قلنا في ذمّ عقائد اليهود والنصارىٰ ذمّاً كثيراً مسهباً، أما في سورة البقرة فالكلام عن اليهود غالب والقليل علىٰ النصارىٰ ، وفي سورة المائدة الكلام علىٰ اليهود أشدّ مما جاء في البقرة ومن ذلك أنه ذكر في المائدة العقوبات أكثر من ذكرها في سورة البقرة (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ {60}) وفي سورة البقرة (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ {65}) وسياق الغضب في المائدة علىٰ معتقدات النصارىٰ واليهود أشدّ ، ولم تُجمع القردة والخنازير إلا في سورة المائدة فاقتضىٰ السياق أن يكون زيادة الخير والرحمة في المكان الذي يكون الغضب فيه أقل وهو (سورة البقرة) ، ثم جو الرحمة ومفردات الرحمة وتوزيعها في سورة البقرة أكثر مما جاء في سورة المائدة ، ففي سورة البقرة وردت تسع عشرة مرة بينما وردت في المائدة خمس

---

[298] ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل (1/ 43)

مرات لذا اقتضىٰ التفضيل بزيادة الرحمة في البقرة والأجر يكون علىٰ قدر العمل فالنسبة للذين آمنوا من أهل الكتاب قبل تحريفه وهم مؤمنون بالله تعالىٰ عليهم أن يؤمنوا إيماناً آخر باليوم الآخر المقصود الذين آمنوا إيماناً حقيقياً.

- في سورة المائدة ورد ذكر أنواع من العمل الصالح عشر مرات (الوفاء بالعقود، الوضوء، الزكاة، الأمر بإطاعة الله ورسوله، والإحسان، التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، إقام الصلاة، الجهاد في سبيل الله والأمر باستباق الخيرات) وفي سورة البقرة ورد ذكر ثلاثين نوعا من أعمال الخير وتشمل كل ما جاء في سورة المائدة ما عدا الوضوء وفيها بالإضافة إلىٰ ذلك الحج والعمرة والصيام والإنفاق والعكوف في المساجد وبر الوالدين والهجرة في سبيل الله وإيفاء الدين والقتال في سبيل الله والإصلاح بين الناس وغيرها كثير، لذا اقتضىٰ كل هذا العمل الصالح في البقرة أن يكون الأجر أكبر (فلهم أجرهم عند ربهم) .

وهذه العبارة (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لم ترد إلا في سورة البقرة بهذا الشكل وقد وردت في البقرة خمس مرات.

وتردد الكلمات في القرآن تأتي حسب سياق الآيات وفي الآيات المتشابهة يجب أن نرىٰ الكلمات المختلفة فيها[299]

3) "وأيضا قَوْلَهُ: فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ مُقَابل لقَوْله: وَباؤُا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ [الْبَقَرَة: 61] وَلِذَلِكَ قُرِنَ بِعِنْدَ الدَّالَّةِ عَلَىٰ الْعِنَايَةِ وَالرِّضَى"[300] فجاءت هذه مقابلة لتلك ، بخلاف سورة المائدة لم يرد ما يقتضي هذه المقابلة فحذف منها { فلهم أجرهم}[301]

---

[299] لمسات بيانية المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي (1/ 516)

[300] التحرير والتنوير (1/ 541)

[301] الحذف والذكر في المتشابه اللفظي في القرآن رسالة ماجستير / د منصور أبو زينة (33)

4) [63، 64]

****

القسم الثاني: أدلة الرد على من فسر الآية على خلاف مراد الله سبحانه:

الحاصل الراجح في تفسير آية البقرة والمائدة :

4) أخذنا أن الآية الكريمة دعوة للناس المؤمنين والنصارى والذين هادوا والصابئين إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ولا ولد أن يؤمنوا إيمانا صادقا ، والإيمان باليوم الآخر كما وصفه الله سبحانه في القرآن ، وما يستتبع ذلك من الإيمان بجميع الأنبياء لا سيما النبي محمد صلى الله عليه وسلم بدون تفريق كما سيأتي ، والملائكة، وسياق الآية يدل على هذا المعنى دلالة واضحة ، والإيمان باليوم الآخر ، والعمل الصالح على وفق ما جاء في القرآن وفي هذا الشرع الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم كما هو مفهوم ضمنا ، فهذا الأساس هو السبب الوحيد لعدم الخوف والحزن في الآخرة .

فقد كانت الآيات تتحدث عن بني إسرائيل وكفرهم بالآيات المتتالية آية بعد آية، وبالنعم بعد تواليها ، وختمت بأنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، فلما كان ذلك ربما أوهم أنه لا خلاص لهم منه وإن تابوا ، وهذا يورثهم اليأس من رحمته سبحانه ، وأن لا يبقى عندهم للأمل في عفو الله متنفس ، وكانت عادته سبحانه جارية بأنه إذا ذكر وعداً أو وعيداً عقبه حكم ضده؛ ليكون الكلام تاماً ، أُعلِموا أن باب التوبة مفتوح والرب كريم على وجه عام يشملهم وغيرهم من جميع أهل الملل ، وأن هذا الحكم عام في الكل ، فمهما كانت ملتهم السابقة تقبل توبتهم في هذا الدين، والإسلام يَـجُبُّ ما قبله ، وأنه ليس على الإنسان ليكون من أهله إلا أن يؤمن بأركان الإيمان لا سيما الإيمان بالله الواحد بدون شريك ، ويوم القيامة الذي يكرم الله فيه المؤمنين ويعذب الكافرين على ما بين في القرآن الكريم ، وما يستلزم ذلك من خشية وخوف من الله ، وأن يعمل صالحا على حسب ما فصل في القرآن تصديقا لإيمانه ، وأن المؤمنين ظاهرا فقط أو ظاهرا وباطنا ، واليهود والنصارى والصابئون جميعا في النجاة سواء إذا حققوا شروط

الإيمان السابقة على ما أتى به القرآن ، لا فرق بين يهودي ونصراني ،وعبدة للكواكب ، ولا ينظر في ذلك إلى سابق ما كانوا يتدينون ولا إلى ما كانوا ينتحلون من نحل، ، فهذا النص الكريم يفتح باب الرجاء ويقرب التوبة وبهذا يتضح وجه توسيط هذه الآية وما قبلها بين تعداد النعم على بني إسرائيل ، فقد جعل سبحانه ذلك الحكم الخالد الأبدي معترضا في أخبار بني إسرائيل ليفتح باب الإيمان لهم ولغيرهم ومن بديع البلاغة أن قرن معهم في ذلك ذكر بقية من الأمم، للتعميم في فتح باب التوبة ، و ليكون ذلك تأنيساً لوحشة اليهود من القوارع السابقة في الآيات الماضية ، وهذا أرجح الأقوال في الآية .

وأما القول الآخر القائل:" المراد بالذين آمنوا من آمن من هذه الآمة، والمراد بالذين هادوا والنصارى: الذين آمنوا قبل مبعث سيدنا محمد قبل نسخ شريعتهم مع البراءة عن أباطيل اليهود والنصارى مثل ورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وبحيرى ، فـ{ والذين هادوا } الذين كانوا على دين سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، ولم يبدلوا ولم يكفروا بسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ممن لم يلحق محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومات وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان تكون بالوفاة ، { والنصارى } ممن آمن بعيسى وعملوا بشريعته ممن لم يلحق سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، { والصابئين } كذلك يعني في زمن استقامة أمرهم على القول به " فهذا القول وإن كانت الأدلة لا ترجحه وترده لكنه لا يخالف أصلا من أصول الدين وهو مقبول ، فلو تبناه أحد لا ضير عليه .

وأدلة رده:

1) أن اسم النصارى لم يطلق في القرآن إلا على المشركين المثلثين منهم الذين حكم القرآن بكفرهم وذمهم كما تقدم ، والصابئون لم يثبت أنهم كانوا على التوحيد الخالص الذي يريده الله سبحانه ولو ثبت فهم كانوا في تلك الفترة مسلمين لا صابئة ، وأما "الذين هادوا" فهي وإن كانت تطلق على المؤمنين منهم، وعلى الكفار لكن كون المراد بالنصارى الكفار منهم يعين هنا أن المراد بالذين هادوا الكفار منهم .
2) ثم السياق لا يساعد كون الآية مدحا للذين كانوا على التوحيد ، ومما يقوي القول الأرجح أن آية سورة الحج كانت للمفاصلة و ذكرت الفرق المقابلة للمؤمنين وأن الله سيفصل بين هذه الفرق

الضالة وبين المؤمنين بعد أن ثبتوا على الكفر بعد أن دعتهم الآيات السابقة للإيمان ، فالمراد بالنصارى والصابئين والذين هادوا الكفار قطعا .

3) ثم هذا الأسلوب القرآني قد تكرر كثيرا ، وهو أنه بعد أن يذم الكفار ويبين عيوبهم يفتح لهم باب التوبة كما سيأتي في تفسير { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)} .

4) وأيا ما كان فهذان القولان وما يدور حولها هما اللذان قررهما العلماء في جميع العصور قبل القرن العشرين، والواحد والعشرين الذي نحن فيه وقبل أن يدخل الاستشراق ويطعن المسلمين من الداخل ويحرف ، لكن في هذين القرنين تبدلت الأمور ، وزادت التحريفات المقصودة التي ينفق عليها الآلاف من الدولارات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقد صار من لا حظ له من علم الشرع والتفسير يتكلف في تفسير القرآن ويُسمع له ويَنتشر قوله في أقطار العالم ، ويصادف إلحادا خفيا أو جهلا في الدين عند الناس فيحبونه ويتمكن في قلوبهم ، ومن ذلك تفسير هذه الآية وأمثالها ، فقد قالوا إن المراد في الآية: اليهود والنصارى والصابئين الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا القرآن ثم إنهم إذا عملوا صالحا بأي دين من الأديان الإلهية له أجر عند الله ، بشرط أن يكونوا طيبين مسالمين لم يعتدوا على أحد وآمنوا بالله واليوم الآخر فهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وليس من اللازم أن يعتنق اليهودي أو النصراني الإسلام[302] ، بل يكفي أن يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً . وبعضهم قال : يشترط

---

[302] "فكل من آمن وعمل صالحا فى هذه الدنيا فله أجره عند ربه، سواء فى ذلك المسلم، أو المسيحى، أو اليهودى، أو المتدين بأى دين من الأديان" وكذلك " ذهب المستشرقون إلى ترجمة هذه الآية الكريمة ترجمة مضللة بعيدة كل البعد عن المعنى الحقيقى الذى هدفت إليه، ومناقضة لتعاليم الإسلام وعقائد المسلمين صريحا" قال الأمثل:"بعض المضللين اتخذوا من الآية الكريمة التي نحن بصددها وسيلة لبثّ شبهة مفادها أن العمل بأي دين من الأديان الإِلهية له أجر عند الله ، وليس من اللازم أن يعتنق اليهودي أو النصراني الإِسلام ، بل يكفي أن يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً" . قال جواد مغنية: "وقد دأب البعض أن يتملق إلى أهل الأديان الأخرى مستدلا بهذه الآية على أنه لا فرق بين المسلمين وغيرهم عند الله ، وهو يعلم علم اليقين بأنهم ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . بل ويفترون عليه الأكاذيب ، وينسبون إليه ما يهتز منه العرش" . الامثل في تفسير

على اليهودي والنصراني والصابئ أن يؤمن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا يشترط أن يتبع شرعه ودينه بل يكفيه أن يبقى على نصرانيته ويهوديته ، ومثل هذه الأقوال لا تستحق الرد عليها لأنها تصادم الأصول الثابتة القطعية في القرآن والسنة ، ولو عرض على العجائز من جداتنا لأنكرته أيما إنكار ، ولكن عصرنا عصر العجائب تبدلت فيه الثوابت فصار لا بد من توضيح الواضح ، فأوردت هنا أدلة تبين بطلان هذا القول ، وقد أعدت الأدلة الخمسة التي وردت في الشرح التفصيلي مع شيء من الاختصار ، حتى تكون الأدلة مجتمعة في مكان واحد ، وأفصل الأدلة التي لم ترد وبالله العون والتوفيق:

أدلة الرد عليهم :

في كل لفظ من ألفاظ الآية رد على هذا القول : أولا : مناسبة الآية وسياقها ، ثانيا: في لفظ { الذين هادوا}و في لفظ النصارى ، وفي لفظ الصابئين ، ثالثا : من آمن بالله ، رابعا: واليوم الآخر ، خامسا: وعمل صالحا ، سادسا : قرنهم مع الفرق الضالة كالمجوس وجعلهم في مقابل المؤمنين ووعيدهم في قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17)}

الدليل الأول : تفسيرهم يؤدي إلى اختلاف القرآن وتعارضه

إننا على تفسيرهم نضرب السياق بعضه ببعضه لا أقول سياق القرآن فقط بل سياق السورة نفسها .

فإن نظرنا لما قبل هذه الآية الكريمة وما بعدها من الآيات نجده كله يبين من هم المؤمنون ، ويدعو الناس عامة واليهود خاصة إلى الإيمان بالله وحده المتصف بصفات العظمة ، والإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه

وسلم وجميع الأنبياء وبالقرآن وبجميع الكتب، وينكر عليهم التفريق بين الأنبياء وعدم الإيمان باليوم الآخر كما يليق وقولـهـم { لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} ، وينكر عليهم تمسكهم باليهودية المحرفة ، وينكر على النصارى تمسكهم بنصرانيتهم المحرفة ، فسورة البقرة متخصصة بالرد على اليهود وإنكار دينهم الباطل ثم بالرد على النصارى ومشركي العرب فبعد كله هذا هل يجوز أن يفهم من الآية أن اليهود والنصارى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟! ، هذا لعمري في غاية البعد لا يقول به منصف ، عنده شيء من فهم النصوص، ولنقرأ بعض الآيات التي سبقت ولحقت هذه الآية الكريمة ، لنرى هذا :

{ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) }وإدخال (من) هنا يفيد التأكيد والتعميم لكل ما أنزل من قبله كما شرحته في بحث الفرق بين (قبل) و(من قبل)[303].

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)}

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)}

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا

[303] البحث موجود في ملتقى أهل التفسير / الفرق بين قبل ومن قبل / علي هاني يوسف.

شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)} .

{ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)} .

{ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44)} .

فهم إن لم يؤمنوا بالقرآن يكونون كفارا { وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ}

قال أبو السعود :"{ وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ } أفرد الإيمانَ بالقرآن بالأمر به لما أنه العُمدةُ القصوىٰ في شأن الوفاء بالعهود { مُصَدّقاً لمَا مَعَكُمْ } من التوراة ، والتعبير عنها بذلك للإيذان بعلمهم بتصديقه لها ، فإن المعيةَ مِئنّةٌ لتكرر المراجعة إليها والوقوفِ على ما في تضاعيفها المؤدي إلى العلم بكونه مصدقاً لها ومعنىٰ تصديقِه للتوراة أنه نازلٌ حسبما نُعت فيها أو من حيث أنه موافقٌ لها في القصص والمواعيدِ والدعوة إلى التوحيد والعدلِ بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش : وأما ما يتراءىٰ من مخالفته لها في بعض جزئياتِ الأحكام المتفاوتةِ بحسَب تفاوتِ الأعصارِ فليست بمخالفةٍ في الحقيقة ، بل هي موافِقة لها من حيث إن كلاً منها حقٌّ بالإضافة إلى عصره وزمانِه ، متضمِّنٌ للحكم التي عليها يدور ذلك التشريع ، وليس في التوراة دلالة على أبدية أحكامِها المنسوخةِ حتىٰ يخالفَها ما ينسخها ، وإنما تدلُّ على مشروعيتها مطلقاً من غير تعرُّضٍ لبقائها

وزوالها ، بل نقول هي ناطقةٌ بنسخ تلك الأحكام ، فإن نُطقها بصحة القرآن الناسخِ لها نطقٌ بنسخها ، فإذن مناطُ المخالفة في الأحكام المنسوخةِ إنما هو اختلافُ العصر حتىٰ لو تأخَّر نزولُ المتقدّم لنزلَ علىٰ وَفْق المتأخِّر ولو تقدم نزولُ المتأخر لوافق المتقدّمَ قطعاً ، ولذلك قال عليه السلام : « لو كان موسىٰ حياً لما وسِعه إلا اتّباعي » وتقييدُ المُنْزَلِ بكونه مصدقاً لما معهم لتأكيد وجوبِ الامتثالِ بالأمر فإن إيمانهم بما معهم مما يقتضي الإيمانَ بما يصدِّقه قطعاً .

{ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ } أي لا تسارعوا إلىٰ الكفر به ، فإن وظيفتكم أن تكونوا أولَ من آمن به لما أنكم تعرِفون شأنَه وحقِّيتَه بطريق التلقي مما معكم من الكتُب الإلهيةِ كما تعرِفون أبناءكم ، وقد كنتم تستفتِحون به وتبشِّرون بزمانه كما سيجيء ، فلا تضعوا موضعَ ما يُتوقّع منكم ويجب عليكم ما لا يُتوهم صدورُه عنكم من كونكم أولَ كافر به ، ونهيُهم عن التقدم في الكفر به مع أن مشركي العربِ أقدمُ منهم لما أن المرادَ به التعريضُ لا الدلالةُ علىٰ ما نَطَق به الظاهر ، كقولك : أما أنا فلستُ بجاهل ، لأن المراد نهيُهم عن كونهم أولَ كافر [به] من أهل الكتاب ، أو ممن كفر بما عنده ، فإن مَنْ كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدِّقه أو مثلُ من كفر من مشركي مكةَ .،

{ وَلاَ تَشْتَرُواْ بآياتى } أي لا تأخُذوا لأنفسكم بدلاً منها { ثَمَناً قَلِيلاً } من الحظوظ الدنيوية ، فإنها وإن جلت قليلةٌ مسترذلة بالنسبة إلىٰ ما فات عنهم من حظوظ الآخرةِ بترك الإيمان ، ، وإنما عُبِّر عن المشتري الذي هو العُمدة في عقود المعاوضة والمقصودُ فيها بالثمن الذي شأنه أن يكون وسيلةً فيها ، وقُرنت الآياتُ التي حقُّها أن يتنافسَ فيها المتنافسون بالباء التي تصحَبُ الوسائل إيذاناً بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصِدُ الأصليُّ وسيلةً ، والوسيلةُ مقصداً"[304] .

{ وإياى فاتقون } بالإيمان واتباعِ الحقِ والإعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقةُ مشتملةً علىٰ ما هو كالمبادئ لما في الآية الثانيةِ فُصِّلت بالرهبة التي هي من مقدِّمات التقوىٰ ، أو لأن الخطابَ بها لما عمَّ العالِمَ والمقلِّدَ أُمر فيها بالرهبة المتناولةِ للفريقين ، وأما الخطابُ بالثانية فحيث خُصَّ بالعلماء أُمر فيها بالتقوىٰ الذي هو المنتهىٰ .

---

[304] إرشاد العقل السليم (1/ 59) بتصرف.

والآيات التي بعدها كذلك تبين من هم المؤمنون وتبين كفر اليهود وأنهم إذا لم يؤمنوا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فليسوا بمؤمنين حقيقة:

{ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (77) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78) { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)}۞ والفاء في { أفتطمعون} هي الفاء الفصيحة التي تفصح عن محذوف مقدّرٍ يقتضيه المقامُ ويستدعيه نظامُ الكلام : والتقدير: أتسمعون أخبارَهم وتعلمون أحوالَهم فتطمعون أن يؤمنوا ، ومآل المعنى: أبَعْدَ أنْ علِمتم تفاصيلَ شؤونِهم المُؤْيِسةِ عنهم تطمعون، وفي الكلام تلوينٌ للخطاب وصرْفٌ له عن اليهود إثرَ ما عدت هناتهم ونُعيتْ عليهم جناياتُهم إلى النبيِّ صلَّى الله عليهِ وسلم وَمَنْ مَعَهُ من المؤمنينَ والهمزةُ لإنكار الواقِع واستبعادِه كما في قولك أتضرب أباك.

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83)}

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88)}

{ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ

عَذَابٌ مُهِينٌ (90) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)}

لاحظ كيف بين سبحانه أنهم كانوا ينتظرون مجيء الرسول والقرآن فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، و كيف سمى فعلهم كفرا، ثم بين أنهم لا يؤمنون لا بكتابهم الذين يزعمون أنهم يتمسكون به ولا يؤمنون بكتاب بعده، وما ذكر في الآيات يبرهن على أنهم لا يؤمنون بكتابهم ، فلما كان يطلب منهم الإيمان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن كانوا يقولون: نحن لا نؤمن إلا بما أنزل علينا ، والقرآن لم ينزل علينا، فقال لهم القرآن أنتم كاذبون أنتم لا تؤمنون بكتابكم بدليل : أنكم قتلتم الأنبياء { قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ} وأيضا { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ} {إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} فكل هذا يدل على أنكم لا تؤمنون بكتابكم ، وأيضا لو كنتم تؤمنون بكتابكم لما أحببتم الدنيا أشد من حب المشركين لها[305] .

---

[305] قال أبو السعود:"{ وَإِذَا قِيلَ } من جانب المؤمنين { لَهُمْ } أي لليهود ، { آمنوا بِمَا أَنزَلَ اللهُ } من الكتب الإلهية جميعاً والمرادُ به الأمرُ بالإيمان بالقرآن لكن سُلك مسلكُ التعميم إيذاناً بتحتُّم الامتثالِ من حيث مشاركتُه لما آمنوا به فيما في حيِّز الصلةِ وموافقتِه له في المضمون وتنبيهاً على أن الإيمانَ بما عداه من غير إيمانٍ به ليس بإيمان بما أنزل الله { قَالُواْ نُؤْمِنُ } أي نستمر على الإيمان { بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا } يعنون به التوراةَ وما نزَلَ على أنبياءِ بني إسرائيلَ لتقرير حكمَها ، ويدسُّون فيه أن ما عدا ذلك غيرُ

منزّلٍ عليهم ، ومرادُهم بضمير المتكلم إما أنفسُهم فمعنى الإنزالِ عليهم تكليفُهم بما في المنزَّل من الأحكام ، وإما أنبياءُ بني إسرائيلَ وهو الظاهرُ لاشتماله على مزيَّة الإيذانِ بأن عدمَ إيمانِهم بالفُرقان لما مرَّ من بغيهم وحَسَدِهم على نزوله على من ليس منهم ، ولأن مرادَهم بالموصول وإن كان هو التوراةُ وما في حكمها خاصةً لكنّ إيرادَها بعنوان الإنزالِ عليهم مبنيٌّ على ادعاء أن ما عداها ليس كذلك على وجه التعريضِ كما أشير إليه فلو أريد بالإنزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزَمُ من مغايرَةَ القرآنِ لما أُنزل عليهم حسبما يُعرب عنه قوله عز وجل : { وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ } عدمُ كونِهم مكلَّفين بما فيه كما يلزَم عدمَ كونِه نازلاً على واحد من بني إسرائيلَ على الوجه الأخير ، والوراء في الأصل مصدر جُعل ظرفاً ويضاف إلى الفاعل فيرادُ به ما يتوارى به وهو خلْفُه ، وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو أمامُه ، والجملةُ حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ أي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المرادُ مجردَ بيانِ أن إفرادَ إيمانِهم بما أنزل عليهم بالذكر لنفي إيمانِهم بما وراءه ، بل بيانِ أن ما يدّعون من الإيمان ليس بإيمانٍ بما أنزل عليهم حقيقةً فإن قولَه عز اسمُه : { وَهُوَ الحق } أي المعروفُ بالحقيقة بأن يُخَصَّ به اسمُ الحقِ على الإطلاق ، حال من فاعل يكفُرون وقوله تعالى : { مُصَدّقاً } حالٌ مؤكدة لمضمون الجملةِ صاحبُها إما ضميرُ الحق وعاملَها ما فيه من معنى الفعل قاله أبو البقاء ، وإما ضميرٌ دل عليه الكلامُ وعاملها فعلٌ مضمرٌ ، أي أُحِقُّه مصدِّقاً { لّمَا مَعَهُمْ } من التوراة والمعنى قالوا نؤمن بما أنزل علينا وهم يكفُرون بالقرآن والحال أنه حقٌّ مصدِّق لما آمنوا به فيلزمهم الكفرُ بما آمنوا به ومآلُه أنهم ادَّعَوا الإيمانَ بالتوراة والحال أنهم يكفُرون بما يلزَمُ من الكفر به الكفرُ بها { قُلْ } تبكيتاً لهم من جهة الله عز من قائل ببيان التناقضِ بين أقوالِهم وأفعالِهم بعد بيانِ التناقضِ في أقوالهم { فَلِمَ } أصلُه لِمَا حُذفت عنه الألفُ فرقاً بين الاستفهامية والخبرية { تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء الله مِن قَبْلُ } الخطابُ للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب ، وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراضُ على أسلافهم اعتراضاً على أخلافِهم ، وصيغةُ الاستقبال لحكايةَ الحالِ الماضية ، وهو جوابُ شرطٍ محذوفٍ أي قل لهم إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعُمون فلأيِّ شيء كنتم تقتلون أنبياءَ الله من قبلُ وهو فيها حرامٌ ، وقرئ أنبئاءَ الله مهموزاً ، وقولُه تعالى : { إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } تكريرٌ للاعتراض لتأكيد الإلزامِ وتشديدِ التهديدِ أي إن كنتم مؤمنين فلمَ تقتلونهم ، وقد حُذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حُذف ثقةً بما أُثبتَ في الأخرى وقيل : لا حذفَ فيه بل تقديمُ الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى إلا على رأي الكوفيين وأبي زيد وقيل : (إن) نافية أي ما كنتم مؤمنين وإلا لما قتلتموهم .

{ وَلَقَدْ جَاءكُم موسى بالبينات } من تمام التبكيت والتوبيخ ، داخلٌ تحت الأمر ، لا تكريرٌ لما قُصَّ في تضاعيف تعدادِ النعم التي من جملتها العفوُ عن عبادة العجلِ ، واللامُ للقسم أي : وبالله لقد جاءكم موسى متلبّساً بالمعجزات الظاهرةِ التي هي العصا واليدُ والسِّنونَ ونقصُ الثمراتِ والدمُ والطوفانُ والجَرادُ والقُمّلُ والضفادعُ وفلْقُ البحرِ وقد عُدَّ منها التوراةُ وليس بواضح ، فإن المجيءَ بها بعد قصةِ العجل { ثُمَّ اتخذتم العجل } أي إلها { مِن بَعْدِهِ } أي من بعد مجيئِه بها ، وقيل : من بعد ذهابِه إلى الطور فتكونُ التوراةُ حينئذ من جملة البيناتِ وثم للتراخي في الرُتبة والدلالة على نهايةِ قُبْحِ ما صنعوا { وَأَنتُمْ ظالمون }

{ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (99) أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (100) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)

حالٌ من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتمُ العجلَ ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضِعِها أو بالإخلال بحقوق آياتِ الله تعالى أو اعتراض أي وأنتم قوم عادتُكم الظلمُ .

{ وَإِذْ أَخَذْنَا ميثاقكم } توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيبٌ لهم في ادعائهم الإيمانَ بما أُنزلَ عليهم بتذكير جناياتِهم الناطقةِ بكَذِبهم أي واذكروا حين أخذنا ميثاقكم { وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطور } قائلين : { خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ واسمعوا } أي خذوا بما أُمرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها سمعَ طاعةٍ وقَبول { قَالُواْ } استئنافٌ مبنيٌّ على سؤال سائلٍ كأنه قيل : فماذا قالوا ؟ فقيل : قالوا : { سَمِعْنَا } قولَك { وَعَصَيْنَا } أمرَكَ فإذا قابل أسلافُهم مثلَ ذلك الخطابِ المؤكدِ مع مشاهدتهم مثلَ تلك المعجزةِ الباهرةِ بمثل هذه العظيمة الشنعاءِ وكفروا بما في تضاعيف التوبةِ فكيف يُتصوّر من أخلافِهم الإيمانُ بما فيها . { وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ العجل } على حذف المضافِ وإقامةِ المضافِ إليه مُقامَه للمبالغة أي تَداخَلَهم حبُّه ورسَخَ في قلوبهم صورتُه لفَرْط شغَفِهم به وحِرصِهم على عبادته كما يَتداخل الصبغ الثوبَ والشرابُ أعماقَ البدن ، و(في قلوبهم) بيانٌ لمكان الإشرابِ كما في قوله تعالى : { إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً } والجملة حالٌ من ضمير قالوا بتقدير قد { بِكُفْرِهِمْ } بسبب كفرِهم السابقِ الموجبِ لذلك ، قيل : كانوا مجسِّمة أو حلولية ، ولم يرَوا جسماً أعجبَ منه فتمكّن في قلوبهم ما سوّل لهم السامريُّ { قُلْ } توبيخاً لحاضري اليهود إثرَ ما تبين من أحوال رؤسائِهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون { بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إيمانكم } بما أنزل عليكم من التوراة حسبما تدّعون ، والمخصوصُ بالذم محذوفٌ أي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتِهم العجلَ ، وفي إسناد الأمرِ إلى الإيمان تهكّمٌ بهم ، وإضافةُ الإيمانِ إليهم للإيذان بأنه ليس بإيمانٍ حقيقة كما يُنبئ عنه قوله تعالى : { إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } فإنه قدْحٌ في دعواهم الإيمانَ بما أنزل عليهم من التوراة وإبطالٌ لها ، وتقريرُه : إن كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذُكر من القول والعملِ بما فيها فبئسما يأمرُكم به إيمانُكم بها ، وإذ لا يسوِّغُ الإيمانَ بها مثلُ تلك القبائحِ فلستم بمؤمنين بها قطعاً . وجوابُ الشرط كما ترى محذوفٌ لدلالة ما سبق عليه" إرشاد العقل السليم (1/ 131).

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا
وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا
الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
(105)

{ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110) وَقَالُوا لَنْ
يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111) بَلَى
مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)}

{ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ
تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118) إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ
بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ
تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ
الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (123) وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ
فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)}

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا
وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
(128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ
بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ
إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا
كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)}

{ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا
بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى
وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ
فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (141)}

أبعد كل هذه الآيات يقال:"اليهود والنصارىٰ في الجنة ودينهم حق ولا يشترط أن يتبعوا الإسلام ويؤمنوا بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم "؟!، أو يقال" يكفي أن يؤمنوا بالنبي صلىٰ الله عليه ولا يتبعوا شرعه ويبقوا علىٰ يهوديتهم ونصرانيتهم؟! .

ثم قولهم يقتضي اجتماع متناقضين ؛ لأن الآية السابقة مباشرة تقول: { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)} وهذه الآية: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)}فالآية التي قبلها مباشرة تقول: ضربت عليهم الذلة والمسكنة ورجعوا بعد رحلتهم الطويلة مستحقين بحق غضبا عظيما من الله لاصقا بهم ، فكيف يقال هذه الآية تقول اليهود لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، كما يقول هؤلاء القوم الذين يخبطون خبط عشواء ويركبون متن عميا؟! ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه.

وقد جمع ابن القيم [306] أوصاف اليهود والنصارىٰ وهي تبين أنهم لا يمكن أن يكونوا علىٰ الحق وأن دينهم يرضي الله سبحانه: "المغضوب عليهم": "اليهود":

"الأمة الغضبية، أهل الكذب، والبُهت، والغدر، والمكر، والحيل، قتلة الأنبياء، وأكلة السُّحت- وهو الرِّبا والرِّشا- أخبث الأمم طوية، وأرداهم سجية، وأبعدهم من الرحمة، وأقربهم من النقمة، عادتهم البغضاء، وديدنهم العداوة والشحناء، بيت السِّحر، والكذب، والحيل، لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الأنبياء حُرْمة، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة، ولا لمن شاركهم

---

[306] « هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ ص 227

عندهم عدل ولا نصفة، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة، ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة، بل أخبثهم: أعقلهم، وأحذقهم: أغشّهم

ونعوذ بالله من طريق "الضالين": "النصارى":"المُثلَّثة، أمة الضلالة، وعُبَّاد الصليب، الذين سبُّوا الله الخالق مسبَّة ما سبه إياها أحد من البشر، ولم يقروا بأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ولم يجعلوه أكبر من كل شيء، بل قالوا فيه ما: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} فقل ما شئت في طائفة أصل عقيدتها: أن الله ثالث ثلاثة، وأن مريم صاحبته، وأن المسيح ابنه، وأنه نزَلَ عن كرسي عظمته والتحم ببطن الصاحبة، وجرى له ما جرى إلى أن قتل ومات، ودُفِنَ، فدِينُها: عبادة الصلبان، ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر في الحيطان، يقولون في دعائهم: يا والدة الإله ارزقينا، واغفري لنا وارحمينا! فدينهم: شرب الخمور، وأكل الخنزير، وترك الختان، والتعبد بالنجاسات، واستباحة كل خبيث من الفيل إلى البعوضة، والحلال ما حلله "القس" والحرام ما حرَّمه، والدين ما شرعه، وهو الذي يغفر لهم الذنوب، وينجيهم من عذاب السعير".

الدليل الثاني: أن اسم النصارى لم يرد في القرآن مرادا به الموحدون

أن اسم النصارى لم يرد في القرآن مرادا به الموحدون بل في كلها ورد مرادا به أصحاب التثليث ،

لذلك نجد القرآن الكريم قابلهم بالحنيفية وأن ما دانوا به مضاد و مقابل لملة إبراهيم عليه السلام ، وبين أن الهداية في الحنيفية لا في ضلالاتهم ، وأنهم نسوا حظا عظيما مما وصلهم من الله سبحانه فأغرى الله العداوة بين فرقهم إلى يوم القيامة عقوبة لهم ، وأنهم حرفوا وبدلوا دين المسيح عليه السلام أو حُرِّف لهم وبـُدِّل فاتبعوه وضلوا فيه ضلالا كفريا ، وأن ما عندهم ليس بهدى بل ضلال وأهواء ، وأنهم قالوا بالتثليث ، وأنهم فرَّقوا بين الرسل فكفروا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم يوالون اليهود ضد المسلمين ، وأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر على الوجه الذي فصله القرآن وهو: أنه يوم ينجي الله المؤمنين بجميع الرسل والكتب لا سيما المؤمنون بسيدنا محمد وبالقرآن ، ويعذب الكافرين بأي رسول أو كتاب تعذيبا مخلدا ، فلذلك جعلهم القرآن

الكريم لا يؤمنون باليوم الآخر، وحكم بكفرهم بلفظ صريح لا يقبل التأويل ؛ لأنهم لم يؤمنوا بالله الواحد الذي لا شريك له الذي لم يتخذ ولدا .

ونحن نستعرض بعض الآيات التي ورد فيها اسم النصارى لنرى هذه الأوصاف المذكورة عنهم:

{ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)}(البقرة :120)

{ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)} البقرة :136).

{ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15 }(المائدة : 15)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51)} (المائدة: 51)

{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)}(التوبة :29ـ 1)

وقال في موضعين :" قالوا إنا نصارىٰ" أي إنهم يَدَّعون أنهم أتباع عيسىٰ عليه السلام ادعاء كاذبا كما تقدم تفصيله في المسألة التاسعة ، فكيف بعد ذلك يجعلهم القرآن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟! ، أليس هذا عين التعارض والتحريف لكتاب الله تعالىٰ حتىٰ جرَّأ بعض النصارىٰ الذين قرأوا تفسيرهم فقال:"هناك تعارض في القرآن ، فمرة يُكَفِّر النصارىٰ[307] ، ومرة يقول: لا خوف عليهم" ، وما هذا إلا من هؤلاء الذين لا يفهمون القرآن حقَّ الفهم ، ويحرفون آياته .

ثم القرآن قد قرر أن النصرانية واليهودية ليستا دينا مرضيا عنده ، وقرر كذلك أنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ، فكل هذا يبطل تلك الدعوىٰ .

- وإرادة النصارىٰ المحرفين ودعوتهم للإيمان يُعَيِّن أن المراد من (الذين هادوا) الذين ذمهم الله وكفَّرهم ونسَب لهم الأقوال الباطلة ، من الذين لم يؤمنوا بسيدنا عيسىٰ ولا سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام كما تقدم في المسألة السادسة ، فقد قررنا أن الذين هادوا قسمان:

أ) المؤمنون منهم ممن كان علىٰ الحق في فترةٍ ما قبل نسخ شريعتهم فهذا يشمل الزمان من زمن سيدنا موسىٰ إلىٰ زمن سيدنا عيسىٰ عليه السلام ، وهؤلاء غير مرادين هنا ؛لأنهم قُرنوا بالنصارىٰ الكفار ، فتعين أن المراد بهم هو القسم الثاني الآتي ، فالكلام عن الكفار لا عن المؤمنين .

---

307 جاء في شبههم التي نشروها مستفيدين من تفسير المحرفين للقرآن : " الشبهة الأولىٰ: قال: (مرة يقول محمد إن الجنة لليهود والنصارىٰ والصابئين والمسلمين، ومرة يقول للمسلمين فقط: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ (2) مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ([البقرة:62] ، ويقول: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:85] " يقول علي هاني: انظر إلىٰ المحرفين لكتاب الله كيف يفتحون المجال لمثل لهؤلاء المشككين ، وما ذلك إلا من سوء فهمهم لكتاب الله تعالىٰ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ب) الكفار منهم وهم من ثبت على العمل بالتوراة رغم نسخها بشريعة سيدنا عيسى عليه السلام ثم بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء كفار ادعوا أنهم أولياء لله وحدهم، وحرفوا التوراة وكذبوا وطعنوا في الإسلام ، وهؤلاء هم الذين أرادهم القرآن في آية { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ }، وهم الذين قال تعالى فيهم : { إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ} { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ} {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} { وَطَعْنًا فِي الدِّينِ} [308] ، فهؤلاء كفار قطعا . وأما الصابئة فقد تقدم تفصيل ضلالاتهم وهم مقابلون للحنفاء ، والصابئة بجميع أقسامهم مشركون بالله سبحانه لا يؤمنون بالأنبياء ولا الكتب ولا باليوم الآخر بالمعنى الذي أراده الله سبحانه ووصفه في القرآن ، اللهم إلا القسم السادس من الصابئة الذين ذكروا في المسألة الحادية عشرة وهم الموحدون منهم الذين كانوا على الحق، وإرادة هذا القسم لم يقل به إلا قليل من المفسرين ، ورده المحققون كما تقدم ، ثم على فرض وجود هذا القسم فمن مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين بل من الموحدين المسلمين ، واقتران اسم الصابئة بالنصارى يعين إرادة الفرق الضالة منهم ، وأيا ما

[308] { مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)} (4/ 46){ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)} (5/ 41). { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6)} (62/ 6).

كان فليس مراد الآية أن النصارىٰ مع بقائهم علىٰ الشرك وكذلك اليهود والصابئة لا خوف عليهم فهذا لم نسمعه ولم نقرأه إلا في زماننا زمن العجائب.

الدليل الثالث: قوله تعالىٰ { من آمن بالله } يرد عليهم.

فمعنىٰ { من آمن بالله } الإيمان الكامل بالله باعتقاد وحدانيته في الخلق والتكوين بألا يعتقدوا أن أحدا شارك الله تعالىٰ في إنشائه الخلق أو استحقاق العبادة فهو الخالق المعبود وحده ،وأنه ليس بوالد ولا ولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأنه جلت صفاته ليس كمثله أحد لا يشبه أحدا من خلقه ، وليس كالأشياء ، وهو السميع البصير ، فالإيمان بالله تعالىٰ يتضمن الإيمان بوحدانيته وأسمائه الحسنىٰ ، وأنه المهيمن علىٰ الوجود و حده ، وأنه الأزلي الذي ليس له ابتداء ، والباقي الذي لا يعروه الفناء ، ، وهو منزه عما تتصف به الحوادث إلىٰ آخر ما يقتضيه التنزيه ، فالنصارىٰ الذين يقولون بالتثليث ليسوا مؤمنين بالله سبحانه وكذلك الصابئة الذين يعبدون الكواكب، واليهود الذين أشركوا في أوقات كثيرة وعبدوا الأصنام وقالوا عزير ابن الله ووصفوا الله بما لا يليق به بل لا يليق بالبشر فضلا عن الله سبحانه كقولهم { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} ، لأن القرآن نص في مواضع كثيرة أن من أشرك مع الله إلها آخر هو لا يعبد الله ؛ فلذلك نجد تعبير { من دون} يرد كثيرا في نحو { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} أي متجاوزين عبادة الله تاركين لها ، مع انهم كانوا يعبدون الله وغيره، وقد نص القرآن نصا واضحا علىٰ أن اليهود والنصارىٰ لا يؤمنون بالله لأنهم لم يؤمنوا به علىٰ الوجه اللائق ، ونص كذلك علىٰ أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر و انهم لا يدينون الدين الحق وأنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم ، فاليهودية والنصرانية ليست الدين الحق ،قال تعالىٰ : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29} وتفصيل هذا في المسألة الرابعة عشرة .

الدليل الرابع: هم لا يؤمنون بيوم القيامة كما وصفه الله تعالى

الإيمان باليوم الآخر: هو الإيمان بالبعث والنشور ، والحساب والعقاب والثواب وأنها جنة أبدا للموحدين ، أو نار أبدا للكافرين ، وأن الإنسان مجزي بعمله ، إن خيرا فخير أو شرا فشر : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره 8) (الزلزلة)، ثم هو يتضمن جميع أركان الإيمان ، فلا بد حتى تحصل أي فرقة وعد {فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون} أن تحدث إيماناً خالصاً بالمبدأ والمَعادِ على الوجه اللائق لا كما يزعمه أهل الكتاب فإن ذلك بمعزل من أن يكون إيماناً بهما ، وقد تقدم سر الاقتصار على ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر، في المسألة الخامسة عشرة ، ألخص هنا أهم سرين :

- السر الأول: لأنهما المقصود الأعظم من الإيمان :فالإيمان بالله : مبدأ الاعتقادات كلها ، والإيمان بِالْيَوْمَ الْآخِرَ، يحقق المعرفة بالمصير الذى ينتهى إليه هذا الوجود، **ففي** الإيمان بهما إيمان بالمبدأ والمعاد فالإيمان بالله إيمان بالمبدأ وبالإيمان باليوم الآخر إيمان بالمعاد فعبر بأشرف أجزاء الإيمان ، وأيضا اليوم الآخر هُوَ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ التَّخْوِيفُ، و الوازع والباعث في الأعمال كلها وفيه صلاح الحال العملي ، وأيضا تُجْنَى فِيهِ ثَمَرَةُ مُخَالَفَةِ النَّهْيِ والإيمان باليوم الآخر هو فيصل الإذعان والتمرد، وفيصل الإيمان بالغيب والجحود به؛ إذ لَا يكفر به إلا من لَا يؤمن إلا بالمحسوس، ولذلك نجد القرآن يصرح باليوم الآخر ويشترطه لدخول الجنة معهم مع أن أهل الكتاب،يؤمنون باليوم الآخر، وما ذلك إلا لأن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد، فالنصارى مثلاً، يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادي المخلِّص الذى يَفْدى الناس بنفسه، ويخلِّصهم من عقوبة الخطايا .وهذا يطابق ما يقوله الهنود في كرشنه، وبوذا، سواء بسواء، وعقيدة اليهود في الله وفى اليوم الآخر، لا تقل في فسادها وضلالها عن عقيدة النصارى، والهنود، فهم يقولون عن أنفسهم شعب الله المختار وأنهم إن عوقبوا على شيء لا يعاقبون إلا أياما معدودة . السر الثاني: لأن الإيمان باليوم الآخر قطرا الإيمان،

ومن أحاط بهما فقد حاز الإيمان بحذافيره، لأنهما يتضمنان بقية أركان الإيمان ، فمعنى الإيمان باللهَّ والإيمان باللهَّ هو الإيمانُ بجميع الرسل، وبجميع الكتب والملائكة ، وبيان ذلك أن :

ت) الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الإيمان بالله فإن من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لأن من جهته عرف الإيمان بالله واليوم الآخر ؛ لأنه هو الداعي إلى ذلك ، فيوم القيامة إنما يعرف من قبل الأنبياء وكتب الأنبياء ، فِالْيَوْمِ الْآخِرِ إِنَّمَا هُوَ مُتَلَقَّفٌ مِنْ أَخْبَارِ الرَّسُولِ، فَيَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِالرَّسُولِ .

ث) ولمَـا علم أن الإيمان بالله قرينه وتمامه الإيمان بالرسل، فقد عُلِمَ وَشُهِرَ مِنْ أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللهَّ تَعَالَى قَرِينهُ الْإِيمَانُ بالرسول، لِاشْتِمَالِ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وَالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَغَيْرِهَا عَلَيْهِمَا مُقْتَرِنَيْنِ مُزْدَوِجَيْنِ، كَأَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَنْفِكُّ أَحَدُهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ، فَانْطَوَى تَحْتَ ذِكْرِ الْإِيمَانِ بِاللهَّ تَعَالَى الْإِيمَانُ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالأنبياء ، وبما جاءوا به ، فلما كان الإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بجميع ما يجب أن يؤمن به ، اقتصر على ذلك ، لأن غيره في ضمنه .

فإذا تبين هذا تبين فساد قول من يقول : النصارى واليهود والصابئة يؤمنون بالله واليوم الآخر ، مع أن القرآن نص صراحة على عدم الاعتداد بهذا الإيمان { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29)} التوبة .

وقد علمنا جبريل عليه السلام أركان الإيمان التي أرادها الله منا ، ولا نرى اليهود ولا النصارى ولا الصابئة حققوا شيئا منها ، روى ابن ماجه عن عمر رضي الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد شعر الرأس ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبته إلى ركبته ، ووضع يديه على فخذيه ، ثم قال : "يا محمد ، ما الإسلام ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت . قال : صدقت ، فعجبنا منه يسأله ويصدقه ، ثم قال : يا محمد ، ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن

بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، قال : صدقت ، فعجبنا منه يسأله ويصدقه ، ثم : قال يا محمد ، ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فهو يراك ، قال : فمتى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فما أمارتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"[309] .

هذا هو الإيمان الذي يزيل الفوارق التي تكون بين الأمم والجماعات والأديان ، وبناء عليه لا يكون مؤمنا من آمن بالله واليوم الآخر ولم يؤمن ببعض الأنبياء وفرَّق بينهم في الإيمان ، فكيف بالذي كفر بخاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفرَّق بين الله ورسله ، فكيف بالذي لم يؤمن بالله حق الإيمان ولم يوحده فكيف بالذي لم يؤمن بيوم القيامة الوجه الذي أراده الله سبحانه.

ثم عبارة { بالله واليوم الآخر} في مصطلح القرآن يراد بها الإيمان بجميع الأركان كما تقدم ويوضحه استعمالات القرآن لذلك :

{ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}(سورة البقرة: 228)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}(264/2) .

{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)}سورة النور:2).وقد فصل هذا في المسألة السادسة عشرة ، فلا يصح ما يفعله هؤلاء القوم من قولهم :"إن الله لم يشترط لدخول الجنة والأمن من النار إلا شرطين اثنين"

---

[309] صحيح البخاري بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ رقم 50

قال الماتريدي:" أنه ذكر المؤمنين بقوله : (إن الذين آمنوا) وإيمانهم ما ذكر في آية أخرى ؛ وهو قوله : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) [البقرة : 285] ؛ وهم قد فرقوا بين الرسل بقولهم : (نؤمن ببعض ونكفر ببعض) [النساء : 150] ، وفرقوا بين الكتب أيضا ؛ آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض . فهؤلاء الذين ذكرهم عز وجل في هذه الآية هم الذين آمنوا بجميع الرسل [وآمنوا بجميع الكتب] أيضا . فإذا كان هذا إيمانهم لم يكن عليهم خوف ولا حزن "[310].

وقال ابن عطية :"وفي الإيمان باليوم الآخر اندرج الإيمان بالرسل والكتب ، ومنه يتفهم ، لأن البعث لم يعلم إلا بإخبار رسل الله عنه تبارك وتعالى "[311]

وقال القرطبي :"وفي الإيمان بالله واليوم الآخر اندرج الإيمان بالرسل والكتب والبعث".

قال اطفيش – التيسير:"{ مَنْ آمَنَ } من اليهود والنصارى والصابئين وترك الإشراك بالله { بِاللهِ } ورسله وأنبيائه وكتبه ولم ينكر نبيا أو كتابا { وَالْيَوْمِ الآخِرِ } يوم البعث والجزاء . { وَعَمِلَ صَلِحاً } ولم يفرق بين أحد من رسله قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم أو بعدها ، فآمن به واتبع القرآن ، ومن لم يؤمن به ، وبالقرآن لم ينتفع بعمله فهو مشرك في النار ، وهو غير متبع للتوراة والإنجيل ، بل كافر بهما أيضاً ، لأن فيهما الأمر باتباعه صلى الله عليه وسلم ، وكذا من كفر من اليهود والنصارى قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . لا يدخلون في الآية ، كمن قال ، عيسى إله ، ومريم إله ، أو عيسى ابن الله" .

قال السمرقندي: "وقوله تعالى :{ من آمن بالله واليوم الآخر } ولم يذكر في الآية الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لما ذكر الإيمان بالله تعالى فقد دخل فيه الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا

---

[310] تأويلات أهل السنة (1/ 484).

[311] المحرر الوجيز (1/ 158).

يكون مؤمناً بالله تعالى ما لم يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى على محمد وعلى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه قال : من آمن بالله وبما أنزل على جميع أنبيائه وصدق باليوم الآخر وَعَمِلَ صالحا ، أي أدى الفرائض"[312] .

الدليل الخامس: شرط العمل الصالح الإيمان

نحن إذا تتبعنا الآيات التي فيها (عمل صالحا) وجدناها اشترط فيها واقترن بها الإيمان والإسلام أو أن يكون صالحا يرضاه الله ، أو الإيمان مع التنصيص على الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وإلا فلا تنفع الأعمال كما فصل في المسألة السابعة عشرة :

قال تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) }(النحل: 97).

- وأيضا : ذكر العمل الصالح في مقابل كفر الكفار بالرسل وما أنزل إليهم من ربهم، فالكفر بالرسل وما أنزل عليهم مضاد مناقض للعمل الصالح لا يجتمع معه،ويوضح هذا الآيات الآتية:

{ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (90) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (95) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (96) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)} المؤمنون (90ـ 100)

---

[312] بحر العلوم / السمرقندي (1/ 59).

- هذه الآيات لا تترك مجالا لامتراء ممتر فهي تنفي عن الله سبحانه الولد وتقول : سبحانه أي تنزه تنزها تاما عما يصفون ، والوصف في اصطلاح القرآن كل وصف باطل كاذب غير صحيح ، ثم بينت أنهم سينزل بهم عذاب وأمر الرسول عليه السلام والمسلمون من بعده أن يدعوا الله سبحانه أن لا يجعلهم معهم في العذاب ، ثم قالت الآيات : إن هؤلاء يستمرون على باطلهم وكفرهم واتخاذ الولد إلى أن يأتيهم الموت فهناك يقول رب ارجعني لعلي أعمل صالحا ، فالصالح هو المقابل والمضاد لما كانوا عليه من اتخاذ الولد والكفر .
- وقد نص القرآن في آيات لا تحصى والنبي صلى الله عليه وسلم أن الشرك من أعظم الجرائم والذنوب التي لا يغفرها الله سبحانه بل توبق وتهلك وليست من الأعمال الصالحة ، قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا }(سورة النساء:48) ، وقد فصل هذا في المسألة السابعة عشرة .

قال سيد قطب :"والآية تقرر أنه أيا كانت النحلة ، فإن من آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحا – ومفهوم ضمنا في هذا الموضع ، وتصريحا في مواضع أخرى أنهم فعلوا ذلك على حسب ما جاء به الرسول الأخير – فقد نجوا : (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . . ولا عليهم مما كانوا فيه قبل ذلك ؛ ولا مما يحملون من أسماء وعنوانات . . فالمهم هو العنوان الأخير . . وهذا الذي نقرر أنه مفهوم من الآية ضمنا يعتبر من ، المعلوم من الدين بالضرورة ، فمن بديهيات هذه العقيدة ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ، وأنه أرسل إلى البشر كافة ، وأن الناس جميعا – على اختلاف مللهم ونحلهم وأديانهم واعتقاداتهم وأجناسهم وأوطانهم – مدعوون إلى الإيمان بما جاء به ، وفق ما جاء به ؛ في عمومه وفي تفصيلاته ، وأن من لا يؤمن به رسولا ، ولا يؤمن بما جاء به إجمالا وتفصيلا فهو ضال لا يقبل الله منه ما كان عليه من دين قبل هذا الدين ، ولا يدخل في وعده سبحانه بقوله تعالى : (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، وهذه هي الحقيقة الأساسية " المعلومة من الدين بالضرورة " التي لا يجوز للمسلم الحق أن يجمجم فيها أو يتمتم ؛ أمام ضخامة الواقع الجاهلي الذي تعيش فيه البشرية . والتي لا يجوز

للمسلم أن يغفلها في إقامة علاقاته بأهل الأرض قاطبة ؛ من أصحاب الملل والنحل . فلا يحمله ضغط الواقع الجاهلي على اعتبار أحد من أصحاب هذه الملل والنحل على " دين " يرضاه الله ؛ ويصلح أن يتناصر معه فيه ويتولاه !"[313]

الدليل السادس: دينهم يخالف دين الإسلام الذي عرفه القرآن

من المُسَلَّمات أن القرآن يفسّر بعضه بعضاً ، والكتاب العزيز قد عرَّف حقيقة الإسلام المقبول عند الله تعالى في آيات كثيرة ، وكلها تُعَرِّف الإسلام أنه دين التوحيد الذي لا شرك فيه ، ودين الإيمان بجميع الرسل وبجميع الكتب،و سأذكر بعض المواضع التي تبين هذا لنرى أن شروط الإيمان لا تنطبق على هذه الفرق الثلاثة اليهود والنصارى والصابئة :

المجموعة الأولى : { قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)}(آل عمران: 84) ثم قال مباشرة بعدها : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)(آل عمران ، 85) فالآية الأولى طلبت من المسلمين الإيمان بالله الواحد و بكل الكتب وبكل الرسل من غير تفريق ثم قالت:" ومن يبتغ غير الإسلام دينا" ، فهذا هو الإسلام المرضي عند الله تعالى .

قال البقاعي: " {ومن يبتغ} أي يتطلب {غير} دين {الإسلام} الذي هو ما ذكر من الانقياد لله سبحانه وتعالى المشتمل على الشرائع المعروفة التي أساسها الإيمان بعد التلبس به حقيقة بإظهار اتباع الرسل -- ، وكرر الإسلام في هذا السياق كثيراً لكونه في حيز الميثاق المأخوذ بمتابعة الرسول المصدق حثاً على تمام الانقياد له والقصد الأعظم بهذا أهل الكتاب مع العموم لغيرهم لإقرارهم بهذا النبي الكريم وتوقعهم له، عالمين قطعاً بصدقه لما في كتبهم من البشارة به"[314].

---

[313] ظلال القرآن (2/ 942).

[314] نظم الدرر (4/ 476)

وقال أبو السعود:"(غَيْرَ الْإِسْلَامِ: أي غيرَ التوحيد والانقيادِ لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحاً والمدّعين للتوحيد مع إشراكهم كأهل الكتابين {فَلَن يُقْبَلَ} ذلك {مِنْهُ} أبداً بل يُردّ أشدَّ ردَ وأقبحَه"[315]

****

المجموعة الثانية : قال تعالى : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا [316] بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ

---

[315] إرشاد العقل السليم (2/ 55).

[316] قال ابن عاشور: والقيام هنا بمعنى المواظبة كقوله : { أفمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت } [الرعد : 33] وقوله : { ليقوم الناس بالقسط } [الحديد : 25] وتقول : الأمير قائم بمصالح الأمة ، كما تقول : ساهر عليها ، ومنه « إقام الصلاة » وهو في الجميع تمثيل .شبهت المحافظة والمواظبة والمداومة بالقيام ، والعناية بها وإيفاءها حقها والإتيان بها على أحسن احوالها ، وعدم تضييعها ب بقيام أحد مستقيما في أحسن أحواله أو مجاز مرسل كما سبق **مجاز مرسل من قبيل ذكر المسبب وإرادة السبب** ولما قرر توحيده قرر عدله ، فقال : { قائمًا بالقسط } أي : لم يزل متصفا بالقسط في أفعاله وتدبيره بين عباده ، فهو على صراط مستقيم في ما أمر به ونهى عنه { قَائِمَاً بالقسط } مقيماً للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ، ويثيب ويعاقب ، وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم قال الطباطبائي:وثانيا : أن قوله تعالى : { قائما بالقسط } حال من فاعل قوله : { شهد الله } ، والعامل فيه شهد ، وبعبارة أخرى قيامه بالقسط ليس بمشهود له لا له تعالى ولا للملائكة وأولي العلم بل الله سبحانه حال كونه قائما بالقسط يشهد أن لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم يشهدون بالوحدانية كما هوظاهر الآية حيث فرقت بين قوله : { لا إله إلا هو } ، وقوله : { قائما بالقسط } : بتوسيط قوله : { والملائكة وأولوا العلم } ، ولوكان القيام بالقسط من أجزاء الشهادة لكان حق الكلام أن يقال : إنه لا إله إلا هو قائما بالقسط والملائكة ، ومن ذلك يظهر ما فيما ذكره عدة من المفسرين في تفسير الآية من الجهتين جميعا كما لا يخفى على من راجع ما ذكروه في المقام

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (22)}(آل عمران 18ـ 22)، نلاحظ الترتيب العجيب بين الآيات في بيان حقيقة الإسلام التي لا تدع مجالا لمشكك ، فالآية الأولى تقرر الوحدانية وتؤكدها وتبين أن الله سبحانه قد شهد عليها والملائكة وأولوا العلم كذلك ، وفي { شَهِدَ } مسنداً إلى الله تعالى استعارة تصريحية تبعية لأن المراد أنه سبحانه دل على وحدانيته وعلى سائر كمالاته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره ، وما نصبه من الدلائل التكوينية في الآفاق والأنفس ، وبما أوحى من آياته الناطقة بذلك كسورة الإخلاص ، وآية الكرسي وغيرهما فشَبَّه سبحانه تلك الدلالة الواضحة بشهادة الشاهد في البيان والكشف ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه ثم سرت الاستعارة من المصدر إلى الفعل .

وأما شهادة الملائكة بذلك فنستفيدها بإخبار الله لنا بذلك وإخبار رسله .

وأما شهادة أهل العلم فلأنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصا في أعظم الأمور وأجلها وأشرفها وهو التوحيد، فهم بذكر الأدلة وإقامتها على التوحيد يشهدون بهذه الوحدانية ، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة [317]

هذه هي الآية الأولى ، ثم جاء في الآية التي بعدها { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} وهذه جملةٌ مستأنفة مؤكدةٌ للأولى أي لا دينَ مرضياً لله تعالى سوى الإسلام الذي هو التوحيدُ والتدرُّع بالشريعة الشريفة ، وتوكيد

---

317 قال ابن كثير :"شهد تعالى – وكفى به شهيدا ، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم ، وأصدق القائلين – { أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ } أي : المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق ، وأن الجميع عبيده وخلقه ، والفقراء إليه ، وهو الغني عما سواه كما قال تعالى : { لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزلَ إِلَيْكَ أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } الآية [النساء : 166] . ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال : { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ } وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام . " { قَائِمًا بِالْقِسْطِ } منصوب على الحال ، وهو في جميع الأحوال كذلك . { لا إِلَهَ إِلا هُوَ } تأكيد لما سبق { الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } العزيز : الذي لا يرام جنابه عظمةً وكبرياء ، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره".

الكلام { بإنّ } تحقيق لما تضمنَّه من حصر حقيقة الدين عند الله في الإسلام : أي الدين الكامل فقوله : { إن الدين عند الله الإسلام } صيغة حصر ، وهي تقتضي في اللسان حصر المسند إليه ، وهو الدين ، في المسند ، وهو الإسلام ، على قاعدة الحصر بتعريف جزئي الجملة ، أي لا دين إلا الإسلام ، وقد أكّد هذا الانحصار بحرف التوكيد ، وعن قتادة " والإسلام : شهادة أن لا إلَه إلا الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وهو دين الله الذي شرع لنفسه ، وبعث به رسله ، ودل عليه أولياءه ، لا يقبل غيره ولا يجزئ إلا به"[318] .

فـ(ال) في الدين للجنس ، فجنس الدين عند الله الإسلام في كل التاريخ هو الإسلام ، ولما كان ذلك مصرحاً بأنه لا دين عنده غيره كان كأن قائلاً: فمن أين جاءت اليهودية والنصرانية إذا كان الإسلام هو دين جميع الأنبياء ، { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} فبينت الآية أن اليهودية والنصرانية طارئة خالفوا فيها الإسلام ، اختلافا ناشئا عن علم لا عن جهل فبعد أن عرفوا الحق وتبين لهم اختلقوا الأباطيل والشركيات فيه ، وما اختلفوا في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا بعد أن علموا حقيقةَ الأمرِ وتمكّنوا من العلم بها بالحُجج النيّرة والآيات الباهرةِ وفيه من الدِلالة على ترامي حالِهم في الضلالة ما لا يزيد عليه ، فإن الاختلافَ بعد حصول تلك المرتبةِ مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى : { بَغْياً بَيْنَهُمْ } أي حسداً واعتداء وظلما وبغيا كائناً بينهم وطلباً للرياسة لا لشبهة وخفاءٍ في الأمر ، تشنيعٌ إثرَ تشنيعٍ .

{ وَمَن يَكْفُرْ بآيات الله } أي بآياته الناطقةِ بما ذكر من أن الدينَ عند الله تعالى هو الإسلامُ ولم يعمَلْ بمقتضاها { فَإِنَّ الله سَرِيعُ الحساب } قائمٌ مقامَ جوابِ الشرطِ علةٌ له أي ومن يكفرْ بآياته فإنه يجازيه ويعاقبه عن قريب فإنه سريعُ الحساب أي يأتي حسابُه عن قريب أو يتم ذلك بسرعة ، وإظهارُ الجلالة لتربية المهابة وإدخالِ الروعة ، وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفرِ بآياته تعالى من غير تعرضٍ لخصوصية حالِهم – من كون كفرِهم بعد إيتاء الكتاب وحصولِ الاطلاع على ما فيه وكونِ ذلك للبغي – دلالةٌ على كمال شدة عقابهم

وحرف (من) في (إلا من بعد ما جاءهم العلم)أفاد:

---

[318] جامع البيان (6/ 275).

أ) أن اختلافهم مبتدِئ ومنطلِق من مجيء البينات والعلم فهم جاءتهم البينات ، ومن شأن البينات أن تزيل الخلاف وتحسم النزاع إن احتكموا إليه واهتدوا بهديه فجعلُوا ما يوجبُ زوالَ الخلافِ مُوجباً لرسوخهِ ففيه تشنيع حال الذين أوتوه بأن كانوا أسوأ حالاً من المختلفين في الحق قبل مجيء الشرائع ، لأن أولئك لهم بعض العذر بخلاف الذين اختلفوا بعد كون الكتاب بأيديهم ،

ب) و تدل من مع ابتداء الغاية على التوكيد للتوبيخ في سياق التشديد لذلك لم يرد في القرآن { إلا بعد } والتأكيد واضح جدا أي إن الخلاف كان في حالة تقررت فيها دلائل الحق في نفوس المختلفين .

ت) وتدل كذلك على القرب أي اختلافهم حصل بعد فترة قصيرة لم يطل الزمان حتى يتطرق إلى علمهم نسيان وهذا فيه تقبيح صورة فعلهم ، وأنها كانت تغييرا واختلافا سريعا عقيب مجيء البينات[319] .

ثم قال بعدها :" (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للهِّ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللهُّ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) [آل عمران : 20]

{ فَإنْ حَاجُّوكَ } أي في كون الدين عند الله الإسلامَ أو جادلوك فيه بعد ما أقمت عليهم الحجج { فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ } أي أخلصتُ نفسي وقلبي وجملتي ، وإنما عبر عنها بالوجه لأنه أشرفُ الأعضاء الظاهرة ومظهرُ القُوىٰ والمشاعر ومجمعُ معظم ما تقع به العبادةُ من السجودِ والقراءة وبه يحصل التوجُّه إلى كل شيء { لِلَّهِ } لا أشرك به فيها غيرَه وهو الدينُ القويم الذي قامت عليه الحججُ ودعت إليه الآياتُ والرسلُ عليهم السلام { وَمَنِ اتبعن } عطفٌ على المتصل في أسلمتُ وحسُن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل أي وأسلم من اتبعني أو مفعول معه { وَقُلْ لّلَّذِينَ أُوتُواْ الكتاب } أي من اليهود والنصارى ، وُضِع الموصولُ موضعَ الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطِفَيْن { والأميين } أي الذين لا كتابَ لهم من مشركي العرب { أَأَسْلَمْتُمْ } متّبعين لي كما فعل المؤمنون فإنه قد أتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل أسلمتم وعمِلتم بمقتضاها ، أو أنتم على كفركم بعدُ ؟ كما يقول من لخّص لصاحبه المسألة ولم يدَعْ من طرق التوضيح والبيان مسلكاً إلا سلكه فهل

---

[319] انظر ملتقى أهل التفسير بحث الفرق بين بعد ومن بعد / علي هاني يوسف.

فهِمتها ؟ على منهاج قوله تعالى : { فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ } [المائدة ، الآية 91] إثرَ تفصيلِ الصوارفِ عن تعاطي الخمر والميسِر وفيه من استقصارهم وتعبيرِهم بالمعاندة وقلةِ الإنصافِ وتوبيخِهم بالبلادة وكلّة القريحةِ ما لا يخفى .

{ فَإِنْ أَسْلَمُواْ } أي كما أسلمتم وإنما لم يصرّح به كما في قوله تعالى : { فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ } حسماً لباب إطلاق اسم الإسلام على شيء آخر بالكلية { فَقَدِ اهتدوا } أي فازوا بالحظ الأوفر ونجَوْا عن مهاوي الضلال { وَإِن تَوَلَّوْاْ } أي أعرضوا عن الاتباع وقَبول الإسلام { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البلاغ } قائم مقامَ الجواب أي لم يضرّوك شيئاً إذْ ما علي إلا البلاغُ وقد فعلت على أبلغِ وجه[320].

ثم قال سبحانه { (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [آل عمران : 21]

{ إِنَّ الذين يَكْفُرُونَ بآيات الله } أيَّ آيةٍ كانت فيدخُل فيهم الكافرون بالآيات الناطقةِ بحقية الإسلام على الوجه الذي مر تفصيلُه دخولاً أولياً .

{ وَيَقْتُلُونَ النبيين بِغَيْرِ حَقّ } هم أهلُ الكتاب قتل أوّلوهم الأنبياءَ عليهم السلام وقتلوا أتباعَهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا – قاتلهم الله تعالى – حائمين حول قتلِ النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن عصَم الله تعالى ساحتَه المنيعة ، وقد أُشير إليه بصيغة الاستقبال ، ، والتقييدُ بغير حق لزيادة التشنيع والتصريح بفظاعته و للإيذان بأنه كان عندهم أيضاً بغير حق { وَيَقْتُلُونَ الذين يَأْمُرُونَ بالقسط مِنَ الناس } أي بالعدل ، ولعل تكريرَ الفعل للإشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافهما في الوقت.

ثم قال سبحانه (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ) [آل عمران : 23].

{ أَلَمْ تَرَ } تعجيبٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الرؤيةُ من حال أهل الكتاب وسوءِ صنيعِهم ، وتقرير لما سبق من أن اختلافهم في الإسلام إنما كان بعد ما جاءهم العلم بحقّيته أي ألم تنظر { إِلَى

---

[320] إرشاد العقل السليم (2/ 19)بتصرف.

الذين أُوتُواْ نَصِيبًا مّنَ الكتاب } أي التوراةِ على أن اللامَ للعَهدْ ومدار التشنيع والتعجيب إنما هو إعراضُهم عن المحاكمة إلى ما دُعوا إليه وهم لم يُدْعَوا إلا إلى التوراة ، والمرادُ بها أوتوه منها ما بُيِّن لهم فيها من العلوم والأحكام التي من جملتها ما علِموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقّية الإسلام ، والتعبيرُ عنه بالنصيب للإشعار بكمال اختصاصِه بهم وكونِه حقاً من حقوقهم التي يجبُ مراعاتُها والعملُ بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم ، وحملُه على التحقير لا يساعده مقامُ المبالغة في تقبيح حالِهم { يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله } الذي أوتوا نصيباً منه وهو التوراة ، والإظهارُ في مقام الإضمار لإيجاب الإجابة ، وإضافتُه إلى الاسم الجليلِ لتشريفه وتأكيدِ وجوب المراجعةِ إليه ، والجملةُ استئنافٌ مبيِّنٌ لمحل التعجيب مبنيّ على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل : ماذا يصنعون حتى ينظُرَ إليهم ؟ فقيل : يُدعون إلى كتاب الله تعالى ، وقيل : حال من الموصول { لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ } وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مِدراسَهم فدعاهم إلى الإيمان فقال له نعيمُ بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أيّ دين أنت ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « على ملة إبراهيم » قالا : إن إبراهيمَ كان يهودياً فقال صلى الله عليه وسلم لهما : « إن بيننا وبينكم التوراةَ فهلُمّوا إليها » فأبيا . وقيل : نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل : { كتاب الله } القرآنُ فإنهم قد علموا أنه كتابُ الله ولم يشكوا فيه ، وقرئ ليُحكَم على بناء المجهول فيكون الاختلافُ بينهم بأن أسلم بعضُهم كعبد اللهَّ بن سلام وأضرابه وعاداهم الآخرون { ثُمَّ يتولى فَرِيقٌ مّنْهُمْ } استبعاد لتولّيهم بعد علمِهم بوجوب الرجوع إليه { وَهُم مُّعْرِضُونَ } إما حال من { فَرِيقٌ } لتخصصه بالصفة أي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم ، أو اعتراضٌ أي وهم قوم ديدنُهم الإعراضُ عن الحق والإصرارُ على الباطل[321] .

يقول علي هاني : قل لي بالله عليك هل بعد هذا من توضيح لحقيقة الإسلام ووجوب اتباعه والعمل بالقرآ ن وكفر اليهود والنصارى ويقاس عليهم الصابئة .

---

[321] إرشاد العقل السليم (2/ 20).

****

المجموعة الثالثة : وقال تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ 35 }(التوبة:29ـ 35).

قد شرحنا من قبل الآية الأولى ، وأما الآية الثانية هنا فقد بيّن سبحانه ما يقوله بعض اليهود من أن عزيرا بن الله ، وما تقوله النصارى: أن المسيح ابن الله ، وأنهم يماثلون بهذا المشركين الوثنين فهذه العقيدة طارئة على دين عيسى عليه السلام أدخلها بولس أخذا من المشركين ، قال أبو زهرة: "والنصارى قالوا المسيح ابن الله ، قال بولس ، وهو أول من ادعى ألوهية المسيح ، ولكنه لم يقله أحد من الحواريين أصحاب الرسول إلا ما قال يوحنا في إنجيل منسوب إليه ، وقد كذبته دائرة المعارف الإنجليزية ، وقالت إن الذي كتبه في القرن الثالث تلميذ من تلامذة الأفلاطونية الحديثة ، واستمر سائدا بين المسيحيين أن المسيح ليس إلها ولا ابن إله ، حتى جاء مجمع (نيقية) سنة325 فقرر 318 أسقفا من 2048 ألوهية المسيح ، وفرض ذلك فرضا على المسيحيين ، وبذلك كان التغيير الذي ذكره القرآن ثم كان من بعد ذلك مجمع كهذا المجمع قرر ألوهية روح القدس ، فكانوا ثلاثة ، ولا شك أن ذلك كفر بل إشراك .

ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ } أي أن ذلك القول قول تردده أفواههم بألسنتهم ، ولا يدركون له حقيقة يتصورونها } ، فهم يرددون : الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد ، وإذا سألتهم عن مميزات كل واحد ، وكيف يجتمعون ، لم يحيروا جوابا إلا أن يقولوا هذه غيبيات يصدقها العقل الديني ، ولا يصدقها العقل والمنطق ، ويقولون الآن

كما قال بعضهم في القرن الرابع المسيحي : إنها صفات ثلاثة للإله ، ولو سألتهم هل المسيح الذي ولدته أمه مريم من غير أب صفة ، وليس ذاتا كانت تمشي في الأسواق ، وتعظ ، وقتله – في زعمهم – الرومان وصلبوه ، وجعلتم الصليب ، قالوا : إن اللاهوت دخل الناسوت ، أو ولد اللاهوت والناسوت ، ولم يستطيعوا أن يصوروا ما يقولون تصويرا تدركه العقول .

ومما يجب ذكره أنهم في الزوبعة التي أثارها قسطنطين الروماني الوثني الذي حول النصرانية إلى وثنية عندما أراد دخولها ، وذلك في مجمع نيقية آنف الذكر – وجد الأكثرون من بينهم يستنكرون الألوهية ، ولكن ما زالوا يعذبونهم ، ويطردونهم ، حتى وسدوا فكرة الألوهية توسيدا .

وممن أعلن معارضتهم نسطورس الذي أقر بالنبوة التي ادعاها بولس ، ولكنه قال إنها بنوة محبة ثم سادت بعد بين أتباع (نيتشة) عندما ساد التثليث فكرة الثلاثة سموها صفات ، وجاء بعض المسيحين في هذه الأيام لما أحسوا باستنكار العقول لعقيدتهم الباطلة ، واستحسن كلمة الصفات وهي الأخرى غير معقولة ، فذات المسيح المصلوب في زعمهم الذي ولد وعاش وقتل ودفن ثم قام من قبره لا يمكن أن تكون صفة ، إذ الصفة غير الذات .

وإن هذا التثليث هو بذاته اعتقاد الأفلاطونية الحديثة ، اختاره قسطنطين ، ومن تبعه دينا لهم (1)وما أبلغ قوله تعالى في تصوير حالهم ، إذ يقول : { ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ } ، فهو ليس إلا ألفاظا تردد من غير تصور لمعناها ، ويلقنونها لمن يدعونهم إليها ، ويستعينون بطرق الاستهواء المختلفة ، والخمور ، ليودعوها عقولا ضالة بهم .

وقال الله تعالى : { يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ } يضاهئون أي يشابهون قول الذين كفروا ، وذكر الله تعالى الذين كفروا ولم يبين من هم فقيل المشركون ، ولا شك أن وصف الذين كفروا ينطبق عليهم ، وهم يشابهونهم في أنهم أشركوا في العبادة غير الله ، كما أشرك أولئك الأوثان ، وإني أقول إن المشابهة ليست بعيدة الأركان بل ثابتة القرب واضحة ، ويدخل معهم أيضا عبدة الأوثان من غير العرب أيضا ، وهم البرهمية ، فهم قالوا إن للإله ابنا ، فالبراهمة قالوا إن كرشنة ابن لبراهما ، وقال البوذيون : إن بوذا ابن للإله ، كما قال النصارى ، ويظهر أن موجة من ادعاء البنوة كانت سائدة في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح أخذت منها

وثنية النصارىٰ في القرن الرابع مع الأفلاطونية الحديثة عقيدتها الباطلة ، ولعل الأفلاطونية الحديثة ذاتها قد أخذت من الهنود ، فقد ثبت أن كبيرها ذهب إلىٰ الهند ، وعاد[322] بعقيدته"[323]

---

[322] زهرة التفاسير (6/ 3282).

[323] قال محمد رشيد رضا في تفسير الآية كلاما مهما أنقله علىٰ طوله ليظهر استحالة نجاة اليهود والنصارىٰ وليظهر بطلان دينهم قال :"تقدم في الآية 29 السابقة لهذه الآيات أن أهل الكتاب المراد بهم اليهود والنصارىٰ لا يؤمنون بالله تعالىٰ علىٰ الوجه الحق الذي جاءت به رسله من توحيد وتنزيه لذاته وصفاته ، ولا باليوم الآخر علىٰ الوجه الصحيح من أن الناس يبعثون بشرا كما كانوا في الدنيا- أي أجسادا وأرواحاً- وأنهم يجزون بإيمانهم وأعمالهم ، وعليها مدار سعادتهم وشقائهم ، لا علىٰ أشخاص الأنبياء والصديقين ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله إلىٰ كل منهم إيمانا وإذعانا وعملا ، ولا يدينون دين الحق . أي إنما يتبعون تقاليد وجدوا عليها آباءهم وأحبارهم ورهبانهم ، فلما بين تعالىٰ هذا في سياق قتالهم وما ينتهي به إذا لم يؤمنوا بما جاء رسول الله وخاتم النبيين صلىٰ الله عليه وسلم- وهو أداء الجزية بشرطها – عطف عليه ما يبين مبهمه ، ويفصل مجمله ، ويبين غايته ، وهو هذه الآيات الأربع .ـــ وجملة القول : إن اليهود كانوا وما زالوا يقدسون عزيراً هذا ، حتىٰ إن بعضهم أطلق عليه لقب ابن الله ، ولا ندري أكان إطلاقه عليه بمعنىٰ التكريم الذي أطلق علىٰ إسرائيل وداود وغيرهما ، أم بالمعنىٰ الذي سيأتي قريبا عن فيلسوفهم (فيلو) ، وهو قريب من فلسفة وثنيي الهند التي هي أصل عقيدة النصارىٰ . وقد اتفق المفسرون علىٰ أن إسناد هذا القول إليهم يراد به بعضهم لا كلهم ، وهو مبني علىٰ القاعدة التي بيناها في تفسير بعض آيات سورة البقرة التي تحكي عنهم أقوالاً وأفعالاً مسندة إليهم في جملتهم ، وهي مما صدر عن بعضهم ، وهي أن المراد من هذا الأسلوب تقرير أن الأمة تعد متكافلة في شؤونها العامة ، وأن ما يفعله بعض الفرق أو الجماعات أو الزعماء منها يكون له تأثير في جملتها ، والمنكر الذي يفعله بعضهم إذا لم ينكره عليه جمهورهم ويزيلوه يؤاخذون به كلهم ، وأما الذين قالوا هذا القول من اليهود فهم بعض يهود المدينة ، كالذين قال الله فيهم : { وقالت اليهود يد الله مغلولة غلَّت أيديهم } [المائدة : 64] ، والذين قال فيهم { لقد كفر الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء } [آل عمران : 181] ردا علىٰ قوله تعالىٰ : { من ذا الذي يقرض الله قرضا حسناً } [البقرة : 245] ؟ ويحتمل أن يكون قد سبقهم إليه غيرهم ولم ينقل إلينا . ومن المعلوم أن بعض النصارىٰ الذين قالوا إن المسيح ابن الله كانوا من اليهود ، وقد كان (فيلو) الفيلسوف اليهودي الإسكندري المعاصر للمسيح يقول : إن لله ابنا هو كلمته التي خلق بها الأشياء ، فعلىٰ هذا لا يبعد أن يكون بعض المتقدمين علىٰ عصر البعثة المحمدية قد قالوا : إن عزيراً ابن الله بهذا المعنىٰ . { وقالت النصارىٰ المسيح ابن الله } هذا القول كان يقوله القدماء منهم ، ويقصدون به معنىٰ مجازياً كالمحبوب والمكرم ، ثم سرت إليهم فلسفة الهنود في (كرنشا) وغيرهم من قدماء الوثنيين ، ثم اتفقت عليه فرقهم المعروفة في هذه الأزمنة ، وعلىٰ أنه حقيقة لا مجاز . وعلىٰ أن (ابن الله) بمعنىٰ(الله) وبمعنىٰ(روح القدس) ؛ لأن هؤلاء الثلاثة عندهم واحد حقيقة لا مجازا ،

هذا تعليم الكنائس الذي قررته المجامع الرسمية بتأثير الفلسفة الرومية ولكن بعد المسيح وتلاميذه بثلاثة قرون ، ويخالفه خلق كثير منهم أعظمهم شأنا الموحدون والعقليون . والكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستنتينية لا تعتد بنصرانيتهم ولا بدينهم ، وهاك خلاصة تاريخية في أطوار هذه العقيدة ، وهي ما في دائرة المعارف العربية للبستاني ، قال :

ثالوث –Y Tinité

كلمة تطلق عند النصارىٰ علىٰ وجود ثلاثة أقانيم معاً في اللاهوت تعرف بالآب والابن والروح القدس ، وهذا التعليم هو من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية وعموم البروتستانت إلا ما ندر ، والذين يتمسكون بهذا التعليم يذهبون إلىٰ أنه مطابق لنصوص الكتاب المقدس ، وقد أضاف اللاهوتيون إليه شروحا وإيضاحات اتخذوها من تعاليم المجامع القديمة وكتابات آباء الكنيسة العظام ، وهي تبحث عن طريقة ولادة الأقنوم الثاني ، وانبثاق الأقنوم الثالث ، وما بين الأقانيم الثلاثة من النسبة ، وصفاتهم المميزة وألقابهم ، ومع أن لفظة ثالوث لا توجد في الكتاب المقدس ، ولا يمكن أن يؤتىٰ بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالوث ، قد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرة تشير إلىٰ وجود صورة جمعية في اللاهوت ، ولكن إذ كانت تلك الآيات قابلة لتفاسير مختلفة كانت لا يؤتىٰ بها كبرهان قاطع علىٰ تعليم الثالوث ، بل كرموز إلىٰ الوحي الواضح الصريح الذي يعتقدون أنه مذكور في العهد الجديد ، وقد اقتبس منه مجموعان كبيران من الآيات كحجج لإثبات هذا التعليم : أحدهما : الآيات التي ذكر فيها الآب والابن والروح القدس معا . والآخر : التي ذكر فيها كل منهم علىٰ حدة ، والتي تحتوي علىٰ نوع أخص صفاتهم ونسبة أحدهم إلىٰ الآخر .

والجدال عن الأقانيم في اللاهوت ابتدأ في العصر الرسولي ، وقد نشأ علىٰ الأكثر عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين ، فإن ثيوفيلوس أسقف أنطاكية في القرن الثاني استعمل كلمة ثرياس باليونانية ، ثم كان ترتليانوس أول من استعمل كلمة ترينيتاس المرادفة لها ، ومعناها الثالوث . وفي الأيام السابقة للمجمع النيقاوي حصل جدال مستمر في هذا التعليم وعلىٰ الخصوص في الشرق ، وحكمت الكنيسة علىٰ كثير من الآراء بأنها أراتيكية ، ومن جملتها آراء الأبيونيين الذين كانوا يعتقدون أن المسيح إنسان محض ، والسابيليين الذين كانوا يعتقدون أن الآب والابن والروح القدس إنما هي صور مختلفة أعلن بها الله نفسه للناس ، والآريوسيين الذين كانوا يعتقدون أن الابن ليس أزلياً كالآب بل هو مخلوق منه قبل العالم ولذلك هو دون الآب وخاضع له ، والمكدونيين الذين أنكروا كون الروح القدس أقنوماً .

وأما تعليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوي سنة 325 للميلاد ، ومجمع القسطنطينية سنة 381 ، وقد حكما بأن الابن والروح القدس مساويان للأب في وحدة اللاهوت ، وأن الابن قد ولد منذ الأزل من الآب ، وأن الروح القدس منبثق من الآب ، ومجمع طليطلة المنعقد سنة 589 حكم بأن الروح القدس منبثق من الابن أيضا . وقد قبلت الكنيسة اللاتينية بأسرها هذه الزيادة وتمسكت بها ، وأما الكنيسة اليونانية فمع أنها كانت في أول الأمر ساكتة لا تقاوم قد أقامت الحجة فيها بعد علىٰ تغيير القانون حاسبة ذلك بدعة .

وعبارة (ومن الابن أيضا) لا تزال من جملة الموانع الكبرىٰ للاتحاد بين الكنيسة اليونانية والكاثوليكية ، وكتب اللوثيريين

والكنائس المصلحة أبقت تعليم الكنيسة الكاثوليكية للثالوث على ما كان عليه من دون تغيير ، ولكن قد ضاد ذلك منذ القرن الثالث عشر جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف جديدة كالسوسينيانيين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم ، حاسبين ذلك مضاداً للكتاب المقدس والعقل ، وقد أطلق سويد نبرغ الثالوث على أقنوم المسيح معلما بثالوث ، ولكن لا ثالوث الأقانيم ؛ بل ثالوث الأقنوم ، وكان يفهم بذلك أن ما هو إلهي في طبيعة المسيح هو الآب ، وأن الإلهي الذي اتحد بناسوت المسيح هو الابن ، وأن الإلهي الذي انبثق منه هو الروح القدس ، وانتشار مذهب العقليين في الكنائس اللوثيرية والمصلحة أضعف مدة من الزمان اعتقاد الثالوث بين عدد كبير من اللاهوتيين الجرمانيين .

وقد ذهب (كنت) إلى أن الآب والابن والروح القدس إنما تدل على ثلاث صفات أساسية في اللاهوت : وهي القدرة والحكمة والمحبة ، أو على ثلاثة فواعل عليا : وهي الخلق والحفظ والضبط ، وقد حاول كل من هيجن وشلنغ أن يجعلا لتعليم الثالوث أساسا تخيلياً ، وقد اقتدى بهما اللاهوتيون الجرمانيون المتأخرون ، وحاولوا المحاماة عن تعليم الثالوث بطرق مبنية على أسس تخيلية ولاهوتية ، وبعض اللاهوتيين الذين يعتمدون على الوحي لا يتمسكون بتعليم استقامة الرأي الكنائسية بالتدقيق كما هي مقررة في مجمعي نيقية والقسطنطينية المسكونيين ، وقد قام محامون كثيرون في الأيام المتأخرة لعضد آراء السابيليين على الخصوص . اه

وأقول : قد حدثت في هذا العهد مذاهب جديدة في النصرانية في أوروبا وأمريكة قرب ببعضها كثيرون من إصلاح الإسلام لها ، سيفضي هذا إلى رجوع السواد الأعظم إليه بعد تنظيم الدعاية الصحيحة له وتعميمها ، ونعود الآن إلى الرد على قولهم المسيح ابن الله ؛ لأن هذا آخر موضع له في التفسير فنقول :

كنا بينا في تفسير سورة المائدة{ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه } [المائدة : 21] أن لقب «ابن الله » أطلق في كتب اليهود والنصارى على آدم كما تراه في نسب المسيح في آخر الفصل الثالث من إنجيل لوقا ، وهو« ابن شيث بن آدم ابن الله » وعلى يعقوب كما في الفصل الرابع من سفر الخروج «هكذا يقول الرب : إسرائيل ابني البكر » ، وعلى أفرايم كما في سفر أرميا«لأني صرت أبا وأفرايم هو بكري » ، وعلى داود«هو يدعوني أبي أنت إلهي وصخرة خلاصي* أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من كل ملوك الأرض » ، وأنه أطلق أيضا على الملائكة وعلى المؤمنين الصالحين وسمي الله أبا لهم في مواضع كثيرة من كتب العهدين ، ويقابله إطلاق المسيح لقب«أولاد إبليس » على غير الصالحين ، وتسمية إبليس أباهم ، كما ترى في إنجيل يوحنا«أنتم تعملون أعمال أبيكم ، قالوا : إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله* فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني » إلى أن قال «أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » وهنالك شواهد أخرى من استعمال كلمة ابن الله في الأفراد كسليمان عليه السلام وفي المؤمنين الصالحين وتسميتهم مولودين من الله تعالى وتسميته سبحانه أبا لهم .

وبينا أيضا أن هذا الاستعمال مجازي قطعاً ، لا يحتمل المعنى الحقيقي بحال من الأحوال ، ولكن النصارى قد خرجوا عن قوانين العقل واللغات بجعل إطلاق لفظ«ابن الله » على المسيح وحده حقيقيا وعلى غيره مجازياً ، ووعدنا بتوضيح ذلك في تفسير { يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح

منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد } [النساء : 169] الآية من سورة النساء وكذا في مواضع من التفسير و(المنار) ،. وكثرة الكلام في المحال لا تزيده إلا غموضا وإشكالا ، فالنصارى قد تحكموا في تفسير (ابن الله) وتفسير(الكلمة) وتفسير(روح القدس) وتفسير اسم الجلالة (الله) بما ينافي العقل ونصوص العهد القديم والعهد الجديد ، فجعلوها متعارضة متناقضة . كل ذلك لإدخال عقيدة قدماء الوثنيين من الهنود والمصريين واليونان على دين أنبياء بني إسرائيل المبني على أساس التوحيد المطلق ، ولكننا نأتي بخلاصة أخرى في الموضوع نرجو أن تكون أوضح وأظهر مما سبق ، وأدل على نوع من أنواع إعجاز القرآن ، وهو تحديد الحقائق فيما اختلف فيه أهل الكتاب من أمر دينهم ، مما كان مجهولاً لهم ولغيرهم من البشر ، كما وعد الله عزَّ وجلَّ في آيات منه ، كاختلافهم في المسيح نفسه ، وفي معنى اسم الله وكلمته وروحه أو روح القدس ، فنقول :

قال جورج بوست في قاموس الكتاب المقدس :

الله : اسم خالق جميع الكائنات والحاكم الأعظم على جميع العوالم والمعطي كل المواهب الحسنة . والله «روح غير محدود ، أزلي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته وعدله ، وجودته وحقه » وهو يظهر لنا بطرق متنوعة وأحوال مختلفة في أعماله وتدبير عنايته(روا :20) ، ولا سيما في الكتب المقدسة ، حيث يتجلى غاية التجلي في شخصيته وأعمال ابنه الوحيد المخلص يسوع المسيح .

ثم قال :طبيعة الله : عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر(من 28 : 19 و20 كو 13 : 14) الله الآب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفدى ، وإلى الروح القدس التطهير . غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء . أما مسألة التثليث فغير واضحة في العهد القديم كما هي في العهد الجديد ، وقد أشير إلى هذا الأمر في تك ص 1 حيث ذكر «الله » و«روح الله » (قابل مز33 : 6 ويو 1 : 1 و3) ، والحكمة الإلهية المشخصة أم ص 8 تقابل «الكلمة » في (يو ص 1) ، وربما تشير إلى الأقنوم الثاني . وتطلق نعوت القدير على كل أقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة على حدته .ثم قال :وحدة الله : ظاهرة في العهد القديم أكثر منها في العهد الجديد ، والتثليث بين في العهد الجديد ، خفي في العهد القديم . والداعي الأعظم لهذا الأمر إنما هو إظهار لخطأ الشرك بالله ومنع عبادة الأوثان التي كانت كثيرة الشيوع في الأزمنة الأولى قديما ، ففي تث 6 : 4 يدعى الله «رباً واحداً » ، وكان يدعى «الإله الحي » تمييزا له عن آلهة الوثنيين الكاذبة . والاعتقاد بأن الله واحد بين جداً في ديانة اليهود .

ثم قال :ابن الله : د31 : 25 ابن الآلهة لقب من ألقاب القادي ، ولا يطلق على شخص آخر سواه إلا حيث يستفاد من القرينة أن المقصود بالملقب غير ابن الله الحقيقي . وقد تسمت الملائكة بني الله(أي38 : 7) ، وأطلق هذا الاسم على آدم(لو3 : 38) ؛ إذ أنه هو الشخص الأول المخلوق من الباري رأساً . وقد تسمى المؤمنون أبناء الله(رو 8 : 14 و2 كو 6 : 18) ، وذلك لأنهم أعضاء في عائلة الله الروحية . وأما إذا أريد بهذا اللقب المسيح فيذكر مع التفخيم والعظمة حتى أن القارئ يعرف القصد بكل سهولة .

وهذا اللقب يدل على طبيعة المسيح الإلهية ، كما أن القول بأنه«ابن الإنسان » يدل على طبيعته البشرية . والمسيح هو ابن الله الأزلي والابن الوحيد(قابل يو 180 و5 : 19 26 و9 : 35 :38 ومت 11 : 27 و16 : 16 و21 : 37 وآيات أخرى غير هذه في الرسائل) ، ومع أن المسيح يأمرنا بأن ندعو الله«أبانا » ، فهو لا يدعوه كذلك إنما يدعوه«أبي » ، وذلك إيماء لما هنالك من الإلفة العظيمة ، والعلاقة الشديدة الكائنة بينهما مما تفوق علاقته كل علاقة بشرية . وإشارة إلى أننا نحن أولاده ليس على سبيل البنوة التي للمسيح ربنا ؛ بل من قبيل البنوة التي أنعم علينا بها بواسطة التبني والتجديد اه بحروفه .

أقول : إن ما لخصه صاحب هذا القاموس من عقيدة النصارى ، هو أوضح ما تعرف به هذه العقيدة بالاختصار المتوخى في هذا القاموس ، على غموضه وضعفه في نفسه ، وما يذكرونه في عامة كتبهم قلما يفهم المراد منه لما في عباراتها من التعقيد اللفظي والمعنوي في موضوع غير معقول في نفسه ، وفيما ذكره مؤاخذات كثيرة نذكر أهم ما يتعلق بموضوعنا هنا منها ، ولذلك نغض الطرف عما قاله في بيان المراد من اسم الجلالة ؛ لأننا نقلناه تمهيدا لما بعده ، فنقول :

1 ما ذكره فيما سماه «طبيعة الله » لا يدل عليه لفظ الاسم الكريم ، ولا شيء من كتب الأنبياء في العهد القديم ، ولا مما جاء عن متقدميهم في سفر التكوين . فثبت بهذا أن هذه الطبيعة المدعاة لم تكن معروفة عند أنبياء أهل الكتاب قبل النصرانية التقليدية ، وهي أصل الدين فيها ، ونتيجة هذا أن هذه العقيدة مبتدعة بعدهم ، وهم برآء منها .

2 إن ما أشار إليه من نص الإنجيل فيها لا يدل عليها ، وهو ما في إنجيل متى من قوله في آخره رواية عن المسيح عليه السلام 28 . 19 «وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » ، فهذا اللفظ لا يدل على أن هذه الأسماء الثلاثة عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر ، وأن كلاً منها عين الآخر ، وأنه يطلق عليه اسم (الله) الخالق لجميع الكائنات الخ ما ذكره في معنى اسمه عزَّ وجلَّ ، ولا على أنها تتقاسم الأعمال الإلهية على السواء كما ادعاه فيما سماه طبيعة الله .

وكذلك ما أشار إليه من رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ، وهو قوله في آخرها «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعهم » ، على أننا نعتقد أن بولس هو واضع أساس الديانة النصرانية الحاضرة ، وجاء فيها بما لم يؤثر عن المسيح عليه السلام ، ولا عن تلاميذه الحواريين رضي الله عنهم .

3 إن ما ذكر في كتب العهدين من استعمال ابن الله والروح القدس ينافي هذا المعنى ولا يتفق معه بوجه من الوجوه كما بيناه في تفسيرنا عند ذكرها في الآيات من سورتي آل عمران والنساء . وقد أشرنا إلى أهمها آنفا .

4 إن ما أشار إليه من عبارة المزمور (33 : 6) ليس فيه أدنى إشارة إلى هذه الطبيعة المبتدعة في هذا التثليث ، وهذا نصها «بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها » ، وهو يزعم هنا أن المراد [بكلمة الرب] المسيح ، تفسيرا لها برأي يوحنا في أول إنجيله ، وهذا المعنى للكلمة لم يكن معروفا لداود عليه السلام ولا لغيره من أنبياء اليهود ؛ بل هو معنى اخترعه الذي كتب إنجيل يوحنا ، والمرجع عند بعض المحققين أنه أحد تلاميذ بولس . وكان الدكتور جورج بوست كتب هذا الشاهد هنا قبل أن يكتب تفسير«الكلمة » في قاموسه ، وكأنه لما كتبه نسي ما كان كتبه هنا ، فإنه قال في الجزء الثاني منه ما نصه : يقصد بالكلمة السيد يسوع المسيح ، ولم ترد هذه الكلمة بهذا المعنى إلا في مؤلفات يوحنا اه . فكيف فسر بها عبارة المزمور إذاً ؟

وكذلك ما نقله عن رسالتي بولس إلى كولوسي وإلى العبرانيين لا يدل على ما ذكره ، ولو دل عليها لكان أحد دلائلنا على أن هذه العقيدة قد وضع بولس أساسها } إذ لم يعرفها أحد من أنبياء التوراة قبله عليه السلام ولا المسيح .

5 قوله : إن مسألة التثليث غير واضحة في العهد القديم ، صوابه غير موجودة فيه ألبتة ، لا بالنص ولا بالظاهر ولا بالفحوى والإشارة الواضحة ، على أن هذه العقيدة عند النصارى هي أساس الدين أو ركنه الأعظم ، فلو كانت عقيدة إلهية موحى بها إلى الأنبياء لصرحوا كلهم بها تصريحاً لا يقبل التأويل ، كما صرحوا بالتوحيد الذي اعترف هو وغيره بأنه ظاهر[وبين جداً] في العهد القديم ، وهاتان العقيدتان على أتم التناقض . وما ذكره من الإشارة إليها في أول سفر التكوين بذكر اسم الله ولفظ [روح الله] غير مسلم ، فإنه لم يفهم ذلك منهما أحد من اليهود ولا غيرهم قبل ابتداع هذه العقيدة ، ولا يجوز -بل لا يعقل- أن يكون أساس العقيدة في كتاب الله مبهما لا يفهمه المخاطبون منه كما عملت آنفا من استشهاده بالمزمور 33 : 6 ، وهذان اللفظان موجودان في القرآن المجيد الذي يصرح بكفر القائلين بالتثليث .

6 ما ذكره في مسألة (وحدة الله) من سبب التصريح بتوحيد الله تعالى بأقوى النصوص في العهد القديم وهو سد ذريعة الوثنية التي كانت كثيرة الشيوع في الأزمنة الأولى هو حجة عليه ، فإن تلك الوثنية التي أراد الله تعالى إلى سد ذرائعها بنصوص التوحيد القطعية لموسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام كان من أركانها عقيدة التثليث الهندية المصرية اليونانية ، فما وقع فيه النصارى من الوثنية هو الذي أريد وقاية أتباع الأنبياء منه بتلك النصوص الإلهية في كتبهم ، ولا سيما الوصية الأولى من وصايا التوراة ، وإنما أوقعهم فيه هذه الألفاظ المجملة في رسائل بولس وأناجيل تلاميذه ، وعدم تأويلهم لها بما يوافق توحيد جميع الأنبياء ونصوص التنزيه فيها وفي الإنجيل أيضا .

7 إن استشهاده على كلمة« ابن الله » بما جاء في الفصل 3 من سفر دانيال غريب جداً جداً ، فإن عادته في قاموسه أن يذكر بجانب كل كلمة تفسيراً لها وشاهداً عليها من كلام الله أو كلام الأنبياء ، والعبارة التي ذكرها هنا هي كلمة لملك بابل نبوخذ نصر الوثني ، قالها في أحد الأفراد الذين ألقاهم في أتون النار ولم يحترقوا ، وهي «ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة » ، فلينظر المسلمون وغيرهم من العقلاء بم يؤيد هؤلاء النصارى تسميتهم المسيح ابن الله ؟ وبم يثبتون أن لله ابناً حقيقيا ؟ إنهم يحاولون إثبات هذا أو يؤيدونه بكلام الوثنيين في عقائدهم ، ثم ينكرون أنهم وثنيون .

8 إنه حاول أن يفرق بين ما أمر المسيح به المؤمنين من خطابهم لله تعالى في الصلوات بقوله في أول الصلاة الربانية «أبانا الذي في السموات » الخ ، وما في معناه كقوله«أبي وأبيكم » ، وبين روايتهم عنه في بعض المواضع من قوله «أبي » ، فهو يزعم تقليداً لرؤساء ملته أن إضافة الأب إلى ضمير المتكلم منه عليه السلام وإضافته إلى ضمير الجميع فيما أمرهم به من قول«أبانا » دليل على أن أبوته تعالى له حقيقية وأبوته للمؤمنين على سبيل التبني .

وهذا من أغرب ما يؤثر عنهم من التحكم والابتداع المخالف للغة وللعقل وللنقل المأثور عن الأنبياء ، فأبوة الله الحقيقية لبعض البشر أو غيرهم من الخلق لا تعقل ، وأبوة التبني تزوير يجل الله عنه كما يتنزه عن مجانسة الخلق بالأبوة الحقيقية ، والأظهر في هذه الأبوة في كل موضع -إن صح النقل- أنها مجاز عن الرحمة والرأفة والتكريم ، ولا ننكر أن حظ المسيح عليه السلام منها

جدير بأن يكون أعلى من حظ يعقوب وأفرايم وداود وسليمان ممن أطلق عليهم هذا اللقب في أسفار العهد القديم . ومن الكفر الصريح والطعن في تنزيه الله عزَّ وجلَّ عندنا وعند كل عاقل مستقل الفكر أن يقال أن له سبحانه ابناً حقيقيا ، وأبناء بالتبني ، أي أدعياء ، وهو عزَّ وجلَّ يقول في أبناء التبني الذي كان معهوداً عند العرب وأبطله بالإسلام { وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم } [الأحزاب : 4 ، 5] .

وأما الفرق بين ضمير الجمع وضمير المفرد فيما نقلوه فسببه يعرفه العوام كالخواص ، وهو أن الجمع للجماعة ، والمفرد للفرد ، ولو نقلوا عن المسيح عليه السلام أنه كان يقول في صلاته«أبي الذي في السموات » لكان لهم شبهة في هذه التفرقة . على أنه معارض بقول الرب في داود«مز 89 : 26 هو يدعوني أنت أبي » ، فإذا كانت إضافة لفظ أب إلى ضمير المفرد المتكلم تقتضي أن يكون المضاف إليه ابناً حقيقيا لله تعالى فقد كان هذا لداود قبل المسيح ، وأن لإضافة ابن إلى ضمير الرب المفرد من الاختصاص ما يساوي بل يفوق إضافة لفظ الأب إلى ضمير العبد . وقد تقدم ما في سفر الخروج من قول الرب«4 : 22 ابني بكري إسرائيل » ، ومثله قوله في سفر أرميا«31 : 9 إني صرت أبا لإسرائيل وأفرايم هو بكري » ، ووصف الأب الابن بكونه بكرا له يقرب به من الحقيقة أو الاختصاص ما لا يقرب مثله بإضافة الابن اسم أبيه إلى ضمير نفسه ، إذ من المعلوم أن المتبنى يخاطب متبنيه ويخبر عنه بقوله«أبي » كالابن من الصلب ، ولكن الرجل لا يصف من تبناه ولا يخبر عنه بقوله ابني البكر .

9 قوله : إن المؤمنين أعضاء في عائلة الله الروحية ما أملاه عليه إلا أن عقله لا يفهم من لفظ«ابن الله وأبناء الله » إلا المعنى المجازي ، ومقتضاه أن كل ما يعقل من نصوص العهد الجديد في إطلاق اللفظ على المسيح بكثرة أو نوع امتياز إنما يراد به أنه عليه السلام كان أفضل من غيره من أعضاء هذه العائلة الروحية المدعاة ، والمسلمون لا ينكرون هذا الامتياز ، فإنهم يفضلونه عليه السلام على أجداده إسرائيل وداود وغيرهما ممن أطلق عليه لقب «ابن الله » في العهد القديم . بل يفضلونه على جميع الأنبياء ما عدا إبراهيم وموسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

10 إننا على بحثنا هذا في كلامه لإقامة الحجة على النصارى كلهم ننكر لفظ «عائلة الله » وأمثاله مما يخل بتنزيه الله رب العالمين عما تقتضيه من المجانسة ، فهو عزَّ وجلَّ ليس له جنس مادي ولا روحي{ ليس كمثله شيء } [الشورى : 11] ، { سبحان ربك رب العزة عما يصفون } [الصافات : 180] ، { قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد } [الإخلاص : 1 4] .

وأما معنى«روح القدس » وبطلان ما زعموه من كونه هو الله فقد تقدم بيانه مفصلا في تفسير آية(2 : 87) { وأيدناه بروح القدس } وآية[4 : 171] ، { وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه } وآية[4 : 169 من سورة النساء المشار إليها فيما تقدم قريبا] .

11 إنه من أجل عداوته للتوحيد ، ولتنزيه الخالق عزَّ وجلَّ عن الجنس والولد والشريك ، لم يذكر في صفاته عزَّ وجلَّ ما ورد في العهدين القديم والجديد ، من تنزهه تعالى عن الند والنظير والشبيه ، الذي يجب بحكم العقل أن تؤول لأجله أو تحمل عليه

وتقيد به جميع النصوص الدالة على التشبيه ، كما جعل المسلمون قوله عزَّ وجلَّ :{ ليس كمثله شيء } [الشورى : 11] وقوله :{ سبحان ربك رب العزة عما يصفون }[الصافات : 180] أصل عقيدة التنزيه ، وقيدوا بها معاني الآيات الموهمة للتشبيه ، وقد جاء في سفر الاستثناء من أسفار التوراة (فكلمكم الرب من جوف النار فسمعتم صوت كلامه ولم تروا الشبه ألبتة*فاحفظوا أنفسكم بحرص فإنكم لم تروا شبهاً يوم كلمكم الرب في حوريب من جوف النار) ، والعقلاء من اليهود يردون جميع العبارات التي ظاهرها التشبيه والأعضاء للرب تعالى إلى هذا النص النافي للتشبيه .

وقد جاء في إنجيل يوحنا الذي تفرد بأقوى الشبهات على التثليث ما يدل على التنزيه قال : (الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو الذي خبر) ، ومثله في الرسالة الأولى ليوحنا «الله لم ينظره أحد قط » ؛ بل قال مثل ذلك أستاذه بولس في رسالته الأولى إلى تيموتادس ، فإنه وصاه بحفظ الوصية إلى ظهور المسيح وقال عن هذا الظهور :«الذي سيبينه في أوقاته المبارك الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب*الذي وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يدنى منه الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه أحد الذي له الكرامة والقدرة الأبدية » .

فتبين بما تقدم أن عقيدة التثليث وألوهية المسيح المخالفة لحكم العقل ليس لها أصل في كتب الأنبياء عليهم السلام لا قطعي ولا ظني ، وإن شبهاتها في العهد الجديد ضعيفة ليست نصاً ولا ظاهرة فيها . على أن كتب العهد الجديد لا يوثق بها ، فإن النصارى قد أضاعوا أكثر ما كتب من إنجيل المسيح في عصره ، ثم رفضت مجامعهم المسكونية الرسمية بعد دخول التعاليم الوثنية فيهم من قبل الرومانيين أكثر ما وجد عندهم من الأناجيل التي كانت تعد بالعشرات ، وقيل بالمئات ، واعتمدت أربعاً منها ليس فيها إلا قليل مما رووه من أقوال المسيح وأفعاله ، كما قال يوحنا في آخر إنجيله«وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين » اه ومن المعلوم بالبداهة أنه كان يقول عند ما كان يفعل ، فلم تكتب أقواله ولا أفعاله الكثيرة .

وقد تكرر في كتب العهد الجديد -ومنها الأناجيل الأربعة- ذكر إنجيل المسيح ، وفي بعضها يسمى «إنجيل الله » ، ومن المعلوم بالبداهة أنه لا يراد بهذا الإنجيل أحد هذه التواريخ الأربعة التي تحدث عنه . وفي هذه الكتب أيضا أنه كان يوجد أناجيل كاذبة ، وأناجيل محرفة ، ورسل كذبة . وقد فصلنا القول في مسألة إنجيل المسيح وهذه الأناجيل ، وأثبتنا عدم الثقة بها ، وأن مجموعها يثبت ما نطق به كتاب الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو أن النصارى كاليهود نسوا حظاً عظيماً مما ذكروا به ، وأنهم أوتوا نصيباً منه ، وأنهم انتحلوا عقائد وثنيي الهند وغيرهم من القدماء في الثالوث (فراجعه في ج 6) .

قال الله تعالى : { ذلك قولهم بأفواههم } ، أي ذلك الذي قالوه في عزير والمسيح هو قولهم الذي تلوكه ألسنتهم في أفواههم ، ما أنزل به الله من سلطان ، ولا يتجاوز حركة اللسان ، إذ ليس له مدلول في الوجود ، ولا حقيقة في مدارك العقول ، فهو كقوله تعالى : { وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً } [الكهف : 4 ، 5] ، وفي معناه قوله في التبني { وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل } [الأحزاب : 4] وقوله في أهل الإفك { إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم } [النور :15]

فذكر الأفواه وكذا الألسنة مع العلم بها بالحس لبيان ما ذكر ، أي أنه قول لا يعدوها ولا يتجاوزها إلى شيء في الوجود فهو كما يقول العوام :«كلام فارغ» .

{ يضاهئون قول الذين كفروا من قبل } أي يشابهون ويحاكون فيه قول الذين كفروا من قبلهم ، فقالوا هذا القول أو مثله . قيل : إن المراد بهم مشركو العرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله . وقيل : إن المراد سلفهم الذين قالوا هذا القول قبلهم . وهذا مبني على أن الكلام في اليهود والنصارى الذين كانوا في عصر نزول القرآن ، إذ لم يصل إلينا أن أحدا من سلف أولئك اليهود في بلاد العرب أو غيرها قالوا عزير ابن الله ، وإن كان غير بعيد في نفسه ، ولو كانت الآية نصاً فيه لجزمنا به ؛ لأن عدم وصول نقل إلينا فيه لا يقتضي عدم وقوعه .

والراجح المختار أن المراد بكل من اليهود والنصارى في الآية الجنس ، وهو يصدق بوقوع ذلك من بعضهم في أي عصر كان ، والمختار في مضاهأتهم للذين كفروا من قبلهم يصدق في كل من وقع ذلك منهم والله أعلم بهم .

وقد علمنا من تاريخ قدماء الوثنيين في الشرق والغرب أن عقيدة الابن لله والحلول والتثليث كانت معروفة عند البراهمة في الهند والبوذيين فيها وفي الصين واليابان وقدماء الفرس والمصريين واليونان والرومان ، وقد بينا هذا في تفسير آية 4 : 196 التي تقدمت الإشارة إليها آنفا ، وهذا البيان لهذه الحقيقة من معجزات القرآن ، فإنه لم يكن يعرفها أحد من العرب ولا ممن حولهم ؛ بل لم تظهر إلا في هذا الزمان ، كما يقال مثل هذا فيما بينه من حقيقة أمر كتبهم ، وسيأتي بيانه قريبا في فصل خاص .

{ قاتلهم الله } هذه الجملة تستعمل في اللسان العربي للتعجب ، فهو المراد بها لا ظاهر معناها . قال في مجاز الأساس : وقاتله الله ما أفصحه . اه وحكى النقاش أن أصل«قاتله الله » الدعاء ثم كثر في استعمالهم حتى قالوه على التعجب في الخير والشر ، وهم لا يريدون الدعاء اه . وفسره بعضهم بالدعاء على أن المراد به اللعنة أو الهلاك . والأول أظهر .

{ أنى يؤفكون } تقدم مثل الجملة في الرد على قول الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة ، إذ قال تعالى : { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون } [المائدة : 75] ، ومثله في سورة الأنعام بعد الاستدلال على الخالق عز وجل : { ذلكم الله فأنى تؤفكون } [الأنعام : 95] ، والإفك صرف الشيء عن وجهه ، [وبابه من وزن ضرب] ، ويقال أفك بالبناء للمفعول بمعنى صرف عقله عن إدراك الحقيقة ، ورجل مأفوك العقل ، فمادة أفك تستعمل في صرف العقل والنفس عن الحق إلى الباطل ونحوه . والمعنى هنا كيف يصرفون عن حقيقة التوحيد والتنزيه للخالق عز وجل ، وهو الذي تجزم به العقول ، والذي بلغه عن الله تعالى كل رسول ، فهو جمع بين المعقول والمنقول ، ويقولون هذا القول الذي لا يقبله عقل ، ولم يصح به عن أنبياء الله ورسله نقل ؟ فأين عزير والمسيح من رب العالمين ، الخالق لهذا الكون العظيم ، الذي وصل من عجائب سعته إلى علم البشر القليل أن بعض شموسه لا يصل نورها إلى الأرض إلا بعد قطع الملايين من السنين النورية ، فهل يليق بعاقل من هذه الدواب التي تعيش على هذه الذرة الصغيرة منه (وهي الأرض) أن يجعل لخالقه كله ، ومدبر أمره ، ولدا وعائلة من جنسه ، وأن يرتقي به الغرور إلى أن يجعل واحدا منهم هو الخالق له ، والمدبر لأمره ، مع العلم بأنه ولد من امرأة وكان يأكل ويشرب ويتعب ويتألم الخ :{ وما قدروا الله حق قدره

ثم جاءت الآية الثالثة : {هُوَ الذى أَرْسَلَ رَسُولَهُ} فالله هو الذي أرسل رسوله ملتبساً {بالهدى} أي القرآنَ الذي هُو هدىٰ للمتقين ليُظهرَ الدينَ الحقِّ علىٰ سائر الأديان بنسخه إياها يعليه علىٰ سائر الأديان بالحجة ثم بغلبة الإسلام علىٰ جميع الأرض وعلىٰ جميع الأديان فيدحض جميع الأديان ويزيلها ، فكيف يقول القرآن هذا ثم يقال : كل الأديان حق وكلها موصلة لله مرادة لله سبحانه؟!.

ثم الآية الرابعة: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِّ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة : 31]

"{ اتخذوا } زيادةُ تقريرٍ لما سلف من كفرهم بالله تعالىٰ { أحبارهم } وهم علماءُ اليهود ، { ورهبانهم } وهم علماءُ النصارىٰ من أصحاب الصوامعِ أي اتخذ كلُّ واحد من الفريقين علماءَهم لا الكلُّ الكلَّ { أَرْبَابًا من دُونِ الله } بأن أطاعوهم في تحريم ما أحله الله تعالىٰ وتحليلِ ما حرمه قال عدي بن حاتم : أتيتُ رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم وفي عنقي صليبٌ من ذهب وكان إذ ذاك علىٰ دين يسمَّىٰ الركوسية ـ فريق من النصارىٰ ـ وهو يقرأ سورةَ براءة فقال : « يا عديُّ اطرَحْ هذا الوثنَ » فطرحتُه فلما انتهىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ : { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أَرْبَاباً من دُونِ الله } قلت : يا رسولَ الله لم يكونوا يعبُدونهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أليس يحرِّمون ما أحل الله فتُحرِّمونه ويُحِلّون ما حرم الله فتَستحلّونه ؟ » فقلتُ : بلىٰ ، قال : « ذلك عبادتُهم » قال الربيع : قلت لأبي العالية : كيف كانت تلك الربوبيةُ في بني إسرائيلَ ؟ قال : إنهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالىٰ ما يخالف أقوالَ الأحبارِ فكانوا يأخُذون بأقوالهم ويترُكون حُكمَ كتابِ الله { والمسيح ابن مَرْيَمَ } عطفٌ علىٰ رهبانهم أي اتخذه النصارىٰ رباً معبوداً بعد ما قالوا إنه ابنُه ، تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً ، وتخصيصُ الاتخاذِ به يشير إلىٰ أن اليهودَ ما فعلوا ذلك بعزيرٍ ، وتأخيرُه في الذكر مع أن اتخاذَهم له

والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون } [الزمر : 39] ، { وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين } [الأنبياء : 26 29] .(المنار (10 / 298)

عليه الصلاة والسلام رباً معبوداً أقوى من مجرد الإطاعةِ في أمر التحليل والتحريمِ كما هو المرادُ باتخاذهم الأحبارَ والرهبانَ أرباباً ، لأنه مختصٌّ بالنصارى ، ونسبتُه عليه الصلاة والسلام إلى أمه من حيث دلالتُها على مربوبيته المنافيةِ للربوبية للإيذان بكمال ركاكةِ رأيِهم والقضاءِ عليهم بنهاية الجهل والحماقة . { وَمَا أُمِرُواْ } أي والحالُ أن أولئك الكفرةَ ما أُمروا في كتابيهم { إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إلها واحدا } عظيمَ الشأنِ هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا أمرَه ولا يطيعوا أمرَ غيرِه بخلافه ، فإن ذلك مُخِلٌّ بعبادته تعالى فإن جميعَ الكتبِ السماوية متفقةٌ على ذلك قاطبةً وقد قال المسيح عليه السلام : (إنه من يشرِكْ بالله فقد حرم الله عليه الجنة) { لاَ إله إِلاَّ هُوَ } صفةٌ ثانيةٌ لإلها أو استئنافٌ مقرِّرٌ للتوحيد { سبحانه عَمَّا يُشْرِكُونَ } عن الإشراك به في العبادة والطاعةِ [324]"،يقول علي هاني: الآيات أوضح من الشمس في رابعة النهار في العقيدة الصحيحة ، وبطلان ما يقولونه من نجاة النصارى واليهود وأنهم لهم أن يتعبدوا بالتوراة والإنجيل المحرفة بعد نزول القرآن الكريم .

الدليل السابع:القرآن مليء بالآيات التي تدعو الكفار

ومنهم أهل الكتاب وتناقشهم القرآن مليء بالآيات التي تدعو أهل الكتاب والصابئين إلى اعتناق الإسلام والإيمان بالرسول محمد وبالقرآن ، وتناقشهم بأدلة كثيرة ومواضع لا تعد ولا تحصى بل في سورة كاملة ، فعلى قول من يقول لهم أن يتعبدوا بيهوديتهم ونصرانيتهم يكون كل هذا عبثا باطلا- تعالى الله سبحانه عنه، وكذلك وردت أحاديث كثيرة ، أذكر أمثلة على الآيات والأحاديث التي تدعوهم وتناقشهم ليتضح الأمر غاية الاتضاح :

{ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41)} (البقرة :41).

---

[324] إرشاد العقل السليم (4/ 60).

{ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)} (آل عمران: 64).

{ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70)} (آل عمران: 70).

{ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ} (آل عمران: 70).

{ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171)} (النساء:171)

{ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15)} (المائدة: 15)

{ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19)} (المائدة: 19)

{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47)} (النساء: 47) فلِمَ يطمس على وجوههم ولمَ يلعنون إذا لم يؤمنوا ، إذا كان الأمر كما يقول هؤلاء؟!.

عن أبي هريرة ، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنَّه قال: "والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يَسْمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ، ثم يموتُ ولم يؤمِنْ بالذي أُرسِلتُ بهِ إلا كانَ من أصحابِ النَّار".[325] ،

وفي رواية – وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: («وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ») رَوَاهُ مُسْلِمٌ[326].

(فِي الحديث فَوَائِدُ):

(الْأُولَى) : قَوْلُهُ «لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ أُمَّةِ الدَّعْوَةِ مَنْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي زَمَنِهِ، وَمَنْ يَتَجَدَّدُ وُجُودُهُ بَعْدَهُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَذِكْرُهُ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُمَا تَنْبِيهًا عَلَى مَنْ سِوَاهُمَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَهُمْ كِتَابٌ فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهُمْ مَعَ أَنَّ لَهُمْ كِتَابًا فَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُ أَوْلَى قَالَهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ.

(الثَّانية)مَفْهُومُهُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِالنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَلَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ فَهُوَ مَعْذُورٌ عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ أَنَّهُ لَا حُكْمَ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ عَلَى الصَّحِيحِ.

---

[325] صحيح مسلم باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام رقم الحديث 240 وقد ذكر الإمام السيوطي سبب ورود هذا الحديث في اللمع في أسباب ورود الحديث

المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) قال سبب: أخرج الدارقطني في الافراد عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله رأيت رجلا من النصاري متمسكا بالانجيل ورجلا من اليهود متمسكا بالتوراة يؤمن بالله ورسوله، ثم لم يتبعك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سمع بي من يهودي أو

نصراني ثم لم يتبعني فهو في النار ". ص 90

[326] أخرجه مسلم في ((صحيحه)) (1 / 134 / رقم 240) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الثالثة) وَفِيهِ نَسْخُ الْمِلَلِ كُلِّهَا بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

(الْرابعة) وَفِيهِ الِانْتِفَاعُ بِالْإِسْلَامِ قُبَيْلَ الْمَوْتِ، وَلَوْ فِي الْمَرَضِ الشَّدِيدِ مَا لَمْ يَصِلْ إلَى الْمُعَايَنَةِ.

(الخامسة) وَفِيهِ تَكْفِيرُ مَنْ أَنْكَرَ بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ إذَا ثَبَتَ ذَلِكَ بِنَصٍّ قَطْعِيٍّ، وَأَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ.[327]

الدليل الثامن: القرآن يقرر أن من عبد مع الله غيره لم يعبد الله سبحانه ،

والمقصود الأصلي للقرآن الذي يدور جميع القرآن عليه هو التوحيد ، والقرآن كله توحيد ، وخلاصة القرآن الفاتحة وخلاصتها { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)} ومعناها تخصيص الله سبحانه بالعبادة والاستعانة ، وقد دعا القرآن إلى التوحيد وبين أن التوحيد هو الذي دعا له جميع الأنبياء في جميع تاريخ البشرية ، وأبطل ما عليه اليهود والنصارى والمشركون والصابئة والمجوس وغيرهم، فلا يجوز بعد ذلك أن يقال: الله سبحانه يرضى بالكفر والشرك الذي عليه النصارى والصابئون واليهود الذين يصفون الله بأوصاف يندى لها الجبين ، فهذا القول يبطل القرآن كله والأخذ به يبطل روح القرآن ومقصوده ، والآيات الدالة على التوحيد لا تعد ولا تحصى لكن من باب التنزل مع الخصم نورد بعضا منها في جميع سور القرآن، مع إيراد الآيات التي تبطل دين اليهود والنصارى ، وتبين قبائحهم :

فقال مبطلا ما عليه أهل الكتاب من الشرك:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا

[327] طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد) (7/ 160)

بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)} (التوبة :31:28)

وقال في حق المشركين الذين يشركون بالله غيره :

{ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (18)}(يونس:15ـ 18)

{ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ}النحل: (74)

{ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (71) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (72)} (الحج:72).

{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17)} (الفرقان:17)

{ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (55)}(الفرقان:55).

فـ(من) في (من دون) ابتدائية ، فهي تفيد أن الأصل أن يعبد الله وحده لكنهم تركوا هذا وابتدأوا العبادة من دونه سبحانه ، فكل ما عبد من غير الله هو دون ولا مقارنة بينه وبين الله سبحانه ، وهذا السر في استعمال دون دون (غير).

بل جعل القرآن ما عبد من دون الله ندا لله سبحانه ،

{ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)} والند: المثل. ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ. قال أبو السعود:" تسميةَ ما يعبده المشركون من دون الله أنداداً والحال أنهم ما زعموا أنها تماثله تعالى في صفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لما أنهم لما تركوا عبادته تعالى إلى عبادتها وسمَّوْها آلهةً شابهتْ حالُهم حالَ من يعتقد أنها ذواتٌ واجبةٌ بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأسَ الله عز وجل وتمنحهم ما لم يُرد الله تعالى بهم من خير فتهكّمٌ بهم وشُنِّع عليهم أن جعلوا أنداداً لمن يستحيل أن يكونَ له ندٌّ واحد"[328]

{ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

[328] إرشاد العقل السليم (1/ 62)

جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)} مع أنه سبحانه هو الذي خلق كل ما سبق يأتي بعض الناس فيجعل لله أندادا [329].

---

[329] في سورة المائدة : { وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19)

{ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ

بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً
لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا
مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ
إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا
دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ
أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ
يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ
(55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ
هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا
هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ
وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (59) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ
وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ
وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62)
لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ
غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ
(64) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66) يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ
رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا
وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (71) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى
اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ
انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ (76) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ
سَوَاءِ السَّبِيلِ (77) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78)
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ
أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81) لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا
رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85)
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (86) وفي سورة العقود التي موضوعها الوفاء بالعقود

{ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ
نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ

بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى
الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (111) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا
وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ
الْعَالَمِينَ (115) وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ
لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118) قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) لِلهِ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120)

في سورة الأنعام:

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً
أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21)

وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101)

ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103) قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104)
وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ
دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (156) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (157) هَلْ يَنْظُرُونَ

إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160) قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161)

وفي سورة الأعراف:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59)

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (159)

في سورة هود:

الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3)

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19)

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (21) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (24) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119) وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (120) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)

في سورة يوسف:

{ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40)

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (104) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (107) قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (35) وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (36) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39)

سورة إبراهيم: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18)

سورة الحجر: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (1) رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2)

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (4) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (5) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (6) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (7) مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ (8) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (10) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (11) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (12) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (13)

سورة النحل: { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (119) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (124)

سورة الكهف:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5)

في سورة مريم

{ (15) وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40)و هنا أمر مهم أن النصارى واليهود وصفوا عيسى عليه السلام بأوصاف لا تليق بين إفراط وتفريط فبعد أن بين صفات سيدنا عيسى الحقيقة ، قال ذلك عيسى أي لا عيسى الذي تتحدث عنه النصارى ولا عيسى الذي تتحدث عنه اليهود بل عيسى الحقيقي هو الذي وصفته .

سورة الأنبياء

{) أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (2

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (84) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (86) وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88) وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (91) إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (93) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94 حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (99) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (100) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (106) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (109) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (110) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (111) قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (112) انظر المحذوف

سورة الحج:

ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30)

حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)

سورة المؤمنون:

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (44) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (48) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50) يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (54) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56) إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (64) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (65) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (68) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (70) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (72) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (73) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (74)

سورة الفرقان:

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا (71)

القصص:

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (62) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (63) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (64) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (66) فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (68) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (69) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (70)

العنكبوت:

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (46) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (47) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49

سورة لقمان:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (21) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (22) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (23) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (24)

سورة الأحزاب:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (73)

سورة سبأ

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7) أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (8) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (9) وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ

قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (28)

(51) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (52) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (53) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (54)

سورة فاطر:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30)

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (38)

سورة ص:

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (86) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)

سورة الزمر:

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ
هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ
الْغَفَّارُ (5) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا
مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (6) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى
لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ (7) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا
عِبَادِ فَاتَّقُونِ (16) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (24)
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (25) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ (26) إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
(41) قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)
وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَى قَدْ
جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ
فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61)

سورة الشورى:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14) فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)

سورة الزخرف:

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (59) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (62) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (63) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (64) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (65) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (66) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (76) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (78) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (80) قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (81) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (82) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (85)

الجاثية :

{ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15) وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (16) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (17) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ

اللهَّ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهَّ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (2 وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (30) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (31) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (32) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (33) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (34) ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهَّ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (35) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (36) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (37)

الأحقاف:

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهَّ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (8) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (9) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهَّ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10)

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهَّ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللهَّ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (32) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (33) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (34) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)

سورة محمد:

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (3) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ (34

سورة الحديد: سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (5) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6) آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7) وَمَا
لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (8) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ
مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ
اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ (14) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15) أَلَمْ
يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16) اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ
وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ (25) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى
آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا
عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (27) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (28) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)

سورة الحشر:

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (15) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16) لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)

سورة الصف:

{ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (

سورة الجمعة:

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)

سورة التحريم:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (9)

سورة القلم

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (38) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (39) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (40) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (41

{ سورة البينة

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

الدليل التاسع : نص القرآن الكريم على كفر اليهود والنصارى صراحة

ونص على كفر من فرق بين الرسل والكتب، وإليك مجموعة من الآيات التي تنص على كفرهم:

المجموعة الأولى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) " النص على كفرهم صريح لا يقبل التأويل ◉ لكن يبقى تحديد ما المراد بقوله تعالى :" قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ" حتى لا يقال: هذا لا ينطبق علينا

قال ابن عاشور: " المقصود بيان ما فى هذه المقالة من الكفر لا بيان ما عليه النصارى من الضلال ◉ لأنّ ظلالهم حاصل لا محالة إذا كانت هذه المقالة كفراً ◉ وحُكى قولهم بما تؤدّيه فى اللغة العربيّة جملة { إنّ الله هو المسيحُ ابن مريم } ، وهو تركيب دقيق المعنى لم يعطه المفسّرون حَقّه من بيان انتزاع المعنى المراد به ، من تركيبه ، من الدلالة على اتّحاد مسمّى هذين الاسمين بطريق تعريف كلّ من المسند إليه والمسند بالعلَمية بقرينة السياق الدالّة على أنّ الكلام ليس مقصوداً للإخبار بأَحداث لِذواتٍ ، المسمّى في الاصطلاح : حمَل اشتقاق بل هو حمل مواطأة ، وهو ما يسمّى في المنطق : حمل (هُوَ هُوَ) ، وذلك حين يكون

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7)

سورة الكافرون:قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)

سورة الإخلاص:قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

كلّ من المسند إليه والمسند معلوماً للمخاطب ويراد بيان أنّها شيء واحد ، كقولك حين تقول : قال زياد ، فيقول سامعك : من هو زياد ، فتقول : زياد هو النّابغة ، ومثله قولك : ميمون هو الأعشىٰ ، وابن أبي السّمْط هو مروان بن أبي حَفْصة ، والمُرعَّث هو بشّار [330]، وأمثال ذلك . فمجرّد تعريف جزأي الإسناد كاف في إفادة الاتّحاد ، وإقحام ضمير الفصل بين المسند إليه والمسند في مثل هذه الأمثلة استعمال معروف لا يكاد يتخلّف قصداً لتأكيد الاتّحاد ، فليس في مثل هذا التّركيب إفادةُ قصر أحد الجزأين علىٰ الآخر ، ويفيد قولهم هذا أنّهم جعلوا حقيقة الإله الحقّ المعلوم متّحدة بحقيقة عيسىٰ عليه السلام بمنزلة اتّحاد الاسمين للمسمّىٰ الواحد ، ومرادهم امتزاج الحقيقة الإلهيّة في ذات عيسىٰ .ولمّا كانت الحقيقة الإلهيّة معنونة عند جميع المتديّنين باسم الجلالة جَعَل القائلون اسم الجلالة المسندَ إليه ، واسمَ عيسىٰ المسند ليدلّوا علىٰ أنّ الله اتّحدَ بذات المسيح . وحكاية القول عنهم ظاهرة في أنّ هذا قالوه صراحة عن اعتقاد ، إذ سرىٰ لهم القول باتّحاد اللاهوت بناسوتِ عيسىٰ إلىٰ حدّ أن اعتقدوا أنّ الله سبحانه قد اتّحد بعيسىٰ وامتزج وجود الله بوجود عيسىٰ . وهذا مبالغة في اعتقاد الحلول . وللنّصارىٰ في تصوير هذا الحلول أو الاتّحاد أصل ، وهو أنّ الله تعالىٰ جوهر واحد ، هو مجموع ثلاثة أقانيم (جمع أقنوم بضمّ الهمزة وسكون القاف وهو كلمة رومية معناها : الأصل ، كما في القاموس ؛ وهذه الثلاثة هي أقنوم الذات ، وأقنوم العلم وأقنوم الحياة ، وانقسموا في بيان اتّحاد هذه الأقانيم بذات عيسىٰ إلىٰ ثلاثة مذاهب : مذهب المَلْكانِيَّة وهم الجاثلقية (الكاثوليك) ، ومذهب النَّسْطُورية ، ومذهب اليَعقوبية . وتفصيله في كتاب « المقاصد » . وتقدّم مفصّلاً عند تفسير قوله تعالىٰ : { فآمِنوا بالله ورسُله ولا تقولوا ثلاثة } في سورة [النّساء : 171] . وهذا قول اليعاقبة من النصارىٰ ، وهم أتباع يعقوب البرذعاني ، وكان راهباً بالقسطنطينية ، وقد حدثت مقالته هذه بعد مقالة المَلْكَانية ، ويقال لِليعاقبة : أصحاب الطبيعة الواحدة ، وعليها درج نصارىٰ الحبشة كلّهم . ولا شكّ أنّ نصارىٰ نجران كانوا علىٰ هذه

---

[330] رعث] الرعاثُ: القِرَطَةُ، واحدتها رَعْثَةٌ ورَعَثَةٌ بالتحريك. وتَرَعَّثَتِ المرأةُ، أي تقرطت. وكان بشار بن برد الشاعر يلقب بالمرعث لرعثة كانت له في صغره. والمرعَّثُ المقرَّطُ.

الطريقة"[331] .

****

المجموعة الثانية: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77) } المائدة (72ـ 77)

أكد تعالى بالقسم أيضا كفر الذين قالوا إن الله هو خالق السماوات والأرض وما بينهما ثالث أقانيم ثلاثة ، وهي الأب والابن وروح القدس.

قال ابن عاشور[332] :" استئناف قصد منه الانتقال إلى إبطال مقالة أخرى من مقالات طوائف النّصارى ، وهي مقالة (المَلْكَانِيَّةِ المُسَمَّيْن بالجِعاثليقِيَّة) ، وعليها معظم طوائف النّصارى في جميع الأرض . وقد تقدّم بيانها عند قوله تعالى : { فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة } من سورة النّساء (171) ، وأنّ قوله فيها { ولا تقولوا ثلاثة } يجمَع الردّ على طوائف النّصارى كلّهم . والمراد ب { قالوا } اعتقدوا فقالوا ، لأنّ شأن القول أن يكون صادراً على اعتقاد ، وقد تقدّم بيان ذلك .

[331] التحرير والتنوير" 6/ 152)

[332] التحرير والتنوير (6/ 282).

ومعنىٰ قولهم : { إنّ الله ثالث ثلاثة } أنّ ما يعرفُه النّاسُ أنّهُ اللهُ هو مجموع ثلاثةِ أشياء ، وأنّ المستحقّ للاسم هو أحد تلك الثّلاثة الأشياء . وهذه الثّلاثة قد عبّروا عنها بالأقانِيم وهي : أقنوم الوجود ، وهو الذات المسمّىٰ الله ، وسمّوه أيضاً الأبَ ؛ وأقنوم العِلم ، وسمَّوه أيضاً الابنَ ، وهو الّذي اتّحد بعيسىٰ وصار بذلك عيسىٰ إلهاً ؛ وأقنوم الحياة وسَمَّوه الرّوحَ القُدُس . وصار جمهورهم ، ومنهم الرَّكُوسية طائفة من نصارىٰ العرب ، يقولون : إنّه لمّا اتّحد بمريم حينَ حمّلها بالكلمة تألّهَتْ مريم أيضاً ، ولذلك اختلفوا هل هي أمّ الكلمة أم هي أمّ الله .

فقوله : { ثالث ثلاثة } معناه واحد من تلك الثّلاثة ، لأنّ العرب تصوغ من اسم العدد من اثنين إلىٰ عشرة ، صيغة فاعِل مضافاً إلىٰ اسم العدد المشتقّ هُو منه لإرادة أنّه جزء من ذلك العَدد نحو { ثانى اثنين } [التوبة : 40] ، فإن أرادوا أنّ المشتقّ له وزنُ فاعل هو الّذي أكْمَلَ العدد أضافوا وزنَ فاعل إلىٰ اسم العدد الّذي هو أرقَىٰ منه فقالوا : رابعُ ثلاثة ، أي جَاعل الثلاثة أربعة"[333].

****

المجموعة الثالثة: { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا

---

[333] وقال رشيد رضا:" ثم انتقل من بيان حال اليهود إلىٰ بيان حال النصارىٰ في دينهم فقال عز وجل : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } أكد تعالىٰ بالقسم كفر قائلي هذا القول من النصارىٰ ، وإذ غلوا في إطراء نبيهم المسيح ابن مريم عليه السلام ، غلوا ضادوا به غلو اليهود في الكفر به ، وقولهم عليه وعلىٰ أمه الصديقة بهتانا عظيما ، ثم صار هو العقيدة الشائعة فيهم ، ومن عدل عنها إلىٰ التوحيد يعد مارقا من دينهم ، ذلك بأنهم يقولون إن الإله مركب من ثلاثة أصول يسمونها (أقانيم) وهي الآب والابن وروح القدس ، ويقولون إن المسيح هو الابن ، والله هو الأب ، وأن كل واحد من الثلاثة عين الآخرين ، فينتج ذلك أن الله هو المسيح ، وأن المسيح هو الله بزعمهم . وقد تقدم تفسير مثل هذه الجملة الآية ال 19 من هذه السورة (من هذا الجزء)" (المنار (6/ 399).

كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37)} (مريم (30- 37).

، أي ذلك المذكور هو عيسى ابن مريم لا كما تزعم النصارى واليهود . والإشارة لتمييز المذكور أكمل تمييز تعريضاً بالرد على اليهود والنصارى جميعاً ، إذ أنزله اليهود إلى حضيض الجناة ، ورفعه النصارى إلى مقام الإلهية ، وكلاهما مخطئ مبطل ، أي ذلك هو عيسى بالحق ، وأما من تصفونه فليس هو عيسى لأن استحضار الشخص بصفات غير صفاته تبديل لشخصيته ، فلما وصفوه بغير ما هو صفته جُعلوا بمنزلة من لا يعرفونه فاجتلب اسم الإشارة ليتميز الموصوف أكمل تمييز عند الذين يريدون أن يعرفوه حق معرفته . والمقصود بالتمييز تمييز صفاته الحقيقية عن الصفات الباطلة التي ألصقوها به لا تمييزُ ذاته عن الذوات إذ ليست ذاته بحاضرة وقت نزول الآية ، أي تلك حقيقة عيسى عليه السلام وصفته.

"والفاء في قوله تعالى : { فاختلف الأحزاب مِن بَيْنِهِمْ } لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيهاً على سوء صنيعِهم بجعلهم ما يوجب الاتفاقَ منشأً للاختلاف ، فإن ما حُكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصاً قاطعةً في كونه عبدَه تعالى ورسولَه قد اختلفت اليهودُ والنصارى بالتفريط والإفراط ، أو فرّق النصارى ، فقالت النُّسطوريةُ : هو ابنُ الله ، وقالت اليعقوبيةُ : هو الله هبط إلى الأرض ثم صعِد إلى السماء تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وقالت الملكانية : هو عبدُ الله ونبيُّه ، { فَوَيْلٌ لّلَّذِينَ كَفَرُواْ } وهم المختلفون عبّر عنهم بالموصول إيذاناً بكفرهم جميعاً وإشعاراً بعلة الحُكم { مِن مَّشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ }"[334]

قال ابن عاشور:" الفاء لتفريع الإخبار بحصول الاختلاف على الإخبار بأن هذا صراط مستقيم ، أي حادَ عن الصراط المستقيم الأحزابُ فاختلفوا بينهم في الطرائق التي سلكوها ، أي هذا صراط مستقيم لا يختلف

---

[334] تفسير أبي السعود (5/ 265)

سالكوه اختلافاً أصلياً ، فسلك الأحزاب طرقاً أخرىٰ هي حائدة عن الصراط المستقيم فلم يتفقوا علىٰ شيء . وقوله { مِن بينهم } متعلّق باخْتَلَفَ . و (من) حرف توكيد ، أي اختلفوا بينهم . والمراد بالأحزاب أحزاب النصارىٰ ، لأن الاختلاف مؤذن بأنهم كانوا متفقين ولم يكن اليهود موافقين النصارىٰ في شيء من الدين . وقد كان النصارىٰ علىٰ قول واحد علىٰ التّوحيد في حياة الحواريين ثم حدث الاختلاف في تلاميذهم . وقد ذكرنا في تفسير قوله تعالىٰ : { فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة } في سورة النساء (171) أن الاختلاف انحلّ إلىٰ ثلاثة مذاهب : المَلْكَانِيّة (وتسمىٰ الجاثُلِيقيّة) ؛ واليعقوبية ، والنسطورية . وانشعبت من هذه الفرق عدّة فِرق ذكرها الشهرستاني ، ومنها الاليانة ، والبليارسية ، والمقدانوسية ، والسبالية ، والبوطينوسية ، والبولية ، إلىٰ فرق أخرىٰ . منها فرقة كانت في العرب تسمىٰ الرّكوسية ورد ذكرها في الحديث : أن النبي قال لعدي بن حاتم : إنّك رَكُوسي . قال أهل اللغة هي نصرانية مشوبة بعقائد الصابئة . وحدثت بعد ذلك فرقة الاعتراضية (البْرُوتِسْتان) أتباع (لوثير) . وأشهر الفرق اليوم هي الملكانية (كاثوليك) ، واليعقوبية (أرثودوكس) ، والاعتراضية (بْرُوتستان) . ولما كان اختلافهم قد انحصر في مرجع واحد يرجع إلىٰ إلهية عيسىٰ اغتراراً وسوءَ فهم في معنىٰ لفظ (ابن) الذي ورد صفة للمسيح في الأناجيل مع أنه قد وصف بذلك فيها أيضاً أصحابه . وقد جاء في التوراة أيضاً أنتم أبناء الله . وفي إنجيل متي الحواري وإنجيل يوحنا الحواري كلمات صريحة في أن المسيح ابن إنسان وأن الله إلهُهُ وربُّه ، فقد انحصرت مذاهبهم في الكفر بالله فلذلك ذُيل بقوله { فَوَيْلٌ للذين كَفَرُوا مِن مَشْهَدِ يومٍ عَظِيمٍ } ، فشمل قولُه (الَّذِينَ كَفَرُوا) هؤلاء المخبرَ عنهم من النصارىٰ وشمل المشركين غيرهم"[335] .

****

المجموعة الرابعة: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا

[335] التحرير والتنوير (16/ 105)

لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (152)}

"{إِنَّ الذين يَكْفُرُونَ بالله وَرُسُلِهِ } أي يؤدِّي إليه مذهبُهم ويقتضيه رأيُهم لا أنهم يصرِّحون بذلك كما ينبئ عنه قولُه تعالى : { وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرّقُوا بَيْنَ الله وَرُسُلِهِ } أي بأن يؤمنوا به تعالى ويكفُروا بهم لكن لا بأن يصرِّحوا بالإيمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبةً بل بطريق الاستلزامِ كما يحكيه قوله تعالى : { وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ } أي نؤمن ببعض الأنبياءِ ونكفُر ببعضهم كما قالت اليهودُ بموسى والتوراةِ وعزيرٍ ، ونكفر بما وراء ذلك وما ذاك إلا كفرٌ بالله تعالى ورسُلِه وتفريقٌ بين الله تعالى ورسُله في الإيمان لأنه تعالى قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياءِ عليهم السلام وما من نبيَ من الأنبياء إلا وقد أخبر قومَه بحقية دينِ نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين ، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى أيضاً من حيث لا يحتسب { وَيُرِيدُونَ } بقولهم ذلك { أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلك } أي بين الإيمان والكفرِ { سَبِيلاً } يسلُكونه مع أنه لا واسطةَ بينهما قطعاً إذِ الحقُّ لا يتعدد وماذا بعد الحقِّ إلا الضلال .

{ أولئك } الموصوفون بالصفات القبيحةِ { هُمُ الكافرون } الكاملون في الكفر لا عبرةَ بما يدّعونه ويسمونه إيماناً أصلاً { حَقّاً } مصدرٌ مؤكدٌ لمضمون الجملةِ أي حَقَّ ذلك أي كونُهم كاملين في الكفر حقاً ، أو صفةٌ لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفراً حقاً أي ثابتاً يقيناً لا ريب فيه { وَأَعْتَدْنَا للكافرين } أي لهم وإنما وُضع المُظهرُ مكان المُضمرِ ذماً لهم وتذكيراً لوصفهم أو لجميع الكافرين وهم داخلون في زُمرتهم دخولاً أولياً { عَذَاباً مهِيناً } سيذوقونه عند حُلولِه "[336].

{ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (153) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا

[336] إرشاد العقل السليم (2 / 248)

تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (154) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162) إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167)}

قال الزمخشري:" فإن قلت: الاستدراك لا بدّ له من مستدرك فما هو في قوله: (لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ) ؟ قلت: لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله: (إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ) قال: لكن اللَّه يشهد، بمعنى أنهم لا يشهدون لكن اللَّه يشهد."[337]

[337] الكشاف: (1/ 592).

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (170) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) }

قال أبو السعود :" { يا أَهْلِ الكتاب } تجريدٌ للخطاب وتخصيصٌ له بالنصارىٰ زجراً لهم عما هم عليه من الكفر والضلال { لاَ تَغْلُوا فى دِينِكُمْ } بالإفراط في رفع شأنِ عيسىٰ عليه السلام وادعاءِ ألوهيتِه ، وأما غلوُّ اليهودِ في حط رتبتِه عليه السلام ورميِهم له بأنه وُلد لغير رَشْدةٍ فقد نعىٰ عليهم ذلك فيما سبق { وَلاَ تَقُولُوا عَلَى الله إِلاَّ الحق } أي لا تصِفوه بما يستحيل اتصافُه به من الحلول والاتحادِ واتخاذِ الصاحبةِ والولدِ ، بل نزّهوه عن جميع ذلك { إِنَّمَا المسيح } وهو مبتدأٌ ، وقوله تعالىٰ : { عِيسَى } بدلٌ منه أو عطفُ بيانٍ له ، وقولُه تعالىٰ : { ابنُ مَرْيَمَ } صفةٌ له مفيدةٌ لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بُنوَّته لله تعالىٰ ، وقوله تعالىٰ : { رَسُولُ الله } خبرٌ للمبتدأ ، والجملةُ مستأنفةٌ مسوقةٌ لتعليل النهي عن القول الباطلِ المستلزِم للأمر بضده ، أعني الحقَّ ، أي إنه مقصورٌ على رتبة الرسالةِ لا يتخطاها { وَكَلِمَتُهُ } عطف على رسولُ الله أي مُكوَّن بكلمته وأمرِه الذي هو كنْ من غير واسطةِ أبٍ ولا نطفة { ألقاها إلى مَرْيَمَ } أي أوصلها إليها وجعلها فيها بنفخ جبريلَ عليه السلام ، وقيل : أعلمها إياها وأخبرَها بها بطريق البِشارةِ وذلك قولُه تعالىٰ : { إِنَّ الله يُبَشّرُكِ بِكَلِمَةٍ منْهُ اسمه المسيح عِيسَى بنُ مَرْيَمَ } [آل عمران ، الآية 45] { وَرُوحٌ منهُ } قيل : هو الذي نفخ جبريلُ عليه السلام في دِرْع مريم فحملت بإذن الله تعالىٰ ، سُمِّي النفخُ روحاً لأنه ريحٌ تخرج من الروح ، ومِنْ لابتداء الغايةِ مجازاً لا تبعيضية كما زعمت النصارىٰ . وهي متعلقةٌ بمحذوف وقع صفةً لروح أي كائنةٌ من جهته تعالىٰ جعلت منه تعالىٰ وإن كانت بنفخ جبريلَ عليه السلام لكون النفخِ بأمره سبحانه ، ، وتقديمُ كونِه عليه السلام رسولَ الله في الذكر من تأخّره عن كونه كلمتَه تعالىٰ وروحاً منه في الوجود لتحقيق

الحقِّ من أول الأمرِ بما هو نصٌّ فيه غيرُ محتملٍ للتأويل ، وتعيينُ مآلِ ما يحتمله وسدٌّ بابِ التأويلِ الزائغ . { فآمِنُوا باللهِ } وخُصّوه بالألوهية { وَرُسُلِهِ } أجمعين وصِفوهم بالرسالة ولا تُخرجوا بعضَهم عن سلكهم بوصفه بالألوهية { وَلاَ تَقُولُوا ثلاثةٌ } أي الآلهةُ ثلاثةٌ : الله والمسيحُ ومريمُ كما ينبئ عنه قوله تعالى : { أأنت قُلتَ لِلنَّاسِ اتخذونى وَأُمى إلهين مِن دُونِ الله } [المائدة ، الآية 116] أو الله ثلاثةٌ إن صح أنهم يقولون : الله جوهرٌ واحدٌ ثلاثةُ أقانيمَ : أقنومُ الأبِ وأقنومُ الابنِ وأُقنومُ روحِ القدس ، وأنهم يريدون بالأول الذاتَ ، { انتهوا } أي عن التثليث { خَيْراً لكُم } { إِنَّمَا الله إله واحد } أي بالذات مُنزَّه عن التعدد بوجهٍ من الوجوه ، فالله مبتدأٌ وإله خبرُه وواحدٌ نعتٌ أي منفردٌ في ألوهيته { سبحانه أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ } أي أسبّحه تسبيحاً من أن يكون له ولد أو سبِّحوه تسبيحاً من ذلك فإنه إنما يُتصوَّر فيمن يماثله شيءٌ ويتطرق إليه فناء ، والله سبحانه منزّه عن أمثاله ، ، وقوله تعالى : { لهُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض } جملةٌ مستأنفةٌ مسوقةٌ لتعليل التنزيهِ وتقريرِه ، أي له ما فيهما من الموجودات خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يخرُج عن ملكوته شيءٌ من الأشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يُتوَّهم كونُه ولداً له تعالى ؟ { وكفى بالله وَكِيلاً } إليه يكِلُ الخلقُ أمورَهم وهو غني عن العالمين فأنّى يُتصوَّر في حقه اتخاذُ الولدِ الذي هو شأنُ العَجَزة المحتاجين – في تدبير أمورِهم– إلى من يخلُفهم ويقوم مقامهم "[338].

{ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175)} النساء (150_ 175).

الدليل العاشر : قد بشرت جميع الكتب بالنبي صلى الله عليه وسلم وأمته

وهددت من لم يؤمن به إذا جاء ، فبشارات الظهور وعلائم النّبي وصفاته مذكورة في هذه الكتب السماوية لا سيما التوراة والإنجيل، وهي تدعو أتباعها إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه واتباع شرعه ، ثم يأتي هؤلاء

---

[338] إرشاد العقل السليم (2 / 259)

ويقولون:يجوز لليهود والنصارىٰ البقاء علىٰ دينهم المحرف، وهذا شيء عجيب!، فالصادقون من أهل الكتاب الذين يؤمنون فعلا بكتبهم يستجيبون لها ولرسلهم كما قال تعالىٰ قال تعالىٰ: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ـ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ـ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (سورة البقرة : 121) "الذين آتيناهم" مبتدأ ، و جملة "يتلونه" حال ، والخبر هو {أولئك يؤمنون به } .

{ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (51) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) } (القصص (51ـ 54)

{ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)}

بعض البشارات التي وردت في التوراة والإنجيل:

1) جاء في التوراة في سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر الفقرات 18و19 : " يا موسىٰ أني سأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك أجعل كلامي فيه، ويقول لهم ما أمره به والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه " ، وهذا النص موجود عندهم الآن ، فقوله :" من إخوانهم " ، لو كان منهم من بني إسرائيل لقال سأقيم لهم نبياً منهم ، لكنه قال من إخوتهم أي أبناء إسماعيل.

2) جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح السادس عشر الفقرات 16-17 : " إن خيراً لكم أن أنطلق لأني إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط فإذا انطلقت أرسلته إليكم فإذا جاء فهو يوبخ العالم علىٰ الخطيئة ، وان لي كلاماً كثيراً أريد قوله ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلىٰ جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي " ، وكلمة (المعزي) أصلها منقول عن الكلمة

اليونانية باراكلي طوس المحرفة عن الكلمة بيركلوطوس التي تعني أحمد وهذا لا ينطبق إلا على النبي صلى الله عليه وسلم[339].

" جاء في التوراة في السفر الخامس : " أقبل الله من سيناء (وفي رواية ربنا) ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران ، ومعه ربوات الإظهار عن يمينه " .

وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة : نبوة موسى ، ونبوة عيسى ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فمجيئه من " سينا " : وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، ونبأه عليه إخبار عن نبوته ، وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس، و " ساعير " : قرية معروفة هناك إلى اليوم ، وهذه بشارة بنبوة المسيح،"وفاران " : هي مكة ، وشبه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح ، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه، ونبوة خاتم الأنبياء باستعلاء الشمس ، وظهور ضوئها في الآفاق ، ووقع الأمر كما أخبر به سواء، فإن الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته ، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح ، وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم ، وذكر هذه النبوات الثلاثة التي اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة (والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين " [340] .

قال البقاعي:" فأضاف الرب إليهم ، وجعل الإتيان من جبال فاران – التي هي مكة ، لا نزاع لهم في ذلك – تبدياً وظهوراً أي لاخفاء به بوجه ، ولا ظهور أتم منه"

ذكر الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتابه : (البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية السابقة) أن إنجيل برنابا في الباب 22 جاء فيه :

" وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله "

وجاء في سفر أشعيا : إني جعلت اسمك محمدا يا محمد ، يا قدوس الرب : اسمك موجود من الأبد .

---

[339] وقد توسع محمد رشيد رضا في الكلام على أصل الكلمة في المنار (9 / 215) .

340 انظر هداية الحيارى ص 110 ، وما ذكره ابن القيم هو في العهد القديم سفر التثنية الإصحاح 33 .

وجاء في سفر أشعيا : " وما أعطيته لا أعطيه لغيره ، أحمد يحمد الله حمدا حديثا يأتي من أفضل الأرض ، فتفرح به البرية ، ويوحدون على كل شرف ، ويعظمونه على كل رابية ".

وجاء في سفر حبقوق:" إن الله جاء من التيمان والقدوس من جبل فاران، لقد أضاء السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده. ".

يقول مطران الموصل السابق الذي هداه الله للإسلام، وهو البروفيسور عبد الأحد داود الآشوري في كتابه (محمد في الكتاب المقدس): إن العبارة الشائعة عن النصارى: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة. لم تكن هكذا، بل كانت: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض إسلام، وللناس أحمد.

الدليل الحادي عشر :ترك ملايين النصارى واليهود دينهم عبر التاريخ

والدخول في الإسلام دليل على وجوب الإيمان

لو كان البقاء على اليهودية والنصرانية ينجي من النار لما آمن الملايين من الذين آمنوا من اليهود والنصارى بل من أحبار اليهود ورهبان النصارى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعده وتركوا دينهم .

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10)}(الأحقاف:10).

{ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85)}(المائدة :85).

{ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (51) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ(52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54)}(القصص 51ـ 54).

{ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (109)}(الإسراء 107ـ 109).

قال دروزة :" ولما كان قد دعا جميع الناس بما فيهم اليهود والنصارىٰ والصابئين إلىٰ الإيمان برسالة النبي محمد صلىٰ الله عليه وسلم وبالقرآن والانتهاء عن ما هم عليه من انحراف عن الدين الحق والطريق القويم بآيات عديدة منها ما مرّ في سورة البقرة وفي السور السابقة، ومنها ما سوف يأتي بعد ، ولما كان طوائف مختلفة فيها يهود ونصارىٰ وصابئون قد فهموا ذلك وآمنوا برسالة النبي محمد صلىٰ الله عليه وسلم والقرآن علىٰ ما حكته آيات عديدة في سور مكية ومدنية مرّ بعضها ، وسيأتي بعضها بعد ، فلا يصح أن يوقف عند هذه الآية لحدتها وتؤخذ علىٰ ظاهرها ويتوهم متوهم أنها تنطوي علىٰ تقرير نجاة اليهود والنصارىٰ والصابئين عند الله مع بقائهم علىٰ مللهم بعد البعثة النبوية إذا لم يؤمنوا بالنبي محمد والقرآن ويصبحوا من معتنقي الرسالة الإسلامية التي يمثلانها" [341].

الدليل الثاني عشر:العمل بالتوراة أو الإنجيل عمل بشريعة منسوخة

فكيف يكون عملا صالحا وكيف يكون مقبولا عند الله ، وقد قال تعالىٰ { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ

---

[341] التفسير الحديث (6/ 176) عند تفسير" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)".

لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49)} (المائدة (48ـ 49).

قال أبو السعود: "{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب} أي الفردَ الكاملَ الحقيقيَّ بأن يسمى كتاباً على الإطلاق لحيازته جميعَ الأوصافِ الكمالية لجنس الكتابِ السماويِّ وتفوقِه على بقية أفراده وهو القرآنُ الكريم وقوله تعالى {بالحق} متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالاً مؤكّدة من الكتاب أي ملتبساً بالحق والصدق {مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} حال من الكتاب أي حالَ كونِه مصدقاً لما تقدَّمَه إما من حيث أنه نازل حسبما نعت فيه أو من حيث إنه موافقٌ له في القصص والمواعيد والدعوة إلى الحق والعدلِ بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش، وأما ما يتراءى من مخالفتِه له في بعض جزئياتِ الأحكام المتغيِّرة بسبب تغيُّرِ الأعصارِ فليست بمخالفةٍ في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيثُ إنَّ كلاًّ من تلك الأحكام حقٌّ بالإضافة إلى عصره متضمِّنٌ للحكمة التي عليها يدورُ أمرُ الشريعة ، وليس في المتقدم دلالةٌ على أبديةِ أحكامِه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخرون وإنما يدل على مشروعيتها مُطلقاً من غيرِ تعرضٍ لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطقٌ بزوالها لما أن النطقَ بصحة ما ينسخها نطق ينسخها وزوالِها وقوله تعالى {مّنَ الكتاب} بيانٌ لِما واللام للجنس إذ المراد هو الكتاب السماوي ، {وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} أي رقيباً على سائر الكتبِ المحفوظة من التغيير لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ويقررأصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعيِّن أحكامَها المنسوخةَ ببيان انتهاءِ مشروعيتها المستفادة من تلك الكتاب وانقضاءِ وقت العمل بها ولا ريب في أن تمييزَ أحكامِها الباقيةِ على المشروعية أبداً عما انتهى وقتُ مشروعيتِه وخرج عنها من أحكام كونِه مهيمناً عليه والفاء في قوله تعالى {فاحكم بَيْنَهُمْ} لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن كونَ شأنِ القرآن العظيم حقاً مصدِّقاً لما قبله من الكتب المنزلة على الأمم مهيمناً عليه من مُوجباتِ الحكم المأمور به أي إذا كان القرآن كما ذُكِر فاحكمْ بين أهل الكتابين عند تحاكُمِهم إليك {بِمَا

أنزَلَ الله} أي بما أنزله إليك فإنه مشتملٌ على جميع الأحكام الشرعية الباقيةِ في الكتب الإلهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيانِ تعميمِ الحكم لهم ووضع الموصول موضعَ الضمير للتنبيه على عِلِّيَّةِ ما في حين الصلة للحكم والالتفات بإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار بعِلَّة الحكم {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ} الزائغة {عَمَّا جَاءكَ مِنَ الحق} الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتَّبعْ على تضمين معنى العُدول ونحوِه كأنه قيل ولا تعدِلْ عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم وقولِه تعالى {لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومنهاجا} كلام مستأنَفٌ جيءَ به لحمل أهل الكتابين من معاصريه صلى الله عليه وسلم على الانقياد لحُكمه بما أُنزل إليه من القرآن الكريم ببيان أنه هو الذي كُلِّفوا العملَ به دون غيره من الكتابين وإنما الذين كلفوا العملَ بهما مَنْ مَضَى قبل نسخهما من الأمم السالفة والخطابُ بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين أيضاً بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو إخبارٌ بجَعَلَ ماضٍ لا إنشاءٌ وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لِما عُوِّض عنه تنوينُ كل ولا ضيرَ في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السموات الخ والمعنى لكل أمة كائنةٍ منكم أيها الأمم الباقية والخالية جعلنا أي عيّنّا ووضعنا شرعةً ومنهاجاً خاصَّين بتلك الأمة لا تكاد أمةٌ تتخطى شرعتها التي عُيِّنت لها ، فالأمةُ التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التوارة ، والتي كانت من مَبعثِ عيسى إلى مبعثِ النبيِّ صلَّى الله عليهِ وسلم شرعتهم الإنجيل، وأما أنتم أيها الموجودون فشِرّعتُكم القرآنُ ليس إلا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشِّرْعةُ والشريعة هي الطريقة إلى الماء شُبِّه بها الدينُ لكونه سبيلاً موصولاً إلى ما هو سببٌ للحياة الأبدية كما أن سببٌ للحياة الأبدية كما أن الماء سببٌ للحياة الفانية والمنهاجُ الطريق الواضح في الدين من نهَجَ الأمر إذا وضح المائدة

{وَلَوْ شَاء الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحدة} متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الأممِ في شيء من الأحكام الدينية ولا نسخَ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوفٌ تعويلاً على دِلالة الجزاء عليه أي ولو شاء الله أن يجعلكم أمة واحدة لجعلكم الخ {ولكن لّيَبْلُوَكُمْ} متعلِّقٌ بمحذوف

يستدعيه النظام أي ولكن لم يشأ ذلك أي لأن يجعلكم أمةً واحدة بل شاء ما عليه السنةُ الإلهية الجاريةُ فيما بين الأمم ليعامِلَكم معاملةَ من يبتليكم {فى ما آتاكم} من الشرائع المختلفة المناسبة لأعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعِنين لها معتقدين أن اختلافَها بمقتضىٰ المشيئةِ الإلهيةِ المبنيةِ علىٰ أساس الحِكَم البالغةِ والمصالحِ النافعة لكم في معاشكم ومعادِكم أو تزيغون عن الحق وتتبعون الهوَىٰ وتستبدلون المَضَرَّة بالجدوىٰ وتشترون الضلالة بالهدىٰ وبهذا اتَّضحَ أنَّ مدارَ عدمِ المشيئةِ المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدةُ في ذلك ما أشيرَ إليهِ من انطواءِ الاختلاف علىٰ ما فيه مصلحتُهم معاشاً ومعاداً كما ينبئ عنه قوله عز وجل {فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ} أي إذا كان الأمر كما ذكر فسارعوا إلىٰ ما هو خيرٌ لكم في الدارين من العقائد الحقَّة والأعمالِ الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهاز للفرصة وإحرازاً لسابقةِ الفَضْل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيبِ في الإذعان للحق وتشديدِ التحذير عن الزيغ ما لا يخفىٰ ووقوله تعالىٰ {إلى الله مَرْجِعُكُمْ} استئنافٌ مَسوقٌ مَساقَ التعليل لاستباق الخيرات بما فيهِ من الوعدِ والوعيدِ وقوله تعالىٰ {جَمِيعاً} حالٌ من ضمير الخطاب والعامل فيه إما المصدرُ المنحلُّ إلىٰ حرفٍ مصدريَ وفعل مبني للفاعل أو مبني للمفعول وإما الاستقرارُ المقدَّر في الجار {فَيُنَبّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} أي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المُحِقّ والمُبطل ما لا يبقىٰ لكم معه شائبةُ شكٍ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ في الدنيا وإنما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع إزالة الاختلاف التي هي وظيفة الإخبار "[342] بتصرف

قال الشيرازي في الأمثل :" فتَوَجَّب العملُ بآخر شريعة إلهية ، لأنّ العمل بقوانين منسوخة ليس من العمل الصالح ، بل العمل الصالح هو العمل بالشرائع الموجودة وبآخرها ".

---

[342] إرشاد العقل السليم (3/ 44)

و عن أبي هريرة ، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنَّه قال: "والذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يَسْمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ، ثم يموتُ ولم يؤمِنْ بالذي أُرسِلتُ بهِ إلا كانَ من أصحابِ النَّار".[343]

قال أبو الحسن المباركفوري في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح[344] :

(من هذه الأمة) أي أمة الدعوة وهم الخلق جميعاً ، (يهودي ولا نصراني) صفتان لأحد، وحكم المعطلة وعبدة الأوثان يعلم بالطريق الأولى؛ لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له أولى وخصا بالذكر لأن كفرهما أقبح لكونهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال تعالى: {يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل} [7: 157] (ثم يموت): ثم للاستبعاد كما في قوله تعالى: {ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها} [32: 22] ، أي ليس أحد أظلم ممن بينت له آيات الله الظاهرة والباطنة ودلائله القاهرة فعرفها ثم أنكرها أي بعيد عن العاقل، قاله الطيبي ، وذلك لأن معجزته القرآن المستمر إلى يوم القيامة مع خرقه العادة في أسلوبه وأخباره بالمغيبات، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة مثله يوجب الإيمان برسالته، ويوجب الدخول على الكل في طاعته، فمن لم يؤمن بما أرسل به كان من أصحاب النار. قال النووي: في الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا – صلى الله عليه وسلم –، وفي مفهومه دلالة على أن من لم يبلغه دعوة الإسلام فهو معذور.

يقول علي هاني: فإن قيل كيف يقال : إن شريعتهم منسوخة مع أن الله تعالى قال"

---

[343] صحيح مسلم باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام رقم الحديث 240 وقد ذكر الإمام السيوطي سبب ورود هذا الحديث في اللمع في أسباب ورود الحديث/ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) قال سبب: أخرج الدارقطني في الافراد عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله رأيت رجلا من النصاري متمسكا بالانجيل ورجلا من اليهود متمسكا بالتوراة يؤمن بالله ورسوله، ثم لم يتبعك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سمع بي من يهودي أو
نصراني ثم لم يتبعني فهو في النار". ص 90

[344] (1/ 53)

{ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68)} { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)} { وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)}

وهذه الآيات تفسر تفسيرا غير صحيح ويفهمها كثير من الناس خطأ ، فهم يفهمون أن القرآن يسوغ لليهود والنصارى أن يستمروا على العمل بكتابهم ، وهذا فهم لا يصح ، والعجب أن الآيات التي يخطئون في فهمها أو يلبسون على الناس بها تقع في سياقات لا يمكن تدفع هذا الفهم تماما ولا يمكن أن يفهم منه اطلاقا ، فقد تقدم أن آية { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) } وقعت في سورة البقرة المليئة بالرد على اليهود ، وكذلك الآية الثانية التي يستدلون بها { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115) } وقعت في سورة آل عمران التي كلها دعوة للتوحيد والرد على النصارى كما تقدم ، وهذه الآيات الثلاثة هنا وقعت في سورة المائدة التي هي أشد السور على اليهود والنصارى، فقد نصت صراحة على كفرهم ودعتهم إلى التوحيد والإيمان بالقرآن ، واقتطاع النص من سياقه ليفهم فهما سقيما ،مألوف عند أعداء الإسلام فهم الآن يقولون : لا تقتل الشخص ولكن اقتل سمعته وصيته ، فيقتطعون بعض الجمل لبعض الشيوخ الأجلاء يقتطعونها من سياقها لتفهم على غير ما أرادوا ثم يقولون انظر لهذا الشيخ ما يقول: وهذا ليس ببدع منهم ، ولنعد إلى موضوعنا ، فهذا الفهم يؤدي إلى تعارض النصوص ، لا أقول يؤدي إلى تعارض الآيات في القرآن كله فقط بل يؤدي إلى تعارض النصوص المتجاورة في سورة واحدة

في آيات قريبة جدا، فهذه الآيات الثلاث وردت في سورة المائدة التي ورد فيها الآية السابقة التي تقرر أن الله سبحانه جعل لكل أمة شرعة ومنهاجا { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) } فهذه الآية التي تقرر أنه لكل منكم شرعة ومنهاجا هي الآية الثامنة والأربعون ، والآيات السابقة التي يفسرونها أنها تأمر النصارىٰ واليهود أن يستمروا علىٰ العمل بالتوراة والإنجيل مع عدم وجوب العمل بالقرآن ترتيبها (47، 66، 68) السابعة والأربعون، والسادسة والستون ، والثامنة والستون فهي آيات قريبة جدا ، فعلىٰ هذا التفسير تكون آية تقول:" لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا "، وآية أخرىٰ تقول: عليكم يا أهل الكتاب أن تعملوا بكتابكم وهذا ينجيكم ويدخلكم الجنة ، فليس الأمر أنه لكل جعلنا شرعة ومنهاجا ، بل المنهاج القديم جائز للكل العمل به فهو عام وليس خاصا بقوم ووقت ، وهذا عين التعارض الذي ينافيه سياق الآيات ،و ينزه عنه كلام أحكم الحاكمين ، ولو نحن تأملنا مقاصد القرآن ولم ننظر النظرة السطحية الحمقاء لسلم فهمنا ، ولارتقىٰ إلىٰ بيان القرآن السامي العالي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمتأمل في سورة المائدة يقطع جازما باستبعاد هذا التفسير:

1) فقد ذكرت سورة المائدة : أنه أنزل التوراة فيها هدىٰ ونور وأمر النبيين والربانيين والأحبار أن يحكموا بها ، ثم بينت أن الله سبحانه آتىٰ عيسىٰ عليه السلام الإنجيل وأمر أهل الإنجيل في ذلك الوقت أن يحكموا بما أنزل الله فيه ، ثم أنزل القرآن مهيمنا وحاكما علىٰ الكتب السابقة، وأمر أهل الإسلام أمة النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن تحكم به وحذرها من اتباع أهواءأهل الكتاب .

2) وأيضا في السورة نفسها بين أن النصارىٰ ضيعوا حظا وافرا مما ذكروا به وأنهم حرفوا وبدلوا ، ودعاهم لاتباع النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

3) وحكم بكفر النصارىٰ الذين يقولون بالتثليث في السورة نفسها

فكيف بعد ذلك يقول:" اليهودي والنصراني الذي يكفر بالله ويقول بالتثليث عمله مقبول وليس واجبا عليه أن يتبع محمدا صلىٰ الله عليه وسلم" هذا لعمري عين الضلال والتحريف ولننظر في الآيات لنرىٰ هذا الأمر رؤية واضحة :

{ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14) يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) } وقال لهم فى السورة نفسها { يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19) } ونحن إذا أردنا استقصاء هذا في سورة المائدة يطول الأمر ، فأرجو من القارئ الكريم أن يقرأ السورة قراءة متأنية وينظر في هذا الأمر ليرىٰ رؤية يقينٍ الحقَّ في هذه المسألة واستبعادَ هذا التفسير المذكور .

ولتزول الشبهة زوالا تاما ويظهر بطلان هذا الرأي ألخص للقارئ الكريم تفسير علمائنا رحمهم الله الذين يفهمون النصوص كما ينبغي أن تفهم ، كما وصفهم الله سبحانه بقوله: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} وكما قال ابن مالك: ما كان أصحَّ علمَ من تقدما، ليتضح المعنىٰ الصحيح اللائق بخطاب القرآن الكريم وما يريده سبحانه

أولا : تفسير قوله تعالىٰ :

{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)}

علاقة الآية بما قبلها : [345]

لما بالغ في ذم أهل الكتاب ذكر قبائحهم ومعايبهم وأقوالهم الباطلة، وهجن طريقتهم ، لا سيما اليهود ، وذكر انحرافهم عن دين الله ؛ وأكلهم السحت ؛ وتحريفهم الكلم من بعد مواضعه لينالوا عرضا من أعراض هذه الأرض ، وبين أنهم لا يؤمنون بكتابهم حقيقة بل ادعاء، وختمها بقوله سبحانه { غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} { وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} ، عقب ذلك بفتح باب الخير لجميع أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ متىٰ آمنوا واتقوا ببيان أنهم لو آمنوا واتقوا لوجدوا سعادات الآخرة والدنيا ، ولكان أجدىٰ عليهم في الدنيا والآخرة من أكلهم السحت والسعي وراء أعراض الدنيا بالحرام ، لو أنهم اختاروا الطريق ، وهذا من كرمه وجوده ، حيث دعاهم إلىٰ التوبة والدخول في الإسلام واستدعاهم

---

[345] لتتضح علاقة الآية بما قبلها أذكر الآيات التي قبل هذه الآية الكريمة :{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58) قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (59) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61) وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64)} .

ورغبهم في التوبة و الإيمان والتقوى ، ببيان أنه يحصل لهم في الآخرة تكفير السيئات وجنات النعيم في عاجل الدنيا ، مقابل ما يسعون لتحصيل الدنيا بالحرام والكفر .

وأيضا لما تكلموا على التضييق عليهم والعسر الذي عبروا عنه بتلك الكلمة البذيئة في حق الله بقولهم{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} وما ذلك التضييق عليهم إلا بسبب انحرافهم واعوجاجهم ، بين لهم طريق التوسعة عليهم بأنهم لو أنهم آمنوا بما يجب الإيمان به ويدخل دخولا أوليا الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كما آمن الناس واتقوا لاتسع عليهم الرزق ودرت عليهم الخيرات فضلا عما ينالونه من غفران الله لسيئاتهم وحسن جزائه الأخروي ، وهذه الآية تشمل معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ثم جميع أهل الكتاب في كل وقت .

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ

من اليهود والنصارى على أن المراد بالكتاب الجنس الشامل للتوراة والإنجيل .

وذكروا بهذا العنوان تأكيداً للتشنيع عليهم ؛ فإنّ أهليةَ الكتاب توجب إيمانهم به ، وإقامتَهم له لا محالة ، فكفرُهم به وعدمُ إقامتهم له وهم أهلُه أقبحُ من كل قبيح وأشنعُ من كل شنيع ،

أي لو أنهم مع ما عددنا من سيئاتهم ، وصدور ما صدر منهم من فنون الجنايات قولاً وفعلاً

آمنوا بما يجب الإيمان به كما طلبه الله منهم وآمنوا بما نفيَ عنهم الإيمان به في هذه السورة فيندرج فيه إيمانهم بالله وحده و إيمانهم برسول الله وبما جاء به من حق ونور، فصدّقوه واتبعوه، والإيمان بالأنبياء والكتب كلها { لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ }، وفي الحديث : « اثنان يُؤتَوْن أجرهم مرّتين :

رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه ثُمّ آمن بي (أي عندما بلغته الدّعوة المحمّديّة) فله أجران ، ورجل كانت له جارية فأدّبها فأحْسَن تأديبها وعلّمها ثمّ أعْتَقَها فتزوّجها فله أجران »[346] .

نص على خلاصة ما تقدم :

الطبري و السمرقندي والواحدي و السمعاني و البغوي والزمخشري و ابن عطية و ابن الجوزي والفخر الرازي و القرطبي و البيضاوي و الخازن و أبو حيان و ابن كثير و البقاعي وأبو السعود والشوكاني و مقاتل و ابن الجوزي و التفسير الميسر المنتخب وغيرهم .

قال اطفيش – التيسير:" { آمَنُوا } بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءَ به وهو يتضمن الإِيمان بالأَنبياء والكتب كلها ، فأَهل الكتاب مشركون إِذا لم يؤمنوا به ".

قال البقاعي:"ولما كان الإيمان أساس جميع الأعمال ، قدمه إعلاماً بأنه لا نجاة لأحد إلا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم . هذا مع أنه حقيق باشتداد العناية به لمبالغتهم في كتمان ما عندهم منه صلى الله عليه وسلم فقال : { آمنوا } أي بهذا النبي الكريم وما أنزل إليه من هذا الهدى"[347].

وَاتَّقَوْا:وخافوا الله تعالى وعذابه بأن جعلوا بينهم وبين الشرك والمعاصي و الباطل والمعاصي وقاية ، بترك ما كانوا يتعاطون مما عدد في هذه السورة من الشرك بالله وعبادة الطاغوت ومخالفة كتابهم و إِيقاد الحرب والسعي في الأرض فساداً ، والإِلحاد في صفات الله وأَفعاله، وأَكل السحت وسائر الكبائر الموبقة والمآثم والمحارم والمعاصي .

[346] مسند الإمام أحمد 19634 وفي صحيح البخاري 3011 ثَلاَثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الأَمَةُ، فَيُعَلِّمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا، وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدَبَهَا، ثُمَّ يُعْتِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الكِتَابِ، الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ص:61]، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالعَبْدُ الَّذِي يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ، وَيَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ "،

[347] نظم الدرر (6 / 224)

وجمع – سبحانه – بين الإيمان والتقوى ، للإيذان بأن الإيمان الذي ينجي صاحبه ، ويرفع درجاته ، هو ما كان نابعا عن يقين وإخلاص وخشية من الله ، لا إيمان المنافقين الذين يدعون الإيمان وهو منهم برئ

لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ

لو فعلوا ذلك لكفرنا أي سترنا عليهم معاصيهم فلم نحاسبهم عليها عنهم ورفعنا عنهم عقاب سيئاتهم التي اقترفوها وسارعوا فيها وإن كانت في غاية العظمة ولم نؤاخذهم بها ولم نفضحهم بها ، { لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سيئاتهم } .

واللام في قوله : { لكفّرنا عنهم } وقوله { ولأدخلناها }واقعة في جواب الشرط ، يكثر وقوعها في جواب (لَو) إذا كان فعلاً ماضياً مثبتاً وهي تفيد التأكيد تأكيد تحقيق التلازم بين شرط (لو) وجوابها ، ويكثر أن يجرّد جواب لو عن اللام ، نحو قوله تعالى : { لو نشاء جعلناه أجاجاً } في سورة الواقعة (70) .

وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ، ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص ، وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى ، وأن الإسلام يجُب ما قبله وإن جل ، وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم .

التكفير : تغطية تامة كثيفة لا يظهر معها شيء من المغطى ، ومن مصاديق هذا ظلمة الليل يقال لها كفْر بسكون الفاء وكفَر الليلُ الشيءَ: غطاه ، وكفارات الذنوب من صدقة أو نحوها تستر الذنوب وتغطيها فلا ترى ولا يؤاخذ عليها .

وتكفير السيئات : **سترها وتغطيتها تغطية تامة حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل** ، وفيها التغطية للأمن من الفضيحة، وفيها معنى الإذهاب والإزالة لأثر السيئات ولهذا يعدى بعن، **قال ابن رجب : ولفظ التكفير يتضمن الستر والإزالة.**

سَيِّئَاتِهِمْ:

قبائحهم التي عملوها قبل الإسلام، وإن كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ؛ لأن الاسلام يَجُبُّ ما قبله ، ومنها القبائح التي عددناها .

والسيئات : جميع سيئة فَيْعِلة من السوء، أصلها : سَيْوِئَةَ ، صيغت على وزن فَيْعَلَة للمبالغة في قيام الوصف بالموصوف مثل قيّم وسيّد وصيقل و هيّن ،ففيها الدلالة على قوة وشدة القبح ، ويقابلها الحسنة، **مِنْ سَاءَ يَسُوءُ إِذَا قَبُحَ**، فسيئات: فيعلات، أي: قبيحات جدا ،التي يشتد تنكر النفس لها أو تكرّهها.

{ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65)}

في الآخرة مع ذلك جنات النعيم التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ينعمون فيها ، فلا تذهب السيئات عنهم فقط بل إنه سبحانه يثيبهم في الآخرة فيدخلهم جنات النعيم مع المسلمين في الآَخرة، وتكرير اللام لتأكيد الوعد .

وَإِضَافَةُ جَنَّاتِ إِلَى النَّعِيمِ تُفِيدُ مُلَازَمَةِ النَّعِيمِ لَهَا، فليس فيها إلا النعيم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال؛ ، فَلَا يَكُونُ فِيهَا مَا يكون فِي جَنَّاتِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَتَاعِبِ مِثْلُ الْحَرِّ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ أَوْ شِدَّةِ الْبَرْدِ أَوْ مثل الحشرات ، أَوْ مَا يُؤْذِي مِثْلُ شَوْكِ الْأَزْهَارِ وَالْأَشْجَارِ ، وأيضا في إضافة الجنات إلى النعيم تنبيه على ما يستحقونه من العذاب لو لم يؤمنوا ويتقوا .

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ

- المناسبة : لما بيّن سبحانه في الآية الأولى أنهم لو آمنوا لفازوا بسعادات الآخرة ، بين في هذه الآية أيضا أنهم لو آمنوا لفازوا بسعادات الدنيا ووجدوا طيباتها وخيراتها.
- والضمير في قوله : { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التوراة والإنجيل }: يعود إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين فتح الله لهم باب الإيمان ليدخلوا فيه كي ينالوا رضاه .

- الأصل في مادة (ق، و،م) انتصاب الشيء إلى أعلى ثابتا ومنه قيام الإنسان نحو { الذين يذكرون الله قياما وقعودا} {جدارا يريد أن ينقض فأقامه} { ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها} .
- فالقيام في اللغة هو: الانتصاب المضاد للجلوس والاضطجاع ، وللقيام لوازم عرفية مأخوذة من عوارضه اللازمة، فهي أكمل الأحوال وأحسنها وأتمها وأقدر حالات الإنسان على العمل، ولذلك أطلق مجازاً على الإتيان بالتوراة والإنجيل على أحسن أحوالهما وأكملهما من غير اعوجاج ولا تقصير وتوفية حقهما على أقوم الوجوه وأحسنها ، تشبيها بالقائم من الناس ، إذ هي أظهر هيئات المرء ، والإقامة إفعال منه ، والهمزة للتعدية .

وفي المراد بإقامة التوراة والإنجيل قولان:

- القول الأول:قالوا المراد بالإقامة بعد مجيء الإسلام : فالمراد بإقامتهما ، الاعتراف والإقرار بما فيهما من بشارات بصدق النبي صلى الله عليه وسلم و الإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بشرعه، وإذاعة ما فيهما من نعت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، والدعاء إليه بلا كتم ولا تحريف شيء منها ولا تغيير ولا حذف لهذه البشارات والإيفاء بالعهود والمواثيق التي أخذت عليهم ، وكذلك إقامة الأمور التي اتفقت عليها هذه الكتب من أمور لا تنسخ: من الإيمان بالله الواحد وبجميع رسله وكتبهم، وبما دعت إليه من أصول الأخلاق ، وليس المراد مراعاة جميع ما فيهما من الأحكام منسوخة كانت أو غيرها ، فإن ذلك ليس من الإقامة في شيء[348]، ، بل هي تعطيل لهما

---

[348] الذي نحن فيه غير الخلاف في أصول الفقه هل شرع من قبلنا شرع لنا : قال محمد بن الحسن بن العربيّ في الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلاميفقهنا مبتكر ليس مقتبسًا، فهو كالعلم المرتجل؛ إذ نبينا -صلى الله عليه وسلم- النبي الأمي، وأمته التي بُعِثَ فيها بدوية، لم تكن لها في زمن تكوين الفقه حضرية تتمكن بها من الاقتباس من الكتب قبلها، ففقهنا مقتبس من قرآننا وسنة نبينا، ناشيء بنشأتها.

أما من قال من علمائنا: إن شرع من قبلنا شرع لنا.

وردٌّ لشهادتهما ، لأنهما شاهدان بنسخ هذه الأحكام وانتهاءِ وقت العمل بها ، لأن شهادتهما بصحة القرآن الذي ينسخها شهادةٌ بنسخ العمل بهذه الأحكام التي في التوراة والإنجيل وخروجها عن كونها من أحكامهما ، وأن الأحكام التي يعمل بها هي ما قرره النبي الذي بُشَّرَ في التوراة والإنجيل ببعثه ، وذُكر في تضاعيفهما نعُوتُه ، فإذن إقامتُهما بيانُ شواهدِ النبوة والعملُ بما قررته الشريعة الإسلامية من الأحكام كما يُفصح عنه قوله تعالى : { وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ من ربّكمْ }[349] فإن إقامة كل الكتب الثلاثة لا تتأتّى بغير ذلك ..قال أبو السعود:" { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التوراة والإنجيل } بمراعاة ما فيهما من الأحكام التي من جملتها شواهدُ نبوةِ النبي صلى الله عليه وسلم ومبشراتُ بِعثتِه ، فإن إقامتهما إنما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الأحكام لانتساخِ بعضِها بنزول القرآن فليست مراعاةُ الكلِّ من إقامتهما في شيء"[350].

فليس مراده أننا نطالع توراتهم مثلًا ونقتبس منها الأحكام، فهذا لا قائل به، وإنما مرادهم أن ما ورد في القرآن والسنة حكاية عن وقائع الأمم السالفة ونوازلها الفقهية إذا لم يقيم دليل على نسخه يكون شرعًا لنا، لكون الشرع قرره ولم ينكره، فحكايته له وعدم إنكاره بمنزلة قوله: اعملوا به، كقوله تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} الآية1، أما كتب الكتابيين فلا يجوز لنا أن نأخذ منها الأحكام أصلًا، لقوله -عليه الصلاة والسلام: "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنًا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم" (1/ 76).

[349] قال أبو السعود في تفسير { (قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} أبو السعود -{ قُلْ يا أهل الكتاب } مخاطِباً الفريقين { لَسْتُمْ على شَيء } أيّ دينٍ يُعتدّ به ويليق بأن يسمى شيئاً لظهور بُطلانه ووضوح فساده ، وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غايةَ وراءه { حتى تُقِيمُوا التوراة والإنجيل } أي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الأمور التي من جملتها دلائلُ رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهدُ نبوته ، فإن إقامتهما إنما تكون بذلك ، وأما مراعاة أحكامهما المنسوخةِ فليست من إقامتهما في شيء ، بل هي تعطيل لهما وردٌّ لشهادتهما ، لأنهما شاهدان بنسخها وانتهاءِ وقت العمل بها ، لأن شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادةٌ بنسخها وخروجها عن كونها من أحكامهما ، وأن أحكامهما ما قرره النبي الذي بشَّرَ فيهما ببعثه ، وذُكر في تضاعيفهما نعُوتُه ، فإذن إقامتُهما بيانُ شواهدِ النبوة والعملُ بما قررته الشريعة من الأحكام كما يُفصح عنه قوله تعالى : { وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ من ربّكمْ } أي القرآن المجيد بالإيمان به ، فإن إقامة الجميع لا تتأتّى بغير ذلك ، وتقديمُ إقامةِ الكتابين على إقامته مع أنها المقصودةُ بالذات لرعاية حقِّ الشهادة واستنزالِهم عن رتبة الشِّقاق

[350] إرشاد العقل السليم (2 / 350).

- وقال الطبري:"فإن قال قائل : وكيف يقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، مع اختلاف هذه الكتب ونسخ بعضها بعضا ؟ قيل : وإن كانت كذلك في بعض أحكامها وشرائعها ، فهي متفقة في الأمر بالإيمان برسل الله والتصديق بما جاءت به من عند الله فمعنى إقامتهم التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم تصديقهم بما فيها والعمل بما هي متفقة فيه وكلّ واحد منها في الخبر الذي فرض العمل به"[351].

اختار هذا القول : الطبري و أبو حيان و مكي و الزمخشري و البيضاوي و أبو السعود والآلوسي والخازن والفخر الرازي و الشعراوي والسعدي و القاسمي و اطفيش في الهميان والتيسير و مكي و الواحدي والجلال والشوكاني والسمرقندي ، وجمهور العلماء.

القول الثاني:

قالوا المراد بالإقامة ا قبل مجيء الرسول صلى الله وسلم بدين الإسلام ، قالوا لأنه لما تكلم اليهود على التضييق عليهم والعسر الذي عبروا عنه بتلك الكلمة البذيئة في حق الله تعالى بقولهم: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} ، وما ذلك التضييق عليهم إلا بسبب انحرافهم واعوجاجهم الماضي ، بين لهم أن هذا من عدم استقامتهم في الماضي : {ولو أنهم أقاموا التوراة} :أي قبل إنزال الإنجيل بالعمل بجميع ما دعت إليه من أصل وفرع وثبات عليها وانتقال عنها { والإنجيل } أي بعد إنزاله كذلك – لصلحت حياتهم الدنيا ، ونمت وفاضت عليهم الأرزاق ، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق ، ووفرة النتاج ، وصلاح أمر الحياة . . ولكنهم لا يؤمنون ولا يتقون ولا يقيمون منهج الله – إلا قلة منهم في تاريخهم الطويل مقتصدة غير مسرفة على نفسها ، فمعنى إقامة التّوراة والإنجيل على هذا إقامة تشريعهما قبل الإسلام ، أي لو أطاعوا أوامر الله وعملوا بها سلموا من غَضَبه ولأغدق عليهم نعمَه ، فاليهود لم يقيموا أحكامها كما تقدّم آنفاً ، وكفروا بالإنجيل ورفضوه ، وذلك أشدّ في عدم إقامَته .

---

351 جامع البيان (10 / 462).

اختاره البقاعي و أبو زهرة وسيد قطب وأجازه ابن عاشور وبعض العلماء.

وَمَا أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ

القول الأول:

المراد بما أنزل إليهم من ربهم القرآن الكريم الذي نزل على قلب هذا النبي الذي بشرت به كتبهم الذي أكمل به الدين ؛ لأنهم لما خوطبوا به ، كان نازلا إليهم وإنزال الكتاب إلى أحد مجرد وصوله إليه ، وإيجاب العمل به وإن لم يكن الوحي نازلاً عليه ، والتعبير عن القرآن بـ(أنزل إليهم من ربهم} :

أ) للإيذان بوجوب إقامته عليهم لنزوله اليهم ، فهم مخاطبون به ، وهو منزل إليهم مع غيرهم ، وليسوا خارجين عن التكليف الذي دعا إليه ، ب) وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله إلى بني إسرائيل .

وتقديم { إِلَيْهِمُ } للاهتمام بالمقدم والتشويق للمؤخر، والتعبير بـ(ربهم) و إضافة الرب إلى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة إلى الإقامة لبيان أن هذا القرآن إنزال من الذي يربيهم بالنعم ويريد خيرهم ، ففي القرآن هدايتهم وسعادتهم والرزق الواسع من كل ناحية ، وفي إعادة هذه الجملة الكريمة مرتين { وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ} 66، 68، تأكيد لإرادة القرآن الكريم .

اختاره ابن عباس وأبو السعود والآلوسي وسيد طنطاوي والسمعاني والطبراني والطبري والجبائي والصابوني ومكي والقرطبي والفارسي والميسر ومحمد رشيد رضا وأبوز هرة والميسر والماوردي و البغوي القرطبي و الطبرسي .

القول الثاني:

المراد سائر ما أوحاه الله تعالىٰ إلىٰ أنبيائهم كزبور داود وحِكَم سليمان أشعياء ، وكتاب أرمياء ، وكتاب حزقيل وكتاب حبقوق بقافين وكتب دنيال ، وفي هذا الاحتمالان الماضيان:

أ) إما المراد بعد مجيء القرآن فالمراد الإيمان بما فيها من البشارة بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم وهي مملوءة بالبشائر بمبعثه صلىٰ الله عليه وسلم .

رجحه البقاعي وابو حيان والزمخشري و البيضاوي.

ب) أو المراد قبل الإسلام فالمراد أنهم لو أقاموها قبل البعثة المحمدية لعمهم الخير وأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .فهو ذم لهم بأنهم لم يقيموها ولا تدبروها ، وإنما كان الدين عندهم أماني يتمنونها ، وبدعا وتقاليد يتوارثونها . فهم بين غلو وتقصير ، وإفراط وتفريط . والمراد أن دهماءهم وسوادهم الأعظم كان كذلك كما يعلم من تواريخهم وتواريخ غيرهم.

الطباطبائي

القول الثالث: الجمع بين القولين

قوله : { وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِمْ مّن رَّبّهِمْ } من سائر كتب الله التي من جملتها القرآن ، فإنها كلها وإن نزلت علىٰ غيرهم ، فهي في حكم المنزلة عليهم لكونهم متعبدين بما فيها

الشوكاني وابن عجيبة وهميان الزاد وأجازه الآلوسي.

الترجيح: الراجح هو القول الأول الذي عليه الجمهور وهو أن المراد بما أنزل إليهم من ربهم هو القرآن الكريم ، والتعبير عنه بذلك لما ذكر هناك من الأسرار البلاغية ، ولأنه هو المناسب لسياق سورة المائدة التي موضوعها الإيفاء بالعقود التي بين الله وبين عباده أو بين الناس ، وما ذكرناه في علاقة الآية بما قبلها أخذا من علمائنا ، فالذي يدعوا له التأمل يوضح أن هذا هو الأرجح ، وإليك الآيات السابقة علىٰ هذه الآية ليتضح

الأمر كمال الاتضاح { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ـ ـ ـ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58) قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (59) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66) يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67) قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70)}

في دروزة في التفسير الحديث: "ومن المؤولين من صرف جملة : { وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ } إلى القرآن ومنهم من صرفها إلى كتب الله السابقة . والقول الأول معزو إلى ابن عباس . ونحن نراه الأوجه ؛ لأن ما أنزل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو منزل إلى الناس جميعا وأهل الكتاب من الجملة ، ويعضد هذا الآية الأولى من الآيتين التي تقرر بأنهم لو آمنوا لكفر الله عنهم سيئاتهم ؛ حيث إن المقصود إيمانهم برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن ويعضده ذكر التوراة والإنجيل قبل الجملة ، وتعضده أيضا الآيتان (15 ، 16) من هذه السورة ؛ حيث خوطب فيهما أهل الكتاب بأنه قد جاءهم من الله نور وكتاب مبين . وبهذا يزول ما يرد من إشكال في لوم أهل الكتاب على عدم إقامتهم التوراة والإنجيل وإيذانهم بأنهم لو أقاموا لحسنت حالتهم ، فالمطلوب منهم أو الواجب عليهم أن يقيموها ويقيموا في الوقت نفسه أحكام ما أنزل إليهم بواسطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن . وقد يرد إشكال آخر ، فما دام أن الدعوة الإسلامية موجهة إليهم ، وفي حال إيمانهم بها تكون الشريعة الإسلامية التي تقوم على القرآن والسنة النبوية القولية والفعلية هي شريعتهم ، فكيف يؤمرون والحالة هذه بإقامة التوراة والإنجيل ؟ وجوابا على هذا نقول : إن الآية قد جاءت في معرض التنديد لتقول لأهل الكتاب : إن ما أصابهم من ضيق وعسر إنما أصابهم لأنهم أيضا لم يقيموا أحكام كتبهم ويتبعوا وصاياها ، ومن جملة ذلك الإيمان برسالة النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم الواردة صفته في التوراة والإنجيل على ما شرحناه في سياق آية سورة الأعراف (157) التي تذكر ذلك" .

لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ

الجملة الكريمة استعارة عن سبوغ النعم عليهم ، وتوسعة الرزق عليهم ، { لأكلوا} : لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض و يكثر ثمرة الأشجار وغلة الزروع و يرزقهم الجنان اليانعة

الثمار من كل جانب وإدخال (من) لبيان جهة المأكول أنه من جهة الفوق والتحت ، وأنه يعمهم من جميع جهاتهم بحيث جعلوا مغمورين فيه مع القرب وفيها التأكيد ، والأكل من جميع الجهات كناية عن سبوغ النعمة وكثرتها وأنها عمتهم .[352]

مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞ:

بعد ذكر قبائح أهل الكتاب من التعدي عن حدود الله والكفر بآيات الله ونزول السخط واللعن على جماعتهم أن ذلك كله ، جاءت هذه الآية لتبين أنه إنما تلبس به أكثرهم وليسوا جميعهم ، وأن منهم أمة معتدلة ليست على هذا النعت وهذا من نصفة الكلام الإلهي حيث لا يضيع حقا من الحقوق ويراقب إحياء أمر الحق وإن كان قليلا .

فهذه الجملة مستأنَفةٌ مبنيّةٌ على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدّرتين بحرف الامتناع (لو) الدالتين على انتفاء الإيمان والاتقاءِ وإقامةِ الكتب المُنْزلة من أهل الكتاب ، كأنه قيل : هل كلُّهم كذلك مصرّون على عدم الإيمان ؟ ، فقيل : (منهم أمة مقتصدة)

القول الأول:

والأمة : الجماعة من الناس الذين يجمعهم دين واحد . أو جنس واحد . أو مكان واحد .

---

[352]قال البقاعي { لأكلوا } أي لتيسر لهم الرزق ، وعبّر بـ " من " لأن المراد بيان جهة المأكول لا الأكل { من فوقهم } ، ولما كان ذلك ، قال موضحاً له معبراً بالأحسن ليفهم غيره بطريق الأولى : { ومن تحت أرجلهم } أي تيسراً واسعاً جداً متصلاً لا يحصر ، أو يكون كناية عن بركات السماء والأرض ، فبين ذلك أنه ما ضربهم بالذل والمسكنة إلا تصديقاً

<u>قال أبو السعود</u> : ومفعول (أكلوا) محذوف بقصد التعميم ، أو للقصد إلى نفس الفعل كما في قوله : فلان يعطي ويمنع ، و(مِنۡ) في الموضعين لابتداء الغايةاطفيش – الهميان : { لأَكَلُوا مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِم } : من للابتداء ، والكلام عبارة عن توسيع الرزق ، كأنه قيل لأفيض عليهم الرزق من كل جهة ، وجعلوا مغمورين فيه ، فان هذا مما يعبر به عن توسيعه .

(مقتصدة): أي طائفة معتدلة ، من الاقتصاد وهو الاعتدال في أمر الدين لا تغلو بالإفراط ولا تهمل بالتقصير، والمراد به هنا : السير على الطريق المستقيم الذي يوصل إلى الحق والخير ، وهو طريق الإِسلام ، والمعنى : منهم جماعة مستقيمة على طريق الحق ، وهم من دخل منهم في الإِسلام واتبع ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه من اليهود وثمانية وأربعون من النصارى.

والاقتصاد من القصد وهو الاعتدال ، وهو افتعل بمعنى اعتمل واكتسب ففيها مبالغة أي مجتهدة في العدل لا غلو ولا تقصير .

{ وَكَثِيرٌ منهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ } أي مقولٌ في حقهم هذا القولُ ، وساء : أفادت الذم والتعجب أي بئسما يعملون وفيه معنى التعجب

{ وكثير منهم } أي بني إسرائيل { سآء ما يعملون } أي ما أسوأ عملهم الذي هم فيه مستمرون على تجديده ، من العِناد والمكابرةِ وتحريفِ الحق والإعراض عنه ، وهم الأجلافُ المتعصِّبون ككعبِ بن الأشرف وأشباهه والروم ففيه معنى التعجيب ، وهم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه ، وارتكبوا العظائم في عداوة الله ورسوله [353]

مجاهد والسدي وابن زيد واختاره الجبائي أبو السعود وسيد طنطاوي ودروزة واطفيش وأبو زهرة و الجلال و الآلوسي والبقاعي والقاسمي و الزمخشري و الواحدي و مكي و ابن جزي والبيضاوي و ابن الجوزي و القرطبي و أبو علي الجبائي.

---

[353] قال أبو حيان: فالجملة الأولى جاءت منهم أمة مقتصدة ، جاء الخبر الجار والمجرور ، والخبر الجملة من قوله : ساء ما يعملون ، وبين التركيبين تفاوت غريب من حيث المعنى ، وذلك أن الاقتصاد جعل وصفاً ، والوصف ألزم للموصوف من الخبر ، فأتى بالوصف اللازم في الطائفة الممدوحة ، وأخبر عنها بقوله : منهم ، والخبر ليس من شأنه اللزوم ولا سيما هنا ، فأخبر عنهم بأنهم من أهل الكتاب في الأصل ، ثم قد تزول هذه النسبة بالإسلام فيكون التعبير عنهم والإخبار بأنهم منهم ، باعتبار الحالة الماضية

وأما في الجملة الثانية فإنهم منهم حقيقة لأنهم كفار ، فجاء الوصف بالإلزام ، ولم يجعل خبراً ، وجعل خبر الجملة التي هي ساء ما يعملون ، لأن الخبر ليس من شأنه اللزوم ، فهم بصدد أن يسلم ناس منهم فيزول عنهم الإخبار بمضمون هذه الجملة

وهو الأصح ويدل عليه المضارع : يعملون: مستمرون على تجديده

القول الثاني:

والمقتصد يطلق على المطيع ، أي غيرُ مسرف بارتكاب الذنوب ، واقف عند حدود كتابهم ، لأنّه يقتصد في سَرف نفسه ، ودليل ذلك مقابلته بقوله في الشقّ الآخر { ساء ما يعملون } . وقد علم من اصطلاح القرآن التعبير بالإسراف عن الاسترسال في الذنوب ، قال تعالى : { قل يا عبادى الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله } [الزمر : 53] ، ولذلك يقابل بالاقتصاد ، أي الحذر من الذنوب ، واختير المقتصد لأنّ المطيعين منهم قبْل الإسلام كانوا غير بالغين غاية الطاعة ، كقوله تعالى : { فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مُقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله } [فاطر : 32] ، فالمراد هنا تقسيم أهل الكتاب قبل الإسلام لأنّهم بعد الإسلام قسمان سيّء العمل ، وهو من لم يسلم ؛ وسابق في الخيرات ، وهم الّذين أسلموا مثل عبد الله بن سَلاَم ومخيريق

القول الثالث: جمع بين القولين :

وقال مجاهد : المقتصدة مسلمة أهل الكتاب قديماً وحديثاً ، ونحوه قول ابن زيد : هم أهل طاعة الله من أهل الكتاب . وذكر الزجاج وغيره : أنها الطوائف التي لم تناصب الأنبياء مناصبة المتمرّدين المجاهدين قال ابن عطية وقال مجاهد : المقتصدة مسلمة أهل الكتاب قديماً وحديثاً . قال القاضي أبو محمد : وعلى هذا يتخرج قول الطبري : ولا يقول في عيسى إنه عبد رسول إلا مسلم ، وقال ابن زيد : هم أهل طاعة الله من أهل الكتاب ، وهذا هو المترجح ، وقد ذكر.

يقول علي هاني : للقارئ أن يأخذ بأي قول ورأي ذكره علماؤنا رحمهم الله للآية ، فكلها لا تؤدي إلى تعارض آيات القرآن الكريم ولا تعارض مسلمات وثوابت القرآن الكريم ، بل هي في الحقيقة على الأقوال التي عليها الجمهور دعوة وترغيب بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما يجب الإيمان به ودعوة للتقوى ، وللإيمان بالقرآن الذي أنزل إليهم ، فالآية عكس ما فسرها هؤلاء .

****

الآية الثانية : { (قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [المائدة : 68] يقال فى هذه الآية ما يقال فى سابقتها ◉ ولكى لا أطيل اكتفى نقل ما قاله أبو السعود رحمه فى تفسير الآية : قال رحمه الله :

"{ قُلْ يا أهل الكتاب } مخاطِباً الفريقين { لَسْتُمْ على شَىء } أيِّ دينٍ يُعتدّ به ويليق بأن يسمى شيئاً لظهور بُطلانه ووضوح فساده ، وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غايةَ وراءه { حتى تُقِيمُوا التوراة والإنجيل } أي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الأمور التي من جملتها دلائلُ رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهدُ نبوته ، فإن إقامتهما إنما تكون بذلك ، وأما مراعاة أحكامهما المنسوخةِ فليست من إقامتهما في شيء ، بل هي تعطيل لهما وردٌّ لشهادتهما ، لأنهما شاهدان بنسخها وانتهاءِ وقت العمل بها ، لأن شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادةٌ بنسخها وخروجها عن كونها من أحكامهما ، وأن أحكامهما ما قرره النبي الذي بشَّرَ فيهما ببعثه ، وذُكر في تضاعيفهما نعُوتُه ، فإذن إقامتُهما بيانُ شواهدِ النبوة والعملُ بما قررته الشريعة من الأحكام كما يُفصح عنه قوله تعالى : { وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ من ربّكمْ } أي القرآن المجيد بالإيمان به ، فإن إقامة الجميع لا تتأتّى بغير ذلك ، وتقديمُ إقامةِ الكتابين على إقامته مع أنها المقصودةُ بالذات لرعاية حقِّ الشهادة واستنزالِهم عن رتبة الشِّقاق ، وإيرادُه بعنوان الإنزال إليهم لما مرّ من التصريح بأنهم مأمورون بإقامته والإيمان به لا كما يزعُمون من اختصاصه بالعرب ، وفي إضافة الربِّ إلى ضميرهم ما أشير إليه من اللطف في الدعوة ، وقيل : المراد بما أُنزل إليهم كتبُ أنبياءِ بني إسرائيلَ كما مر ، وقيل : الكتبُ الإلهية فإنها بأسرها آمرةٌ بالإيمان لمن صدَّقَته المعجزةُ ناطقةٌ بوجوب الطاعة له . رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جماعةً من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألست تقرأ أن التوراة حقٌّ من عند الله تعالى ؟ فقال عليه السلام : «بلى » ، فقالوا : فإنا مؤمنون بها ولا نؤمنُ بغيرها فنزلت ، قوله تعالى : { وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً منهُم ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبّكَ طغيانا وَكُفْراً } جملة مستأنَفةٌ مبيِّنةٌ لشدة شكيمَتِهم وغُلوِّهم في المكابرة والعناد وعدمِ

إفادة التبليغ نفعاً ، وتصديرُها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولِها ، والمرادُ بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ، ونسبةُ الإنزال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر إليهم للإنباء عن انسلاخِهم عن تلك النسبة { فَلاَ تَأْسَ عَلَى القوم الكافرين } أي لا تتأسف ولا تحزن عليهم لإفراطهم في الطغيان والكفر بما تُبلّغه إليهم ، فإن غائلتَه آيلةٌ إليهم وتبِعَتَه حائقةٌ لا تتخطاهم ، وفي المؤمنين مندوحةٌ 40 لك عنهم ، ووضعُ المُظْهر موضعَ المُضمَرِ للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر "[354].

الآية الثالثة : { وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47) } في الآية الكريمة قولان مشهوران ، وأقوال [355]أقل شهرة وكلها يجوز للقارئ أن يأخذها قد قررها العلماء ، ولا تؤدي إلى تعارض آي القرآن:

القول الأول: وهو قول الجمهور: الطبري والواحدي والسمعاني والبغوي والزمخشري والطبرسي وابن الجوزي والقرطبي الثعالبي الجلالين والزمخشري و سيد طنطاوي وأبو زهرة وابن عاشور ورشيد رضا واطفيش .

[354] إرشاد العقل السليم (3 / 62).

[355] قد لخصها كلها أبو حيان قائلا:" { وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه } أمر تعالى أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه من الأحكام ويكون هذا الأمر على سبيل الحكاية ، وقلنا لهم : احكموا ، أي حين إيتائه عيسى أمرناهم بالحكم بما فيه إذ لا يمكن ذلك أن يكون بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ شريعته ناسخة لجميع الشرائع ، أو بما أنزل الله فيه مخصوصاً بالدلائل الدالة على نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الأصم ، أو بخصوص الزمان إلى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عبر بالحكم بما أنزل الله فيه عن عدم تحريفه وتغييره ، فالمعنى : وليقرأه أهل الإنجيل على الوجه الذي أنزل لا يغيرونه ولا يبدلونه ، وهذا بعيد ". البحر المحيط (4/ 280).

قالوا: لما كان السياق في ذكر التوراة وأنها حكم بها فترة ثم نسخت ، ثم أنزل الله الإنجيل وأمر أهلها أن يحكموا بها ثم نسخت بإنزال القرآن ثم أمر جميع الناس أن يحكموا به، فالكلام ظاهر في تقدير محذوف تقديره **"وقلنا"**:

{ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ} وهذا المحذوف من جملة ما أَنزل الله في الإِنجيل لا أَمر لهم بعد بعث سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم بالحكم بالإِنجيل ، والتقدير: وآتيناه الإنجيل **وقلنا لهم** في الإِنجيل وليحكم أَهل الإِنجيل بما أَنزل الله فيه من المواعظ والأَمثال ، فيكون هذا إخبارا عما فرض عليهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الإنجيل ، ثم حذف القول لأن ما قبله من قوله { وكتبنا وقفينا } يدل عليه ، وحَذْفُ القول كثيرٌ كقوله تعالى : { والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم } أي يقولون سلام عليكم ، ويؤيد هذا التقدير القراءة الأخرى في الآية بكسر اللام على أنها لام تعليل (ولـِيَحكم) أي : وآتيناه الإنجيل لِيَحكم أهلُ الإنجيل بما فيه.، فأما بعد نزول القرآن فـ(الإنجيل) منسوخ.

قال ابن عاشور:" ولا شكّ أنّ هذا الأمر سابق على مجيء الإسلام ، فهو ممّا أمر الله به الّذين أرسل إليهم عيسى من اليهود والنّصارى ، فعلم أنّ في الجملة قولاً مقدّراً هو المعطوف على جملة { وآتيناه الإنجيل } ، أي وآتيناه الإنجيل الموصوف بتلك الصّفات العظيمة ، وقلنا : ليحكم أهل الإنجيل ، فيتمّ التّمهيد لقوله بعده { ومن لم يحكم بما أنزل الله } ، فقرائن تقدير القول مُتظافِرة من أمور عدّة"[356]. وقال سيد قطب :"وقد جعل الله في الإنجيل هدى ونورا وموعظة للمتقين ، وجعله منهج حياة وشريعة حكم لأهل الإنجيل .أي إنه خاص بهم ، فليس رسالة عامة للبشر – شأنه في هذا شأن التوراة وشأن كل كتاب وكل رسالة وكل رسول ، قبل هذا الدين الأخير – ولكن ما طابق من شريعته – التي هي شريعة التوراة – حكم القرآن فهو من شريعة

[356] التحرير والتنوير (6/ 219).

القرآن . كما مر بنا في شريعة القصاص . وأهل الإنجيل كانوا إذن مطالبين أن يتحاكموا إلى الشريعة التي أقرها وصدقها الإنجيل من شريعة التوراة : (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) "[357].

وهناك أمر مهم نبه عليه أكثر من عالم أبي زهرة وهو أنه لو فرضنا عدم تقدير كلمة (قلنا) ، فإن الكلام لا يدل على بقاء شريعة الإنجيل للنصارى ، وذلك لأنه بعد بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاروا هم أهل القرآن؛ لأنهم هم الذين يخاطبون برسالته ومعهم غيرهم من الخليقة ، فكل الذين يدركون نبيا هم أهل رسالته التي يخاطبون بها ، لا فرق بين قريب دان ، فـ"أهل الإنجيل" توحي أن العمل بالإنجيل محدود ، والسياق يدل على ذلك دلالة بينة ويدعم هذا الفهم ، فقد أخبرتنا الآيات أنه سبحانه أنزل التوراة للذين هادوا فهذا يدل على أنها محدودة المدة في العمل والعمل بها مقصور عليهم ، ثم قال سبحانه { وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46)} ثم قال سبحانه { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} فالسياق بل النص الواضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه مأمورون بالحكم بالقرآن الكريم لأن الإنجيل مدته محدودة لأهل الإنجيل كما كانت مدة الذين هادوا كذلك فشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد نسخت ما يخالفها مما سبقها ، إذ شريعة القرآن هي المهيمنة على ما عداها ، كما قال تعالى : { وأنزلناك إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه } ، وهذه الهيمنة توجب العمل بما أقره القرآن ، وبطلان العمل بما نسخه منها، وأما أحكامُ الإنجيل المنسوخةُ فليس الحكمُ بها حكماً بما أنزل الله فيه بل هو إبطالٌ وتعطيلٌ لما أنزل الله ، إذ الإنجيل شاهدٌ بنسخ هذه الأحكام وانتهاءِ وقت العمل بها ، لأن شهادة الإنجيل بصحة القرآن شهادة بنسخها ، وبأن الأحكام التي يرتضيها الله هي أحكام ما بشر به الإنجيل وهو القرآن الذي شهد الإنجيل بصحته.

---

[357] ظلال القرآن (2/ 900).

القول الثاني:

قالوا هذا أمر لأهل الإنجيل بعد نزول القرآن الكريم أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عملا بالبشرى التي في الإنجيل، { وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنجيل بِمَا أَنزَلَ الله فِيهِ } أمرٌ مبتدأٌ لهم بأن يحكموا ويعملوا بما فيه من الأمور التي من جملتها دلائلُ رسالتِه عليه الصلاة والسلام وشواهدُ نبوته وما قرَّرت الشريعة الشريفةُ من أحكامه ، وأما أحكامُه المنسوخةُ فليس الحكمُ بهما حكماً بما أنزل الله فيه بل هو إبطالٌ وتعطيلٌ له ، إذ هو شاهدٌ بنسخها وانتهاءِ وقت العمل بها ، لأن شهادته بصحة ما ينسَخُها من الشريعة شهادةٌ بنسخها ، وبأن أحكامَه ما قرَّرتْه تلك الشريعةُ التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى : { قُلْ يا أهل الكتاب لَسْتُمْ على شَيء حتى تُقِيمُوا التوراة والإنجيل } [المائدة ، الآية 67] الآية .

أبو السعود وابن كثير والآلوسي والقاسمي

الراجح : هو الأول الذي عليه الجمهور ويعضده قراءة كسر اللام ، والسياق .

وعلى كل الأقوال ، يتضح أن ما استدل به الذين يجيزون لأهل التثليث من النصارى واليهود أن يعملوا بكتابهم بعد نزول القرآن ، وقالوا : لا يلزمهم العمل بالقرآن ـ يتضح أن هذا القول باطل عاطل لم يقل به أحد من علماء المسلمين قبل زماننا وليس عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا نقل عن أحد.

الدليل الثالث عشر: أن النَّبِيَّ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – قَاتَلَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى،

وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ، وَلَوْلَا أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ لَمَا كَانَ كَذَلِكَ، و القرآن أمر بقتالهم[358] { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29)} التوبة

[358] البحر المحيط، للزركشي (8/ 281)

الدليل الرابع عشر: أن هذه القول خارق لإجماع علماء المسلمين،

لم يسبقهم إليه أحد إلا أحد روايتين عن العنبري[359] وهو محجوج بمخالفة إجماع من قبله ومن بعده[360]، وصحح كثير من العلماء أن كلامه ليس في تَصْدِيقِ الرُّسُلِ وَإِثْبَاتِ حُدُوثِ الْعَالَمِ وَإِثْبَاتِ الصَّانِعِ، فَالْمُخْطِئُ فِيهِ غَيْرُ مَعْذُورٌ عنده أيضا .

---

[359] العَنْبَري(105 – 168 هـ = 723 – 785 م)عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري، من تميم: قاض، من الفقهاء العلما بالحديث.

من أهل البصرة. قال ابن حبان: من ساداتها فقها وعلما. ولي قضاءها سنة 157 هـ وعزل سنة 166 وتوفي فيها .

[360] قال الزركشي في البحر المحيط(8/ 281) :"فِي حُكْمِ الِاجْتِهَادِ: لَا يَخْلُو حَالُ الْمُجْتَهِدِ فِيهِ

إمَّا أَنْ تَتَّفِقَ عَلَيْهِ أَقْوَالُ الْمُجْتَهِدِينَ أَوْ تَخْتَلِفَ:

1) فَإِنْ اتَّفَقَتْ فَهُوَ إجْمَاعٌ يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ،

2) وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُهُمْ: فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي حُكْمٍ عَقْلِيٍّ أَوْ شَرْعِيٍّ:

الْأَوَّلُ – الْعَقْلِيُّ: أ) فَإِنْ كَانَ الْغَلَطُ مِمَّا يَمْنَعُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَرَسُولَهُ، كَمَا فِي إثْبَاتِ الْعِلْمِ بِالصَّانِعِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّوْحِيدِ، فَالْحَقُّ فِيهَا وَاحِدٌ، هُوَ الْمُكَلَّفُ، وَمَا عَدَاهُ بَاطِلٌ. فَمَنْ أَصَابَهُ أَصَابَ الْحَقَّ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ فَهُوَ كَافِرٌ.

ب) وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ [بأن لم يكن يمنع معرفة الله سبحانه ورسوله]، كَمَا فِي مَسْأَلَةِ الرُّؤْيَةِ وَخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَكَمَا فِي وُجُوبِ مُتَابَعَةِ الْإِجْمَاعِ وَالْعَمَلِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ، فَقَدْ أَطْلَقَ الشَّافِعِيُّ عَلَيْهِ اسْمَ (الْكُفْرِ) ، فَمِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ أَجْرَاهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَوَّلَهُ عَلَى كُفْرَانِ النِّعَمِ، وَصَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ فَاسِقٌ، لِعُدُولِهِ عَنْ الْحَقِّ.

هَذَا كُلُّهُ إذَا كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ دِينِيَّةً. أَمَّا مَا لَيْسَ كَذَلِكَ، كَمَا فِي وُجُوبِ تَرْكِيبِ الْأَجْسَامِ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ، وَانْحِصَارِ اللَّفْظِ فِي الْمُفْرَدِ وَالْمُؤَلَّفِ، فَلَا الْمُخْطِئُ فِيهِ آثِمٌ، وَلَا الْمُصِيبُ مَأْجُورٌ، إذْ يَجْرِي مِثْلُ هَذَا مَجْرَى الْخَطَأِ فِي أَنَّ مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ الْمَدِينَةِ أَوْ أَصْغَرَ.

وَقَالَ عُبَيْدُ اللهِّ بْنُ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيُّ قَاضِي الْبَصْرَةِ: كُلُّ مُجْتَهِدٍ فِي الْأُصُولِ مُصِيبٌ. وَنُقِلَ مِثْلُهُ عَنْ الْجَاحِظِ. وَيَلْزَمُ مِنْ مَذْهَبِ الْعَنْبَرِيِّ أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ مِنَ الْمُخَالِفِينَ فِي الدِّينِ مُخْطِئًا، وَأَمَّا الْجَاحِظُ فَجَعَلَ الْحَقَّ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَاحِدًا، وَلَكِنَّهُ يَجْعَلُ الْمُخْطِئَ فِي جَمِيعِهَا غَيْرَ آثِمٍ.

أَمَّا رَأْيُ الْعَنْبَرِيِّ فَبَيِّنَ الِاسْتِحَالَةِ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ أَنَّ الْعَالَمَ قَدِيمٌ وَأَنَّهُ مُحْدَثٌ، وَأَمَّا [رَأْيُ] الْجَاحِظِ فَبَاطِلٌ، فَإِنَّ النَّبِيَّ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – قَاتَلَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ، وَلَوْلَا أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ لَمَا كَانَ كَذَلِكَ. قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ: وَكَانَ ابْنُ الْعَنْبَرِيِّ يَقُولُ فِي مُثْبِتِي الْقَدَرِ: هَؤُلَاءِ عَظَّمُوا اللهَّ، وَفِي نَافِي الْقَدَرِ: هَؤُلَاءِ نَزَّهُوا اللهَّ، وَقَدْ اُسْتُبْشِعَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَقْتَضِي تَصْوِيبَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَسَائِرِ الْكُفَّارِ فِي اجْتِهَادِهِمْ، قَالَ: وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أُصُولَ الدِّيَانَاتِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا أَهْلُ الْقِبْلَةِ، كَالرُّؤْيَةِ وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ وَنَحْوِهِ. وَأَمَّا مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ، كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ، فَهَذَا مِمَّا يُقْطَعُ فِيهِ بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ قُلْت: وَهَذَا أَحَدُ الْمَنْقُولَاتِ عَنْهُ. قَالَ الْقَاضِي فِي " مُخْتَصَرِ التَّقْرِيبِ ": اخْتَلَفَتْ الرِّوَايَةُ عَنْ الْعَنْبَرِيِّ فَقَالَ فِي أَشْهَرِ الرِّوَايَتَيْنِ: إنَّمَا أُصَوِّبُ كُلَّ مُجْتَهِدٍ فِي الدِّينِ تَجْمَعُهُمْ الْمِلَّةُ. وَأَمَّا الْكَفَرَةُ فَلَا يُصَوَّبُونَ.

وَغَلَا بَعْضُ الرُّوَاةِ عَنْهُ فَصَوَّبَ الْكَافِرِينَ الْمُجْتَهِدِينَ دُونَ الرَّاكِنِينَ إلَى الْبِدْعَةِ. وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ مَعَهُمَا مُخْتَصَرًا فَنَقُولُ: أَنْتُمَا (أَوَّلًا) مَحْجُوجَانِ بِالْإِجْمَاعِ قَبْلَكُمَا وَبَعْدَكُمَا. و (ثَانِيًا) إذَا أَرَدْتُمَا بِذَلِكَ مُطَابَقَةَ الِاعْتِقَادِ لِلْمُعْتَقَدِ فَقَدْ خَرَجْتُمَا عَنْ حَيِّزِ الْعُقَلَاءِ وَانْخَرَطْتُمَا فِي سِلْكِ الْأَنْعَامِ. وَإِنْ أَرَدْتُمَا الْخُرُوجَ عَنْ عُهْدَةِ التَّكْلِيفِ وَنَفْيِ الْحَرَجِ – كَمَا نُقِلَ عَنْ الْجَاحِظِ – فَالْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ الْخَارِجَةِ عَنْ حَدِّ الْحَصْرِ تَرُدُّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ. وَأَمَّا تَخْصِيصُ التَّصْوِيبِ بِالْمُجْمِعِينَ عَلَى الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَنَقُولُ: مِمَّا خَاضَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَعْظُمُ خَطَرُهُ. وَأَجْمَعُوا قَبْلَ الْعَنْبَرِيِّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ إدْرَاكُ بُطْلَانِهِ. وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي " الْمَنْخُولِ ": لَعَلَّهُ أَرَادَ خَلْقَ الْأَفْعَالِ وَخَلْقَ الْقُرْآنِ، إذْ الْمُسْلِمُ لَا يُكَلَّفُ الْخَوْضَ فِيهِ، بِخِلَافِ قِدَمِ الْعَالَمِ وَنَفْيِ النُّبُوَّاتِ، وَهُوَ مَعَ هَذَا فَاسِدٌ، فَإِنَّ اعْتِقَادَ الْإِصَابَةِ الْمُحَقَّقَةِ عَلَى هَذَا مُحَالٌ. وَقَالَ إلْكِيَا: ذَهَبَ الْعَنْبَرِيُّ إلَى أَنَّ الْمُصِيبَ فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَاحِدٌ، وَلَكِنْ مَا يَتَعَلَّقُ بِتَصْدِيقِ الرُّسُلِ وَإِثْبَاتِ حُدُوثِ الْعَالَمِ وَإِثْبَاتِ الصَّانِعِ، فَالْمُخْطِئُ فِيهِ غَيْرُ مَعْذُورٍ. وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْقَدَرِ وَالْجَبْرِ وَإِثْبَاتِ الْجِهَةِ وَنَفْيِهَا فَالْمُخْطِئُ فِيهِ غَيْرُ مَعْذُورٍ وَلَوْ كَانَ مُبْطِلًا فِي اعْتِقَادِهِ بَعْدَ الْمُوَافَقَةِ بِتَصْدِيقِ الرُّسُلِ وَالْتِزَامِ الْمِلَّةِ، وَبَيَّنَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْخَلْقَ مَا كُلِّفُوا إلَّا اعْتِقَادَ تَعْظِيمِ اللهَّ وَتَنْزِيهِهِ مِنْ وَجْهٍ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَبْحَثْ الصَّحَابَةُ عَنْ مَعْنَى الْأَلْفَاظِ الْمُوهِمَةِ لِلتَّشْبِيهِ، عِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّ اعْتِقَادَهَا لَا يَجُرُّ حَرَجًا. وَقَالَ ابْنُ بَرْهَانٍ: لَعَلَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ مَعْذُورٌ فِي اجْتِهَادِهِ، وَلَكِنْ عَبَّرَ عَنْهُ بِالْمُصِيبِ. وَالَّذِي نَقَلَهُ الْإِمَامُ عَنْهُمَا الْجَوَازُ فِي الْأُصُولِ مُطْلَقًا بِمَعْنَى حَطِّ الْإِثْمِ، لَا بِمَعْنَى الْمُطَابَقَةِ لِلْحَقِّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، إذْ فِيهِ الْجَمْعُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، وَهُوَ مُحَالٌ. وَمَا ذَكَرَاهُ لَيْسَ بِمُحَالٍ عَقْلًا، لَكِنَّهُ مُحَالٌ شَرْعًا، لِلْإِجْمَاعِ عَلَى تَخْلِيدِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ، وَلَوْ كَانُوا غَيْرَ آثِمِينَ لَمَا

سَاغَ ذَلِكَ. وَأَمَّا ابْنُ فُورَكٍ فَنُقِلَ عَنْهُ ذَلِكَ فِيمَا يُمْكِنُ فِيهِ التَّأْوِيلُ، نَحْوُ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ وَالْإِرْجَاءِ. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي " الشِّفَاءِ ": ذَهَبَ الْعَنْبَرِيُّ إِلَى تَصْوِيبِ أَقْوَالِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي أُصُولِ الدِّينِ فِيمَا كَانَ عُرْضَةً لِلتَّأْوِيلِ وَحَكَى الْقَاضِي ابْنُ الْبَاقِلَّانِيِّ مِثْلَهُ عَنْ دَاوُد بْنِ عَلِيٍّ الْأَصْفَهَانِيِّ، وَحَكَى قَوْمٌ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا ذَلِكَ فِيمَنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْ حَالِهِ اسْتِفْرَاغَ الْوُسْعِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا وَغَيْرِهِمْ. وَقَالَ الْجَاحِظُ نَحْوَ هَذَا الْقَوْلِ. وَتَمَامُهُ فِي أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَامَّةِ وَالنِّسَاءِ وَالْبُلْهِ مُقَلِّدَةِ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ لَا حُجَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ طِبَاعٌ يُمْكِنُ مَعَهَا الِاسْتِدْلَالُ، وَقَدْ نَحَا الْغَزَالِيُّ قَرِيبًا مِنْ هَذَا الْمَنْحَى فِي كِتَابِ " التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالزَّنْدَقَةِ " وَقَائِلُ هَذَا كُلِّهِ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى كُفْرِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ، وَكُلُّ مَنْ فَارَقَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ وَوَقَفَ فِي تَكْفِيرِهِمْ أَوْ شَكَّ، لِقِيَامِ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ عَلَى كُفْرِهِمْ. فَمَنْ وَقَفَ فِيهِ فَقَدْ كَذَّبَ النَّصَّ. انْتَهَى.

وَمَا نَسَبَهُ لِلْغَزَالِيِّ غَلَطٌ عَلَيْهِ، فَقَدْ صَرَّحَ بِفَسَادِ مَذْهَبِ الْعَنْبَرِيِّ، كَمَا سَبَقَ عَنْهُ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ وَالَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ فِي كِتَابِ " التَّفْرِقَةِ " هُوَ قَوْلُهُ: إِنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ مِنْ نَصَارَى الرُّومِ أَوْ التُّرْكِ أَنَّهُمْ مَعْذُورُونَ، وَلَيْسَ فِيهِ تَصْوِيبُهُمْ، وَالْكَلَامُ إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ وَعَانَدَ. وَإِنَّمَا نَبَّهْت عَلَى هَذَا لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِهِ الْوَاقِفُ عَلَيْهِ. وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: مَا نُقِلَ عَنْ الْعَنْبَرِيِّ وَالْجَاحِظِ إِنْ أَرَادَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ مُصِيبٌ لَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَهُوَ بَاطِلٌ قَطْعًا، لِأَنَّ الْحَقَّ مُتَعَيَّنٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالْمُتَفَاضِلَانِ لَا يَكُونَانِ حَقَّيْنِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ أَنَّ مَنْ بَذَلَ الْوُسْعَ وَلَمْ يُقَصِّرْ فِي الْأُصُولِيَّاتِ أَنَّهُ يَكُونُ مَعْذُورًا غَيْرَ مُعَاقَبٍ فَهَذَا أَقْرَبُ وَجْهًا، لِكَوْنِهِ نَظَرِيًّا، وَلِأَنَّهُ قَدْ يُعْتَقَدُ فِيهِ أَنَّهُ لَوْ عُوقِبَ وَكُلِّفَ بَعْدَ اسْتِفْرَاغِهِ غَايَةَ الْجُهْدِ لَزِمَ تَكْلِيفُهُ لِمَا لَا يُطَاقُ. وَقَالَ فِي " شَرْحِ الْإِلْمَامِ ": يُمْكِنُ أَنْ يُجِيبَ الْعَنْبَرِيُّ عَمَّا رُدَّ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ تَبْيِيتِ الْمُشْتَرَكِينَ وَاغْتِرَارِهِمْ وَعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ بِالْفَرْقِ بَيْنَ الْمُعَانِدِ وَغَيْرِهِ، فَلَهُ أَنْ يَقُولَ: الْمُكَلَّفُ مِنْهُ مَعَ إِمْكَانِ النَّظَرِ بَيْنَ مُعَانِدٍ وَمُقَصِّرٍ، وَأَنَا أَقُولُ بِهَلَاكِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. هَذَا إِنْ كَانَ مَا قَالَا بِنَاءً عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ. وَأَمَّا الَّذِي حُكِيَ عَنْهُ مِنَ الْإِصَابَةِ فِي الْعَقَائِدِ الْقَطْعِيَّةِ فَبَاطِلٌ قَطْعًا، وَلَعَلَّهُ لَا يَقُولُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَأَمَّا الْمُخْطِئُ فِي الْأُصُولِ وَالْمُجَسِّمَةِ: فَلَا شَكَّ فِي تَأْثِيمِهِ وَتَفْسِيقِهِ وَتَضْلِيلِهِ. وَاخْتُلِفَ فِي تَكْفِيرِهِ. وَلِلْأَشْعَرِيِّ قَوْلَانِ. قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَابْنُ الْقُشَيْرِيِّ وَغَيْرُهُمَا: وَأَظْهَرُ مَذْهَبَيْهِ تَرْكُ التَّكْفِيرِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْقَاضِي فِي كِتَابِ " إِكْفَارِ الْمُتَأَوِّلِينَ ": وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: رَجَعَ الْأَشْعَرِيُّ عِنْدَ مَوْتِهِ عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، لِأَنَّ الْجَهْلَ بِالصِّفَاتِ لَيْسَ جَهْلًا بِالْمَوْصُوفَاتِ. وَقَالَ: اخْتَلَفْنَا فِي عِبَارَةٍ وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ وَاحِدٌ. وَالْخِلَافُ فِيهِ وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا كَمَا قَالَهُ ابْنُ الْقُشَيْرِيِّ، وَكَانَ الْإِمَامُ أَبُو سَهْلٍ الصُّعْلُوكِيُّ: لَا يُكَفِّرُ، قِيلَ لَهُ: أَلَا تُكَفِّرُ مَنْ يُكَفِّرُك؟ فَعَادَ إِلَى الْقَوْلِ بِالتَّكْفِيرِ. وَهَذَا مَذْهَبُ الْمُعْتَزِلَةِ، فَهُمْ يُكَفِّرُونَ خُصُومَهُمْ وَيُكَفِّرُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ الْآخَرَ. قَالَ الْإِمَامُ: وَمُعْظَمُ الْأَصْحَابِ عَلَى تَرْكِ التَّكْفِيرِ. وَقَالُوا: إِنَّمَا نُكَفِّرُ مَنْ جَهِلَ وُجُودَ الرَّبِّ، أَوْ عَلِمَ وُجُودَهُ وَلَكِنْ فَعَلَ فِعْلًا، أَوْ قَالَ قَوْلًا، أَجْمَعَتْ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَصْدُرُ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ كَافِرٍ. وَمَنْ قَالَ بِتَكْفِيرِ الْمُتَأَوِّلِينَ يَلْزَمُهُ أَنْ يُكَفِّرَ أَصْحَابَهُ فِي نَفْيِ الْبَقَاءِ أَيْضًا، كَمَا يُكَفِّرُ

الدليل الخامس عشر :جميع الأنبياء أخذ عليهم وعلى أممهم الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم .

جميع الأنبياء أخذ عليهم الميثاق الغليظ المشدد أنه إذا بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه أو إذا بعث نبي بعدهم أن يؤمنوا به على اختلاف الرأيين في تفسير الآية الآتية ، وهذا في الحقيقة عهد لأتباع الأنبياء ، فالأنبياء وأتباعهم مأخوذ عليهم العهد بالإيمان بنبينا ، لأن الله سبحانه كان يرسل الأنبياء لأقوامهم ، فإذا جاء رسول آخر فالمتوقع أن يتمسك كل بدينه القديم ، فلأجل أن لا يحصل هذا ، أخذ الله الميثاق على كل نبي أنه إذا بعث الله نبيا آخر أن تتبعه أنت ومن معك ، والمراد الحقيقي أمته ، تأكيدا لوجوب اتباعه ، لأجل أن لا يعملوا كما عمل اليهود مع سيدنا عيسى وكما عمل اليهود والنصارى مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس المراد فقط أن يؤمنوا به بل أن يتبعوه اتباعا تاما وأعظم ذلك أن ينصروه .

{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82)} آل عمران

وهذه الآية الكريمة لو لم يوجد غيرها في الرد على من يقول: يجوز أن يبقى اليهود والنصارى وغيرهم على دينهم أو أنه لا يجب عليهم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم بل يكفي الايمان به ـ أقول لو لم يوجد غير هذه الآية في الرد عليهم لكفت ولأخرست كل ناعق ، فهي نص صريح جدا لا يقبل مثل هذه الاحتمالات والترهات التي يقولها هؤلاء ويرد عليهم ردا مسكتا .

فِي نَفْيِ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا. قُلْت: وَقَدْ أَطْلَقَ الشَّافِعِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ – تَكْفِيرَ الْقَائِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، لَكِنَّ جُمْهُورَ أَصْحَابِهِ تَأَوَّلُوهُ عَلَى كُفْرَانِ النِّعْمَةِ، كَمَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ."

وزيادة في البيان أذكر تفسر الآية حتى تتضح اتضاحا تاما، تكون ختام الأدلة والقول الفصل في موضوعنا.

علاقة الآية بما قبلها ومقصودها :

بين سبحانه وتعالى فيما مضى من سورة آل عمران أن التولي عن الرسل كفر، و بين أحوال اليهود الذين عاصروا الرسالة المحمدية ،وكيف كانوا يتعصبون لما عندهم ، وينكرون رسالة النبي صلى الله عليه وسلم تشددا في التمسك بما عندهم ، فهم يقولون: نؤمن بما أنزل علينا ، فبين الله سبحانه خطأهم في هذا ، وأن الله تعالى أخذ الله الميثاق من جميع الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا بكل نبي يأتيهم تأخر عنهم وينصروه(361)، وأشهدهم عليه، فمهما جاءهم رسول مصدق لما معهم ومهما أوتي من علم وحكمة ورسالة وإن عظم أمره وبلغ أن يؤمنوا به وينصروه ، وأخذ الميثاق منهم على ذلك ، وحكم تعالى بأن من تولى عن ذلك الميثاق ولم يعمل به كان من الفاسقين ، وهذا لكي لا يرفض أحد رسالة النبي الذي يأتي ناسخا لشرع من قبله لكن اليهود والنصارى لم يوفوا بهذا الميثاق وكفروا بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاءهم مصدقا لما معهم ، وهذا يدل على ظلمهم وعنادهم ، فبدل أن يؤمنوا به وينصروه كما أخذ الميثاق عليهم خالفوه وحاربوه وحرفوا ، وكانوا أول كافر به ، وما وفوا بالعهد والميثاق، الذي يصور حقيقة الترابط بين موكب الرسل والرسالات متصلا متساندا مستسلما ، ينتدب لها المختار من عباد الله ؛ ثم يسلمها إلى المختار بعده اللاحق به، و الوحدة في الرسالة الإلهية ينبني عليه فسوق من يتولى عن اتباع آخر الرسالات ،لقد أخذ الله – سبحانه – موثقا رهيبا جليلا كان هو شاهده وأشهد عليه رسله ، موثقا على كل رسول، والتعبير القرآني يطوي الأزمنة المتتابعة بين الرسل ؛ ويجمعهم كلهم في مشهد ، والله الجليل الكبير يخاطبهم جملة : هل أقروا هذا الميثاق وأخذوا عليه عهد الله الثقيل : هذا المشهد الهائل الجليل ، يرسمه التعبير ، فيجف له القلب ويجب لكن هؤلاء اليهود والنصارى كانوا على نقيض هذا الميثاق.

---

[361] وأيضا : النبيون بعد ما آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة لا يتأتى لهم أن يدعوا إلى الشريك وكيف يتأتى لهم ذلك ؟ وقد أخذ منهم الميثاق على الإيمان والنصرة لغيرهم من النبيين الذين يدعون إلى توحيد الله سبحانه.

إذ:

الظرف منصوب بفعل مقدر مخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم أي : اذكر يا محمد وقت أن أخذ الله الميثاق من النبيين .

{ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ }:

أخذ الله ميثاق جميع النبيين الذي أعطوه لله سبحانه في الإيمان بالرسول الذي يأتي من بعدهم ، أو بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما لزمهم ذلك فأولى أن يلزمهم بواسطتهم بل هم المقصودون أصالة إذ كل أمة يجب أن تصدق بما جاءها به نبيها ، بدليل قوله : { فمن تولّى بعد ذلك } إلخ إذ لا يجوز على الأنبياء التولّي والفسق وهذا الوصف لا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما المقصود أممهم ، وإنما أخذ على الأنبياء أنفسهم تغليظا على أممهم وتأكيدا ليَكون هذا الميثاق محفوظاً لدى سائر الأجيال مراعى يشعر بعظمته كل أحد ، والعهد مع المتبوع عهد مع التابع ، فميثاق النبيين على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والمقصود أصالة أممهم من باب أولى ، وأيضا هذا أعلى وأشرف لقدره صلى الله عليه وسلم من أخذه على أممهم وأقوامهم.

<u>الميثاق:</u> العقد المؤكد المحكم بيمين المؤكد تأكيدا كثيرا بحيث يربط ويوثق الذي يعطيه نفسه به ويجعل الذي أمامه يثق بما يقول ويعتمد عليه فيوجب أمنا شديدا ووثوقا واطمئنانا ، مأخوذ من الوثاق، وهو ما يشد به ويوثق.

لما آتيتكم :

في اللام قراءتان: بالفتح (لَمَا) وهي قراءة أكثر القراء، وبالكسر (لِمَا) وهي قراءة حمزة

أولا: توجيه قراءة الفتح:

في توجيه فتح اللام قولان:

القول الأول:

اللام في (لما) ابتدائية ، و(ما): اسم موصول مبتدأ ، و(آتيتكم) صلة الموصول، والعائد على الموصول محذوف والتقدير : لما آتيتكموه ، وخبره قوله: { لتؤمنن به }، والتقدير : للذي آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ـ لتؤمنن به ، وفي لتؤمنن به لام القسم لأنّ أخذ الميثاق في معنى اليمين ، والمجموع بيان للميثاق المأخوذ، والمعنى : للذي آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم آمنتم به ونصرتموه البتة .

القول الثاني:وهو الأصح

(ما): شرطية ، فتكون في محل نصب على المفعول به للفعل بعدها ، (آتيتكم)، و(آتيتكم): فعل الشرط في محل جزم ، وهذا الفعل مستقبل معنى لكونه في حيز الشرط ، و{ ثم جاءكم } في محل جزم بالعطف على { ءاتيتكم } ، اللام في (لما): موطئة للقسم تشعر بأن في الكلام قسما تضمنته سابقها ، وجملة القسم (لتؤمنن): سادة مسد سادّ مسدّ جواب القسم والشرط جميعاً ؛ واللام في قوله { لتؤمنن به } واقعة في جواب القسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وهو كما تقول في الكلام : أخذت ميثاقك لتفعلن كذا ، كأنك قلت استحلفك ، والمعنى لئن آتيتكم ومهما آتيتكم شيئا من كتاب وحكمة وإن عظم أمره وبلغ أيّ مبلَغ ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، فالأساس في الموافقة أنه إن جاء كتاب الرسالة ،وشريعتها التي هي حكمتها الحاكمة هو أن تؤمنوا بكل رسول يجئ بعدكم مصدقا لما معكم كإيمانكم بكتابكم ، وجعل (ما) شرطية أحسن لأن دخول اللام الموطئة على الشرطية أشهر ، والمعنى عليه أسلس وأوضح ، والشرط في موارد المواثيق أعرف.

وهو اختيار سيبويه والمازني والزجاج الواحدي الزمخشري .

ثانيا : القراءة الثانية بكسر اللام :

اللام للتعليل علّل جواب القسم { لتؤمنن}، أي لتؤمنن لأجل كذا وهي حرف جر متعلق بقوله : { لتؤمننّ به }.

و(ما) عليه :

أ) **إما موصولة**: والتقدير عليه : أخذ الله سبحانه وتعالىٰ الميثاق علىٰ النبيين لتؤمنن به ولتنصرنه لأجل الكتاب الذي نزل عليكم والحكمة التي علمكم إياها ، شكراً علىٰ ما آتيتُكم ، لأن من يؤتىٰ الكتاب والحكمة فإن اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق سائر الأنبياء والرسل لأنهم الأفاضل ، وخيار الناس، { لتؤمنن} بأنه من شكر نعمة الإيتاء والتصديق .

ب) **أو مصدرية** : والتقدير عليه: أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه ، لأجل أني آتيتكم الحكمة ، وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب ، ثم مجيء رسول مصدق له أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه .

مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ

(مِن): بيان للموصول وصلتِه ، دخلت تبيينا (لما) كقولك : ما عندي من القمح رطل ، وهذا خاتم من فضة ، وهي تفيد فائدتين في مثل هذا السياق :البيان والتعميم ، مثل { وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} ، ويكون علىٰ المعنىٰ هذا تقديره : إن الله تعالىٰ قال لهم : مهما أو إن أوتيتم كتابا وحكمة وإن عظم أمره وبلغ ما بلغ، ثم يجيئكم به رسول مصدق لما معكم من ذلك الكتاب والحكمة ، والله لتؤمنن به ، ولتنصرنه . فأقروا بذلك ، وأعطوا عليه مواثيقهم" وعبارة ابن كثير والمنار والمراغي[362] تشير للسر البلاغي في

---

[362] وكذلك يشير له عبارة السمرقندي والثعلبي والسمين والطوسي والطبرسي ، قال الثعلبي ، والمعنىٰ : أي كتاب آتيتكم ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ، للاّم في قوله لتؤمننّ به .قال السمرقندي ، ومعناه فما آتيتكم يعني ، أي كتاب آتيتكم لتؤمنوا به قال ، الطوسي: وتقديره أي شئ آتيتكم . ومهما آتيتكم ، قال الطوسي: " وتقديره أي شئ آتيتكم ، ومهما آتيتكم" التبيان (2/ 513)، السمين الحلبي: وقوله : { مِّن كِتَابٍ } كقوله : { مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ } [البقرة : 106]

التعبير بـ(ما) وتنكير كتاب وحكمة حيث قال ابن كثير :" يخبر تعالىٰ أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم ، عليه السلام ، إلىٰ عيسىٰ ، عليه السلام ، لَمَهْمَا آتىٰ الله أحدَهم من كتاب وحكمة ، وبلغ أيّ مبلَغ ، ثم جاءه رسول من بعده ، ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه ، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته"[363] ، وقال رشيد رضا :"وهي أن الله تعالىٰ أخذ الميثاق علىٰ جميع النبيين وعلىٰ أتباعهم بالتبع لهم بأن ما يعطونه من كتاب وحكمة وإن عظم أمره فالواجب عليهم أن يؤمنوا بمن يرسل من بعدهم مصدقا لما معهم منه وأن ينصروه"[364].

والحكمة: إتقان العلم ومعرفة الحقائق علىٰ ما هي عليه دون غلظ ولا اشتباه وإجراء الفعل علىٰ وفق ذلك العلم ، و الإصابة في القول والعمل ووضع كل شيء موضعه، بحيث يحفظهم في صراطي معاشهم ومعادهم من الزيغ ، ومن ذلك العِلم بالله ودقائق شرائعه ومعاني كتابه وتفصيل مقاصده ، وما تكمل به النفوس من المعارف والأحكام وأسرار الشريعة ومقاصدها ، مأخوذة من الحَكَمة – بالتحريك – وهي ما أحاط بحنكي الفرس من اللجام لمنعه من الانحراف والزيغ ، وفي ذلك معنىٰ ما يضبط به الشيء ، و الحكمة تمنع صاحبها من الوقوع في الغلط والضلال.

يقول علي هاني: وقد نص ابن عاشور في موضع آخر علىٰ أن من البيانية في مثل هذا تفيد أيضا فائدتين: البيان والتعميم.وهذا الرأي أي جعل من بيانية تفيد مع التنكير التعميم والتعظيم أفضل من رأي الزمخشري والبيضاوي والقونوي حيث قال: الزمخشري –وقرأ حمزة : «لما آتيتكم » . بكسر اللام ومعناه : لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة قال القونوي: أشار به إلىٰ أن من تبعيضية باعتبار كل واحد لكن لا يختص بقراءة حمزة فالتنبيه عليه هناك أولىٰ نعم في صورة كون ما شرطية من بيانية لكن ملاحظ فيه التبعيض .

[363] تفسير ابن كثير (2/ 67) .

[364] المنار (3/ 288).

فحاصل الكلام أنه – تعالى – أوجب على جميع الأنبياء الإيمان بكل رسول جاء مصدقا لما معهم ، ولا شك أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم قد جاء مصدقا لما معهم فوجب على الجميع أن يؤمنوا به " .

ثُمَّ :

للتراخي الزمني ، أي مهما تراخى مجيء الرسول لا بد من الإيمان به فلا يقال نحن من ألف سنة على هذا الشرع فكيف نغيره ، فـ(ثم) لدفع شبهتهم من أنهم على شرعهم من قديم .

جَاءَكُمْ رَسُولٌ [365]

أي من عندي، ثم وصفه بما يعلم أنه من عنده (مصدق لما معكم)، وذلك بأن أتى بدين وكتاب موافق لما معكم في العقائد، والأخلاق ، والأصول.

وأضاف الرازي والخازن وجها آخر في التصديق وهو : أن الله وصفه في كتب الأنبياء المتقدمة وشرح فيها أحواله فإذا جاءت صفاته وأحواله مطابقة في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقاً لها فيجب الإيمان به والانقياد

وفي المراد بالرسول قولان :

القول الأول: المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم **أخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بمحمد عليه السلام وينصروه إن أدركوه ، وينصره إن أدركه ، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء ، فأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه ، وهذا احتجاج على اليهود ، قال**

---

[365] قال الطباطبائي: "ومن اللطائف الواقعة في الآية أن الميثاق مأخوذ من النبيين للرسل على ما يعطيه قوله : { وإذ أخذ الله ميثاق النبيين } – إلى قوله : – { ثم جاءكم رسول } ، ومعلوم أن الرسول أخص مصداقا من النبي ، فعلى ظاهر ما يفيده اللفظ يكون الميثاق مأخوذا من مقام النبوة لمقام الرسالة من غير دلالة على العكس" .

عليّ كرّم الله وجهه :" ما بعث الله نبياً إلاَّ أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمره بأخذ العهد على قومه فيه بأن يؤمنوا به وينصروه إن أدركوا زمانه[366]" وهذا غاية التشريف للرسول عليه السلام ، فهو أوحد الكافة في الرتبة ،

واللفظ وإن كان نكرة فالإشارة إلى معين، والتنكير للتعظيم والوحدة وليس للجنس ، كقوله تعالى : " وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة " إلى قوله : " ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه "

اختاره : علي وابن عباس وقتادة والسدي و ابن جزي والقرطبي و الواحدي وأبو حيان ابن الجوزي. أبوا علي الجبائي الهواري ، وأبومسلم والطبرسي و القشيري .

ويرد على هذا القول إشكال بناء على أن الميثاق قد أخذ على النبيين أنفسهم وهو أن هذا الرسول ما جاء في عصر أحد منهم . وكان الله تعالى يعلم ذلك عند أخذ الميثاق عليهم لأن علمه أزلي أبدي . وأجيب عنه بأنه ميثاق مبني على الفرض أي إذا فرض إن جاءكم وجب عليكم الإيمان به ونصره . ويكون المراد منه بيان مرتبته صلى الله عليه وسلم مع النبيين إذا فرض أن وجد في عصرهم ، وهو أنه يكون الرئيس المتبوع لهم ، فما قولك إذاًفي أتباعهم لاسيما بعد زمنهم ؟ وإنما كان له صلى الله عليه وسلم هذا الاختصاص ؛ لأن الله تعالى قضى في سابق علمه بأن يكون هو خاتم النبيين الذي يجيء بالهدى الأخير العام الذي لا يحتاج البشر بعده إلى شيء معه سوى استعمال عقولهم واستقلال أفكارهم ، وأن يكون ما قبله من الشرائع التي يجيئون بها هداية موقوتة خاصة بقوم دون قوم.

القول الثاني:

أخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه ،فإن لم يدركه أن يأمر قومه بنصرته إن أدركوه، فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى ، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، فأخذ ميثاق الأول من الأنبياء أن يؤمن بما جاء به الآخر وينصره ، وعلى هذا أيضا

---

[366] زاد المسير (1/ 300).

يجب عليهم أن يؤمنوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه خاتمهم ، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته ، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم، فهذا لا يضاد القول الأول ولا ينفيه ، بل يستلزمه ويقتضيه .

وهذا قول سعيد بن جبير والحسن البصري وطاووس وقتادة والسعدي الشوكاني .

مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ:

المراد به حصول الموافقة في التوحيد ، والنبوات ، وأصول الشرائع .

وأيضا يدخل في هذا التصديق أن وصفه صلى الله عليه وسلم وكيفية أحواله مذكورة في التوراة والإنجيل ، فلما ظهر على أحوال مطابقة لما كان مذكورا في تلك الكتب ، كان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم .

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ.

{ لتؤمنن به } أي أنتم وأممكم { ولتنصرنه } أي على من يخالفه .

قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ

الإقرار هنا مستعمل في معنى التحقيق بالوفاء مما أخذ من الميثاق ، { قال ءأقررتم } أي يا معشر النبيين أأقررتم بالإيمان به والنصرة له.

ومادة (ق، ر، ر): الإقرار والقرار والقرّ والقارورة ونحو ذلك : من السكون والثبوت ، يقال: قرَّ الشيءُ يقرُّ : إذا ثبت ولزم مكانه والمقر بالشيء يقره على نفسه أي يثبته ، وأقره غيره، زيدت عليه همزة التعدية ، فقيل أقر الشيءَ :إذا أثبته و نطق بما يدل على ثبوته .

وَأَخَذْتُمْ :

الأخذ التناول ، والمراد القبول وهو غايته؛ لأن آخذ الشيء يقبله ، وهو مستعمل كذلك في التنزيل قال تعالى : { وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48) } [البقرة : 48]

عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ: العهد المعظم بالإشارة بأداة البعد وميم الجمع.

إِصْرِي :

(الإصر): عقد الشيء وحبسه بقهره وبثقل ، واشتقاقه من الإصار بكسر الهمزة وهو: ما يعقد ويشدّ مع ثقل ،يقال أصرته فهو مأصور" والمأصَر: محبس السفينة ،(إصري) ميثاقي الشديد المؤكد الموثق الثقيل الذي يحبس صاحبه ويشده ويعقده ويمنعه من التهاون فيما التزمه وعاهد عليه ، سمي بذلك لما فيه من الثقل ، فإنه يشد في نفسه بالتوثيق ويشتد بعد كونه على النفوس لما لها من النزوع إلى الإطلاق عن عهد التقيد بنوع من القيود.

قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا

{ قالوا أقررنا } أي : قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين.

{ قال } الله لهم : { فاشهدوا } على أنفسكم وعلى أممكم بذلك

- والشهادة على أنفسهم : بمعنى التوثق والتحقيق، أي: ليجعل كل أحد نفسه شاهدا على نفسه ، ونظيره قوله

{ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا } [الأعراف : 172] وهذا من باب المبالغة .

- والشهادة على أممهم: بتبليغ ذلك الميثاق .
- {وأنا معكم من الشاهدين}: الله شاهد على الجميع كما شهد النبيون على الأمم، وهذا تأكيد للعهد بشهادة رب العزة جل جلاله وتقوية الإلزام ، وتحذير من الرجوع إذا علموا شهادة الله.

ثم إنه تعالىٰ ضم إليه تأكيدا آخر فقال : { فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون}.

فمن تولىٰ بعد ذلك:

حذف (من) فلم يقل من بعد ذلك يدل علىٰ أمرين:

الأمر الأول: أن التهديد لمن تولىٰ بعد تقرر الميثاق والتوكيد والإقرار بأن أعرض عن الإيمان بهذا الرسول وبنصرته .

الأمر الثاني: تعميم التهديد لكل من يتولىٰ في جميع مدة ما بعد الميثاق فتشمل جميع الأمم التي تأتي بعد.

والكلام في الظاهر للأنبياء لكنه في الحقيقة لأتباعهم ، فكأن المعنىٰ قوله : { فمن تولى بعد ذلك } أي من تولّىٰ مِن شهدتم عليهم ، وهم الأمم ، ولذلك لم يقل فمن تولّىٰ بعد ذلك منكم كما قال في الآية التي خوطب فيها بنو إسرائيل في سورة [المائدة : 12] : { فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل } -فلو أن أحداً بعد كلّ هذا التأكيد علىٰ أخذ المواثيق والعهود المؤكّدة أعرض عن الإيمان بنبيّ كنبيّ الإسلام محمد الذي بشرت به الكتب القديمة وذكرت علائمه ، فهذا المعرض فاسق وخارج علىٰ أمر الله تعالىٰ، ونعلم أن الله لا يهدي الفاسقين المعاندين ، كما ، ومن لا يكون له نصيب من الهداية الإلهيّة ، فإن مصيره إلىٰ النار .

قال الفخر الرازي:" { فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون } يعني من أعرض عن الإيمان بهذا الرسول وبنصرته بعد ما تقدم من هذه الدلائل كان من الفاسقين ووعيد الفاسق معلوما "[367] .

قال سيد قطب:" وفي ظل هذه الحقيقة يبدو الذين يتخلفون من أهل الكتاب عن الإيمان بالرسول الأخير صلىٰ الله عليه وسلم ومناصرته وتأييده ، تمسكا بدياناتهم - لا بحقيقتها فحقيقتها تدعوهم إلىٰ الإيمان به ونصرته ، ولكن باسمها تعصبا لأنفسهم في صورة التعصب لها ! - مع أن رسلهم الذين حملوا إليهم هذه

---

[367] التفسير الكبير (8/ 279).

الديانات قد قطعوا على أنفسهم عهدا ثقيلا غليظا مع ربهم في مشهد مرهوب جليل . . في ظل هذه الحقيقة يبدو أولئك الذي يتخلفون فسقة عن تعليم أنبيائهم . فسقة عن عهد الله معهم . فسقة كذلك عن نظام الكون كله المستسلم لبارئه ، الخاضع لناموسه ، المدبر بأمره ومشيئته "[368].

الدليل السادس عشر[369]: أن الله تعالى أمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

و جعل المتولي عنه كافرا وعلق حب الله سبحانه على طاعته صلى الله عليه واتباعه

{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32)} آل عمران

قال أبو السعود: "{{قُلْ أَطِيعُواْ الله والرسول} أي في جميع الأوامرِ والنواهي فيدخلُ في ذلك الطاعة في اتباعِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ دخولاً أولياً ، وإيثارُ الإظهار على الإضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الإطاعة ، والإشعارِ بعلّتها فإن الإطاعة المأمورَ بها إطاعته عليه الصلاة والسلام من حيث إنه رسولُ الله لا من حيث ذاتُه ولا ريبَ في أن عنوان الرسالة من موجبات الإطاعةِ ودواعيها.

{فَإِن تَوَلَّوْاْ} إما من تمام مقولِ القول فهي صيغة المضارعِ المخاطَب بحذف إحدى التاءين أي تتولوا وإما كلام متفرِّعٌ عليه مَسوقٌ من جهتِه تعالَى فهي صيغةُ الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الإطاعة كما في قوله تعالى فَإِنْ أَسْلَمُواْ تلويحٌ إلى أنه غيرُ محتمَلٍ منهم

[368] ظلال القرآن (1/ 421).

[369] نص على هذا الدليل والأدلة بعده شيخي الشيخ الفاضل بلال النجار حفظه الله في رسالة الرد على عدنان إبراهيم 41

{فَإِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الكافرين} نفي المحبة كنايةٌ عن بغضه تعالى لهم وسُخطِه عليهم أي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وإيثارُ الإظهارِ على الإضمار لتعميم الحكمِ لكل الكفَرَة والإشعار بعلّته فإن سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم ، والإيذان بأن التوليِّ عن الطاعة كفرٌ وبأن محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين".[370]

الدليل السابع عشر: القرآن نص على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل للناس جميعا

لم يستثن أحدا بل أتى بألفاظ العموم (جميعا)، (كافة) وحصر الفلاح بمتبعه.

{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ[371] آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

---

[370] إرشاد العقل السليم (2/ 25).

[371] قال أبو السعود: "{فالذين آمنوا بِهِ} تعليمٌ لكيفية اتّباعِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وبيانٌ لعلو رتبةِ متّبعيه واغتنامِهم مغانمَ الرحمةِ الواسعةِ في الدارين إثرَ بيانِ نعوتِه الجليلة والإشارةِ إلى إرشاده عليهِ الصلاةُ والسلامُ إيَّاهُم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحلالِ الطيبات وتحريمِ الخبائث أي فالذين آمنوا بنبوته وأطاعوه في أوامره ونواهيه {وَعَزَّرُوهُ} أي عظّموه ووقّروه وأعانوه بمنع أعدائه عنه {ونصروه} على أعدائه في الدين {واتبعوا النور الذى أُنزِلَ مَعَهُ} أي مع نوبته وهو القرآنُ عبّر عنه بالنور المنبيءِ عن كونه ظاهراً بنفسه ومُظهِراً لغيره أو مظهِراً للحقائق كاشفاً عنها لمناسبة الاتّباعِ ويجوزُ أن يكون معه متعلقاً باتّبعوا أي واتّبعوا القرآنَ المنزل مع اتباعه صلى الله عليه وسلم بالعمل بسنته وبما أُمِرَ به ونُهِيَ عنه أو اتبعوا القرآنَ مصاحبين له في اتباعه {أولئك} إشارةٌ إلى المذكورين من حيث اتصافُهم بما فُصّل من الصفاتِ الفاضلة للإشعار بعليتهاللحكم وما فيه من معنى البُعد للإيذان بعلوّ درجتِهم وسمو طبقتهم فيالفضل والشَّرفِ أي أولئك المنعوتُون بتلك النعوت الجليلة {هُمُ المفلحون} أي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرُهم من الأمم فيدخُل فيهم قوم موسى عليه الصلاة والسلام دخولاً أولياً حيث لم ينجو عما في توبيتهم من المشقة الهائلةِ وبه يتحقق التحقيقُ ويتأتّى التوفيقُ والتطبيق بين دعائِهِ عليهِ الصلاةُ والسلام وبين الجوابِ لا بمجرد ما قيل من أنه دعا لنفسه ولبني إسرائيلَ أجيب بما هو منطوٍ على توبيخ بني إسرائيلَ على

(157) قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158)} الأعراف

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (28)} سبأ

استجازتهم الرؤيةَ على الله عزَّ وجلَّ وعلى كفرهم بآياته العظامِ التي أجرها على يد موسى عليه الصلاة والسلام وعرّض بذلك في قوله تعالى والذين هم بآياتنا يُؤْمِنُونَ وأريد أن يكون استماعُ أوصافِ أعقابِهم الذين آمنوا برسول الله صلَّى الله عليه وسلم وبما جاء به كعبدِ اللهَّ بنِ سَلاَم وغيرِه من أهل الكتابين لطفاً بهم وترغيباً في إخلاص الإيمانِ والعمل الصالح {قل يا أيها الناسُ أنى رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ} لما حكي في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف مَنْ يتّبعه من أهلهما ونيلِهم لسعادة الدارين أمرعليه الصلاةُ والسلامُ ببيانِ أنَّ تلكَ السعادةَ غيرُ مختصةٍ بهم بل شاملةٌ لكل من يتبعه كائناً مَنْ كان ببيان عمومِ رسالتِه للثقلين مع اختصاص رسالةِ سائرِ الرسلِ عليهم السلام بأقوامهم وإرسالِ موسى عليه السلام إلى فرعون وملته بالآيات التسع إنما كان لأمرهم بعبادة ربِّ العالمين عز سلطانهوتركِ العظيمةِ التي كانَ يدَّعِيها الطاغيةُ ويقبلُها منهُ فتنة الباغية وإرسال بني إسرائيلَ من الأسرِ والقسرِ وأما العملُ بأحكام التوارة فمختص ببني إسرايل {جَمِيعاً} حالٌ من الضمير في إليكم {الذى لَهُ ملك السماوات والارض} منصوبٌ أو مرفوعٌ على المدح أو مجرورٌ على أنه صفةٌ للجلالة وإن حيل بينهما بما هو متعلقٌ بما أضيف إليه فإنه في حكم المتقدّمِ عليه وقولُه تعالى {لاَ إله إلا هو} بيانٌ لما قبله مَنْ ملَك العالمَ كان هو الإله لا غيرُه وقوله تعالى {يُحْيِي وَيُمِيتُ} لزيادة تقرير ألوهيتِه والفاءُ في قوله تعالى {فَآمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ} لتفريع الأمرِ على ما تمهّد وتقرّر من رسالته صلى الله عليه وسلم وإيراد نفسه عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالةِ على طريقة الالتفاتِ إلى الغيبة المبالغة في إيجاب الامتثال بأمره ووصف الرسول بقوله {النبى الامي} لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما ولزيادة تقريرِ أمرِه وتحقيق أنه الكتوب في الكتابين ووصفُه بقوله تعالى {الذى يُؤْمِنُ بالله وكلماته} أي ما أنزل إليه وإلى سائر الرسلِ عليهم السَّلامُ من كُتُبه ووحيِه لحمل أهلِ الكتابين على الامتثال بما أُمروا به والتصريحُ بإيمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الإيمانَ به تعالى لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به {واتبعوه} أي في كلِّ ما يأتي وما يذرُ من أمور الدين {لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} علةٌ للفعلين أو حال من فاعليهما أي رجاءً لاهتدائكم إلى المطلوب أو راجين له وفي تعليقه بهما إيذانٌ بأن من صدّقه ولم يتبعْه بالتزام أحكام شريعتِه فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلال"إرشاد العقل السليم (3/ 280) بتصرف.

والحقيقة أن أدلة هذا الموضوع لا تنتهي ، ومن أراد استقصاءها لاحتاج إلى مجلدات كثيرة ، ففيما ذكرنا كفاية لمن طلب الحق منصفا .

****

مسألة مهمة:

بقيت مسألة مهمة وهي أن علينا أن نفرق بين المسألة التي بحثناها وهي أنه يجب على اليهود والنصارى وجميع الفرق الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن واتباعهما ، وأنه من يكفر به من الأحزاب فالنار موعده، وأنه لا يسمع يهودي ولا نصراني بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن إلا دخل النار، وبين مسألة أخرى تختلف عنها وهي حكم من لم تبلغه الدعوة ، وحكم أطفال المشركين والنصارى ، وهما مسألتان مختلفتان تماما ، وإليك قول العلماء في المسألة الثانية:

قال علي القاري في شرح حديث: " أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»"

قوله: (إِلَّا كَانَ)] أَيْ: فِي عِلْمِ اللهِ، أَوْ بِمَعْنَى يَكُونُ، وَتَعْبِيرُهُ بِالْمُضِيِّ لِتَحَقُّقِ وُقُوعِهِ، وَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُفَرَّغٌ مِنْ أَعَمِّ الْأَحْوَالِ [(مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)] أَيْ مُلَازِمِيهَا بِالْخُلُودِ فِيهَا، وَأَمَّا الَّذِي سَمِعَ وَآمَنَ فَحُكْمُهُ عَلَى الْعَكْسِ، وَأَمَّا الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ وَلَمْ يُؤْمِنْ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ هَذَا الْوَعِيدِ[372].

وقال الإمام النووي: في الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا – صلى الله عليه وسلم –، وفي مفهومه دلالة على أن من لم يبلغه دعوة الإسلام فهو معذور"[373].

---

[372] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1/ 77).

[373]

خلاصة الأقوال في الذي لم تبلغه الدعوة :

من لم تبلغه الدعوة في مصيرهم ثلاثة أقوال هي:

1 – من مات ولم تبلغه الدعوة مات ناجيًا.

2 – من مات ولم تبلغه الدعوة فهو في النار.

3 – من مات ولم تبلغه الدعوة فإنه يمتحن بنار في عرصات يوم القيامة.

1) والقول الأول: قال به الأشاعرة من أهل الكلام والأصول، وبعض الشافعية من الفقهاء قال عضد الدين الإيجي في المواقف:" وَأما من نَشأ على شَاهِق جبل وَلم تبلغه دَعْوَة نَبِي أصلا فَإِنَّهُ مَعْذُور عِنْد الإشاعرة فِي ترك الْأَعْمَال وَالْإِيمَان أَيْضا"[374]

2) والقول الثاني: وهو أن من مات ولم تبلغه الدعوة فهو في النار.

قال به المعتزلة وجماعة من الحنفية الماتوريدية وكذا قال البقاعي و عبد الله الحليمي لكن مع الاختلاف في طريقة الاستدلال عليه[375].

---

[374] المواقف (1/ 13)

[375] قال البقاعي:" فمن بلغته دعوته فخالف أمره واستكبر عن اتباعه عذبناه بما يستحقه، وهذا أمر قد تحقق بإرسال آدم عليه السلام ومن بعده من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام في جميع الأمم كما قال تعالى {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً} [النحل: 36] {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر: 24] فإن دعوتهم إلى الله تعالى قد انتشرت، وعمت الأقطار واشتهرت، انظر إلى قول قريش الذين لم يأتهم نبي بعد إسماعيل عليه السلام

{ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة} [ص: 7] فإنه يفهم أنهم سمعوه في الملة الأولى فمن بلغته دعوة أحد منهم بوجه من الوجوه فقصر في البحث عنها فهو كافر مستحق للعذاب، فلا تغتر بقول كثير من الناس في نجاة أهل الفترة مع إخبار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن آباءهم الذين مضوا في الجاهلية في النار، وأن ما يدحرج الجعل خير منهم – إلى غير ذلك من الأخبار؛ قال الإمام أبو عبد الله الحليمي أحد أجلاء الشافعية وعظماء أئمة الإسلام رضي الله عنهم في أوائل منهاجه في باب من لم تبلغه الدعوة: وإنما قلنا: إن من كان منهم عاقلاً مميزاً إذا رأى ونظر إلا أنه لا يعتقد ديناً فهو كافر، لأنه وإن لم يكن سمع دعوة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلا شك أنه سمع دعوة أحد من الأنبياء الذين كانوا قبله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على كثرتهم، وتطاول أزمان دعوتهم، ووفور عدد الذين آمنوا بهم واتبعوهم والذين كفروا بهم وخالفوهم، فإن الخبر قد يبلغ على لسان المخالف كما يبلغ على لسان الموافق، وإذا سمع آية دعوة كانت إلى الله فترك أن يستدل بعقله على صحتها وهو من أهل

قالوا بأنهم مكلفون وإن لم يرسَل إليهم رسول، وعليهم أن يستدلوا بعقولهم، فما استحسنه العقل فهو حسن، وما قبحه العقل فهو قبيح. وإن الله سبحانه يعذب في النار من لم يؤمن وإن لم يرسَل إليه رسول لقيام الحجة عليه بالعقل، وهذا يدل على أن هناك ثوابًا وعقابًا قبل بلوغ الدعوة وبعثة الرسل.

3) والقول الثالث: وهو أن من لم يسمع بالدعوة كأهل الفترة يُمتحنون في عرصات القيامة بنار يأمرهم الله سبحانه وتعالى بدخولها، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها فقد عصى الله تعالى، فيدخله الله فيها.اختاره : ابن تيمية ، وابن القيم ، و ابن كثير ، محمد أمين الشنقيطي.

****

حكم أطفال المشركين:

وقال النووي : "أجمع من يُعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة"[376].

قال الشيخ شعيب في تحقيق العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم:

المذهب الصحيح المختار عند المحققين من أهل العلم أن أطفال المشركين الذين يموتون قبل الحنث هم من أهل الجنة[377].

الاستدلال والنظر، كان بذلك معرضاً عن الدعوة فكفر – والله أعلم، وإن أمكن أن يكون لم يسمع قط بدين ولا دعوة نبي ولا عرف أن في العالم من يثبت إلهاً – وما نرى أن ذلك يكون – فإن كان فأمره على الاختلاف – يعني عند من يوجب الإيمان بمجرد العقل ومن لا يوجبه إلا بانضمام النقل. وما قاله الحليمي نقل نحوه عن الإمام الشافعي نفسه رضي الله عنه؛ قال الزركشي في آخر باب الديات من شرحه على المنهاج: وقد أشار الشافعي إلى عسر قصور – أي عدم بلوغ – الدعوة حيث قال: وما أظن أحداً إلا بلغته الدعوة إلا أن يكون قوم من وراء النهر بكوننا، وقال الدميري: وقال الشافعي: ولم يبق من لم تبلغه الدعوة".نظم الدرر (11/ 389) .

[376] شرح صحيح مسلم (16/ 207).

[377] وقد استدلوا بقوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}، فإذا كان لا يُعذب العاقل بكونه لم تبلغه الدعوة، فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى.وبما أخرجه البخاري في " صحيحه " (7047) من حديث سمرة، وفيه: " وأما الرجل الطويلُ الذي في الروضة، فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطره، قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: وأولاد المشركين ".وبما أخرجه البخاري (1385)، ومسلم (2658) من حديث أبي هريرة رفعه: " كل مولود يولد على الفطرة (والفطرة هنا الإسلام) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ".وفي مستخرجات البرقاني على البخاري من حديث عوف الأعرابي، عن أبي رجاء العطاردي، عن سمرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " كل مولود يولد على الفطرة " فقال الناسُ: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال: " وأولاد المشركين ".وأخرج ابن أبي حاتم فيما نقله عنه الحافظ ابن كثير في " تفسيره " 8/ 357، عن أبي عبد الله الطهراني -وهو محمد بن حماد- حدثنا حفص بن عمر العدني، حدثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة قال: قال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب، يقول الله عز وجل: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} قال: هي المدفونة.

وأخرج أحمد 5/ 58 من طريق حسناء بنت معاوية بن صريم، عن عمها قال: قلت: يا رسول الله؟ مَنْ في الجنة؟ قال: " النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والموءودة في الجنة ". وحسن الحافظ إسناده في " الفتح " 3/ 246. وأخرج ابن أبي حاتم فيما ذكر ابن كثير في " تفسيره " عن أبيه، عن مسلم بن إبراهيم، عن قرة قال: سمعت الحسن يقول: قيل: يا رسول الله من في الجنة؟ قال: الموءودة في الجنة " قال ابن كثير: هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن، ومنهم من قبله. وانظر " طريق الهجرتين وباب السعادتين " ص 512 – 516، وانظر أيضاً الجزء السادس من هذا الكتاب.(5/ 316)

العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم/ تحقيق الشيخ شعيب (5/ 316).

المراجع

ابن أبي زمنين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري المالكي ،**"تفسير القرآن العزيز"** ، طبع محققا عام 1423 هـ دار الفاروق الحديثة القاهرة .

ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين"، المكتبة العصرية، ط: الأولى 1424هـ- 2003م

ابن الشجري ، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: 542هـ) "ما لم ينشر من الأمالي الشجرية" تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، 1405 هـ - 1984 م

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، **"أحكام القرآن"**، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا،: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2003.

ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، تحقيق: محمد أحمد الحاج.دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية، ط: الأولى، 1416هـ – 1996م

ابن الهائم : أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، (المتوفى: 815هـ)، "التبيان في تفسير غريب القرآن"، تحقيق: د ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: الأولى – 1423 هـ

ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني (المتوفى: 840هـ)ي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: 840هـ)، "العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم" حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الثالثة، 1415 هـ – 1994 م.

ابن تيمية : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)" الرد على المنطقيين"، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، " الفتاوى الكبرى ، دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1408هـ – 1987م

ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، **"التسهيل لعلوم التنزيل"**،تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، 1996.

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، " الفِصَل في الملل والأهواء والنحل" مكتبة الخانجي – القاهرة

ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي [ت: 458هـ، "المحكم والمحيط الأعظم" تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1421 هـ – 2000

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: 1393هـ)، **"التحرير والتنوير "** «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**»، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ

ابن عجيبة ، : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني، الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ، " البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية 1423 هـ – 2002 م.

ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الفاسي (المتوفى: 1224هـ)، **" البحر المديد في تفسير القرآن المجيد "**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، 1999.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، **"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، 2001.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : 769هـ) ،" شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد

جودة السحار وشركاه، ط: العشرون 1400 هـ – 1980 م. وأول مجلدين ، مذيلان بحاشية : منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، : دار الفكر، عام النشر: 1399هـ – 1979م..

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ب الدينوري (المتوفى: 276هـ ، "غريب الحديث" تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد، ط: الأولى، 1397

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، "البداية والنهاية" ، تحقيق علي شيري، لناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى 1408، هـ – 1988 م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، **"تفسير القرآن العظيم"**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999.

ابن مالك ، جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ت "شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" حقيق محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1422هـ.

ابن مفلح ، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: 884هـ) "المبدع في شرح المقنع"، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1418 هـ – 1997 م

ابن نقطة ، عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة (المتوفى: 629هـ) الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل، ط: الأولى، 1286 هـ

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي تحقيق أحمد السيد وإسماعيل عبد الجواد "شرح المفصل" المكتبة الوقفية .

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، " **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ، **"تفسير القرآن"**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. دار الوطن، الرياض – السعودية.

أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، (المتوفى: 708هـ)، **"ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل"**، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(المتوفى: 745هـ) ، **"البحر المحيط في التفسير"**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1999 .

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، **"زهرة التفاسير"**، دار الفكر العربي.

أبو زينة ، د منصور أبو زينة ، الحذف والذكر في المتشابه اللفظي في القرآن رسالة ماجستير.

الأزهري ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: 905هـ)، "التصريح على التوضيح "، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط: الأولى 1421هـ- 2000م

الأزهري ، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب (المتوفى: 420هـ)، "**درة التنزيل وغرة التأويل**"، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، 2001.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (المتوفى: 502هـ)، "**تفسير الراغب الأصفهاني**"، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني. الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، 1999.

إطفيش، محمد بن يوسف بن عيسى، "**تيسير التفسير**"، وزارة التراث القومي والثقافي بسلطنة عمان، ط: 1406.

إطفيش، محمد بن يوسف، "**هميان الزاد ليوم المعاد**"، طبع في زنجبار.

الأعقم، أحمد بن علي، "**تفسير الأعقم**"، دار الحكمة اليمانية.

ألشيرازي، ناصر مكارم، "**الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**"، مؤسسة النشر الإسلام، قم، نقحه د: محمد علي آذر شب.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: 1270هـ)، "**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**"، تحقيق: علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1995.

الآمدي ، علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي (المتوفى: 631هـ) أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، ط: الثانية / 1424 هـ–2004م .

أمير عبد العزيز، التفسير الشامل" طبع بالقاهرة دار السلام 1420"

الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين (المتوفى: 756هـ تحقيق: عبد الرحمن عميرة"المواقف" ، دار الجيل – لبنان – بيروت،ط:الأولى، 1417هـ – 1997م.

البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" =" صحيح البخاري"، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى، 1422هـ.

البرسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الإستانبولي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ)، **"روح البيان"**، دار الفكر – بيروت.

البغوي ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (المتوفى: 510هـ)، **" معالم التنزيل في تفسير القرآن"** = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، 1999.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: 885هـ)، **"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ)، "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**"، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1998.

التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع (المتوفى: 283هـ)، "**تفسير التستري**"، جمعها: أبو بكر محمد البلدي،تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية - بيروت. 2002.

تعيلب ، عبد المنعم أحمد ، "فتح الرحمن في تفسير القرآن" الطبعة الأولى دار السلام 1416هـ .

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (المتوفى: 875هـ)، "**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**"، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1998.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، "**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**"، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 2002.

الجاوي، محمد بن عمر نووي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ)، "**مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**"، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، 1997.

جبل ، محمد حسن حسن جَبَل " المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم"، مكتبة الآداب ،ط الأولى.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (المتوفى: 370هـ)، **"أحكام القرآن"**، تحقيق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1985.

جواد ، الدكتور جواد علي (المتوفى: 1408هـ)،" المفصل فى تاريخ العرب قبل لإسلام"، دار الساقي، ط: الرابعة 1422هـ/ 2001م،

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ)، **"زاد المسير في علم التفسير"**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى - 1422 هـ.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى: 393هـ ، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة 1407 هـ - 1987 م

الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين، **"عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ"**، (المتوفى: 756 هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمي، 1996.

الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين (المتوفى: 756هـ)، **"الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"**، لأبي العباس، شهاب الدين، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط دار القلم، دمشق.

حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م

حوىٰ، سعيد حوّىٰ (المتوفىٰ 1409 هـ)، "الأساس في التفسير"، دار السلام – القاهرة، ط: السادسة، 1424 هـ.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفىٰ: 741هـ)، **"لباب التأويل في معاني التنزيل"**، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولىٰ، 1415 هـ

الخالدي ، د صلاح عبد الفتاح الخالدي"تصويبات في فهم بعض الآيات"، الناشر: دار القلم – دمشق، ط: الأولىٰ، 1407 هـ – 1987 م.

الخطيب، عبد الكريم يونس (المتوفىٰ: بعد 1390هـ)، **"التفسير القرآني للقرآن"**، دار الفكر العربي – القاهرة.

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر ا المصري الحنفي (المتوفىٰ: 1069هـ)، **"حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي"**، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي، دار صادر – بيروت.

الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفىٰ: 170ه ، "العين"، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،دار ومكتبة الهلال.

الخليلي، أحمد بن حمد المفتي العام لسلطنة عمان، **"جواهر التفسير "**، مكتبة الاستقامة، ط: الأولىٰ 1404هـ

دروزة، محمد عزت، **"التفسير الحديث"**، دار إحياء الكتب العربية – القاهرةن ط: 1383 هـ.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، **"مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1999.

رشيد بن علي رضا، محمد بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، **" تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) "**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م

الزبيدي ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (المتوفى: 1205هـ)، "تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق "، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ) "البحر المحيط في أصول الفقه" دار الكتبي، ط: الأولى، 1414هـ - 1994م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: 538هـ)، **"الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة - 1407 هـ

الزين العراقي ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم (المتوفى: 806هـ) "طرح التثريب في شرح التقريب" تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: 826هـ)، "دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي".

السامرائي، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، **"لمسات بيانية"**، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 2003.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: 1376هـ)، **"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى 1420هـ – 2000 م.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 373هـ)، **"بحر العلوم"**،

السمعاني ، أبو المظفر منصور بن محمد المروزي التميمي الحنفي، "تفسير السمعاني" طبع بتحقيق ياسر بن إبراهيم دار الوطن الرياض ، ط: 1418 هـ

السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، "اللمع في أسباب ورود الحديث"، مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى، 1416 هـ / 1996 م

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، **" نواهد الأبكار وشوارد الأفكار"** = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، 2005.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1418هـ 1998م.

شحاته ، عبد الله محمود شحاته ، "تفسير القرآن الكريم " طبع الطبعة الثانية بدارغريب بالقاهرة 2000م.

الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (المتوفى: 977هـ)، **"السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير"**، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، 1868.

الشعراوي، محمد متولي (المتوفى: 1418هـ)، **"تفسير الشعراوي"** – الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم، 1997.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: 1393هـ)، **"العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ"**، خالد بن عثمان السبت.

الشنقيطي، محمدالأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: 1393هـ)، **"أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"** دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: 1415 هـ - 1995 مـ

الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (المتوفى: 548هـ) ، "الملل والنحل"، مؤسسة الحلبي.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ)، **"فتح القدير"**، دار ابن كثير، – دمشق، بيروت، ط: الأولى – 1414 هـ

الشِيرازي الشَيخ نَاصِر مَكارم، : الامثل في تفسير كتابِ الله المُنزَل، عدد الأجزاء : 20

الصابوني، محمد علي، **" صفوة التفاسير"**، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط: الأولى، 1417 هـ - 1997 م

صافي، محمود بن عبد الرحيم (المتوفى: 1376هـ)، **"الجدول في إعراب القرآن الكريم"**، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط: الرابعة، 1418 هـ

صالح الهاشمي ، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء (المتوفى: 668هـ)، "تخجيل من حرف التوراة والإنجيل"، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط: الأولى، 1419هـ/ 1998م.

الصبان ، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: 1206هـ)، "حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك"، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط: الأولى 1417 هـ -1997م.

ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.

الطباطبائي، محمد حسين، **"الميزان في تفسير القرآن"**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية 1422هـ

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، **"مجمع البيان في تفسير القرآن"**، دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1418، بيروت.

الطبرسي، أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن ت(548 هـ) ، " مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان "،المجمع العالمي لأهل البيت.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ)، **"جامع البيان في تأويل القرآن"**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

طنطاوي، محمد سيد، " **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**"، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى. 1997-1998.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن ، " التبيان في تفسير القرآن"، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي.

العاملي، محمد جواد مغنية، **"التفسير الكاشف"**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة.

العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ، (المتوفى: 852هـ المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس ، " العجاب في بيان الأسباب"، دار ابن الجوزي.

العقرباوي ، علي هاني يوسف ، أبحاث الفرق بين (قبل ومن قبل) و(بعد ومن بعد) ، و(تحت ومن تحت) وبقية الظرف، ملتقى أهل التفسير

العلوي، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي، **"تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن"**، مراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي. دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1421 هـ – 2001 م

الغلاييني، المؤلف: مصطفى بن محمد سليم (المتوفى: 1364هـ) " جامع الدروس العربية"، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط: الثامنة والعشرون، 1414 هـ – 1993 م.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ، " القاموس المحيط"، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، 1426 هـ – 2005 م

الفيومي ، محمد إبراهيم (المتوفى: 1427هـ)، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الفكر العربي، ط: الرابعة 1415هـ-1994.

القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (المتوفى: 1014هـ)، **"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"**، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1422هـ - 2002م

القاسم، أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود، **" إعراب القرآن الكريم"**، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، ط: الأولى، 1425 هـ

القاسمي، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: 840هـ)، **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم،** حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الثالثة، 1415 هـ - 1994 م

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: 1332هـ)، **"محاسن التأويل"**، محمد باسل عيون السود، لدار الكتب العلميه – بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ)، **"الجامع لأحكام القرآن" = تفسير القرطبي،** تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش. دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ - 1964 م

القطان، إبراهيم، **"تيسير التفسير"**، راجعه: أحمد أبو حجلة.

قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، **"في ظلال القرآن"**، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط: السابعة عشر - 1412 هـ

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: 1307هـ) "فتحُ البيان في مقاصد القرآن" اعتنى به : عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ – 1992 م

القونوي، الحافظ إسماعيل القونوي، "حاشية القونوي على البيضاوي" المكتبة المحمودية فاتح استانبول.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي ، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، " الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت

لجنة من الفقهاء ، الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويتعدد الأجزاء: 45 جزءا، الطبعة: (من 1404 – 1427 هـ)، دارالسلاسل – الكويت

لجنة من علماء الأزهر، **"المنتخب في تفسير القرآن الكريم، "**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط: الثامنة عشر، 1416 هـ – 1995 م

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: 333هـ)، **"تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) "**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، 2005.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، **"تفسير الماوردي = النكت والعيون"** ، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

المباركفوري"، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني (المتوفى: 1414هـ)" مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط: الثالثة – 1404 هـ، 1984 م.

المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني (المتوفى: 1414هـ)، **"مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"**، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط: الثالثة – 1404 هـ، 1984 م

مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، "التفسير الوسيط للقرآن الكريم"، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى، (1393 هـ = 1973 م) – (1414 هـ = 1993 م)

مجموعة من العلماء، " المعجم الوسيط"، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد (المتوفى: 864هـ)، السيوطي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (المتوفى: 911هـ)، **"تفسير الجلالين"**، دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى

مخلوف ، حسنين محمد مخلوف ، صفوة البيان لمعاني القرآن ، طبع دار الرشاد الحديثة

المحتويات

المقدمة: 1

خطة البحث: 3

القسم الأول: التفسير التحليلي وفيه ست وعشرون مسألة: 6

المسألة الأولى: في علاقة آية سورة البقرة بما قبلها 6

المسألة الثانية: فائدة إِنَّ: 12

المسألة الثالثة : بيان الأقوال في المراد بالذين آمنوا: 13

المسألة الرابعة: الأقوال في المراد بـ(الذين هادوا والنصارى) في الآية : 20

المسألة الخامسة : حاصل الأقوال في معنى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ} :.... 23

المسألة السادسة: تحقيق اشتقاق هادوا وبيان الفرق بين هادوا ويهودوهُود: 37

المسألة السابعة : هل اليهودية دين سيدنا موسى عليه السلام 69

المسألة الثامنة:أصل كلمة النصارى:.. 71

المسألة التاسعة: اختلف العلماء كذلك لم سموا "نصارى": 74

المسألة العاشرة: السر في أنه تعالى في حق اليهودلم يقل قالوا إنا يهود بل قال {اليهود} وفي حق النصارى90

المسألة الحادية عشر: تاريخ الصَّابِئة وفرقهم :... 91

المسألة الثانية عشرة : أقوال المفسرين في الصابئة وهي تسعة أقوال : 130

المسألة الثالثة عشرة : أقوال الفقهاء في الصابئة: 134

المسألة الرابعة عشرة: من آمن بالله 154

المسألة الخامسة عشرة معنى اليوم الآخر (62)} : 157

المسألة السادسة عشرة : عبارة { آمن بالله واليوم الآخر} في مصطلح القرآن يراد بها الإيمان بجميع الأركان كما تقدم ويوضحه استعمالات القرآن لذلك : 164

المسألة السابعة عشرة : معنى العمل الصالح في آية { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا (62)}: 185

المسألة السابعة عشرة : إعراب (من) في {من آمن بالله واليوم الآخر}: 192

المسألة الثامنة عشرة : معنى {فلهم أجرهم عند ربهم}: 193

المسألة التاسعة عشرة : معنى{ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}: 194

المسألة العشرون : مناسبة آية سورة المائدة وآية سورة الحج لما قبلهما: 198

المسألة الحادية والعشرون : تلخيص أقوال العلماء في سورة المائدة : 204

المسألة الثانية والعشرون : تفسير آية سورة الحج مع ذكر أقوال العلماء: 209

المسألة الثالثة والعشرون: الإعراب في المائدة والصابئون: 215

المسألة الرابعة والعشرون: الفائدة البلاغة في رفع الصابئون: 221

المسألة الخامسة والعشرون : الرد على من يخطئ القرآن الكريم في رفع الصابئون: 227

المسألة السادسة والعشرون: أسرار الاختلاف بين الآيات الثلاثة تقديما وتأخيرا ورفعا ونصبا واختلافا في الفاصلة : 228

القسم الثاني: أدلة الرد على من فسر الآية على خلاف مراد الله سبحانه: 237

الدليل الأول : تفسيرهم يؤدي إلى اختلاف القرآن وتعارضه 240

الدليل الثاني: أن اسم النصارى لم يرد في القرآن مرادا به الموحدون 251

الدليل الثالث: قوله تعالى { من آمن بالله } يرد عليهم. 255

الدليل الرابع: هم لا يؤمنون بيوم القيامة كما وصفه الله تعالى 256

الدليل الخامس: شرط العمل الصالح الإيمان 260

الدليل السادس: دينهم يخالف دين الإسلام الذي عرفه القرآن 262

الدليل السابع:القرآن مليء بالآيات التي تدعو الكفار 281

الدليل الثامن: القرآن يقرر أن من عبد مع الله غيره لم يعبد الله سبحانه ، 284

الدليل التاسع : نص القرآن الكريم على كفر اليهود والنصارى صراحة 305

الدليل العاشر : قد بشرت جميع الكتب بالنبي صلى الله عليه وسلم وأمته 314

الدليل الحادي عشر:ترك ملايين النصارى واليهود دينهم عبر التاريخ 317

الدليل الثاني عشر:العمل بالتوراة أو الإنجيل عمل بشريعة منسوخة 318

الدليل الثالث عشر: أن النَّبِيَّ – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – قَاتَلَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، 345

الدليل الرابع عشر: أن هذه القول خارق لإجماع علماء المسلمين، 346

الدليل الخامس عشر:جميع الأنبياء أخذ عليهم وعلى أممهم الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم 349

الدليل السادس عشر: أن الله تعالى أمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم 360

الدليل السابع عشر: القرآن نص على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل للناس جميعا 361

مسألة مهمة: 363

المراجع 367